يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

المتوفى ٤٢٩ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور مفيد محمد قميحة

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

« مُقَدّمَة المحَقّق »

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ، فقد شهد القرن الرابع للهجرة ازدهاراً أدبياً واسعاً تجلى بظهور عدد كبير من الكتب المتخصّصة في شتى مجالات المعرفة الانسانية ، فرغم مظاهر الوهن المتعدّدة التي أثقلت جسم الدولة العباسية وجعلته ينوء تحت جموح الأطماع والأهواء والقلاقل ، فإنّ الأدب العربي شهد جموحاً من نوع آخر ، جموحاً نحو الابداع والكمال ، ساهم في نهضته المباركة عددٌ كبيرٌ من الأدباء الذين أغنوا الفكر العربي والاسلامي بكتاباتٍ قيمة وابتكارات رائعة ، كان لهما الأثر المرجوّ في تعميق الفكر وخدمة الثقافة والأدب ، وأبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، واحدٌ من أولئك الذين ساهموا في هذه النهضة المباركة ، بحيث قدّم للعربية عدداً كبيراً من المؤلّفات والمصنّفات التي تنوّعت لتشمل اغراضاً متنوعة في الآداب واللغة والفكر .

ولد أبو منصور في نيسابور عام ٣٥٠ للهجرة وإليها نمي ، وكان في أوّل حياته فرّاءً ، يخيط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته ، ومن ثمّ انتقل من حوك الفراء إلى حوك الكلِم ، فاشتغل باللغة والأدب والتاريخ فنبغ واشتهر ، ولم تتحدّث كتب التراجم عن تفاصيل حياته ومراحلها وأدوارها ، إلاّ أنهّا أسهبت في ذكر فضله وعلمه ، فقد ذكره فريق من كبار المؤلفين ، وأشاروا إلى مكانته ومؤلفاته التي بلغت

حدّاً لا بأس له من الكثرة والغنى والتنوع ، فقال ابن الأنباري في نزهة الألبّاء عنه : « كان أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً ، صنّف كتباً كثيرة ، وأخذ عن أبي بكر الخوارزمي » .

وقال ابن بسّام صاحب كتاب الذخيرة في حقه : « كان في وقته راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، ورأس المؤلّفين في زمانه ، وإمام المصنّفين بحكم قرانه ، وسار ذكره سير المثل ، وضربت إليه آباط الإبل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب ، طلوع النجم في الغياهب ، تآليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع ، وأكثر راوٍ لها وجامع ، من أن يستوفيها حدٌّ أو وصف ، أو يوفي حقوقها نظمٌ أو رصف » .

وقال عنه الباخرزي صاحب دمية القصر : « هو جاحظ نيسابور ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم ترَ العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ، وكيف تنكر وهو المزن يحمد بكلّ لسان ، أو كيف يستر وهو الشمس لا تخفى بكلّ مكان » .

أما كتابه « يتيمة الدهر » الذي قمنا بشرحه وضبط نصوصه قدر الامكان فإنه أكثر مؤلفاته شهرة وتداولاً ، كونه يقدّم فيه ترجمةً وافية لكثير من الشعراء المعاصرين له أو السابقين لزمنه بقليل ، وهذه الترجمة تختلف عمّا عرفناه في كتب الطبقات ، لأنه يجمع فيها كلّ جماعة من الشعراء حسب بلدهم أو إقليمهم أو البلاط الذي سلكهم في عداده ، ومثال ذلك ما فعله بشعراء الشام ، وشعراء مصر من حيث الأقاليم ، وبشعراء دولة بني حمدان وبلاط سيف الدولة في حلب ، وبني بويه في بغداد وأصبهان . .

وقد بدأت فكرة الكتاب لديه في سنٍّ مبكّرة إذ بدأه سنة ٣٨٤ هجرية ، ثم رجع إليه بعد فترة من الزمن بعد أن اكتمل عوده وقوي مراسه، ليتّم في كهولته ما

استهلّه في شبابه ، وقد قسّم الرجل كتابه إلى أقسامٍ أربعة وأردفه بعد مدّة بقسمٍ خامس ، لم يكن أهل الأدب واللغة قد اطلعوا عليه وقد نشر هذا القسم في طهران ، وفيه تتمات لما جاء في الأقسام السابقة له ، بحيث تضمّن أبواباً ثلاثة حملت العناوين التالية : « تتمّة القسم الأول في محاسن أهل الشام والجزيرة ، وتتمة القسم الثاني في محاسن أشعار أهل العراق ، وتتمة القسم الثالث في محاسن أهل الرّي وهمدان وأصفهان وساير بلاد الجبل » وقد قدّم الثعالبي في هذه الأقسام تراجم لشعراء عدّة يظهر أنهّم كانوا أقلّ شهرةً من الذين ترجم لهم في الأقسام الأربعة السابقة فألحقهم بهذا القسم بعد أن تمكّن من الوقوف على نماذج من أشعارهم .

أمّا غاية الكتاب فهي خدمة اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم ، عن طريق الشعر الذي يرى فيه فضلاً وعلماً وتقدُّم مكانة ، يقول في مقدمته « ولّما كان الشعر محمدة الأدب وعلم العرب الذي اختصوا به دون سائر الأمم ، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل على النبّي فيهم المرسل ، صلوات الله وسلامه عليه ، كانت أشعار الاسلاميين أرقّ من أشعار الجاهليين وأشعار المخضرمين ، ثم كانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ، ولانتهائها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى درجات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الاعجاب إلى الاعجاز ، ومن حدّ الشعر إلى السحر فكأن الزمان ادّخر لنا من نتائج البراعة وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ورونق الطلاوة » وهكذا فإن الثعالبي يتقدّم لتصنيف عمله وإتمامه مدفوعاً برغبةٍ داخلية قويّة قوامها الحبّ للعربية والإدراك العميق لأبعاد الكلمة وأثرها البعيد الغور في النفس الانسانية التي قدِّر لها نصيبٌ من الحسِّ والرّفاهية والذوق . .

والثعالبي في اليتيمة لم يقتصر على الترجمة المحضة والاستشهاد بالنصوص الشعرية ، بل نراه يورد آراءً نقدية قيّمة وتعليلاتٍ أدبية ممتعة تنمُّ عن ذوقٍ أدبيّ رفيع ، كما يعمد في كثير من الأحيان إلى المقارنة والموازنة بين من يترجم له وبين غيره

من الشعراء في الفنّ الشعري الذي برع فيه ويكشف بلياقة وكياسة عن مدى تأثّر الشاعر بغيره من السابقين والمعاصرين ويتعقّب بحسٍّ أدبيٍّ وذوق مرهفٍ صوره ومعانيه، فيشهد له بما قدّم من توليداتٍ مبتكرة وجديدة، ويرشد إلى ما كان فيه تابعاً ومقلّداً ، كما نراه أحياناً يصوّب المعنى ويشير إلى الاستعمال السليم ، مثال ذلك تعليقه على بيتٍ شعري لأبي القاسم عبد الصمد بن بابك يقول :

نشوة نفاس الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان

فيرى الثعالبي أنه « لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب ، بنفس الممدوح وهو ملك عظيم ، لأنّه إنّما يشبّه بنفس المعشوق » وكان ينبغي أن يقول :

نسيم أفعال الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان

كما نراه يشير إلى سقطات أبي بكر محمد بن محمّد الخوارزمي فيقول : « وممّا زلّ فيه أقبح زلّة قوله من قصيدة في الصاحب وقد اعتلّ:

نعوا إليّ نفس المجد ساعة أخبروا بما يشتكي من سقمه ويمارس

فإن في لفظة النعي ما فيها من الطيرة ؛ إذ هي ممّا يقع في المرثيّة لا في العيادة » .

ويقول أيضاً عنه ومن سقطاته المنكرة قوله للصاحب :

ومهيبٍ كأنّما أذنب النا س إليه فهم مغشون ذلا
وظريفٍ كأنّ في كلّ فعلٍ من أفاعيله عرائس تجلى

فإنّ الكبراء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف إذ هو من أوصاف الأحداث والقيان والشبان ، ولم يرض بالفرطة في هذه اللفظة حتى شبّه أفاعيله بعرائس تجلى ، فلو مدح مخنّثاً لما زاد » .

وفي حديثه عن أكثر الشعراء فإننا نراه يتتبع سرقاتهم ويشير إلى المعاني التي اقتبسوها من غيرهم ، ويقطع في مواضع كثيرة سرد القصيدة ليذكر سرقة بيتٍ منها ، كحديثه عن أبي سعيد الرستمي حين يقول :

بدورٌ زهتهن الملاحة أن يُرى لهنّ نقابٌ فالوجوه سوافر

فيقطع الثعالبي القصيدة ليذكر أنّه سرقه من قول القائل :

ولمّا تنازعنا الحديث وأسفرت وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنّعا

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل نراه يورد في كتابه فصولاً خاصة يتتبّع فيها سرقات الشعراء ، كما فعل في حديثه عن السريّ الرّفاء حيث عقد له فصلاً مسهباً أشار فيه إلى سرقاته الكثيرة ، وذكر النصوص التي تأثّر بها وضمّنها قصائده ، كما أنه لم ينس أن يشير إلى نوع السرقة ، وهل استطاع الشاعر أن يتفوق على سابقه أم أنّه قصر في بلوغ شأوه ، يقول معلّقاً على بيتٍ لأبي الحسن عليّ بن هارون بن المنجم « ولقد أحسن السرقة وجوّد اللفظ وزاد في المعنى » .

أمّا حديثه عن المتنبيّ فقد طال نظراً لإعجابه الشديد بالرجل ، إلا أنّ هذا الاعجاب لم يمنعه من ذكر هفواته التي اعترف بها المنصفون من النقاد ، يقول الثعالبي بهذا الصدد « ومنها إتباع الفقرة الغرّاء بالكلمة العوراء والافصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت وقلّة التناسب،وتنافر الأطراف وتخالُف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط، فبيناه يصوغ أفخر حلي وينظم أحسن عقد وينسج أنفس وشي و يختال في حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة أو تعويض اللفظ أو تعقيد المعنى إلى المبالغة في التكلّف والزيادة في التعمّق والخروج إلى الافراط والإحالة والسفسفة والركاكة والتبرّد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا

تلك المحاسن وكدّر صفاءها وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائبين وتحكك بألسنة الطاعنين »وهكذا فإن الثعالبي لم يقتصر في اليتيمة على الترجمة الخالصة وتسجيل النصوص ، بل كان له رأي خاص يمثّل ذوقه الأدبي وحسّه الشعريّ ، وهذا الرأي مبنيٌّ على خبرة واسعة واطلاع عميق استطاع بهما أن يصل إلى تعليلات موفقة لم تجانب الصواب ، بل حالفته وعمّقته وأرشدت إليه في كثير من الأحيان ، إلاّ أنّه في تعليلاته ونقداته لم يخرج عمّا تعارف عليه الذوق النقدي العربي القديم، الذي كان ينظر إلى القصيدة بيتاً بيتاً وبناءً مفككاً يُفصل فيه البيت عن سابقه وتاليه ، ويركزّ على استعمالات الألفاظ واختيار المعاني ، ولا يشير إلى البناء الكليّ للقصيدة ذلك البناء الذي يتحد فيه اللفظ والمعنى ليؤدّيان الصورة الفنّية الممتعة ، فقد ظلّ الشعر في نظره لفظاً ومعنىً لا عملاً فنّياً متكاملاً تجمعه وحدة عضوية متماسكة .

بعد هذا العرض يمكننا أن نقول : إن اليتيمة كتابٌ هام لا غنىً عنه لكلّ من يتعاطى الأدب ويسلك دروبه لأنّه يعرفنا بالنقلة التي وصل إليها الشعر في عصره ، سواء من حيث النوعية أو الكميّة فضلاً عن تقديمه ترجمة وافية لكثير من شعراء العربية الذين لولا الجهد المشكور الذي بذله أبو منصور ، لظلّ أكثرهم في عالم المجهول والنسيان . . .

والله من وراء القصد
وهو وليٌّ التوفيق

د. مفيد محمد قميحة

فهرس بأهم الآثار التي خلّفها الثعالبي

خلَّف الثعالبي كتباً قيمه أربت على الثمانين كتابا ، وقد وضع لها الأستاذ عبدالفتاح محمد فهرساً بأسمائها والأماكن الموجودة فيها ، وتنوّعت هذه الكتب بين اللغة والسيرة والأخبار والبلاغة والأدب شعراً ونثراً واخترنا منها ما يلي :

(١) أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين ، وملوك الجاهلية وملوك الاسلام .

(٢) أحسن ما سمعت ، وهو مختصر على عشرة أبواب ، أوله : أمّا بعد حمد الله على آلائه الخ . . ويعرف باللآلي والدّرر .

(٣) أربع مسائل منتخبة من مؤلّفات العلامة أبي منصور الثعالبي :

(أ) منتخبات كتاب التمثيل والمحاضرة .

(ب) المبهج .

(خ) سحر البلاغة وسرّ البراعة .

(د) النهاية في الكناية .

(٤) الاعجاز والايجاز ، أو الامجار والاعجاز .

(٥) كتاب الأمثال المسمّى بالفرائد والقلائد ، ويسمى أيضاً العقد النفيس في نزهة الجليس .

(٦) برد الأكباد في الأعداد .

(٧) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب .

(٨) خاص الخـاص ، وفيه مواضيع شعـرية ونثـرية ، أودع فيه من عيون الغـرر ونصوص الكتب ما يكاد يخرج من حدّ الاعجاب إلى حدّ الاعجاز .

(٩) رسالة فيما جرى بين المتنبي وسيف الدولة .

(١٠) سرّ الأدب في مجاري لغة العرب .

(١١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم .

(١٢) فقه اللغة وسرّ العربية .

(١٣) الكناية والتعريض .

(١٤) لطائف المعارف .

(١٥) المؤنس الوحيد في المحاضرات ، طبع منه مختصرات .

(١٦) اللطائف والظرائف ، في مدح الأشياء وأضدادها ، ومعه اليواقيت والمواقيت في مدح الشيء وذمّـه .

(١٧) مرآة المروءات .

(١٨) مكارم الأخلاق .

(١٩) من غاب عنه المطرب .

(٢٠) و المنتحل ـ وهو منتخبات من فحول الشعراء العرب .

(٢١) المقصور والممدود .

(٢٢) نثر النظم وحلّ العقد .

(٢٣) يتيمة الدهر .

(٢٤) الغلمـان .

(٢٥) الشكوى والعتاب .

(٢٦) تحفة الوزراء .

(٢٧) لباب الأدب .

(٢٨) طبقات الملوك .

(٢٩) نسيم السحر .

وغير ذلك كثير . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصفوة المختار من خلقه أجمعين ، وعلى آله وصحبه .

وبعد ، فهذا كتاب « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » الذي يقول فيه أبو الفتوح نصر الله بن قلافس الشاعر الإسكندري المشهور :

أبيات أشعار اليتيمة ... أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم ... فلذاك سميت اليتيمة

وهو الكتاب الذي لولاه لكانت قد « بقيت محاسن أهل عصر مؤلفه ـ وهي التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ـ غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها ، ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد أوابدها » مع أنه « قد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه إلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته »[1] وهو كتاب قد جمع الكثير من غرر

---

(١) من مقدمة الثعالبي في كتاب اليتيمة (ص ٢٦ ج ١).

شعراء القرن الرابع وصدر القرن الخامس : ملوكهم وأمرائهم ووزرائهم وقضاتهم ، ذوي الجد منهم وذوي المجون ، في رقعة البلاد التي كانت يد العرب مبسوطة عليها يومذاك ، من بلاد الشام والعراق وجرجان ومصر والمغرب والأندلس وغيرها ، وهذه الحقبة من الزمن ـ على ما كان فيها من التفرق والاضطراب السياسي ـ أنضر حقب الزمان في الآداب والعلوم والفنون .

وقد بقي الكتاب ـ على رغم أنه طبع مرتين قبل اليوم ـ سراً محجوباً لرداءة عرضه وفشو الأغاليط فيه وقلة العناية برواته ، فأردت أن أخدم العربية التي أشربت حبها من عهد الصغر بإخراجه في صورة ترضى عنها النفس وينشرح لها الصدر ، فتوفرت على مراجعته على أصوله المخطوطة ، وعلى ما تيسر لي من دواوين الشعراء ومجاميع الشعر ، حتى استقام لي نص صحيح أو قريب من الصحة ، ثم قدمته للنشر في هذه الضائقة التي غلت فيها أسعار الورق ، وشح وجود الجيد منه ، وتهافت الناس فيها على نشر دوريات قليلة الغناء ، فازدحمت بها دور الطباعة ، وأعوز الأدباء أن يجدوا لنتائج قرائحهم مكاناً في هذا الميدان .

وهذه المطبوعة من هذا الكتاب ـ فيما نعتقد ـ خير ما يقرأ المتأدبون من نسخ الكتاب ، أصلحنا فيها الكثير مما فشا في سابقيتها من الأغاليط ، وكانت طريقتنا أن نستبقي النص كما هو في أصول الكتاب ما وجدنا له محملاً من الصحة ، فإن لم نجد له ذلك ووجدناه في ديوان من دواوين الشعر على وجه آخر صحيح غيرناه إليه ، وبينا ذلك في أسفل صفحات الكتاب أحياناً ، فإن لم نعثر على النص في كتاب آخر وظهر لنا فيه وجه صحيح غيرناه إليه والتزمنا في هذه الحال أن نبين عملنا في أسفل صحف الكتاب ، وإن لم نعثر على النص في كتاب آخر ولم يستقم لنا فيه وجه صحيح ، أشرنا إلى أنه لم يبن لنا فيه وجه يوثق به ، والله وحده الذي يعلم كم قاسينا في هذه السبيل من جهد ، وعنده وحده جزاء ذلك كله ، إنه لا يجزي على الخير سواه ، ولا يعرف خفيات الأمور غيره .

وفي الكتاب مجون كثير ، كما تجده في المختار من شعر أبي الرقعمق وأبي القاسم الواساني وابن لنكك وأبي الحسن السلامي وابـن سكرة الهاشمـي وابـن الحجاج وغيرهم ، وقد ترددنا كثيراً في أن نجاري بعض أدباء هذا العصر فنحذف هذا المجون ولو من بعض نسخ الكتاب ، ولكنا « لم نشأ أن نحذف شيئاً مما في هذا الكتاب من المجون ـ كما يفعل بعض الناشرين ، تحرجاً منهم وتأثماً زعموا ، وحرصاً على مكارم الأخلاق ظنوا ـ لأنا لا نؤلف كتاباً نختار فيه ما نشاء ونـدع ما نشاء ، وإنما نحقق نصاً قيده صاحبه في زمن كان الناس فيه أشد تحرجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأنا لا نرى من حقنا أن نتصرف في كتب الناس ثم نبقيها منسوبة إليهم فيجيئوا يوم المعدلة يتعلقون بمن ظلمهم يجادلونه عن أنفسهـم ، والله يعلم أننا لا نقل عن هؤلاء المتأدبين الذين يفسدون كتب الناس ، تحرجاً من المجون ولا حرصاً على مكارم الأخلاق » ولأن الغرض من نشر هذا الكتاب ، واحتمال الجهد الجاهد في تحقيقـه ، والصبـر علـى الـكثير ممـا يغـري بعضـه بالانصـراف ، إنمـا هو أن ندل قراء الأدب العربـي علــى الحياة الأدبية والحياة الاجتماعية والسياسية في هذه الحقبة التي كان هؤلاء الشعراء يعيشون فيها ، وأن نضع بين أيديهم النصوص التي تدلهم على ما يتوجهون إليه من مناحي البحث ، فلو أننا سمحنا لأنفسنا بحذف شيء مما اشتمل عليه الكتاب لكنا قد أضعنا هذه الغاية ، ولكنا كمن يجهز جندياً للقتال فيضع في يده سيفاً من الخشب ، ويقعده على صهوة جواد من قصب .

هذا ، ومؤلف الكتاب نفسه يشعر بما عسى أن يقوله عنه بعض النـاس ، ويصر ـ مع ذلك ـ على أن يذكر المجون ، ويعتذر عنه ، فأي معذرة لمن يقدم على نشر كتابه وقد حذف منه هذا النوع من الكلام ، اسمع إليه يقول في مطلع حديثه عن أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج « هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر

من العقل بسجف ، ولا يبني جل قوله إلا على سخف ، فإنه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر ، وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر ، على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم ير كاقتداره على ما يورده من المعاني التي تقع في طرزه مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بشعر الخلديين والمكدين وأهل الشطارة . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل ـ كما قال إبراهيم بن المهدي ـ لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم ، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل ، ولكنه على علاته تتفكه الفضلاء بثمار شعره ، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل إلى ما يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالي مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام » ولسنا نريد إلا أن تقرأ هذه العبارة ثم تقرأها ، ثم احكم وكن من المنصفين .

* * *

وهذا الكتاب قد وضعه مؤلفه على أربعة أقسام يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب ، ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من

طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ، ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبل وفارس وجرجان وطبرستان وأصفهان ، من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على اعمالها ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور ، والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

وقد وفَّى المؤلف فيه بما وعد ، فجمع فيه « من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره ، ولم تفتض عذره ، ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره » وضمنه « من نسج طباع هؤلاء وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، ما يشتمل على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة ، ويتضمن من طرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار »[1] والتزم ألا يورد في هذا الكتاب إلا « لب اللب ، وحبة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات »[2] .

وإن يكن في هذا الكتاب نقص يصح أن يعتد به بعض الناس على صاحبه ،

---

(١) انظر (ص ٢٨ ج ١).

(٢) من مقدمة المؤلف (ص ٢٩ ج ١) .

فهو أنه لم يعن بجمع أخبار من تعرض للاختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم ، بل إنه لم يتعرض في بعضهم إلا لاختيار عدة أبيات وقعت له أو سمعها من بعض رواتها من الأدباء ، فالكتاب ـ في نظر هؤلاء ـ ناقص وفي مسيس الحاجة إلى إتمام هذا النقص ، ولعلهم يستوجبون على من يتعرض لتحقيقه أن يسد هذه الثلمة ، ونحن نقرر أن هذا الكتاب لم يوضع في تأريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تأريخ حياة الأدباء والشعراء ، ولكنه وضع في صميم الأدب ولبابه ، فهو يعني بالقول أكثر مما يعني بحال قائله ، وكثير من الشعراء الذين جرى لهم ذكر في الكتاب واختار لهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئاً ، بل لعله لم يسمع بهم ولا درى من شأنهم غير ما يرويه لهم من الشعر القليل ، ومحقق الكتاب لم يقصد من تحقيقه إلا تمكين القارىء من دراسة الأدب واستنباط ما يريد من نصوصه ، غير حافل بما جرى على أهل هذا الأدب من تصاريف الدهر ، فوق أنه لا يريد أن يتحمل عبئاً قد يشق عليه احتماله ، وقد لا يجد لبعض من تعرض لهم المؤلف ذكراً في غير هذا الكتاب ، فهو يرى أن يكتفي بتحقيق النص تحقيقاً يطمئن اليه ، ويستطيع به أن يضمن لقارئه الطمأنينة ، وهذا وحده مما لا يستهين به إلا من لا يريد أن يكون من المنصفين .

* * *

على أن في هذا الكتاب عيباً لا نريد أن نغضي لصاحبه عنه ، وهو ـ فيما نعتقد ـ شر من ذلك العيب الذي قدمنا ذكره ، وليس لنا أن نغفر هذا العيب وإن كانت للثعالبي عنه معاذر أكثر من عدد الحصى ، لأن ذلك العيب يغطي على كل محمدة ، بل إنه ليشكك في كل محمدة ، وهذا العيب هو العصبية ، وتظهر هذه العصبية في ناحيتين من كتابه : أما إحدى هاتين الناحيتين ففي حديثه عن شعراء الشام حيث يعقد باباً موضوعه « فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان ، وذكر السبب في ذلك » ويستهله بقوله « لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من

شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم » ثم يعد جماعة من طبقة العتابي ومنصور النمري ، وجماعة من طبقة الرقي وكشاجم والصنوبري ، ثم يقول « فأما العصريون ففيما أسوقه من غر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم » ويستدل لذلك بقربهم من خطط العرب ، وبعدهم عن الأعاجم ، وقلة اختلاطهم بغير العرب ممن تفسد الخلطة بهم الألسنة ، وغير ذلك مما تقرأه في هذا الفصل .

فالثعالبي لم يكتف بتقديم شعراء الشام على كل من ذكرهم في كتابه ، ولم يكتف بتقديمهم على كل من ذكرهم في القسم الأول منه ، لأن التقديم الذكري لا يدل إلا على العناية ، بل يفضلهم على شعراء سائر البلدان ، ويجعل ذلك مطلع كتابه ، ثم حين يريد أن يبين السبب في ذلك يجعل المفضول هم شعراء العراق وما يجاورها ، فينسى « سائر البلدان » التي عقد الفصل عليها ، ويذكر أن قرب العراق من بلاد فارس واختلاط أهل العراق بالفرس سبب ضعف الشعراء من عرب العراق عن الشعراء من عرب اهل الشام ، ونسي قرب الشام من بلاد الروم ، واختلاط عرب الشام بالروم ، وأن هذا القرب وهذا الاختلاط قد يكونان سبباً في فساد ألسنة العرب من أهل الشام .

وأما الناحية الثانية ففي حديثه عن الشعراء من الملوك والرؤساء ، فهو يفرد لملوك كل ناحية باباً ، وهو يثنى عليهم أوفر الثناء ، وهو يستبيح أن يروي الضعيف من شعرهم في حين أنه شرط ألا يروي إلا لب اللباب ، وهو أظهر في هذه الناحية حين يتحدث عن أبي الحسن سيف الدولة علي ابن عبد الله بن حمدان .

اسمع إليه يقول في مقدمة الكتاب « فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ، فلأن الكلام معقود به والمعنى لا يتم دونه ، ولأن ما يتقدمه أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير ، وإنما ينفق مثل ذلك

بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله »[1] ولست أريد أن أعرض عليك ما قاله في سيف الدولة الحمداني ، ولا ما قاله في عضد الدولة البويهي ، ولا ما قاله في غيرهما من الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء ، ولكنني أكتفي بأن أشير إلى أنه جعل لرواية ما لا يتفق مع شرط الكتاب سببين أحدهما أن يكون الجيد محتاجاً إلى غير الجيد ، وثانيهما أن يكون قائل غير الجيد رئيساً أو وزيراً .

* * *

والكتاب ـ بعد هذا ـ أوفى المراجع الأدبية لمن يريد أن يدرس الشعر العربي ، ولمن يريد أن يدرس الحالة الاجتماعية والسياسية من طريق النتاج الأدبي ، في القرن الرابع وصدر من القرن الخامس الهجري ، وقد خشي الثعالبي أن يكون للشعراء السابقين على عصره أثبات جمعها علماء الأدب من عيون الشعر وفنونه ، ولا يكون لشعراء عصره من يتصدى لمثل ذلك ، فندب نفسه للاضطلاع بهذا العبء .

رأى كتاب البارع في أخبار الشعراء الذي صنفه هارون بن المنجم ، ورأى طبقات الشعراء الذي صنفه الشاعر البارع أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز ، فأحب أن يكون لشعراء عصره كتاب مثل هذين الكتابين وغيرهما ، فصنف « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » والذي يؤخذ من مقدمته أنه صنفه مرتين ، أما المرة الأولى فقد تصدى لعمله[2] « في سنة أربع وثمانين وثلثمائة والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحه باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب ، إلى ذوي الأخطار والرتب ، ومقيماً ثمار الورق مقام نثار الورق ، وكتبه في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ، فارتفع كعجالة الراكب وقبسة العجلان » وأما المرة الثانية فحين رأى نفسه يحاضر « بأخوات كثيرة لما فيه

---

(١) أنظر (ص ٧ ج ١) .

(٢) أنظر (ص ٤ ج ١) .

وقعت باخرة إليه ، وزيادات جمة عليه حصلت من أفواه الرواة لديه ، فقال : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصافح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به الذي يستحق به حسن الإحماد ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ، ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع والإتمام هدف المرام ، فجعل يبنيه وينقضه ، ويزيده وينقصه ، ويمحوه ويثبته ، وينتسخه ثم ينسخه ، وربما افتتحه ولا يختتمه ، وينتصفه فلا يستتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدرك عصر السن والحنكة ، وشارف أوان الثبات والمسكة ، فاختلس لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهز رقدة من عين الزمان ، واغتنم نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمر في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غير ترتيبها ، وجدد تبويبها ، وأعاد ترصيفها ، وأحكم تأليفها ، وصار مثله فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه »[1] وكان من آثار هذه العناية وهذا الجهد أن رأى كتابه « يسحر العقول ، ويملك القلوب ، ويعجب الملوك كما يعجب الرعية ، ويحسن أثره على الشعراء كما يطيب ثمره للكتاب ، ويسير في الآفاق مسير الأمثال ، ويسري في البلاد مسرى الخيال ، ولقي أعيان الفضل وأفراد الدهر أطلب له من طير الماء للماء ، وأحرص عليه من المرضى على الشفاء »[2] ومع هذا كله لم يكن الكتاب قد أشبع نهمته ، ولا سدّ الفراغ الذي قدر أن يسده ، وهذا شأن أهل العلم في كل عصر : ما يزال أحدهم يجد ويدأب حتى يظن أنه استولى على الغاية وأوفى على الأمد ، ثم يظهر له ما يرى معه أنه لا يزال في أول الطريق ، وهذا هو الذي وقع لأبي منصور فقد « وقع له على الأيام ما ينخرط في سلك اليتيمة ، ويصلح للالحاق به ، ولا يسوغ تأخيره عن أخواته ، سيما وقد خلا منه مكان قوم من السادة والكبراء لا مترك لثمار خواطرهم ووسائط قلائدهم »

---

(١) أنظر (ص ٥ و٦ ج ١) .

(٢) من مطلع مقدمته لكتابه تتمة اليتيمة (ص ١ ج ١ طبع طهران) .

وحينئذ يتردد في أن يعود إلى النسخة الثانية من اليتيمة فيبني فيها وينقض ، ويصنع فيها ما صنعه في نسختها الأولى ، يتردد في ذلك لأن الكتاب قد سار في الآفاق وطار ذكره في الأقطار وانتسخه الأدباء والرؤساء . فما يلبث أن « يعن له حذو كتاب لطيف على تمثيله وترتيبه ، يودعه ما شذ عنه من طرزه وجنسه ، ويجريه مجرى الفرخ له والعلاوة عليه » .

* * *

ويذكر صاحب كشف الظنون من ذيول اليتيمة عدة مؤلفات :

(١) دمية القصر ، وعصرة أهل العصر ، تصنيف أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي المتوفى في عام ٤٦٧ سبعة وستين وأربعمائة ، وقد طبع في حلب .

(٢) خريدة القصر ، وجريدة أهل العصر ، تأليف عماد الدين الإصفهاني المتوفى في عام ٥٩٧ سبعة وتسعين وخمسمائة من الهجرة ، ويذكر حاجي خليفة أنه في عشر مجلدات ، وأنه يجمع من عام ٥٠٠ خمسمائة إلى عام ٥٩٢ اثنين وتسعين وخمسمائة .

(٣) زينة الدهر ، تصنيف أبي المعالي سعد بن علي الوراق المتوفى في عام ٥٦٨ ، وهو تذييل لدمية الباخرزي يقع في مجلد واحد .

ويذكر صاحب كشف الظنون أيضاً أن لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي كتاباً على « يتيمة الدهر » اسمه « وشاح الدمية » كما يذكر أن لتقي الدين بن عبد القادر المصري المتوفى في عام ١٠٠٥ من الهجرة مختصراً لليتيمة في مقدار نصفها .

* * *

وقد كان ظهور كتاب « يتيمة الدهر » حافزاً لأبي الحسن علي بن بسام

الشنتريني المتوفى في عام ٥٤٢ من الهجرة ، على تصنيف كتابه « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » وقد قلد ابن بسام أبا منصور في كل شيء ، فكما أن أبا منصور يجعل كتابه « في محاسن أهل العصر » يجعل ابن بسام كتابه « في محاسن أهل الجزيرة » وكما أن كتاب الثعالبي مقسم إلى أربعة أقسام يبني ابن بسام كتابه على أربعة أقسام ، وكما جعل الثعالبي فصولاً من كل قسم من أقسام كتابه للملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ومن في حكمهم جعل ابن بسام الأمر في كتابه على هذا الوجه .

ويقول الدكتور طه حسين بك في مقدمة الجزء الأول من الذخيرة « وهو (يريد ابن بسام) قد سار سيرة الثعالبي في العناية بالملوك والأمراء والرؤساء وما يكون من تأثيرهم في الأدب ، وما يكون من إنتاجهم الأدبي الخاص ، ولكن العناية بهذه الناحية من الحياة الأدبية كانت أشد وأقوم وأجدى من عناية الثعالبي ، فهو لا يكتفي بهذا الإطراء الذي لا غناء فيه والذي تمتلىء به اليتيمة ، وهو لا يكتفي برواية مقتطفات من الآثار الأدبية للملوك والوزراء والأمراء كما فعل الثعالبي ، ولكنه يعرض تأريخهم عرضاً دقيقاً مفصلاً ، يرد آثارهم الأدبية إلى مصادرها ، بل يرد الآثار الأدبية التي أنشئت في بيئتهم إلى مصادرها » . وبعض هذا الكلام مما يؤيد ما ذكرناه عن عصبية الثعالبي ، وبعضه الآخر مما قد أبنا عنه وعذرنا الثعالبي فيه ، على أن أبا منصور قدوة وابن بسام مؤتم ، ومن شأن المقتدي أن يتجنب وجوه النقص التي طرأت على من سبقه .

ومما يتصل بالكلام على فروع « يتيمة الدهر » ذلك الكتاب البديع الذي ألفه الثعالبي نفسه ، بعد أن كثر تردده على اليتيمة ، وبعد أن ملأ عينيه من النظر إليها وأشبع نفسه من التفكير فيها ، ذلك هو كتابه « سحر البلاغة وسر البراعة » فإنه كتاب جمع فيه عبارات في مواضيع كثيرة من نوع ما يسميه أساتذة الإنشاء العربي في هذا العصر بالجمل المختارة ، وقد أخرج بعض هذه الجمل « من غرر نجوم الأرض ، ونكت أعيان الفضل من بلغاء العصر في النثر » وحل بعضها الآخر « من

نظم أمراء الشعر الذين أورد ملح أشعارهم في الكتاب المترجم بيتيمة الدهر ، فلفق جميع ذلك ونسقه ، وسرده وساقه ، وأنفق عليه جميع ما رزقه ، وعمله بجهد الخاطر ، وكد الناظر وعرق الجبين ، وتعب اليمين . . »[١] .

* * *

وبعد ، فأحسب أنني أسديت إلى قراء العربية يداً لا يجحدها أحد منهم بتحقيق نصوص هذا الكتاب ، وتقويم ما اعوج منها بفعل الناسخين والناشرين ، وبشرح ما دعت الحاجة إلى شرحه من المفردات ، وبالإشارة أحياناً إلى المواطن التي يجد فيها القارىء ما لم يتعرض له الثعالبي من أحوال الشعراء وترجماتهم .

وكم كنت أود أن أضبط ما يحتاج إلى الضبط منه ، بل لقد ضبطت ذلك في أصول الكتاب التي قدمتها للنشر ، ولكن الضرورة اقتضت أن يخرج الكتاب غير مضبوط بالشكل ، لأن دار الطباعة التي اختارها الناشر ـ مع الأسف المحض ـ لم يكن فيها من الحروف القابلة للضبط ولا من الحركات ما يكفي للقيام بهذا العمل ، وكان لا بد من انتظار عام كامل أو قريب منه حتى تتمكن من البدء في العمل على الوجه الذي أحب ، وآثر الناشر أن يظهر على الوجه الذي تراه على أن يطول به أمد الانتظار .

هذا ، وأنت غير محتاج الى الضبط بالشكل ، لأن الشعر الذي تضمنه هذا الكتاب ليس من الشعر العويص الذي يكثر فيه الغريب ، ولأنني ضبطت لك بالعبارة في أسفل الصحائف ما ظننت أنك محتاج إلى ضبطه .

والأمور كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء .

كتبه المعتز بالله تعالى

أبو رجاء

محمد محيي الدين عبد الحميد

---

(١) من مطلع كتاب « سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي » .

يتيمـــة الدهـــر

في محاسن أهل العصر

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي
المتوفى في عام ٤٢٩ من الهجرة

بســم الله الرحمــن الرحيــم

الحمد لله خير ما بدىء به الكلام وختم ، وصلى الله على النبي المصطفى وآله وسلم[١] .

أما بعد ، فإن محاسن أصناف الأدب كثيرة ، ونكتها قليلة ، وأنوار الأقاويل موجودة ، وثمارها عزيزة[٢] وأجسام النثر والنظم جمة ، وأرواحهما نزرة[٣] ، وقشورهما معرضة ، ولبوبهما معوزة[٤] . ولما كان الشعر عمدة الأدب[٥] ، وعلم العرب الذي اختصت به [عن] سائر الأمم ، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل ، على النبي منهم المرسل ، صلوات الله عليه وآله وسلم[٦] ، كانت أشعار

---

(١) في جـ « وصلى الله على خير نبي أرسل » .

(٢) الأنوار : جمع نور ـ بفتح النون وسكون الواو ـ وهو الزهر ، أو الأبيض منه خاصة . وعزيزة : نادرة قليلة الوجود ، وفي جـ « غزيرة » ولا يوافق ما قبله ولا ما بعده .

(٣) جمة : كثيرة . ونزرة : قليلة .

(٤) تقول : عرضت الشيء فأعرض لي ، إذا أردت معنى أظهرته فظهر لي وبرز ، وهو من نوادر اللغة ، ونظيره كبيته فأكب . وأنت عارض والشيء معرض ، أي ظاهر بارز . واللبوب : جمع لب ـ بضم اللام ـ وهو من النخل والجوز واللوز ونحوها : ما في جوفها ، وقد غلب على ما يؤكل داخله ويرمى خارجه .

(٥) في جـ « محمدة الأدب » .

(٦) في جـ « صلوات الله وسلامه عليه » .

الإسلاميين أرق من أشعار الجاهليين ، وأشعار المحدثين [ألطف من أشعار المتقدمين ، وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين] ، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ؛ لانتهائها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ، فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لأقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة، ورونق الطلاوة .

وكذاك قد ساد النبي محمد كل الأنام وكان آخر مرسل[1]

وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه الآن إلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته . وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها[2] ، ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها ، وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحته باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب إلى ذوي الأخطار[3] والرتب ، ومقيماً ثمار الورق ، مقام نثار الورق ، وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ،

---

(١) في م « ولذاك قد ساد » .

(٢) ينظم : يجمع . والشذر ـ بفتح الشين وسكون الذال ـ المتفرق المتبدد .

(٣) الأخطار : جمع خطر ـ بفتحتين ـ وأراد به القدر العالي والمنزلة الرفيعة .

فارتفع كعجالة الراكب ، وقبسة العجلان ، وقضيت به حاجة في نفسي . وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمنتسخين يتداولونه ، حتى يصير من أنفس ما تشح عليه أنفس أدباء الإخوان ، وتسير به الركبان إلى أقاصي البلدان ، فتواترت الأخبار ، وشهدت الآثار ، بحرص أهل الفضل على غدره[1] وعدهم إياه من فرص العمر وغرره[2] واهتزازهم لزهره ، واقتفارهم لفقره[3] ، وحين أعرته على الأيام بصري ، وأعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟

ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة لما فيه وقعت بأخرة إلى[4] ، وزيادات جمة [عليه] حصلت من أفواه الرواة لدي . فقلت : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصافح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به المبلغ الذي يستحق حسن الإحماد ، ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع[5] والاتمام هدف المرام ؟ فجعلت أبنيه وأنقضه ، وأزيده وأنقصه ،وأمحوه وأثبته ، وأنتسخه ثم أنسخه ، وربما أفتتحه ولا أختتمه ، وأنتصفه فلا أستتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدركت عصر السن والحنكة[6] ، وشارفت

---

(١) الغدر ـ بضمتين ـ جمع غدير ، وهو ما يتركه السيل من الماء .

(٢) الغرر ـ بضم ففتح ـ جمع غرة .

(٣) اقتفارهم : تتبعهم . تقول : اقتفر فلان الأثر ، وتقفره ، إذا تبعه . والفقر : جمع فقرة ـ بالكسر ، وبالفتح ـ وأصلها ما انتظم من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب ، وتستعار للجملة من الكلام البليغ .

(٤) في م « ورأيتني أحاضر بأجواب كثيرة مما ينسب فيه وقعت بآخرة الى » .

(٥) في جـ « وأرمي في الاتساع والاتمام » والمعنى واحد .

(٦) الحنكة ـ بضم الحاء وسكون النون ـ التجربة والخبرة . وتقول : حنكت السن الرجل ـ مخففاً من بابي نصر وضرب ، وبتشديد النون ـ إذا أحكمته التجربة وصيره الاختبار حكيماً .

أوان الثبات والمسكة [1] ، فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، واغتنمت نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غيرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت ترصيفها ، وأحكمت تأليفها . وصار مثلي فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه ، فلا يزال ينقض أركانها ، ويعيد بنيانها ، ويستجدها على أنحاء عدة ، وهيئات مختلفة ، ويستضيف إليها مجالس كالطواوس [2] ، ويستحدث فيها كنائس كالعرائس [3] ثم يقورها آخر الأمر فوراء توسع العين قرة ، والنفس مسرة . ويدعها حسناء تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور . فإن مات فيها مغفوراً له انتقل من جنة إلى أخرى ، وورد من جنة الدنيا على جنة المأوى .

فهذه النسخة الآن تجمع من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ، ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره ، ولم تفتض عذره [4] ، ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره [5] وتشتمل من نسج طباعهم ، وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة . وتتضمن من طرفهم [6] وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار ، ما

(١) المسكة ـ بضم الميم ـ الرأي ، والعقل الوافر يرجع إليه .

(٢) الطواوس : جمع طاووس ، وهو طائر هندي معروف يضرب به المثل في الحسن والخالة ، والطاووس أيضاً : الرجل الجميل ، والأرض المخضرة فيها كل ضرب من النبات .

(٣) الكنائس : جمع كناس ـ بكسر الكاف ـ وهو هنا بيت الظبي الذي يستتر فيه وسط الشجر ، على التشبيه .

(٤) العذر ـ بضم ففتح ـ جمع عذرة ـ بالضم ـ وهي البكارة .

(٥) تقول : زبرت الكتاب أزبره زبراً ـ من بابي ضرب ونصر ـ إذا كتبته .

(٦) الطرف ـ بضم الطاء وفتح الراء ـ جمع طرفة وهي الشيء الطريف . ووقع في جـ ، م « ظرفهم » .

لم تتضمنه النسخة السائرة الأولى .

والشرط في هذه الأخرى إيراد لب اللب ، وحبة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات ، وأخذ في طريق الاختصار ، ونبذ من أخبار المذكورين ، وغرر من فصوص [فصول] المترسلين، يميل إلى جانب الاقتصار. فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان ـ مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ـ فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لا يتم دونه[1] ولأن ما يتقدمه[2] أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير . وإنما ينفق[3] مثل ذلك بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله .

وخير الشعر أكرمه رجالاً ... وشرّ الشعر ما قال العبيدُ

وإن أخرت متقدماً فعذري فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدم غيره ، كما قال الله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾[5] وكما قال حسان ابن ثابت : وذكر بني هاشم [من الطويل] :

بها ليلُ منهم جعفرٌ وابن أمّه ... عليٌّ ، ومنهم أحمدُ المتخيَّر

وكما قال الصلتان العبدي [من المتقارب] :

فملّتنا أنّنا مسلمون ... على دين صدّيقنا والنبيّ

---

(١) في جـ « لا يتم بدونه » .

(٢) في جـ « أو أن ما يتقدمه ـ الخ » .

(٣) في جـ ، م « يتفق » محرفاً عما أثبتناه ، وينفق ـ بالنون ـ مضارع نفقت السلعة تنفق ـ من باب نصر ـ نفاقاً ، إذا راجت ورغب فيها .

(٤) من الآية ٢ من سورة التغابن ، وفيها تقديم الكافر في الذكر على المؤمن .

(٥) من الآية ٤٣ من سورة آل عمران ، وفيها تقديم السجود في الذكر على الركوع .

وإن قدمت متأخراً فسبيله على ما قال إبراهيم الموصلي لمسرور ، وقد تقدمه في المسير : إن تقدمتك كنت مطرقاً لك [1] ، وإن تأخرت فلحق الخدمة .

وقال أبو محمد المزني للملك نوح في مثل تلك الحال : إن تقدمت فحاجب ، وإن تأخرت فذاك واجب .

ثم إن هذا الكتاب المقرر ينقسم إلى أربعة أقسام : يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان ، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل [والمغرب] ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان [وأصفهان] من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها وسائر فضلائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن [أشعار] أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على أعمالهم ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور

---

(١) طرقت لك ـ بتشديد الراء ـ فأنا مطرق لك : أي جعلت لك طريقاً . وأصله قولهم : طرق فلان لابله .

والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

وفيما لم يقع إليّ من جنس هذا الكتاب كثرة ، ولعله يزيد على ما حصل لدي ، ومن يقدر على حصر الأنفاس وضبط بنات الأفكار ؟ وفي الزوايا خبايا ، ولا نهاية للخواطر ، ولا منقطع لمواد المحاسن ، وما على المؤلف إلا جهده ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

القســم الأول

في محاسن أشعار آل حمدان، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام ، وما يجاورها من مصر والموصل ، ولمع من أخبارهم ، وفيه عشرة أبواب .

الباب الأول ، [من القسم الأول]

في فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان وذكر السبب في ذلك

لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم ، فأما المحدثون فخذ إليك منهم العتابي . ومنصوراً النمري ، والأشجع السلمي[1] ومحمد بن زرعة الدمشقي، وربيعة الرقي . على أن في الطائيين[2] اللذين انتهت إليهما الرئاسة في هذه الصناعة كفاية ، وها هما .

ومن مولدي أهل الشام المعوج الرقي ، والمريمي ، والعباسي المصيصي ، وأبو الفتح كشاجم ، والصنوبري ، وأبو المعتصم الأنطاكي ، وهؤلاء رياض الشعر، وحدائق الظرف .

فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم .

والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر : قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم

---

(١) اتفقت الأصول على ذكر هذا العلم مقترناً « بأل » ودخول « أل » عليه للمح أصله كدخولها في الفضل والعباس والحارث .

(٢) أراد بالطائيين : أبا تمام حبيب بن أوس وأبا عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري .

من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط ، ومداخلتهم إياهم ، ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين أدوات السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل ـ انبعثت[1] قرائحهم في الإجادة ، فقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا .

وأخبرني جماعة من أصحاب الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى ، التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعذوبة . والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم ، ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفتراً ضخم الحجم عليها[2] ، وكان لا يفارق مجلسه ، ولا يملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه ، وفي سن قلمه ، فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله أو يورده كما هو في رسائله ، فمن ذلك قول القائل [من الطويل] :

سلامٌ على تلك المعاهد إنّها ... شريعة وِرْدي أو مهبّ شمالي[3]
لياليَ لم نحذرْ حزون قطيعةٍ ... ولم نمش إلا في سهول وصال[4]
فقد صرت أرضى من سواكن أرضها ... بخلّب برقٍ أو بطيف خيال[5]

---

(١) « انبعثت » هذا جواب لما في قوله « ولما جمع شعراء أهل الشام الخ » .
(٢) تقول : كسرت الكتاب على عدّة أبواب بتشديد السين ـ إذا كنت قد جعلته عدّة أبواب .
(٣) شريعة وردي : أي مكان ورودي الماء لنهله ، ومهبّ شمالي : أي الريح الشمالية الباردة .
(٤) الحزون : الأرض الصعبة المسالك .
(٥) خلّب برق : أي البرق اللامع الغير مصحوب بالمطر .

وقول الآخر [من الوافر] :

إذا دنت المنازل زاد شوقي ... ولا سيَما إذا بدت الخيامُ[1]
فلمح العين دون الحيِّ شهرٌ ... ورجع الطرف دون السير عامُ

وقول الآخر [من الخفيف] :

فسقى الله بلدةً أنت فيها ... كدموعي عند اعتراض الفراقِ
وأرانيك فالصَّبا قد ترقَّتْ ... يا بروحي إلى أعالي التَّراقي[2]

وقول الآخر [من الطويل] :

ووالله لا فارقت عقدة ودِّه ... ولا حلت ما عمَّرت عن حفظ عهدِهِ[3]
ولا بدّ أنّ الدّهر كاشف أهله ... ويظهر للمولى موالاة عبدِهِ

وكان أبو بكر الخوارزمي في ريعان عمره ، وعنفوان أمره ، قد دوخ بلاد الشام ، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء ، ومطرح الغرباء الفضلاء ، فأقام ما أقام بها مع أبي عبد الله بن خالويه ، وأبي الحسن الشمشاطي ، وغيرهما من أئمة الأدباء، وأبي الطيب المتنبي ، وأبي العباس النامي ، وغيرهما من فحول الشعراء[4] ، بين علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، ومحاسن ألفاظ يستفيدها ، وشوارد أشعار يصيدها ، وانقلب عنها وهو أحد أفراد الدهر ، وأمراء النظم والنثر ، وكان يقول : ما فتق قلبي ، وشحذ فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حد لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، إلا تلك الطوائف

---

(١) لاسيما : هي هنا بتخفيف الياء مفتوحة مثلها في قول الشاعر وهو من شواهد النحاة
فِيهْ بالعقود والإيمان لا سيما عقد وفاءٍ به من أعظم القرب
(٢) التراقي : جمع ترقوة وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .
(٣) لا حلت : لا تغيَّرت وتراجعت .
(٤) الفحول : جمع فحل ، وأصله الذكر من كلّ حيوان ويطلق على الراوي وعلى الشاعر الذي يغلب على كلّ شاعر يعارضه أو يفضل عليه .

الشامية ، واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي ، وغصن الشباب رطيب ، ورداء الحداثة قشيب ، وما كان أكثر ما ينشدني ويكتبني مما يضن به على غيري من تلك الغرر التي تجري مجرى السحر والملح التي يقطر منها ماء الظرف، وأنا أكتبها في أماكنها من أبواب هذا القسم الأول ، بمشيئة الله تعالى .

وممن خرجته تلك البلاد ، وأخرجته ، وكلامه مقبول محبوب ، آخذ بمجامع القلوب : القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، فإنه جنى ثمارها، واستصحب أنوارها ، حتى ارتقى إلى المحل العلي ، وتطبع بطبع البحتري .

* * *

الباب الثاني

١ ـ في ذكر سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان[١]

وسياق قطعة من أخباره ، وملح من أشعاره

كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم[٢] وكان ـ رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ! ـ غرة الزمان ، وعماد الإسلام ، ومن به سداد الثغور[٣] ، وسداد الأمور ، وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف[٤] بأسها [وتنزع لباسها] وتفلّ أنيابها ، وتذل صعابها ، وتكفي الرعية سوء آدابها . وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن في الإسلام الآثار . وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء ، ويقال : إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك ـ بعد الخلفاء ـ ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر ، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها . وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر ، شديد الاهتزاز لما يمدح به ،

---

(١) أنظر ترجمة سيف الدولة في ابن خلكان (٢/ ٦٦ النيل) .

(٢) القلادة : العقد ، وما تضعه الفتاة في جيدها من حليٍّ وغيرها .

(٣) سداد الثغور : حمايتها وقوّتها .

(٤) تكفّ : تمنع وتدفع وتصرف .

فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول [من الكامل] :

ذهب الذين تهزّهم مدّاحهمْ هزّ الكماة عوالي المُرّانِ[1]
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم ملأرْيحَيّة منهمُ بمكان[2]

وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب ، وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي ، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت ، كقول أبي الطيب المتنبي [من الطويل] :

خليليَّ إنّي لا أرى غير شاعرٍ فلم منهم الدعوى ومنّي القصائدُ[3]
فلا تعجبا إنّ السيوف كثيرةٌ ولكنَّ سيف الدولة اليوم واحدُ
له من كريم الطبع في الحرب منتضٍ ومن عادة الإحسان والصفح عامدُ[4]
ولما رأيت الناس دون محلّه تيقّنت أنَّ الدهر للناس ناقدُ[5]

ومن القصيدة المرقومة :

فلم يبق إلاّ من حماها من الظّبا لمى شفتيها والثديُّ النواهدُ[6]
تبكي عليهنّ الباطريق في الدّجى وهنّ لدينا ملقياتٌ كواسد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قومٍ عند قوم فوائدُ

---

(١) العوالي : جمع عالية ، وهي أعلى القناة أو رأسها الذي يلي السنان ، والمران : بضمّ الميم وتشديد الراء ، شجرٌ باسق أوراقه كأوراق التوت ومنه تتخذ الرماح .

(٢) ملأ ريحيّة : أراد من الأريحيّة ، والعرب تحذف نون من الجارة إذا اضطرت إلى ذلك في الشعر وقد ورد ذلك في أبيات كثيرة منها :

نحن قومٌ ملجنٌ في زيِّ ناسٍ فوق طيرٍ لها شخوص الجبال

(٣) هذه الأبيات والتي بعدها في الديوان (١/ ٢٧١/ ٢٧٥) .

(٤) منتضٍ : انتضى السيف ، شهره واستلّه من الغمد ، وغمد السيف : حيث يوضع ، قرابه ، وجفنه .

(٥) ناقد : خبير ، يعرف من يختار للسّيادة وكبار المهام .

(٦) اللّمى : سمرة محبوبة في الشفة .

ومـن شرف الإقـدام أنّـك فيهمُ على القتـل مرمـوقٌ كأنّـك شاكد[1]
وأنّ دمـاً أجريتـه بك فاخرٌ وأنّ فؤاداً رعتـه لك حامد
وكلٌّ يرى طرق الشجاعـة والنّدى ولـكنَّ طبـع النفس للنفس قائد
نهبـت من الأعمـار ما لو حويته لهنِّئـتِ الـدّنيا بأنّـك خالد
فأنـت حسـامُ الملك والله ضاربٌ وأنـت لواء الـدين والله عاقد
أحبُّـك يا شمس الزمـان وبدره وإن لا مني فيك السُّهـى والفراقد[2]
وذاك لأن الفضـل عنـدك باهرٌ وليس لأن العيش عنـدك بارد

وكقول السري بن أحمد الموصلي [من الوافر] :

أعزمتـك الشهـاب أم النّهارُ أراحتُـك السّحـاب أم البحار[3]
خلقـت منيّةً ومنـىً فأضحت تمـور بك البسيطـة أو تمار[4]
تحلّـي الـدين أو تحمـي حماه فأنـت عليه سورٌ أو سوار
سيوفـك من شكاة الثغـر برءٌ ولـكن للعـدى فيهـا بوار[5]
وكفّـاك الغمـام الجـون يسري وفـي أحشائـه ماءٌ ونار[6]
يمينٌ من سجيتهـا المنايا ويسـري من عطيتهـا اليسار[7]
حضرنـا والملـوك له قيامٌ تغضُّ نواظـراً فيهـا انكسار
وزرنـا منـه ليث الغـاب طلقاً ولـم نـر قبلـه ليثـاً يُزار
فـكان لجـوهـر المجـد انتظامٌ وكان لجـوهـرِ المـدح انتثار[8]

(١) مرموق : محبوب ، والمقة : الحب ، والشاكد : المعطي .
(٢) السُّهى والفراقد : النجوم والأقمار .
(٣) الراح : الكفّ الذي يكون به العطاء « راحة اليد » .
(٤) تمور : تموج وتضطرب .
(٥) البوار : الهلاك .
(٦) الجون : من الأضداد يطلق على الأسود والأبيض .
(٧) سجيتها : طبعها ، والمنايا : الحتوف ، واليسار : من اليسر .
(٨) انتظامٌ : من نظم الجواهر أي سلكها في عقدٍ واحد .

فعشـــت مخيّراً لك في الأماني وكان علـــى العـــدوّ لك الخيار
فضيفـــك للحيا المنهـــلّ ضيفٌ وجـــارك للـــربيع الطلـــق جار[1]

وكقول أبي فراس الحارث بن سعيد [من البسيط] :

أشـــدّةٌ ما أراه فيك أم كرم تجـــود بالنفس والأرواح تصطلمُ[2]
يا باذل النفس والأمـــوال مبتسماً أمـــا يهـولك لا موتٌ ولا عدم ؟
لقـــد ظننتـــك بين الجحفلين ترى أن السّلامـــة من وقـــع القنـــا تصم[3]
نشدتـــك الله لا تسمـــح بنفس علاً حياة صاحبهـــا تحيا بهـــا أمم
إذا لقيت رقـــاق البيض منفرداً تحـــت العجـــاج فلـــم تستكثـــر الخدم
تفـــدي بنفســـك أقوامـــاً صنعتهمو وكان حقّهـــم أن يفتـــدوك همُ
من ذا يقاتـــل من تلقـــى القتـــال به وليس يفضـــل عنـــك الخيل والبهم[4]
تضـــنّ بالطعـــن عنّـــا ضنّ ذي بخلٍ ومنـــك في كلٍّ حالٍ يعـــرف الكرم
لا تبخلنّ علـــى قومٍ إذا قتلوا أثنـــى عليك بنـــو الهيجـــاء دونهم
ألبســـت ما لبســـوا أركبـــت ما ركبوا عرّفـــت ما عرفـــوا علّمـــت ما علموا
هم الفـــوارس في أيديهـــم أسلٌ فإن رأوك فأســـدٌ والقنـــا أجم[5]

وكقول أبي العباس بن محمد النامي [من الوافر] :

خلقْـــتَ كمـــا أرادتـــك المعالي فأنـــت لمـــن رجـــاك كمـــا يريدُ

---

(١) الحيا المنهلّ : المطر المتصبِّبْ .
(٢) تصطلم : تزهق ، وتقطع من أصولها .
(٣) الجحفل : الجيش الجرّار ، والقنا : جمع قناة وهي من أدوات الحرب ، وتصم : مضارع وصم أي غيّر .
(٤) يفضل عنك : يبقى بعد ما قتلت ، والبهم جمع بهمة وهو الفارس المتغطي بسلاحه وأدواته ، يريد : إذا كنت أنت تقتل جيش الأعداء وحدك فوارسه وأفراسه فجيشك الذي أخرجته معك لتلقى به العدوّ لن يجد واحداً من فرسانه كيما يقتله .
(٥) الأسل : الرماح ، والأجم جمع أجمة ، وهي الغابة تكون مأوى السباع .

عجيبٌ أنّ سيفك ليس يروى   وسيفك في الوريد له ورود[1]
وأعجب منه رمحك حين يسقى   فيصحو وهو نشوانٌ يميد[2]

وكقول أبي الفرج الببغاء [من الطويل] :

نداك إذا ضنّ الغمام غمام   وعزمك إن فلّ الحسام حسام[3]
فهذا ينيل الرزق وهو ممنّعٌ   وذاك يردُّ الجيش وهو لهام[4]
ومن طلب الأعداء بالمال والظّبا   وبالسعد لم يبعد عليه مرام

وكقول أبي الفرج الوأواء [من المنسرح] :

من قاس جدواك بالسّحاب فما   أنصف بالحكم بين شكلين[5]
أنت إذا جدت ضاحكٌ أبداً   وهو إذا جاد دامع العين

وكقول أبي نصر بن نباتة وهو من شعراء العراق [من البسيط] :

حاشاك أن تدّعيك العرب واحدها   يا من ثرى قدميه طينة العرب
فإن يكنْ لك وجهٌ مثل أوجههمْ   عند العيان فليس الصّفر كالذهب[6]
وإنْ يكن لك نطقٌ مثل نطقهم   فليس مثل كلام الله في الكتبِ

وكانت غمائم جوده تفيض ، ومآثر كرمه تستفيض ، فتؤرخ بها أيام المجد ، وتخلد في صحائف حسن الذكر .

* * *

---

(١) ليس يروى : أيّ يظلّ ظمآناً على كثرة ما يشرب من دم الأعداء .
(٢) يميد : يتحرك ويضطرب يميناً وشمالاً .
(٣) ضنّ : بخل ، وفلّ الحسام : تكسَّر حدّه .
(٤) لهام : كثير ضخم .
(٥) جدواك : عطاياك .
(٦) الصُفر : بضمّ وسكون الفاء : النحاس لأن لونه أصفر .

فصل في انفجار ينابيع جوده على الشعراء

حدثني أبو الحسن علي بن محمد العلوي الحسيني الهمداني الوصي ، قال : كنت واقفاً في السّماطين[1] بين يدي سيف الدولة بحلب، والشعراء ينشدونه ، فتقدم إليه أعرابي رث الهيئة ، فاستأذن الحجاب في الإنشاد ، فأذنوا له ، فأنشد [من المنسرح] :

أنت عليٌّ وهذه حلبٌ   قد نفذ الزاد وانتهى الطلبُ
بهذه تفخر البلادوبالأمير تزهى على الورى العربُ
وعبدك الدّهر قد أضرّ بنا   إليك من جور عبدك الهرب

فقال سيف الدولة ، «أحسنت، ولله أنت !». وأمر له بمائتي دينار.

وحكى ابن لبيب غلام أبي الفرج الببغاء أن سيف الدولة كان قد أمر بضرب دنانير للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليه اسمه وصورته ، فأمر يوماً لأبي الفرج منها بعشرة دنانير ، فقال ارتجالا [من المنسرح] :

نحن بجود الأمير في حرم   نرتع بين السعود والنّعمِ
أبدع من هذه الدنانير لم   يجر قديماً في خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته   في دهرنا عوذةً من العدم[2]

فزاده عشرة أخرى .

وكان أبو فراس يوماً بين يديه في نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة :

---

(١) السماطين : الصفّين .

(٢) العُوذة : ما يعلّق على الصبي من التمائم ليقيه العين .

أيكم يجيز قولي ، وليس له إلا سيدي (يعني أبا فراس) [من الخفيف] :

لك جسمي تعلُّه فدمي لم تُحِلُّه[1]
لك من قلبي المكان فلم لا تَحلُّهْ

فارتجل أبو فراس ، وقال :

أنا إن كنت مالكاً فليَ الأمر كلُّهْ

فاستحسنه وأعطاه ضيعةً بمنبج تغل ألفي دينار .

واستنشد سيف الدولة يوماً أبا الطيب المتنبي قصيدته التي أولها [من الطويل] :

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرام المكارم

وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها ، فلما بلغ قوله فيها :

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقفٍ كأنّك في جفن الردى وهو نائمُ
تمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمةً ووجْهك وضّاحٌ وثغرك باسمُ

قال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما انتقد على امرىء القيس بيتاه [من الطويل] :

كأنّيَ لم أركبْ جواداً للذّةٍ ولم أتبطّنْ كاعباً ذات خلخالِ[2]
ولم أسبأ الزقَّ الرويّ ولم أقلْ لخيليَ كرّي كرّةً بعد إجفالِ[3]

(١) تعلُّه : تمرضه ، وتحلُّه : أي تستحلُّ سفكه .
(٢) أتبطن : أعلو ، والكاعب : الفتاة الناهد .
(٣) أسبأ : أشتري ، الزق : دنّ الخمر ، الروي : المملوء والإجفال : الإنهزام في سرعة .

وبيتاك لا يلتئم شطراهما ، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين ، وكان ينبغي لامرىء القيس أن يقول :

كَأنّـيَ لم أركب جواداً ولـم أقلْ لخيلـيَ كرّي كرّةً بعـد إجفال
ولـم أسبـأ الـزق الـرويّ للذّةٍ ولـم أتبطّـنْ كاعبـاً ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفـت ومـا في المـوت شكٌ لواقفٍ ووجهـك وضـاحٌ وثغـرك باسم
تمـرُّ بك الأبطـال كلمـى هزيمةً كأنّـك في جفـن الـردى وهـو نائم

فقال : أيد الله مولانا ! إن صح أن الذي استدرك على امرىء القيس هذا كان أعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم ان الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جميلته وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية الى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ! وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ـ وهو الموت ـ ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية ، قلت * ووجهك وضاح وثغـرك باسـم * لأجمـع بين الأضداد في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأعجب سيف الدولة بقوله ، ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات ، وفيها خمسمائة دينار .

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث إليهما مرة وصيفة ووصيفا ، ومع كل واحد منهما بدرة[1] وتخت من ثياب مصر ، فقال أحدهما من قصيدة طويلة ، وهي [من الكامل] :

لم يغـد شكرك في الخلائـق مطلقاً إلاّ ومـالك في النّـوال حبيسُ

---

(١) البدرة : صرّة أو كيس توضع فيه الدراهم .

خوّلتنا شمساً وبدراً أشرقت بهما لدينا الظُّلمة الحنديسُ[1]
رشأٌ أتانا وهو حسناً يوسفٌ وغزالةٌ هي بهجةً بلقيس
هذا ، ولم تقنع بذاك وهذه حتّى بعثت المال وهو نفيسُ
أتت الوصيفة وهي تحمل بدرةً وأتى على ظهر الوصيف الكيس[2]
وبررتنا مما أجادت حوكه مصرٌ ، وزادت حسنه تنيس[3]
فغدا لنا من جودك المأكول والـ ـمشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة : أحسنت إلا في لفظه « المنكوح » ، فليست مما يخاطب بها الملوك ، وهذا من عجيب نقده .

حكى أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي ، قال : طلب مني رسول سيف الدولة ـ وكان [قد] قدم إلى الحضرة ـ شيئاً من شعري ، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك ، فدافعته أياماً ، ثم ألح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات ، وهي [من الكامل] :

إنْ كنتُ خنتك في الأمانة ساعةً فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أنّ له شريكاً في العلا وجحدته في فضله التوحيدا
قسماً لو انّي حالفٌ بغموسها لغريم دينٍ ما أراد مزيدا[4]

[وقال] فلما عاد الرسول إلى الحضرة ، ودخلت عليه مسلماً ، أخرج لي كيساً بختم سيف الدولة مكتوباً عليه اسمي ، وفيه ثلاثمائة دينار .

* * *

(١) الحنديس : من الحنديس، وهو الليل الشديد الظلمة .
(٢) الوصيفة : الجارية ، والوصيف : الخادم .
(٣) بررتنا : من البرّ وهو المعروف والعطاء . والحوك : النسج ، تنيس : مدينة بمصر اشتهرت بالنسج .
(٤) الغموس : يقال الغموس النجم أي غاب وغمست الطعنة : أي اخترقت المطعون .

نبذ من ذكر وقائعه وغزواته

حدث أبو عبد الله الحسين بن خالويه ، قال : لما كانت الشام بيد الإخشيد محمد محمد بن طغج سار إليها سيف الدولة فافتتحها ، وهزم عساكره عن صفين ، فقال له المتنبي [من الكامل] :

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له خير الخلائف والأنام سميُّ
أو ما ترى صفين كيف أتيتها فانجاب عنها العسكر الغربيُّ(١)
فكأنّه جيش ابن حربٍ رعته حتى كأنّك يا عليُّ عليُّ(٢)

وقال أبو فراس من قصيدة طويلة [من الطويل] :

أتى الشام لما استذأب البَهْم واغتدت بها أذؤب البيداء وهي قساور(٣)
فثقّف منآدٌ ، وأُصلح فاسدٌ وذلّل جبارٌ ، وأُذعر ذاعر(٤)

وكان ظهر رجل في الغرب يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه ، والتفت عليه القبائل ، وافتتح مدائن من أطراف الشام ، وأسر أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ، وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال ، فأسرع سيف الدولة من حلب يغذ(٥) السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فأوقع به ، وقتله ، ووضع السيف في أصحابه ، فلم ينج إلا من سبق فرسه ، وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل، وبين يديه رأس

---

(١) انجاب : انهزم وتراجع وانكشف .

(٢) ابن حرب : معاوية بن أبي سفيان ، وعلي الأول : سيف الدولة وعليّ الثاني : الإمام عليّ بن أبي طالب .

(٣) البهم : بفتح الباء وسكون الهاء : صغار أولاد الضأن ، والقساور : جمع قسورة ، وهو الأسد .

(٤) ثقّف : قوّم وعدّل ، والمنآد : المنحني المنعطف ، وذلّل : أخضع ، وأُذعر : أُخيف وأفزع .

(٥) يغذّ : يسرع .

الخارجي على رمح ، فقال أبو فراس يذكر ذلك [من الطويل] :

وأنقـذ من مسّ الحـديد وثقله أبـا وائـلٍ ، والدهـر أجـدع صاغرُ[١]
وآب ورأس القرمطـيّ أمامه له جسـدٌ من أكعـب الرمـح ضامرُ[٢]

وهذا من أحسن ما قيل في الرأس المصلوب على الرمح .

[ولبعضهم في مثل ذلك] [من البسيط] :

وعـاد لكنّـه رأسٌ بلا جسدٍ يسـري ، ولـكن علـى ساقٍ بلا قدم

وقال أبو الطيب في خلاص أبي وائل [من المتقارب] :

ولـو كنـت في أسـر غير الهوى ضمنـت ضمـان أبـي وائلٍ[٣]
فـدى نفسـه بضمـان النّضار وأعطـى صدور القنـا الذابلِ[٤]
ومنّاهـم الخيـل مجنوبـةً فجئـن بكلّ فتـىً باسلِ[٥]
كأنّ خلاص أبـي وائـلٍ معـاودة القمـر الآفـلِ
دعـا فسمعـت وكم ساكت علـى البعـد عنـدك كالقائلِ
فلبّيتـه بك في جحفـلٍ له ضامـنٌ وبـه كافـلِ
وعـدت إلـى حلـبٍ ظافراً كعـود الحلـيٍّ إلـى العاطـلِ[٦]

وكان سيف الدولة اصطنع بني كلاب ، وأدناهم ، وآمن سربهم[٧] ، فقهروا

(١) أجدع : أي ذليل .
(٢) آب : رجع ، وضامر : هزيل .
(٣) أسر : قيود .
(٤) النضار : الذهب الخالص ، القنا : يريد الرمح ، والذابل : الدقيق .
(٥) المجنوبة : السلسة القياد .
(٦) العاطل : يقال جيد عاطل ، أي خالٍ من الحليّ .
(٧) يقال « فلان آمن في سربه » بكسر السين وسكون الراء ـ أي آمن في حرمه وعياله ، وهو مستعار من سرب الظباء والبقر الوحشي والقطا ، أي جماعتها .

العرب وعلت كلمتهم ، إلى أن بدرت منهم جفوة أحفظته[1] فأسرى إليهم ، وأوقع بهم ، وملك حرمهم وأموالهم ، ثم صفح عنهم وكرم ، وجمع الحرم ، ووكل بهن الخدم وأفضل عليهن، وأحسن إليهن ، فقال أبو الطيب من قصيدة [من الوافر] :

فعـدن كمـا أخـذن مكرّمات   عليهـن القـلائـد والمـلاب[2]
يثبنـك بالـذي أوليت شكراً   وأين من الـذي تولـي الثوابُ ؟
وليس مصيرهـنّ إليك شيناً   ولا في صونهـنّ لديك عاب[3]
ولا في فقدهـنّ بني كلابٍ   إذا أبصـرن غرّتـك اغتراب
وكيف يتـمّ بأسـك في أناسٍ   تصيبهـم فيؤلمـك المصـاب
ترفّـقْ أيهـا المـولى عليهمْ   فإنّ الرفـق بالجانـي عتاب

هذا كلام ما لحسنه غاية .

وعين المخـطئين همُ ، وليسوا   بأوّل معشـرٍ خطئـوا فتابوا
وأنـت حياتهـم غضبـت عليهم   وهجـر حياتهـم لهـمُ عقاب
ومـا جهلـت أياديك البوادي   ولـكن ربّمـا خفـي الصّواب
وكم ذنـبٍ مولّـده دلالٌ   وكـم بعـد مولّـده اقتراب
وجـرمٍ جرّه سفهـاء قومٍ   وحـلَّ بغير جارمـه العذاب[4]

كأنما اقتبسه من قول الله سبحانه : ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾[5] [ونحو من هذا قول زياد في خطبته البتراء « والله لآخذن المحسن بالمسيء »]

ولـو غير الأمير غزا كلاباً   ثنـاه عن شموسهُـمُ ضبابُ

---

(١) أحفظته : أغضبته وأحنقته .
(٢) الملاب : بفتح الميم ، كلّ عطرٍ مائع ، وهو فارسي الأصل .
(٣) الشين : العيب والنقص .
(٤) الجرم : الذنب ، وجارمه : مقترفه .
(٥) من الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

وما أحسن ما كُنِّي عن الحرم بالشموس ، وعن المحاماة دونهم بالضباب .

ولكن ربّهمْ أسرى إليهمْ ... فما نَفَعَ الوقوف ولا الذّهابُ
كذا فليسرِ من طلب المعالي ... ومثل سراك فليكن الطّلابُ

وكتب إليه أبو فراس في تلك الحال يداعبه [من المتقارب] :

وما أنس لا أنس يوم المغار ... محجّبةً لفظتها الحجبْ
دعاك ذووها بسوء الفعال ... لما لا تشاء وما لا تحبْ
فوافتك تعثر في مرطها ... وقد رأت الموت من عن كثبْ[1]
وقد خلط الخوف لمّا طلعـ ... ـت دلّ الجمال بذلّ الرعب
تسرع في الخطو لا خفّةً ... وتهتزّ في المشي لا من طرب
فلما بدت لك دون البيوت ... بدا لك منهن جيشٌ لجب[2]
وما زلت، مذ كنت ، تأتي الجميل ... وتحمي الحريم وترعى الحسب
وتغضب حتى إذا ما ملكت ... أطعت الرضا وعصيت الغضب
فكنت حماهنّ إذ لا حمى ... وكنت أباهنّ إذ ليس أب
فولّين عنك يفدينها ... ويرفعن من ذيلها ما انسحب
ينادين بين خلال البيو ... ت لا يقطع الله نسل العرب
أمرت وأنت المطاع الكريم ... ببذل الأمان وردّ النّهب[3]
وقد رحن من مهجات القلوب ... بأوفر غنمٍ وأغلى نشب[4]
فإن هنّ يا بن الكرام السراة ... رددن القلوب رددنا السلب[5]

---

(١) المرط : الثوب الطويل الذيل ، وكثب : هنا بمعنى القريب ، وقد استعمل « عن » هنا إسماً بمعنى الجهة فلذلك أدخل عليها « من » .

(٢) جيش لجب : أي ذو جلبة وصياح ، وذلك لكثرة عدده .

(٣) النّهب : السّلب .

(٤) النشب : المال وغيره من إبلٍ وخيل الخ . . .

(٥) السراة : السادة الكرام .

وقال أيضاً يمدحه ويذكر نسوة بني كلاب [من البسيط] :

قد ضجّ جيشك من طول القتال به   وقد شكتك إلينا الخيل والإبلُ
وقد درى الروم مذ جاورت أرضهمُ   أنْ ليس يعصمهم سهلٌ ولا جبل[1]
في كلِّ يوم تزور الثغر لا ضجرٌ   يثنيك عنه، ولا شغلٌ ، ولا ملل
فالنفس جاهدةٌ ، والعين ساهرةٌ ،   والجيش منهمكٌ ، والمال مبتذل
توهّمتك كلابٌ غير قاصدها   وقد تكنّفك الأعداء والشّغل
حتى رأوك أمام الجيش تقدمه   وقد طلعت عليهم دون ما أملوا
فاستقبلوك بفرسانٍ أسنّتها   سود البراقع والأكوار والكلل[2]
فكنت أكرم مسئولٍ وأفضله   إذا وهبن فلا منٌّ ولا بخل

ويقال : إن سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة له وعليه ، فمنها أنه أغار على زبطرة وعرقة وملطية ونواحيها فقتل وأحرق وسبى ، وانثنى قافلاً إلى درب موزار فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فأوقع به وقتل صناديد رجاله ، وعقب إلى للدانه وقد تراجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم ، و[قد] عبر الفرات إلى بلد الروم ، ولم يفعله أحد قبله ، حتى أغار على بطن هنزيط ، فلما رأى فردس بعد مغزاه وخلو بلاد الشام منه غزا نواحي انطاكية ، فأسرى سيف الدولة يطوي المراحل : لا ينتظر متأخراً ، ولا يلوي على متقدم ، حتى عارضه بمرعش ، فأوقع به وهزمه ، وقتل رؤوس البطارقة ، وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وأصابت الدمستق ضربة في وجهه ، وأكثر الشعراء في هذه الوقعة ، فقال أبو الطيب [من الطويل] :

لكلّ امرىءٍ من دهره ما تعوّدا   وعادات سيف الدولة الطّعن في العدا

---

(١) يعصمهم : يمنعهم ويحميهم .
(٢) البراقع : أقنعة تستر بها النساء وجوهها . والأكوار : جمع كور وهو الرحل ، والكلل : الحالة .

وأن يكذب الإرجاف عنه بضدّه ... ويمسي بما تنوي أعاديه أسعدا[1]
وربّ مريدٍ ضرَّه ضرُّ نفسه ... وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هدى

ومنها :

سريت إلى جيحان من أرض آمدٍ ... ثلاثاً ، لقد أدناك ركضٌ وأبعدا
فولّى وأعطاك ابنه وجيوشه ... جميعاً ولم يعط الجميع لتحمدا
وما طلبتْ زرق الأسنة غيره ... ولكنّ قسطنطينَ كان له الفدا

وقال أبو فراس [من الطويل] :

وآب بقسطنطين وهو مكبّلٌ ... تحفُّ بطاريقٌ به وزرازرُ[2]
وولّى على الرسم الدمستق هارباً ... وفي وجهه عذرٌ من السّيف عاذر
فَدى نفسَهُ بابنٍ عليه كنفسه ... وللشدّة الصماء تقنى الذخائر[3]
وقد يقطع العضو النفيس لغيره ... وتدفع بالأمر الكبير الكبائر

وسار سيف الدولة لبناء الحدث ـ وهي قلعة عظيمة الشأن ـ فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء أهل مملكته ، وجهزهم بالصليب الأعظم وعليهم فردس الدمستق ، ثائراً بابنه قسطنطين في عدد لا يحصى ، حتى أحاطوا بعسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب ، وساءت ظنون المسلمين ، ثم أنزل الله نصره ، فحمل سيف الدولة يخرق الصفوف طلباً للدمستق ، فولى هارباً ، وأسر صهره وابن بنته ، وقتل خلق كثير من الروم ، وأكثر الشعراء في هذه

---

(١) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة والفتن .
(٢) الزرازر : جمع الزرزار ، وهو في الأصل الذكي الخفيف .
(٣) تقنى : تدّخر ، والذخائر : جمع ذخيرة ، وهو ما تذّخره لوقت الحاجة .

الوقعة ، فقال أبو الطيب وذكر الحدث [من الطويل] :

بناهـا فأعلـى والقنـا تقـرع القنا ومـوج المنـايا حولهـا متلاطـمُ[١]
وكان بهـا مثـل الجنـون فأصبحت ومـن جثث القتلـى عليهـا تمائم[٢]
تفيت الليالـي كلّ شيءٍ أخذتهُ وهـنّ لمـا يأخـذن منـك غوارم[٣]

وذكر ولد الدمستق فقال :

وقـد فجعتـه بابنـه وابـن صهره وبالصهـر حمـلات الأمير الغواشم
مضى يشكر الأصحاب في فوتـه الظّبا بمـا شغلتهـا هامهـم والمعاصم[٤]
ويفهـم صوت المشـرفية فيهم علـى أنّ أصـوات السيوف أعاجم
يسـرّ بمـا أعطـاك لا عن جهالةٍ ولـكنّ مغنومـاً نجـا منـك غانم

وقال السريّ في بناء الحدث [من البسيط] :

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت منه الحوادث حتى ذلّ جانبهُ
أعدتـه عدويـاً فـي مناسبه من بعـد ما كان روميّاً مناسبه[٥]
فقـد وفـي عرضـه بالبيد واعترضت طولاً علـى منـكب الشّعـرى مناكبه
مصـغ إلـى الجـو أعـلاه فإنْ خفقت زهـر الـكواكب خلناهـا تخاطبه
كأنّ أبراجـه من كلّ ناحيةٍ أبراجهـا والدُّجـى وحفٌ غياهبه[٦]

---

(١) القنا : يقصد بها السلاح وعدّة الحرب . ، والمنايا : جمع منيّة ، وهي الموت ، ومتلاطم : أي يزحم بعضه بعضا ، متدافع .
(٢) التمائم : جمع تميمة وهي العوذة التي تقي من العين .
(٣) غوارم : مَدينة .
(٤) الظّبا : جمع ظبّة ، وهي حدّ السيف والسكّين وغيرهما .
(٥) عدوياً : منسوب إلى عدي ، وهو جدّ من أجداد سيف الدولة .
(٦) الوَحْف : الشعر الأسود ، والغياهب : الظلمات الشديدة .

ولأبي فراس في ذكرها [من الطويل] :

رأى الثغر مثغوراً فسدّ بسيفه فم الدهر عنه وهو سغبان فاغر [1]

* * *

ملح شعر سيف الدولة

ومما أنشدني أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيم لسيف الدولة في وصف قوس قزح ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته [من الطويل] :

وساقٍ صبيحٍ للصبوح دعوته فقام وفي أجفانه سِنة الغمضِ [2]
يطوف بكاسات العقار كأنجمٍ فمن بين منقضٍّ علينا ومنفضٍّ
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجوّ دكناً والحواشي على الأرض [3]
يطرّزها قوس الغمام بأصفرٍ على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضٍّ
كأذيال خودٍ أقبلت في غلائلٍ مصبّغةٍ والبعض أقصر من بعضِ [4]

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقة ، ونظيره قول ابن المعتز في وصف الهلال [من الكامل] :

فانظر إليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلته حمولةٌ من عنبرِ

وقول أبي فراس - وهو مما يعرب عن استخدامه نفائس الفرس - [من الكامل] :

وكأنّما البرك الملاء تحفّها ألوان ذاك الروض والزهرِ

---

(١) مثغوراً : أي به ثغرة ، والسغب : الجوع ، وفاغر : فاتح .
(٢) الصبوح : الشرب صباحا ، سنة الغمض : أي الفتور الذي يلحق بالأجفان من النعاس .
(٣) الجنوب : الريح تهبّ جنوباً : والمطارف : ودكناً : قاتمة .
(٤) الخود : النساء الناعمة ، والغلائل : الثياب الرقيقة الناعمة ، تنسب إلى ابن الرومي .

بســطٌ من الديبــاج بيضُ فروزت أطرافهــا بـفــراوزٍ خضــر[1]

وقوله من قصيدة [من الكامل] :

والمــاء يفصــل بين زهــر الـ ـــرّوض في الشّــطين فصلا
كبســاط وشــيٍ جرّدتْ أيدي القيون عليه نصلا[2]

وأنشدني أبو الحسن العلوي الهمداني ، قال : أنشدني سيف الدولة لنفسه . وأنا أراه من قوله في صباه [من الوافر] :

أقبّلــه علــى جــزعٍ كشــرب الطــائر الفـزع
رأى مــاءً فأطعمه وخـاف عواقــب الطمـع
وصــادف فرصـــةً فدنـا ولــم يلتــذّ بالجـرع[3]

ينظر معناها إلى قول ابن المعتز [من المنسرح] :

فــكم عنــاقٍ لنــا وكم قبلٍ مختلســـاتٍ حــذار مرتقب
نقــر العصــافير- وهــي خائفةٌ من النــواطير- يانـع الرطب[4]

ويحكى أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم ، لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق من الريح الهابة عليها ، فحسدتها سائر حظاياه على لطف محلها منه ، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره، وبلغ سيف الدولة ذلك ، فأمـر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها ، وقال [من الخفيف] :

راقبتنــي العيون فيك فأشفقـ ـت ولــم أخــلُ قطُّ من إشفاقِ

---

(١) فروزت : ذيّلت بحواشي .

(٢) القيون : مفردها قين وهو الحداد .

(٣) الجرع : شرب الماء بسرعة .

(٤) النواطير : جمع ناطور ، وهو الموكل بحراسة الكروم والأشجار .

ورأيت العــذول يحسدنــي فيــ ـك مجــداً يا أنفس الأعلاقِ[1]
فتمنّيت أن تكونــي بعيداً والــذي بيننــا من الــودِّ باق
ربَّ هجــرٍ يكون من خوف هجرٍ وفــراقٍ يكون خوف فراق

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن خالـويه بحلـب لسيف الدولة [من الطويل] :

تجنّـى علــيَّ الذنــبَ والذنــب ذنبه وعاتبني ظلمــاً وفــي شقّــه العتب[2]
وأعــرض لمــا صار قلبــي بكفّه فهلاّ جفانــي حين كان لي القلبُ ![3]
إذا برم المولــى بخدمــة عبده تجنّــى له ذنبــاً وإن لم يكن ذنب[4]

يشبه هذا المعنى [من الخفيف] :

وإذا ما الجفــاء جهّــز جيشاً سبقتــه طليعــةٌ من تجنّي

وأنشد أبو الحسن أحمد بن فارس ، قال : أنشدني شاعر يعرف بالمتيم[5] لسيف الدولة [من المديد] :

قــدْ جرى في دمعــه دمه فإلــى كــم أنــت تظلمُه ؟
ردّ عنــه الطــرف منــك فقد جرّحتــه منــك أسهمهُ[6]
كيف يستــطيع التجلّــد مَنْ خطــراتُ الــوهــم تؤلمــه ؟[7]

---

(١) الأعلاق : جمع علق وهو من العقود .
(٢) شقّه : فمه .
(٣) أعرض : صدّ وامتنع .
(٤) برم : سئم وضجر .
(٥) المتيّم : سبق للمؤلف في مطلع هذا البحث أن سماه أبا الحسن محمد بن أحمد الأفريقي .
(٦) الطرف : العين والنظر .
(٧) خطرات الوهم : تخيّله وتصوّره .

وأنشدني غير واحد له في أخيه ناصر الدولة أبي محمد عند وحشة جرت بينهما . [من الطويل] :

رضيت إليك العليا وقد كنت أهلها   وقلت لهم بيني وبين أخي فرقُ
ولم يكُ بي عنها نكولٌ ، وإنّما   تجافيت عن حقي فتمّ لك الحقُّ[1]
ولا بدّ لي من أن أكون مصلّياً   إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق[2]

وأنشدت له أيضاً في وصف نار الكانون [من المنسرح] :

كأنّما النار والرماد معاً   وضوءها في ظلامه يحجبْ
وجنة عذراء مسّها خجلٌ   فاستترت تحت عنبرٍ أشهبْ[3]

نظيرهما في الحسن قول كشاجم [من المنسرح] :

كأنّما الجمر والرماد وقد   كاد يواري من ناره النورا
ورد جني القطاف أحمر قد   ذرّت عليه الأكفّ كافورا

وقول أبي طالب المأموني [من الخفيف] :

ما ترى النار كيف أسقمها الـقرّ فأصحت تخبو وطوراً تسعرُ[4]
وغدا الجمر والرماد عليه   في قميصٍ مذهّبٍ ومعنبرُ

* * *

(١) النكول : الهرب والابتعاد .
(٢) المصلّي : هو من فرسان السباق الذي يجيء بعد الفرس الأول ، والأول يسمّى السابق .
(٣) الأشهب : ما كان لونه الشهبة ، وهي بياض غلب على السّواد .
(٤) القرّ : البرد ، وتخبو : يضعف وهجها ، وتسعر : يشتدّ وهجها ويتقد .

الباب الثالث

٢ - في ذكر أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأخباره

وغرر أخباره وأشعاره(١)

[هو ابن عم سيف الدولة المقدم ذكره ، وابن عم ناصر الدولة] .

كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ونبلاً ، ومجداً وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز ، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : « بدىء الشعر بملك ، وختم بملك » يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته، ولا يجترىء على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ، ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته .

* * *

(١) تجد ترجمة أبي فراس في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ١٢٧ الحلبي) .

قطعة من أخباره مع سيف الدولة وأشعاره فيه
سوى الروميات

حكى ابن خالويه قال : كتب أبو فراس إلى سيف الدولة، وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنبج كتاباً صدره :«كتابي ـ أطال الله بقاء مولانا ! ـ من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل [البطن] والظهر وفراً وشكراً » . فاستحسن سيف الدولة بلاغته ، ووصف براعته . وبلغ أبا فراس ذلك فكتب إليه [من الكامل] :

هل للفصاحة والسما ... حة والعلا عنّي محيدُ
إذ أنت سيدي الذي ... ربّيتني ، وأبي سعيدُ
في كلِّ يومٍ أستفيـ ... ـد من العلاء وأستزيدُ
ويزيد فيَّ إذا رأيـ ... ـتك في النّدى خلقٌ جديدُ

وكان سيف الدولة قلماً ينشط لمجلس الأنس ؛ لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب ، وممارسة الحروب ، فوافت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد ، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها ، ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة ، فكتب إليه يحثه على استحضارها ، فقال [من السريع] :

محلّك الجوزاءُ أو أرفعُ ... وصدرك الدهناء بل أوسع[1]
وقلبك الرحب الذي لم يزلْ ... للجدّ والهزل به موضع
رفّهْ بقرع العود سمعاً غدا ... قرع العوالي جلّ ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات المهلبي الوزير فأمر القيان [والقوالين] بحفظها

(١) الجوزاء : نجم في السماء ، والدهناء : صحراء من صحارى العرب ، يريد أنّ صدره مثلها في الاتساع .

(٢) العوالي : الرماح .

وتلحينها ، وصار لا يشرب إلا عليها .

وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة [من الكامل] :

يـا أيّهـا الملك الـذي أضحـت له جمـل المناقبْ[1]
نتـج الـربيـع محاسناً ألقحنهـا غـرر السحائب[2]
راقـت ورقّ نسيـمهـا فحـكتْ لنـا صور الحبائب
حضـر الشّـراب فلـم يطبْ شرب الشـراب وأنـت غائب

وتأخر عن حضرته لعلة وجدها ، فكتب إليه [من الهزج] :

لقـد نافسـني الدّهـر بتـأخيري عـن الحضـره
فمـا ألقـى مـن العـلّـة ما ألقـى من الحسره

وأهدى الناس إلى سيف الدولة [في بعض الأعياد] وأكثروا ، فكتب إليه أبو فراس [من الكامل] :

نفسـي فداؤك قد بعثـ ـت تعهّـدي بيد الرسولِ
أهديت نفسـي ، إنّما يهـدي الجليل إلـى الجليل
وجعلـت ما ملـكت يدي صلـةَ المبشّـر بالقبول
[لمـا رأيتـك في الأنا م بلا مثـالٍ أو عديل][3]

وكتب إليه يعاتبه [من الكامل] :

قد كنـت عدّتـيَ التـي أسطـو بها ويدي إذا اشتـدّ الزمـان وساعدي
فرميت منـك بغير ما أمّلته والمـرء يشـرق بالـزلال البارد[4]

---

(١) المناقب : المآثر .

(٢) نتج الربيع : خلّف ، وألقحنها : أسقينها والسحائب : الغيوم .

(٣) العديل : الشبيه والموازن .

(٤) يشرق : يغصُّ ، والزلال : الماء العذب .

فصبرت كالولد التقيّ لبرّه أغضى على ألمٍ لضرب الوالد

وعزم سيف الدولة على الغزو ، واستحلاف أبي فراس على الشام ، فكتب إليه قصيدة منها [من البسيط] :

قالوا المسير فهزَّ الرمح عامله وارتاح في جفنه الصمصامة الخذمُ[1]
حقّاً لقد ساءني أمرٌ ذكرت له لولا فراقك لم يوجدْ له ألمُ
لا تشغلنّ بأمرِ الشّام تحرسه إن الشام على من حلّه حرمُ
وإنّ للثغر سوراً من مهابته صخوره من أعادي أهله القمم
لا يحرمنّيَ سيف الدّين صحبته فهي الحياة التي تحيا بها النسم[2]
وما اعترضت عليه في أوامره لكنْ سألت ، ومن عاداته « نعم »

وقال له [من الطويل] :

وما ليَ لا أثني عليك وطالما وَفَيت بعهدي والوفاء قليلُ
وأوعدتني حتّى إذا ما ملكتني صفحت ، وصفح المالكين جميلُ

وكتب إليه يعزيه [من السريع] :

لا بدّ من فقدٍ ومن فاقدٍ هيهات ما في الناس من خالدِ
كُنِ المعزّي لا المعزى به إن كان لا بدّ من الواحد

وكتب إليه [من الطويل] :

أيا عاتباً لا أحمل الدهر عتبه عليّ ، ولا عندي لأنعمه جحد[3]
سأسكت إجلالاً لعلمك أنّني إذا لم تكن خصمي لي الحجج اللدّ[4]

---

(١) الصمصامة : السيف ، والخذم : القاطع .
(٢) النسم : الناس والأرواح .
(٣) الجحد : النكران .
(٤) اللدّ : الشديدة القويّة .

وكان لسيف الدولة غلام يقال له نجا ، قد اصطنعه ونوه باسمه وقلده طرسوس وأخذ يقرع باب العصيان والكفران ، وزاد تبسطه وسوء عشرته لرفقائه ، فبطش به ثلاثة نفر منهم وقتلوه . فشق ذلك على سيف الدولة ، وأمر بقتل فتكته فكتب إليه أبو فراس [من المجتث] :

ما زلت تسعى بجدٍّ ... برغم شانيك مقبلْ[1]
ترى لنفسك أمراً ... وما يرى الله أفضلْ

وكتب إليه يستعطفه [من الكامل] :

إن لم تجاف عن الذنو ... ب وجدتها فينا كثيره[2]
لكنّ عادتك الجميـ ... ـلة أن تغضّ على بصيره[3]

وكتب إليه يستعطفه [من الوافر] :

دع العبرات تنهمر انهمارا ... ونار الشوق تستعر استعارا
أتطفأ حسرتي وتقرُّ عيني ... ولم أوقد مع الغازين نارا
أقمت على الأمير وكنت ممّن ... تعزّ عليه فرقته اختيارا
إذا سار الأمير فلا هدوّاً ... لنفسٍ أو يؤوب ، ولا قرارا
ستذكرني إذا طردت رجالٌ ... دققت الرمح بينهم مرارا
وأرضٍ كنت أملؤها رجالاً ... وجوٍّ كنت أُرهجه غبارا[4]
إذا بقي الأمير قرير عينٍ ... فديناه اختياراً واضطرارا
يمدّ على أكابرنا جناحاً ... ويكفل عند حاجتها الصّغارا[5]

---

(١) شانيك : مبغضك .
(٢) تجاف : تصفح وتبتعد .
(٣) تغضّ : تتجاهل وتتعامى ، والبصيرة : المعرفة .
(٤) الرهج : بفتح الراء والهاء : الغبار ، وأرهج الرجل : أثار الغبار .
(٥) يريد أن عنايته قد شملت الكبار والصّغار .

أراني الله طلعته سريعاً وأصحبه السّلامة حيث سارا
وبلّغه أمانيه جميعاً وكان له من الحدثان جارا[1]

وكتب إليه [من الوافر] :

ألا من مبلغٍ سروات قومي إذا حدّثن جمجمن الكلاما[2]
بأني لم أدع فتيات قومي وسيف الدولة الملك الهماما
شريت ثناءهنّ ببذل نفسي ونار الحرب تضطرم اضطراما[3]
ولما لم أجد إلاّ فراراً أشدّ من المنيّة أو حِماما[4]
حملت على ورود الموت نفسي وقلت لصحبتي موتوا كراما
وهل عذرٌ وسيف الدين ركني إذا لم أركبِ الخطط العظاما
وأقفو فعله في كلّ أمرٍ وأجعل فضله أبداً إماما
وقد أصبحت منتسباً إليه وحسبي أن أكون له غلاما
أراني كيف أكتسب المعالي وأعطاني على الدهر الذّماما
وربّاني ففقت به البرايا وأنشأني فسدت به الأناما
فأحياه الإله لنا طويلاً وزاد الله نعمته دواما

* * *

ما أخرج من فخرياته

قال من قصيدة يذكر فيها إيقاعه ببني كعب وهو على مقدمة سيف الدولة وكان

---

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) السروات : جمع سرَاة وهو جمع سري أو السراة مفرد بمعنى الأعلى من كلّ شيء ، ثم أريد منه العظيم القدر من الرجال . والجمجمة : الإسرار بالكلام وإخفاؤه .

(٣) تضطرم : تستعر وتصطلي .

(٤) الحمام : الموت .

قد حسن بلاؤه في تلك الوقعة [من الوافر] :

ألم ترنا أعزّ الناس جاراً ... وأمنعهم وأمرعهم جنابا[1]
لنا الجبل المطلّ على نزارٍ ... حللنا النّجد منه والهضابا[2]
يفضّلنا الأنام ولا نحاشي ... ونوصف بالجميل ولا نحابى
وقد علمت ربيعة بل نزارٌ ... بأنّا الرأس والناس الذنابى
ولما أن طغت سفهاء كعبٍ ... فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير أنّا ... إذا جارت منحناها الحرابا[3]
ولما ثار سيف الدين ثرنا ... كما هيّجت آساداً غضابا
أسنّته إذا لاقى طعاناً ... صوارمه إذا لاقى ضرابا
دعانا والأسنّة مشرعاتٌ ... فكنّا عند دعوته الجوابا[4]
صنائع فاق صانعها ففاقتْ ... وغرسٌ طاب غارسه فطابا
وكنّا كالسهام إذا أصابت ... مراميها فراميها أصابا

هذا أحسن ما قيل في معناه ، وقد أخذه الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، فكتب في كتاب فتح تولاه للصاحب بأصبهان : « وهنأ الله مولانا كافي الكفاة هذه المناجح التي هي نتائج عزائمه ، وثمرات صرائمه ، فما يرى عبده وصنيعته ، وسائر من يكنفه ظله وتريشه عنايته ، نفوسهم إذا وفقوا لمذهب من مذاهب الخدمة وهدوا لأداء حق من حقوق النعمة ، إلا سهاماً إذا أصابت فراميها المصيب ، وما لها في المحمدة نصيب » .

---

(١) أمرعهم جناباً : أخصبهم محلاً وأكثرهم نعمة .
(٢) النجد : ما ارتفع من الأرض ، والهضاب : جمع هضبة ، وهي ما اطمأن من الأرض .
(٣) الحرائب : الأسلاب .
(٤) مشرعات : معدّة للقتال .

ولأبي فراس من قصيدة أولها [من الوافر] :

أيلحانــي علــى العبــرات لاحي ... وقـد يئس العـواذل من صلاحي[١]
تملّكنـــي الهـــوى بعـــد التآبي ... وراضَنِـيَ الهـوى بعــد الجماح[٢]
ألا يا هذه هل من مقيلٍ ... لضيفـــان الصّبابـــة أو مراح
فلــولا أنــت ما قلقــت ركابي ... ولا هبّــتْ إلــى نجــدٍ رياحي

ومنها :

ومــن جرّاك أوطنــت الفيافي ... وفيك غذيت ألبــان اللقاح
أصاحــب كلّ خلٍّ بالتّجافي ... وآســو كلّ داء بالسّماح
إذا ما عنّ لي أربٌ بأرضٍ ... ركبــت له ضمينــاتُ النّجاح[٣]
ولــي عنــد العــداة بكلّ أرضٍ ... ديونٌ في كفــالات الرمــاح

وله من قصيدة كتب بها إلى جعفر بن ورقاء [من الكامل] :

إنّــا إذا اشــتــدّ الزّما ... ن ونــاب خطــبٌ وادلهمْ[٤]
ألفيت حــول بيوتنــا ... عــدد الشجاعــة والكــرم
للقــا العــدا بيض السيو ... ف وللنــدى حمــر النعم[٥]
هــذا وهــذا دأبنــا ... يودى دمٌ ويــراق دم[٦]

وله من قصيدة أولها [من الطويل] :

أقلّــي فأيام المحــبّ قلائــل ... وفــي قلبــه شغــلٌ عن اللــوم شاغل

---

(١) اللاحي : اللائم .
(٢) التآبي : الإمتناع ، وراضني : قادني وطوّعني ، والجماع : الشرود .
(٣) ضمينات : من الضمان والحيطة .
(٤) ناب : حلّ ، وادلهم : اشتدّ واكفهرّ .
(٥) حمر النعم : الإبل .
(٦) يودي : يسفك ، ويراق : يسفك .

يقول فيها :

تطالبني البيض الصوارم والقنا ... بما وعدت جدّيّ فيّ المخايل[1]
ووالله ما قصَّرت في طلب العلا ... ولكنْ كأنَّ الدّهر عنّيَ غافلُ
مواعيد أيامٍ تطالبني بها ... مراءاة أزمانٍ ودهرٌ مخاتل[2]
وأخلاف أيامٍ متى ما انتجعتها ... حلبت بكيّاتٍ وهنَّ حوافل[3]
تدافعني الأيام عمّا أريغه ... كما دفع الدين الغريم المماطل[4]
خليليّ ، شدّا لي على ناقتيكما ... إذا ما بدا شيبٌ من الفجر ناصل[5]
فمثليَ من نال المعالي بسيفه ... وربّتما غالته عنها الغوائل[6]
وما كلّ طلاّبٍ من الناس بالغٌ ... ولا كلّ سيّارٍ إلى المجد واصل
وإنّ مقيماً منجح العزّ خائبٌ ... وإنّ مريعاً خائب الجهد نائل
وما المرء إلاّ حيث يجعل نفسه ... وإنّي لها فوق السماكين جاعل[7]
أصاغرنا في المكرمات أكابرٌ ... وآخرنا في المأثرات أوائل
إذا صلت صولاً لم أجدْ لي مصاولاً ... وإن قلت قولاً لم أجد من يقاول

وله من قصيدة أخرى [من الوافر] :

عذيريَ من طوالع في عذاري ... ومن ردّ الشباب المستعارِ
وثوبٍ كنت ألبسه أنيقٍ ... أجرّر ذيله بين الجواري

---

(١) البيض : السيوف ، والصوارم : القواطع ، والمخايل : جمع مخيلة ، وأراد أن مخايل النجابة كانت ظاهرة عليه ، فتوسّم فيه جدّاه الشجاعة والإقدام .

(٢) المخاتل : الغادر .

(٣) الأخلاف : الأثداء والضروع ، والبكيات : جمع بكية وهي التي قلّ لبنها ، والحوافل : الممتلئة .

(٤) أريغه : أطلبه ، والغريم المماطل : أي المدين الموفّ .

(٥) الناصل : الظاهر والخارج .

(٦) غالته : دهته وأصابته ، والغوائل : الدواهي والمصائب .

(٧) السماكان : نجمان في السّماء .

ومـا زادت عن العشـرين سنّي فمـا عذر المشيب إلـى عذاري ؟

أخذه من قول أبي نواس [من الكامل] :

وإذا عددت السـنّ كم هي لم أجدْ للشّيب عذراً للنـزول براسي
رجعٌ وما استمتعت من راعي التصابي إلـى أن جاءنـي داعـي الوقار
تلاعـب بي علـى هوج المطايا خلائـق لا تقـرُّ علـى الصغار[1]
ونفسٍ دون مطلبهـا الثريا وكفٍّ دونهـا فيض البحار
ومـا يغنيك من همٍّ طوالٍ إذا قرنـت بأحـوالٍ قصار[2]
عزيزٌ حيث حطّ السير رحلي تداريـني الأنـام ولا أداري
فأهلي من أنخـت إليه عيسي وداري حيث كنـت من الديار[3]

وله [من الوافر] :

لنـا بيتٌ علـى عنـق الثّريا بعيد مذاهـب الأطنـاب سامي[4]
تظلّلـه الفـوارس بالعوالي وتفـرشه الـولائـد بالطعـام

وله [من الوافر] :

لقـد علمـت سراة الحـيّ أنّا لنـا الجبـل الممنّـعُ جانباهُ
يفـيء الراغبـون إلـى ذراه ويأوي الخائفـون إلـى حماه

وله [من الوافر] :

لئـن خلـق الأنـام لحـثّ كأسٍ ومزمـارٍ وطنبـورٍ وعودِ

---

(١) الصغار : الذلّ .
(٢) قرنت : سُلِكت ، والأحوال : جمع حول : وهي السنة ، ويقصد بها الأعمار .
(٣) العيس : الإبل .
(٤) الأطناب عُمُد البيت ، وسامي : من السموّ .

فلــم يخلــق بنــو حمــدان إلاّ لمجــدٍ أو لبــأسٍ أو لجود

وله [من الوافر] :

علونــا جوشنــاً بأشــدّ منه وأثبــت عنــد مشتجــر الرماح(١)
بجيشٍ جاش بالفرسـان حتى ظننــت البــرّ بحـراً من سلاح(٢)
وألسنــةٍ من العذبــات حمرٍ تخاطبنــا بأفــواه الريــاح(٣)
وأروع جيشــه ليلٌ بهيمٌ وغرّتــه عمــودٌ للصّبــاح(٤)
صفــوحٌ عنــد قدرتــه كريمٌ قليل الصفــح ما بين الصّفاح
وكان ثبــاتــه للقلــب قلبــاً وهيبتــه جنــاحــاً للجنــاح(٥)

وله من قصيدة [من الوافر] :

قتلــت فتى بنــي عمــرو بن عبدٍ وأوسعهــم علــى الضيفــان ساحا
ولســت أرى فســاداً في فسادٍ يجــرّ علــى فريقيه صلاحا

كان سيف الدولة قد أبعد كلاباً وشردها ، فقصدت أبا فراس وهو ببالس في خف من أصحابه ، وعليهم كثير بن عوسجة ، فهزمهم ، ثم طرحوا أنفسهم عليه وقدمت وفودهم إليه ، فخرج وتوسط في أمرهم مع سيف الدولة ، وقـال في ذلك [من الوافر] :

سلــي عنّــا سراة بنــي كلابٍ ببــالس عند مشتجــر العوالي(٦)

---

(١) الجوشن : الدرع ، مشتجر الرماح : تشابكها .
(٢) جاش : امتلأ وفاض .
(٣) العذبات : رؤوس الألسنة وأطرافها .
(٤) غرّته : نوره وبياضه .
(٥) الجناح : يعني به جناح الجيش لأن الجيش كان يقسّم إلى خمس فرق ـ القلب والمقدمة والمؤخرة والجناحان .
(٦) بالس : بلدة بشط الفرات ، والعوالي : الرماح واشتجارها : اختلاطها .

لقيناهم بأسيافٍ قصارٍ ... كفين مؤونة الأسل الطوال(١)
فولّى بابن عوسجةٍ كثيرٌ ... وساع الخطو في ضنك المجال
يرى البرغوث إذ نجّاه منّا ... أجلَّ عقيلةٍ وأحبَّ مال
تدور به إماءُ بني قريطٍ ... وتسأله النساء عن الرجال
يقلن له السلامة خير غنمٍ ... وإنّ الذلّ في ذاك المقال
وعادوا سامعين لنا فعدنا ... إلى المعهود من شرف الفعال
ونحن متى رضينا بعد سخطٍ ... أسونا ما جرحنا بالنوال(٢)

أخذه من قول أبي نواس :

وَكَلْتَ بالدهر عيناً غير غافلةٍ ... بجود كفّك تأسو كلَّ ما جرحا

وله من قصيدة أولها [من الوافر] :

وقوفك بالدّيار عليك عار ... وقد ردّ الشباب المستعارُ

ومنها :

وكم من ليلةٍ لم أروَ منها ... حننت لها وأرّقني ادّكارُ(٣)
عسفتُ بها عواريَّ الليالي ... أحق الخيل بالركض المعارُ(٤)
فبتُّ أعلّ خمراً من رضابٍ ... لها سكرٌ وليس لها خمار(٥)

---

(١) الأسل : الرماح ، يقصد أن السيوف قامت مقام الرماح في الحرب .
(٢) أسونا : داوينا وخففنا آلام الجراح ، والنوال : العطاء .
(٣) لم أروَ : لم أنل غايتي منها ، وأرّقني : أسهرني

(٤) عسفت : ظلمت ، والعواري : جمع عارية ، وهو ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك ، وعجز هذا البيت من قول الشاعر :
وجدنا في كتاب بني تميمٍ ... أحقّ الخيل بالركض المعارُ

(٥) أعلّ : أنهل وأشرب ، والخمار : الصداع يعتري شارب الخمر .

إلـى أن رقّ ثوب الليل عنّا ونـادت قم فقـد برد السِّوار[1]

ومنها :

إذا ما العـزّ أصبـح في مكانٍ سمـوت له ، وإن بعـد المزارُ
مقامـي حيث لا أهـوى قليلٌ ونومـي عنـد من أقلـى غرار
أبـت لي همتـي وغـرار سيفي وعزمـي والمـطيّة والقفار[2]
ونفسٌ لا تجاورهـا الدّنايا وعـرضٌ لا يرفُّ عليه عـار
وقـومٌ مثـل من صحبـوا كرامٌ وخيلٌ مثـل من حملـت خيار
وكم بلـدٍ شننّاهـنّ فيـه ضحـىً وعـلا منابـره المُعار[3]
وكم ملكٍ نزعنـا الملك عنه وجبّـارٍ به دمـه جبار[4]

وله من أخرى [من الطويل] :

ولـو نيلـت الـدنيا بفضـلٍ منحتها فضائـل تحويهـا وتبقـى فضائلُ
ولكنّهـا الأيام تجـري بمـا جرتْ فيسفل أعلاهـا وتعلـو الأسافل
لقـد قلّ أن تلقـى من النـاس مجملاً وأخشـى قريبـاً أن يقـلّ المجامل[5]
ولست بجهم الوجه في وجـه صاحبي وإن سأل الأعمـار ما هو سائل[6]

وله [من الطويل] :

بخلـت بنفسـي أن يقـال مبخّلٌ وأقدمـت جبنـاً أن يقـال جبانُ

---

(١) السِّوار : حلقة من ذهب تتخذ في المعصم وسوار الخمر : شدّتها .
(٢) غرار السيف : حدُّه .
(٣) المعار : الفرس المضمّر ، وفي الديوان :
وكم بلـدٍ شتتناهـن فيه ضحـىً وعـلا منابـره الغبار
(٤) جُبار : بزنة شجاع ـ أي هدر دمه ولا ثائر له ، وفي الحديث : « جرح العجماء جبار » .
(٥) المجامل : المواسي والمشارك .
(٦) جهم الوجه : مقطبُه وعابسه .

وملـكي بقـايا ما وهبـت مفاضةٌ ورمـحٌ وسيفٌ قاطـعٌ وسنانُ[1]

وله [من الوافر] :

بأطـراف المثقّفـة العوالـي تفرّدنـا بأوسـاط المعالـي
ومـا تحلـو مجانـي العـزّ يوماً إذا لم تجنـها سمـر العوالي
ممالكنـا مكاسبنـا إذا ما توارثهـا رجـالٌ عن رجال
إذا لم تمس لي نارٌ بأرضٍ أبيت لنـار غيري غير صالي[2]

وله [من الكامل] :

غيري يغيّره الفعـال الجافي ويحـول عن شيم الـكريم الوافي[3]
لا أرتضـي ودّاً إذا هو لم يدمْ عنـد الجفـاء وقلـة الإنصاف
تعس الحـريص وقـلَّ ما يأتـي به عوضـاً عن الإلحـاح والإلحاف
إنّ الغنـيَّ هو الغنـيُّ بنفسه ولـو انـه عاري المنـاكب حافي
ما كلّ ما فوق البسيطـة كافياً وإذا قنعـت فبعض شيءٍ كافي[4]
وتعـافُ لي طمـع الحـريص فتوتي ومروءتـي وقنـاعتي وعفافـي[5]
ما كثـرة الخيل العتـاق بزائدي شرفـاً ، ولا عدد السـوام الضافي[6]
خيلـي - وإن قلَّـتْ - كثيرٌ نفعها بين الصـوارم والقنـا الرّعافِ[7]
ومكارمـي عدد النجـوم ، ومنزلي مأوى الـكرام ومنـزل الأضياف

---

(١) المفاضة : الدرع الفضفاضة الوافية .
(٢) صالي : أصلى النار : أسعرها .
(٣) يحول : يتغيّر ويتحوّل .
(٤) البسيطة : الأرض .
(٥) تعاف : تكره وتأبى .
(٦) العتاق : الكريمة ، والسوام : الإبل وغيرها من الماشية .
(٧) الرعّاف : النازف للدماء .

لا أقتنـي لصـروف دهـري عدّةً   حتـى كأنَّ خطوبـه أحلافي[1]
شيمٌ عرفـت بهـنَّ مذ أنـا يافعٌ   ولقـد عرفـت بمثلهـا أسلافي

وله [من الوافر] :

أتعجـب إن ملكنـا الأرض قسراً   وأن تمسـي وسائـديَ العراب[2]
وتربـط في مجالسنـا المذاكي   وتنـزل بين أرحلنـا الركـاب[3]
وهـذا العـزُّ أورثنـا العوالـي   وهـذا الملك ملّكنـا الضّرابُ
فقصـرك إنّ حـالاً ملّكتنا   لحـالٌ لا تذمُّ ولا تعابُ

وله [من الطويل] :

ونحـن أنـاسٌ لا توسّـط عندنا   لنـا الصـدر دون العـالمين أو القبرُ
تهـون علينـا في المعالـي نفوسنا   ومن خطـب الحسنـاء لم يغلـه المهر

* * *

الإخوانيـات

[قال] وكتب بها إلى أخيه أبي الهيجاء [من المتقارب] :

حللـت من المجـد أعلـى مكانِ   وبلّغـك الله أقصـى الأمانـي
فإنّـك ـ لا عدمتـك العلا ! ـ   أخٌ لا كإخـوة هذا الزمان
كسـوت أخـوتنـا بالصفـاء   كمـا كسيت بالـكلام المعاني

---

(١) أحلافي : أي مرافقيّ وأتباعي ، أو أنها عقدت حلفاً معي فهي لا تفارقني .
(٢) العراب : الخيل العربية .
(٣) المذاكي : جمع مذك ، وهو من الخيل ما تمّ له بعد قروحه سنتان ، يقصد الخيل النشيطة الفتيّة .

وقال لصديق له وأحسن [من الخفيف] :

لـم أؤاخـذك بالجفـاء لأنّي ... واثـقٌ منـك بالـوداد الصريحِ[1]
فجميل العـدو غير جميـلٍ ... وقبيح الصـديق غيـر قبيح

وله [من الكامل] :

مـا كنـت تصبـر في القديـ ... ـم فلـم صبـرت الآن عنّا
ولقـد ظننـت بك الظنو ... ن لأنّـه مـن ضنّ ظنّا[2]

وقال [من الكامل] :

أشـفقت مـن هجـري فسلّـ ... ـطت الـظنون على اليقيـن
وضننـت بـي فظننـت بـي ... والظـنّ مـن شيـم الضنينِ

وقال وكتب بها إلى أخيه [من الكامل] :

ولقـد أبيتُ وجـلّ ما أدعـو به ... حتّى الصباح وقـد أقضّ المضجعُ[3]
لا همّ إنّ أخـي لديك وديعتي ... أبـداً ، وليس يضيع ما تستودع

وكتب إلى أبي العشائر وهو أسير بأرض الروم [من الطويل] :

نفـى النـوم عن عينـي خيالٌ مسلِّم ... تأوّب من أسمـاءَ والـركب نوّمُ[4]
وخطـبٌ من الأيام أنسانـيَ الهوى ... وأحلى بفيٍّ المـوت والمـوت علقمُ[5]
ووالله ما شبّبـت إلاّ علالـةً ... ومـن نار غير الحـبّ قلبـي يضرَّم

---

(١) الوداد الصريح : الحبّ الصافي الذي لا تشوبه شائبة .
(٢) ضنّ : بخل .
(٣) أقضّ المضجع : أي أقلقه وحرمه النوم .
(٤) تأوّب : رجع .
(٥) العلقم : الشديد المرارة .

فمـن مبلـغٍ عنّـي الحسين ألوكة ... تضـمنهـا درُّ الـكلام المنظّم[1]

لذيذ الـكرى حتـى أراك محرّمٌ ... ونـار الأسـى بين الحشـا تتضرّم

وأتـرك أن أبـكي عليك تطيُّراً ... وقلبـي يبـكي والجوانـح تلطم[2]

لم يسمع أحسن من هذا البيت في التفجع بمنكوب .

وأظهـر للأعـداء فيك جلادةً ... وأكتـم ما ألقـاه ، والله يعلمُ

ومـا أغربـت فيك الليالـي وإنّها ... لتصدعنـا من كلّ شعـبٍ وتثلم[3]

طوارق خطـبٍ ما تغـبُّ وفودها ... وأحـداث أيامٍ تفـذُّ وتتئم[4]

فمـا عرّفتنـي غير ما أنـا عارفٌ ... ولا علّمتنـي غير ما كنـت أعلم

ومنها :

أندعـو كريمـاً من يجـود بماله ... ومـن جاد بالنفس النفيسـة أكرمُ

إذا لم يكن ينجـي الفـرار من الرّدى ... علـى حالـةٍ فالصبّـر أرجـى وأحزم[5]

لعمـري لقـد أعـذرت لو أنّ مسعداً ... وأقدمـت لو أنّ الكتائـب تقدم

ومـا عابـك ابـن السـابقين إلـى العلا ... تأخّـر أقـوامٍ وأنـت مقدَّمُ

ومـالك لا تلقـى بمهجتـك القنا ... وأنـت مـن القـوم الـذين همُ همُ

لعـاً يا أخـي لا مسّـك السـوء ! إنَّه ... هو الدهـر في حاليه بؤسـى وأنعم[6]

---

(١) الألوكة : الرسالة .

(٢) تطيُّراً : تشاؤماً ، والجوانح : جوانب الصدر وأضلاعه .

(٣) أغربت : أظلمت ، وتصدعنا : من الصدع وهو الشقّ الذي يفرّق بين وحدة الشيء والشعب : بكسر الشين : الناحية .

(٤) تغبّ : تزور حيناً بعد حين يعني أن الخطوب كانت متلاحقة ، وتفذّ : تأتي بالمصائب فذّة أي مفردة ، وتتئم : تأتي بها زوجا ، وأصله قولهم « أتأمت المرأة » إذا ولدت توْماً .

(٥) الرّدى : الموت والهلاك .

(٦) لعاً : دعاءٌ للعاثر ، يعني نعشك الله ونجوت .

وكتب إليه قصيدة أخرى منها [من الكامل] :

أأبا العشائر إن أُسِرْت فطالما ... أسرت لك البيض الخفاف رجالا
لمّا أجلت المهر فوق رؤوسهم ... نسجت له حمر الشعور عقالا

ما أحسن ما اعتذر له مع إحسانه التشبيه .

يا من إذا حمل الحصان على الوجى ... قال اتخذ حبك التريك نعالا[1]
ما كنت نهزة آخذٍ يوم الوغى ... لو كنت أوجدت الكميت مجالا[2]
أخذوك في كيد المضايق غيلةً ... مثل النساء تربّب الرئبالا[3]
زللٌ من الأيام فيك يقيله ... ملكٌ إذا عثر الزمان أقالا
بالخيل ضمراً والسيوف قواضباً ... والسمر لدناً والرجال عجالا[4]

وقال [من البسيط] :

ما كنت مذ كنت إلاّ طوع خلاّني ... ليست مؤاخذة الإخوان من شاني
يجني الخليل فأستحلي جنايته ... حتى أدلُّ على عفوي وإحساني
إذا خليلي لم تكثر إساءته ... فأين موقع إحساني وغفراني
يجني عليَّ وأحنو صافحاً أبداً ... لا شيء أحسن من حانٍ على جاني[5]

وقال [من الكامل] :

ما صاحبي إلاّ الذي من بِشْرِهِ ... عنوانه في وجهه ولسانه

---

(١) الوجى : التعب ، والحبك : جمع حبيكة وهي المنسوجة ، والتريك : بيضة المغفر ، يأمر حصانه أن يتخذ من مغافر أعدائه نعالاً له ، وذلك كنايةً عن قهره إيّاهم واستيلائه على عقائلهم .
(٢) نهزة : فرصة ، والكميت : الحصان يميل لونه إلى الحمرة الغامقة .
(٣) الرئبال : الأسد .
(٤) الضمر : الهزيلة ، والقواضب : القاطعة . ، والسمر : الرماح ، واللدن : الليّن المرن .
(٥) الجاني : الآثم .

كم صاحبٍ لم أغن عن إنصافه في عشرةٍ وغنيت عن إحسانه

وكتب في وصف كتاب ورد عليه من صديق له [من البسيط] :

ووارد موردٍ أنساً يؤكّدهُ صدوره عن سليم الورد والصدر
شدّت سحائبه منه على نزهٍ تقسّم الحسن بين السمع والبصر
عذوبةٌ صدرت عن منطقٍ جدِدٍ كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر[1]
وروضةٌ من رياض الفكر دبّجها صوبُ القرائح لا صوبٌ من المطر[2]
كأنّما نشرت أيدي الربيع بها برداً من الوشي أو ثوباً من الحبر

وقال لأبي الحصين القاضي [من الكامل] :

من بحر شعرك أغترفْ وبفضل علمك أعترفْ
أنشدتني فكأنّما شقّقت عن درّ الصّدف
شعراً إذا ما قسته بجميع أشعار السّلفْ
قصّرن دون مداه تقصير الحروف عن الألف

وقال أيضاً [من الكامل] :

إنّي عليك أبا حصينٍ عاتبٌ والحرّ يحتمل الصديق ويغفرُ
وإذا وجدت على الصديق شكوته سرّاً إليه ، وفي المحافل أشكر[3]

هكذا شرط الصداقة ، لا كما حكاه أبو إسحاق الصابي في قوله [من الخفيف] :

ومن الظلم أن يكون الرضى سرّاً ، ويبدو الإنكار وسط النادي

---

(١) منطقٍ جدِدٍ : منطق فيه لينٌ وسهولة .
(٢) دبّجها : أتقن نظمها وصنعها ، والصوب : المطر .
(٣) وجدت : عتبت وغضبت .

ومـن العـدل أن يشـاع بهذا مثـل ما شاع ذاك في الأشهاد

* * *

الشكوى والعتاب، سوى ما وقع في الروميات

قال [من الطويل] :

أرانـي وقومـي فرَّقتنـا مذاهبُ وإنْ جمعتنـا في الأصـول المناسبُ
فأقصاهـمُ أقصاهـم من مساءتي وأقربهـم ممّـا كرهـت الأقارب
غريبٌ وأهلـي حيث ما كرَّ ناظري وحيدٌ وحولـي من رجالـي عصائب[1]
نسيبـك من ناسبـت بالـودِّ قلبه وجـارك من صافيتـه لا المصاقب
وأعـظـم أعـداء الرجـال ثقاتها وأهـون من عاديتـه من تحارب
ومـا الذّنـب إلاّ العجـز يركبـه الفتى ومـا ذنبـه إنْ حاربتـه المطالب
ومـن كان غير السيف كافـلُ رزقه فلِلْـذلّ منـه ـ لا محالـة ـ جانب[2]

وقال [من البسيط] :

مالي أعاتب ؟ مالي ؟ أين يذهب بي ؟ قد صرّح الدهـر لي بالمنـع والياس
أبغـي الوفـاء بدهـرٍ لا وفـاء له كأنّنـي جاهـلٌ بالدّهـر والناس

وقال [من الطويل] :

تمنّيتـم أن تفقدونـي ، وإنّما تمنّيتـمُ أن تُفقـدوا العـزَّ أصيدا[3]
أمـا أنـا أعلـى من تعـدّون همّةً ؟ وإن كنـت أدنـى من تعـدّون مولدا
إلـى الله أشـكو عصبـةً من عشيرتي يسيئـون فيَّ القـولَ غيبـاً ومشهدا

---

(١) كرّ ناظري : تطلّع ، والعصائب : الجماعات .

(٢) جانب : ملازم .

(٣) الأصيد : السيد الكريم .

وإن حاربـوا كنـت المجـنّ أمامهم　　وإن ضاربوا كنت المهنّـد واليدا[1]
وإن ناب خطـبٌ أو ألمَّـتْ ملمَّةٌ　　جعلت لهم نفسي وما ملكت فدا

وقال [من الطويل] :

أيا قومنـا لا تنشبـوا الحـرب بيننا　　أيا قومنـا لا تقطعـوا اليدّ باليدِ
فيا ليت دانـي الرحـم منّـا ومنكمُ　　إذا لم يقـرِّبْ بيننـا لم يبعّد
عداوة ذي القربـى أشـدُّ مضاضةً　　على المرء من وقع الحسام المهند[2]

وقال [من الطويل] :

ويغتابنـي من لو كفانِـيَ غيبه　　لكنـت له العين البصيرة والأذْنا
وعنـدي من الأخبـار ما لو ذكرته　　إذاً قرع المغتـاب من ندمٍ سنّا[3]

وقال [من الطويل] :

إذا كان فضلـي لا أسـوّغ نفعه　　فأفضـل منـه أن أرى غير فاضلِ
ومـن أضيع الأشياء مهجـة عاقلٍ　　يجـوز على حوبائهـا حكم جاهلِ[4]

* * *

الغزل والنسيب

[قال] [من الوافر] :

تبسّـم إذ تبسّـم عن أقاح　　وأسفـر حين أسفـر عن صباحِ
وأتحفنـي براحٍ من رضابٍ　　وراحٍ من جنـى خدٍّ وراحِ[5]

---

(١) المجن : الترس الواقي والدرع الحصين .
(٢) المضاضة : الألم وشدّته .
(٣) قرع المغتاب من ندمٍ سناً : أي عضّ على أسنانه بقوّة حتى تكسّر بعضها من الغيظ والحنق .
(٤) الحوباء : الروح والنفس .
(٥) الراح : الخمر ، والراح الأخيرة : باطن الكفّ الذي لا ينبت فيه الشعر .

فمـن لألاء غرّتـه صباحي ... ومـن صهبـاء ريقتـه اصطباحي[1]

وقال [من البسيط] :

سكرت من لحظـه لا من مدامته ... ومـال بالنّـوم عن عينـي تمايلهُ
فمـا السـلاف دهتنـي ، بل سوالفه ... ولا الشمـول ازدهتنـي ، بل شمائلهُ
ألـوى بعزمـي أصـداغٌ لوين له ... وغـال صبـريَ ما تحـوي غلائله[2]

وقال [من الكامل] :

من أين الرشـأ الغـرير الأحور ... في الخـدّ مثـل عذاره المتحـدِّرِ[3]
قمـرٌ كأنّ بعـارضيه كليهما ... مسـكاً تساقـط فوق وردٍ أحمرِ

وقال [من مخلع البسيط] :

قـد كان بدر السمـاء حسناً ... والنّـاس فـي حبّـه سواءُ
فـزاده ربّـه عـذاراً ... تـمّ به الحسـن والبهـاءُ
لا تعجبـوا ربّنـا قديرٌ ... يزيد فـي الخلـق ما يشاءُ

وقال [من الطويل] :

وظبـيٍ غريرٍ في فؤادي كناسه ... إذا اكتنسـت عين الفـلاة وحورها[4]
فمـن خلقـه أجيادهـا وعيونهـا ... ومـن خلقـه عصيانـهـا ونفورها

---

(١) غرته : طلعته البيضاء ، والصهباء : الخمر والاصطباح : شرب الخمر صباحاً .
(٢) غال صبري : قتله .
(٣) الرشأ : الغزال ، والغرير : الشاب الحسن ، والأحور : من الحور وهو شدّة سواد العين وشدّة بياضها .
(٤) الكناس : بيت الظبي ومأواه .

وقال [من البسيط] :

وشادنٍ قال لي لمّا رأى سقمي   وضعف جسمي والدمع الذي انسجما[1]
أخذت دمعك من خدّي، وجسمك من   خصري، وسقمك من طرفي الذي سقما

وقال [من الطويل] :

أساء فزادته الإساءة حظوةً   حبيبٌ على ما كان منه حبيب
يعدّ عليَّ الواشيان ذنوبه   ومن أين للوجه الجميل ذنوب ؟

وقال [من الرمل] :

أيُّها الغازي الذي يغـ   ـزو بجيش الحبّ جسمي
ما يقوم الأجر في غز   وك للروم بإثمي

وقال [من الكامل] :

وإذا يئِستُ من الدنوِّ رغبت في   فرط البعاد
أرجو الشهادة في هوا   ك لأنَّ روحي في جهاد

وقال [من الكامل] :

وكنى الرّسول عن الجواب تظرُّفاً   ولئن كنى فلقد علمنا ما عنى[2]
قل يا رسول ولا تحاشِ فإنّهُ   لا بدّ منه أساء بي أمْ أحسنا
الذنب لي فيما جناه لأنّني   مكّنته من مهجتي فتمكّنا

وقال [من الوافر] :

عدتني عن زيارته عوادٍ   أقلُّ مخوفها سمر الرماحِ[3]

---

(١) الشادن : الغزال ، وانسجام الدمع : هطوله وذرفه .
(٢) كنى : من الكناية ، أي أجاب عن السؤال بطريق خفي ، وعناه : قصده .
(٣) عدتني : منعتني ، والعوادي : الموانع .

ولــو أنّــي أطعــت رسيس شوقي ركبــت إليه أعنــاق الرياحِ[1]

وقال [من الخفيف] :

يا عسوفــاً بالمســتهـام الشفيق وعنيفـاً علـى الــرفيق الرفيق[2]
أسـرق الدمـع من نديمـي بكأسٍ فأحلّـي عقيانهــا بالعقيـق

وقال [من مخلع البسيط] :

لــطيرتـي بالصــداع نالــتْ فـوق منــال الصــداع منّـي
وجــدت فيه اتفــاق سوءٍ صدّعنـي مثـل صدّ عني

وقال [من البسيط] :

يا ليلــةً لســت أنســى طيبهــا أبداً كأنّ كلّ سرورٍ حاضــرٌ فيها
باتــت وبــتُّ وبــات الــزِّقُّ ثالثنا حتــى الصبــاح تسقِّينــي وأسقيها
كأنّ سودَ عنــاقيدٍ بلمّتها أهـدت سلافتهـا خمــراً إلــى فيها[3]

وقال [من الوافر] :

مسـيءٌ محســنٌ طوراً وطوراً فمــا أدري عدوّي أمْ حبيبي
وبعض الظــالمين وإنْ تناهى شهــيٌّ الـظلم مغتفــر الذّنـوب

وقال [من الخفيف] :

قمـرٌ دون حسنــه الأقمار وكثيبٌ مـن النقــا مستعارُ[4]
وغــزالٌ فيه نفــارٌ ، ومــا ينـ ـكر من شيمــة الظّبــاء النِّفارُ

---

(١) رسيس شوقي : رقته ولينه .
(٢) العسوف : الجائر الظالم .
(٣) اللمّة : شعر الرأس ، والسلاف : من صفات الخمر .
(٤) الكثيب : التلّ من الرمل ، والنقا : القطعة من الرّمل المحدودبة .

لا أعـاصيه في اجتـراح المعاصي في هوى مثلـه تطيب النّار
قـد حذرت المـلاح دهـراً ولكنْ ساقنـي نحـو حبّـه المقدار
كم أردت السلـو فاستعطفتني رقيـةٌ مـن رقـاك يا عيّار

وقال [من الهزج] :

مـن السلـوان فـي عينيـ ـك آيـاتٌ وآثـارُ
أراهـا منـك بالقلب وفـي الأضـلاع أبصـار
إذا مـا بـرد القلـ ـب فمـا تسـخنـه النّار

وقال [من المجتث] :

يا معشـرُ النـاس هل لي ممّـا لقيـت مجيـرُ
أصـاب غرّة قلبـي ذاك الغـزال الغريـرُ(١)
فعمـر ليلـي طويـلٌ وعمـر يومـي قصيـر

وقال [من الرمل] :

أجملـي يا أمَّ عمروٍ زادك الله جمـالا(٢)
لا تبيعنـي برخـصٍ إنّ فـي مثلـي يُغالـى
[أنـا إن جدت بوصلٍ أحسـن العـالـم حـالا]

* * *

الأوصـاف والتشبيهـات

قال في وصف الجسر [من الرجز] :

كأنّمـا المـاء عليه الجسر درْج بياضٍ خطّ فيه سطر

---

(١) غرّة قلبي : مفطمه ، والغرير : الجميل الناعم .
(٢) أجملي : ترفّقي وتصبّري .

كأنّنا لمّا تهيّا العبر أسرّة موسى حين شقّ البحر

وجلس يوماً في البستان البديع والماء يتدرج في البرك ، فقال في وصفه ، وكل واصف فإنما يشبه الموصوف بما هو من جنس صناعته ، أو بما يكثر رؤيته له [من الكامل] :

أنظر إلى زهر الربيع والماء في برك البديعِ
وإذا الرياح جرت عليه في الذهاب وفي الرجوعِ
نثرت على بيض الصفا ئح بيننا حلق الدروع

وقال في وصف النار والفحم [من الكامل] :

لله بردٌ ما أشد ومنظرٌ ما كان أعجبْ
جاء الغلام بناره هوجاء في فحمٍ تلهَّبْ
فكأنّما جمع الحليّ فمحرقٌ منه ومذهب
وكأنّها لما خبت ما بيننا ندٌّ معشّب(١)

وقال [من الطويل] :

مددنا علينا الليل والليل راضعٌ إلى أن تردّى رأسه بمشيبِ
بحالٍ تردّ الحاسدين بغيظهمْ وتطرف عنّا عين كلٍّ رقيبِ
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنّهُ مبادي نصولٍ في عذار خضيب

وقال [من الرجز] :

وجلّنارٍ مشرفٍ على أعالي شجرَهْ
كأنّ في رءوسه أحمرَهُ وأصفرَهْ

---

(١) خبت النار : ضعف وهجها ، والندّ : نوع من الطيب .

قـراضـةُ من ذهـبٍ فـي خـرقٍ معصفـرهْ[1]

وقال في جارية مسبية [من الكامل] :

وخـريدةٍ كرمـت علـى آبائها زمنـاً ، وعنـد سبائهـا لم تكرم[2]
خطبت بحـدّ السيف حتّـى زوِّجت كرهـاً ، وكان صداقهـا للمقسم
راحـت وصاحبهـا لعـرسٍ حاضرٌ برضـا الإلـه وأهلهـا في مأتم

ينظر معنى البيت الأول [والثالث] إلى قول المتنبي [من الطويل] :

تبـكي عليهـن البطـاريق في الدّجى وهـنّ لدينـا ملقيات كواسدُ
بذا قضـت الأيام ما بين أهلها مصائـبُ قومٍ عنـد قوم فوائد

ولأبي فراس في طعنة أصابت خده [من الكامل] :

لمـا رأت أثـر السنـان بخدّه ظلّـت تقلّبـه بوجـهٍ عابسِ
خلف السّنـان به مواقـع لثمها بئس الخلافـة للمحـبٍّ البائس
حسـن الثنـاء بقبـح ما صنـع القنا يوم الطعـان بصحـن خدٍّ الفارس

* * *

الحكمة والموعظة

قال [من الهزج] :

غنـى النفس لمـن يعقـ ـل خيرٌ من غنـى المالِ
وفضـل النـاس في الأنفـ ـس، ليس الفضـل في الحالِ

(١) القراضة : النثار ، ومعصفرة : مصبوغة بالعصفر ، وهو نبات أصفر يصبغ به .
(٢) الخريدة : الفتاة البكر .

وقال [من الكامل] :

المــرء نصــب مصائــب لا تنقضي ... حتــى يوارى جسمــه في رمسه[1]
فمؤجّــلٌ يلقــى الــرّدى في أهله ... ومعجّــلٌ يلقــى الــردى في نفسه

قال [من الكامل] :

أنفِــقْ من الصبــر الجميل فإنّه ... لم يخش فقــراً منفــقٌ من صبره
والمــرء ليس ببالــغٍ في أرضه ... كالصقــر ليس بصائــدٍ في وكرهِ

وقال [من الكامل] :

خفِّض عليك ولا تكن قلــق الحشا ... ممّــا يكون وعلّــه وعساهُ[2]
والدّهــر أقصــر مدّةً ممــا ترى ... وعســاك أن تكفــي الــذي تخشاهُ

وقال [من الهزج] :

عــرفت الشــرّ لا للشــ ... ــرّ لكــن لتوقيــه
فمــن لا يعــرف الشرّ ... مــن النــاس يقــعْ فيه

وقال [من الطويل] :

لعمــرك ما الأبصــار تنفــع أهلها ... إذا لم يكن للمبصــرين بصائرُ
وهــل ينفــع الخطّــيّ غير مثقّفٍ ... وتظهــر ، إلاّ بالصّقــال ، الجواهرُ[3]
وكيف ينــال المجــد والجســم وادعٌ ... وكيف يحــاز الحمــد والوفــر وافر

وقال [من الطويل] :

إذا لم يعنــك الله فيمــا تريده ... فليس لمخلــوقٍ إليك سبيل

---

(١) نصب : أمام وهدف ، والرمس : القبر .
(٢) خفّض عليك : أي هوّن ولا تستصعب ، والحشا : ما انضمّت عليه الضلوع .
(٣) الخطيّ : الرمح ، ومثقّف : مصقول .

وإن هو لم يرشـــدك في كلٍّ مسلكٍ ضللـت ، ولــو أنَّ السِّمــاك دليلُ[1]

وقال [من الخفيف] :

لســـت بالمســـتضيم من هو دوني اعتـــداءً ، ولســـت بالمستضامِ
ربّ أمــرٍ عففـــت عنــه اختياراً حذراً من أصابــع الأيتامِ
أبــذل الحــقَّ للخصــوم إذا ما عجــزت عنــه قدرة الحكامِ

* * *

الروميات من غرر أبي فراس

لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب ، وأصابته عين الكمال ، أسرته الروم في بعض وقائعها وهو جريح ، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ، وحصل مثخناً بخرشنة ، ثم بقسطنطينية ، وتطاولت مدته بها لتعذر المفاداة ، وقد قيل : على كل نجح رقيب من الآفات ، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمـرض واستـزادة سيف الدولة ، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه ، والتبرم بحاله ومكانه ، عن صدر حرج ، وقلب شجٍ ، تزداد رقة ولطافة ، وتبكي سامعها ، وتعلق بالحفـظ لسلاستها ، فمنها قوله [من الكامل] :

مــا للعبيد مـن الذي يقضـــي به الله امتنـاعُ
ذدت الأســود عن الفرا ئس ثم تفرسنـــي الضباعُ !

وقوله [من السريع] :

قــد عذّب المــوت بأفواهنا والمــوت خيرٌ من مقــام الذّليلْ
إنّــا إلــى الله لمــا نابنا وفــي سبيل الله خير السبيل

(١) السّماك : نجمٌ يهتدى به .

ولما شقت فخذه عن نصل السهم الذي أصابه قال [من الطويل] :

فلا تصفن الحرب عندي ، فإنّها طعاميَ مذْ بعت الصبا وشرابي
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقّق عن زرق النصول إهابي[1]
ولججت في حلو الزمان ومرّه وأنفقت من عمري بغير حساب

وقال بخرشنة [من الكامل] :

إن زرت خرشنةً أسيراً فلقد حللت بها مغيرا
ولقد رأيت النار تنتهب المنازل والقصورا
ولقد رأيت السبيَ يجلب نحونا حوّاً وحورا[2]
من كان مثلي لم يبت إلاّ أميراً أو أسيرا
ليست تحلّ سراتنا إلاّ الصدور أو القبورا

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الطويل] :

دعوتك للجفن القريح المسهّد لديّ ، وللنوم القليل المشرّدِ
وما ذاك بخلاً بالحياة وإنّها لأوّل مبذولٍ لأوّل مجتدِ[3]
ولا زال عنّي أنّ شخصاً معرّضاً لنبل العدا إن لم يصب فكأن قدِ
ولكنّني أختار موت بني أبي على سروات الخيل غير موسّد
وآبى وتأبى أن أموت موسّداً بأيدي النصارى موت أكمد أكبد[4]
نضوت على الأيام ثوب جلادتي ولكنني لم أنض ثوب التجلّد[5]

---

(١) شقّق : تفتح وأنبت ، وزرق النصول : كناية عن أدوات الحرب من سيف وغيره ، والإهاب : الجلد .

(٢) الحوّ : البيض من النساء ، والحور : النساء اللاتي في عيونهنّ حور ، وهو شدّة سواد العين وشدّة بياضها .

(٣) المجتدي : السائل والطالب .

(٤) أكبد : أي مقروح الكبد من الحزن والغم .

(٥) نضوت : خلعت ، والجلادة : الصبر والتحمل والقوّة .

فمن حسن صبرٍ بالسلامة واعدٍ ... ومن ريب دهرٍ بالردى متوعدي
فمثلك من يدعى لكلّ عظيمةٍ ... ومثليَ من يفدي بكل مسوّد[1]
تشبّثْ بها أكرومةً قبل فوتها ... وقمْ في خلاصي صادق العزم واقعد
فإن تفتدوني تفتدوا شرف العلا ... وأسرع عوّادٍ إليكم معوّد
يدافع عن أعراضكم بلسانه ... ويضرب عنكم بالحسام المهنّد
متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى ... طويل نجاد السيف رحب المقلّد[2]
ولا وأبي ما ساعدان كساعدٍ ... ولا وأبي ما سيّدان كسيّد
وإنّك للمولى الذي بك أقتدي ... وإنّك للنجمُ الذي بك أهتدي
وأنت الذي عرّفتني طرق العلا ... وأنت الذي أهديتني كلَّ مقصد
وأنت الذي بلّغتني كلَّ غايةٍ ... مشيت إليها فوق أعناق حسَّدي
فيا ملبسي النعمى التي جلّ قدرها ... لقد أخلقت تلك الثياب فجدِّدِ[3]
ألم تر أنّي فيك صافحت حدّها ... وفيك شربت الموت غير مصرّد[4]
وفيك لقيت الألف زرقاً عيونها ... بسبعين فيها كلّ أشأم أنكد
يقولون جنِّبْ عادةً ما عرفتها ... شديدٌ على الإنسان ما لم يعوّدِ[5]
فقلت أما والله ما قال قائلٌ ... شهدت له في الخيل ألأم مشهد
ولكن سألقاها فإمّا منيّةٌ ... هي الظنُّ أو بنيان عزٍّ مؤيّد
ولم أدر أنّ الدهر من عدد العدا ... وأنّ المنايا السود يرمين عن يد

---

(١) كلّ عظيمة : كلّ أمرٍ عظيم ، والمسوّد : أي سيّد .
(٢) نجاد السيف : حمائله وعلائقه ، والمقلّد : موضع حمائل السيف .
(٣) أخلقت : بليت .
(٤) مصرّد : من التصريد ، وهو تقليل العطاء ، والشرب دون الإرتواء .
(٥) جنّب : أي ابتعد وتجنّب الشيء ، تلافاه .

وكتب إلى والدته وقد ثقل من الجراح التي به [من الطويل] :

مصابـي جليلٌ والعـزاء جميـل ... وظنّـي بأنّ الله سوف يديلُ[1]
جراحٌ تحاماهـا الأسـاة مخافةً ... وسقمـان بادٍ منهمـا ودخيل
وأسـرٌ أقـاسيه وليلٌ نجومه ... أرى كلّ شيءٍ غيرهـنّ يزول
تطـول بيَ الساعـات وهـي قصيرةٌ ... وفـي كلّ دهـرٍ لا يسـرّك طول
تناسانـيَ الأصحـاب إلاّ عصابةً ... ستلحـق بالأخـرى غداً وتحول
وإنّ الـذي يبقـى علـى العهـد منهم ... وإن كثـرت دعواهـم لقليلُ
أقلّـب طرفـي لا أرى غير صاحبٍ ... يميل مع النعمـاء حيث تميل
وصرنـا نرى أنّ المتارك محسنٌ ... وأنّ خليلاً لا يضـرٌّ وصول

كأنه مأخوذ من قول المتنبي [من البسيط] :

إنّـا لفـي زمـنٍ تَرْكُ القبيح به ... من أكثـر النـاس إنعـامٌ وإفضالُ

(رجع) :

تصفّحـت أحـوال الزمـان فلـم يكن ... إلـى غير شاكٍ للزّمـان وصولُ
أكلّ خليلٍ أنـكدُ غير منصفٍ ... وكلّ زمـانٍ بالـكرام بخيلُ
نعـم دعـت الـدنيا إلى الغـدر دعوةً ... أجـاب إليهـا عالـمٌ وجهول
وفـارق عمـرو بن الـزبير شقيقه ... وخلـى أمير المـؤمنين عقيلُ
فيا حسرتـي من لي بخـلٍّ موافقٍ ... أقـول بشجـوي مرّةً ويقول
وإنّ وراء الستـر أمّـاً بكاؤها ... علـيّ ، وإن طال الزمـان ، طويلُ
فيا أمّتـا لا تعدمـي الصبـر ، إنّه ... إلى الخير والنجح القريب رسول[2]
فيا أمّتـا لا تحبطـي الأجـر ، إنّه ... علـى قدر الصبّـر الجميل جزيل

---

(١) يديل : ينتقم لي بأن يجعل له الدولة عليهم .

(٢) أمّتا : أي يا أمي ، وهذا الاستعمال خاص بالنداء .

تأسَّيْ كفاك الله ما تجدينه ... فقد غال هذا الناس قبلك غول
لقيت نجوم الأفق وهي صوارمٌ ... وخضت سواد الليل وهو خيول
ولم أرع للنفس الكريمة خلّةً ... عشيّة لم يعطفْ عليَّ خليل
ولكن لقيت الموت حتّى تركته ... وفيه وفي حدّ الحسام فلول[1]
ومن لم يوقِّ الله فهو ممزّقٌ ... ومن لم يعزِّ الله فهو ذليل
ومن لم يرده الله في الأمر كلّه ... فليس لمخلوقٍ إليه سبيل

وكتب إلى سيف الدولة [من الكامل] :

هل تعطفان على العليل ... لا بالأسير ولا القتيلِ
باتت تقلّبه الأكـ ... ـفُ سحابة الليل الطويلِ
فقد الضيوف مكانه ... وبكاهُ أبناء السّبيل
وتعطّلت سمر الرما ... ح وأغمدت بيض النصول
يا فارج الكرب العظيـ ... ـم وكاشف الخطب الجليل
كن يا قويّ لذا الضعيـ ... ـف ويا عزيز لذا الذّليل
قرّبه من سيف الهدى ... في ظلٍّ دولته الظّليل
لم أروِ منه ولا شفيـ ... ـت بطول خدمته غليلي
ولئن حننت إلى ذرا ... ه لقد حننت إلى وصول
لا بالقطوب ولا الغضو ... ب ولا الكذوب ولا الملول
يا عدّتي في النائبا ... ت وظلّتي عند المقيل[2]
أين المحبَّة والذّما ... م وما وعدت من الجميل ؟
احمل على النفس الكريـ ... ـمة فيَّ والقلب الحمول

---

(١) الفلول : الشطوب ، والتكسّر في حدّ الدسيف .
(٢) ظلّتي : أي ما يظلّني من حرّ الشمس كالفيء وغيره والقيلولة : الراحة وقت اشتداد الحرّ .

وكتب إلى والدته [من الكامل] :

لـولا العجـوز بمنبـجٍ ما خفـت أسـباب المنيّـه
ولـكان لي عمّـا سألـــت من الفـدى نفسٌ أبيه
لـكنْ أردت مـرادهـا ولـو انجذبـت إلـى الدنيّه
أمسـت بمنبـجَ حـرّةٌ بالحـزن من بعـدي حريّه(١)
فيهـا التقـى والـدين مجـــموعـان في نفسٍ زكيّه
لا زال يطـرق منبجاً في كلِّ غاديةٍ تحيّه
يا أمّتـا لا تحزنـي وثقـي بفضـل الله فيّه
يا أمّتـا لا تيأسـي لله ألـطـافٌ خفيّـه
أوصيك بالصـبر الجميـــل فإنّـه خيـر الوصيّه

وكتب إلى غلامين له [من الخفيف] :

هل تحسّـان لي رفيقـاً رفيقا يحفـظ الـودّ أو صديقـاً صدوقا
لا رعـى الله يا خليلـيَّ دهراً فرّقتنـا صروفـه تفريقـا
كنـت مولاكمـا ومـا كنـت إلاّ والـداً محسنـاً وعمّـاً شفيقا
فاذكرانـي وكيف لا تذكراني كلمـا استخـون الصـديق صديقـا
بتُّ أبكيكمـا وإنَّ عجيباً أن يبيت الأسير يبـكي الطليقا

وكتب إلى غلامه منصور [من الخفيف] :

مغـرمٌ مؤلـمٌ جريحٌ أسيرٌ إنّ قلبـاً يطيق ذا لصبورُ
وكثيرٌ من الرجـال حديدٌ وكثيرٌ من القلـوب صخور
قـل لمـن حل بالشـآم طليقاً : بأبـي قلبـك الـطليق الأسير

---

(١) حريّه : جديره .

أنــا أصبحــت لا أطيق حراكاً كيف أصبحــت أنــت يا منصور

وكتب إليه [من السريع] :

ارثِ لصــبٍّ بك قد زدته على بلايا أسره أسرا
قـد عدم الــدنيا ولذّاتها لكنّــه ما عدم الصبرا
فهــو أسير الجســم في بلدةٍ وهــو أسير القلــب في أخرى

وكتب إليه أيضاً [من السريع] :

يا ليل ما أغفــل عمّــا بي حبائبــي فيـك وأحبابي
يا ليل نام النــاس عن موجعٍ ناءٍ علـى مضجعــه نابي(1)
هبّــت له ريحٌ شآميةٌ متّــت إلــى القلــب بأسباب(2)
أدّت رســالات حبيبٍ بها فهمتهــا من بيـن أصحابي

بلغنـي أن الصاحـب كان يستظـرف هذين البيتين ويستملحهمــا ويكثــر الإعجاب بهما .

وكتب إليهما [من المتقارب] :

لأيّــكــم أذكــر وفـي أيّكــم أفكــرُ
وكم لي علــى بلدتي بكـــاءٌ ومستعبــر
ففــي حلــبٍ عدّتي وعـزّيَ والمفــخــر
وفــي منبــج من رضا ه أنفـسُ ما أذخـر(3)
ومـن حبّهــا زلفـةً بهــا يكـرم المحشــر
وأصــبيـةٍ كــالفــرا خ أكبــرهــم أصغــر

(1) ناءٍ : بعيد ، ونابي : لم يطمئن في نومه على الفراش .
(2) متّت : وصلت ، والأسباب : الحبال والعلائق .
(3) أنفس : أغلى وأثمن ، وأذخر : أي أدّخر وأبقي .

يخيّل لي أمرهم كأنّهم حضّر[1]
وقوم ألفناهم وغصن الصّبا أخضر
فحزنيَ ما ينقضي ودمعي ما يفتر[2]
أيا غفلتا كيف لا أرجى كما أحذرُ
وماذا القنوط الذي أراه وأستشعر
بلى ، إنّ لي سيّداً مواهبه أكثر
بذنبيَ أوردتني ومن فضلك المصدر[3]

وقال وقد حضره العيد [من السريع] :

يا عيد ما عدت بمحبوب على معنّى القلب مكروبِ[4]
يا عيد قد عدت إلى ناظرٍ عن كلّ حسنٍ فيك محجوب
يا وحشة الدار التي ربّها أصبح في أثواب مربوب[5]
قد طلع العيد على أهلها بوجه لا حسْنٍ ولا طيبِ
ما لي وللدّهر وأحداثه لقد رماني بالأعاجيبِ

وقال وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية [من الطويل] :

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ أيا جارتي هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة الهوى ولا خطرت منك الهموم ببالِ
أتحمل محزون الفؤاد قوادمٌ على غصنٍ نائي المسافة عالي

---

(١) حُضّر : من الاحتضار ، وهو النزاع عند الموت ، يريد أنّهم لفراقه يحتضرون من الألم .
(٢) يفتر : يضعف .
(٣) الورد : مكان ورود الماء للإستسقاء ، والمصدر : الرجوع عن الماء بعد الوِرد منه .
(٤) معنّى القلب : متألّمه ومتعبه ، والمكروب : المحزون .
(٥) ربُّ الدار : صاحبها ، والمربوب : المستعبد .

أيا جارتــا ما أنصف الدهــر بيننا تعالــي أقاسمــك الهمــوم تعالي[1]
تعالــي تري روحــاً لديّ ضعيفةً تردّد في جســمٍ يعــذب بالي
أيضحــك مأســورٌ وتبــكي طليقةٌ ويســكتُ محـزونٌ وينــدب سالي[2]
لقـد كنـت أولـى منـك بالدمــع مقلةً ولــكنّ دمعــي في الحــوادث غالي

وكتب إلى سيف الدولة [من الطويل] :

أمــا لجميلٍ عنــدكنّ ثوابُ ولا لمســيءٍ عنــدكنّ متابُ
إذا الخــلُّ لم يهجــرك إلاّ ملالةً فليس له ، إلاّ الفــراق ، عتاب
إذا لم أجــد من خلّــةٍ ما أريده فعنــدي لأخــرى عزمــةٌ وركاب
وليس فراقٌ ما استطعــت فإن يكنْ فراقٌ علــى حالٍ فليس إياب

أخذه من قول القائل وهو أوس بن حجر[من الطويل] :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكدْ إليه بوجــهٍ آخــر الــدهــر تقبل

(رجع) :

صبــور ولــو لم يبــق منّــي بقيةٌ قؤولٌ ولــو أنّ السيوف جوابُ
وقــورٌ وأحــداث الزمــان تنوشني وللمــوت حولــي جيئــةٌ وذهاب
بمــن يثــق الإنســان فيمــا ينوبه ومــن أين للحــرّ الــكريم صحاب
وقــد صار هذا النــاس إلاّ أقلّهمْ ذئــابٌ علــى أجســادهــن ثياب
تغــابيت عن قومٍ فظنّــوا غباوةً بمفــرق أغبانــا حصــىً وتراب !

---

(١) كسر اللام من « تعالي » عند إسنادها إلى ياء المخاطبة وضمّها عند إسنادها لواو الجماعة لغة حجازية قليلة ، والأكثر بقاء اللام مفتوحة في كلٍّ أحوالها .
(٢) السالي : من السلوان وهو الذي سلى الشيء : أي نسيه .
(٣) الخلّة : المصادقة . وعزمة وركاب : أي عزيمة إلى قصد غيرها .
(٤) تنوشني : تصيبني وتترك فيَّ آثارها .

ولـو عرفونـي بعض معرفتـي بهمْ إذاً علمـوا أنّـي شهـدت وغابوا
إلـى الله أشـكو أنّنـا بمنازلٍ تحـكّم في آسادهـنّ كـلاب
تمـرُّ الليالـي ليس للنفـع موضعٌ لديَّ ولا للمعتفين جناب
ولا شدَّ لي سرجٌ علـى متـن سابحٍ ولا ضربـت لي بالعـراء قباب[1]
ولا برقـت لي في اللقـاء قواطعٌ ولا لمعـت لي في الحـروب حراب
ستـذكر أيامـي نميرٌ وعامرٌ وكعـبٌ ، علـى علاّتهـا ، وكلاب
أنـا الجـار لا زادي بطـيءٌ عليهمُ ولا دون ما لي في الحـوادث باب
ولا أطلـب العـوراء منهـا أصيبها ولا عورتـي للطـالبيـن تصاب
بني عمّنا ، ما يفعل السيف في الوغى إذا قلَّ منـه مضـرب وذباب
بني عمّنـا ، نحـن السواعـد والظُّبا ويوشـك يومـاً أن يكون ضراب
ومـا أدّعـي ما يعلـم الله غيره رحـابُ علـيٍّ للعفـاة رحـاب
وأفعالـه للـراغبيـن كريمةٌ وأموالـه للطـالبيـن نهاب
ولـكن بنـا منـه بكفّـيَ صارمٌ وأظلـم في عينـيَّ منـه شهاب[2]

ألم فيه بقول البحتري [من الطويل] :

سحـابٌ عدانـي جوده وهـو ريِّقٌ وبحـرٌ خطانـي فيضـه وهـو مفعم
وبـدرٌ أضـاء الأرض شرقـاً ومغرباً وموضـع رحلـي منـه أسـود مظلمُ

(رجع) :

وأبطـأ عنّـي والمنـايا سريعةٌ وللمـوت ظفـرٌ قد أطـلَّ وناب
فإن لم يكن ودٌّ قريبٌ تعدّه ولا نسـبٌ بين الرجـال قراب
فأحـوط للإسـلام أن لا يضيعني ولـي عنـه فيه حوطـةٌ ومناب[3]

---

(١) السابح : الحصان .
(٢) نبا : لم يستقر ، والصارم : السيف القاطع .
(٣) فأحوط : من الحيطة وهي الحذر من مقارفة الذنب .

ولكنّنـي راضٍ علـى كلِّ حالةٍ　　لنعلـم أيّ الخلتين سرابُ
ومـا زلـت أرضـى بالقليل محبَّةً　　لديه ، ومـا دون الـكثير حجاب
وأطلـب إبقـاءً علـى الـودّ أرضه　　وذكرى منـىً في غيرهـا وطلاب
كذاك الـوداد المحض لا يرتجـى له　　ثوابٌ ، ولا يخشـى عليه عقاب[1]

ومثله للمتنبي [من الطويل] :

ومـا أنـا بالباغـي على الحـبّ رشوةً　　ضعيف هوىً يبغـى عليه ثواب

(رجع) :

وقد كنت أخشى الهجر والشّمل جامعٌ　　وفـي كلِّ يومٍ لُقيةٌ وخطاب
فكيف وفيمـا بيننـا ملك قيصرٍ　　وللبحـر حولـي زخـرةٌ وعباب ؟
أمـن بعـد بذل النفس فيمـا تريده　　أثـاب بمـرِّ العتْـبِ حين أثاب
فليتـك تحلـو والحيـاة مريرةٌ　　وليتـك ترضـى والأنـام غضاب
وليت الـذي بينـي وبينـك عامرٌ　　وبينـي وبين العـالمين خرابُ
إذا صحّ منـك الـودُّ فالـكلُّ هيّنٌ　　وكلُّ الـذي فوق التـراب تراب

وكتب إليه [من الكامل] :

بالـكره منّـي واختيارك　　أن لا أكون حليف داركْ
يا تاركي إنّـي لشكـ　　ـرك ما حييت لغير تارك
كنْ كيف شئـت فإنّني　　ذاك المـواسي والمشـارك

وكتب إليه [من الطويل] :

أبـى غِربُ هذا الدّمـع إلاّ تسرّعا　　ومكنـون هذا الحـبّ إلا تضوّعا[2]

---

(١) المحض : الخالص الذي لا تشوبه شائبة نفعيّة وغيرها .
(٢) الغرب : وهو هنا بمعنى عرقٌ في العين ينزف الدمع فلا ينقطع ، أو مسيل الدمع وانهلاله .

وكنـــت أرى أنّــي مع الصّبـــر واجدٌ إذا شئت لي ممضى وإن شئت مرجعا[1]
فلمــا استمــرّ الحــبُّ في غلوائهِ رعيت مع المضياعـة الغـرّ ما رعى[2]
فحزنـــيَ حزن الهــائمين مبرّحا وســرِّيَ سرُّ العاشــقين مضيّعا
وهبــت شبابــي والشبــاب مضنّةٌ لأبلــج من أبنــاء عمّــيَ أروعا[3]
أبيت معنّــىً من مخافــة عتبه وأصبــح محزونــاً وأمســي مروّعا
فلمــا مضــى عصــر الشبيبــة كلّه وفارقنــي شرخ الشبــاب فودّعا[4]
تطلّبــت بين العتــب والهجــر فرجةً فحاولــت أمــراً لا يرام ممنّعا[5]
وصــرت إذا ما رمــت في الخير لذّةً تتبّعتهــا بيــن الهمــوم تتبّعا
وهــا أنــا قد حلــى الزمــان مفارقي وتوّجنــي بالشيب تاجــاً مرصّعا
فلــو أنّنــي مكّنــت ممّــا أريده من العيش يومــاً لم أجــد فيَّ موضعا
أمــا ليلــةٌ تمضــي ولا بعض ليلةٍ أســرُّ بهــا هذا الفــؤاد المفجّعا
أمــا صاحــبٌ فردٌ يدوم وفاؤه فيصفى لمن يصفى ويرعى لمــن رعى
أفــي كلِّ دارٍ لي صديقٌ أودّه إذا ما تفرّقنــا حفظــت وضيّعا
إذا خفــت من أخوالــيَ الــروم خطّةً تخوّفــت من أعمامــي العــرب أربعا
وإن أوجعتنــي من أعــاديَ شيمةٌ لقيت من الأحبــاب أدهــى وأوجعا
ولــو قد رجــوت الله لا شيء غيره رجعــت إلــى آلــي وأملّــت أوسعا
لقـد قنعــوا بعـدي من القطــر بالنّدى ومــن لم يجــد إلاّ القنــوع تقنّعا[6]
ومــا مرَّ إنســانٌ فأخلف مثله ولـكن يرجّــى النــاس أمــراً مرقّعا[7]

(١) ممضى : مصدر ميمي بمعنى المضيّ .
(٢) الغلواء : حدّة الشباب ونشاطته وميعته .
(٣) مضنّة : يقال للشيء النفيس الذي تضنُّ به النفوس : إنّه علق مضنّة .
(٤) شرخ الشباب : ريعانه وحدّته ونشاطه .
(٥) الفرجة : الفسحة والخلاص .
(٦) القطر : المطر المنهلّ .
(٧) مرقّعا : موصولاً .

تنكّر سيف الدّين لمّا عتبته ... وعرّض بي تحت الكلام وقرّعا
فقولا له من صادق الودّ : إنّني ... جعلتك ممّا رابني منك مفزعا[1]
ولو أنّني أكننته في جوانحي ... لأورق ما بين الضلوع وفرّعا
فلا تغترر بالناس ، ما كلّ من ترى ... أخوك إذا أوضعت في الأمر أوضعا[2]
فلله إحسانٌ عليٍّ ونعمةٌ ... ولله صنعٌ قد كفاني التصنّعا
أرانيَ طرق المكرمات كما رأى ... عليٌّ ، وأسعى لي علياً كما سعى
فإن يك بطءٌ مرّةً فلطالما ... تعجّل بي نحو الجميل فأسرعا
وإن يجف في بعض الأمور فإنّني ... لأشكره النعمى التي كان أودعا
وإن يستجدّ الناس بعدي فلم يزل ... بذاك البديل المستجدّ ممتّعا

وكتب إليه أبو فراس : مفاداتي إن تعذرت عليك فأذن لي في مكاتبة أهل خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في أمري ، فأجابه سيف الدولة بكلام حسن ، وقال له : ومن يعرفك بخراسان ؟ فكتب إليه أبو فراس [من المتقارب] :

أسيف الهدى وقريع العربْ ... إلامَ الجفاء ؟ وفيم الغضبْ ؟
وما بال كتبك قد أصبحتْ ... تنكبني مع هذي النكب[3]
وأنت الكريم ، وأنت الحليم ... وأنت العطوف ، وأنت الحدب[4]
وما زلت تسعفني بالجميلِ ... وتنزلني بالمكان الخصب
وإنّك للجبلُ المشمخرّ لي ، بل لقومك ، بل للعرب
علاً يستفاد ، وعافٍ يفاد ، ... وعزٌّ يشاد ، ونعمى تربّ[5]
وما غضّ منّيَ هذا الإسار ... ولكن خلصت خلوص الذّهب

---

(١) رابني : أدخل في نفسي الريبة والشك ، والمفزع : الملجأ .
(٢) أوضعت : أسرعت ، وأفسدت .
(٣) تنكّبني : تصيبني وتساعد عليّ ، والنكب : المصائب .
(٤) الحدِب : العطوف الشفوق .
(٥) العافي : الطالب المعروف ، تربّ : تحمد وتحفظ .

ففيم يقـرّعني بالخمو ... ل مولىً به نلت أعلـى الرتب ؟
وكان عتيداً لديّ الجواب ... ولـكنْ لهيبتـه لم أجب
أتنـكر أنـي شكوت الزمان ... وأنّـي عتبتـك فيمـن عتب
فـألاّ رجعت فأعتبتني ... وصيّرت لي ولقومـي الغلب
فـلا تنسبـنّ إلـيّ الخمول ... عليك أقمـت فلـم أغترب
وأصبحـت منـك فإن كان فضلٌ ... وإن كان نقصٌ فأنـت السّبب
وإنّ خراسـان إنْ أنكرت ... علايَ فقـد عرفتهـا حلب
ومـن أين ينكرنـي الأبعدون ... أمن نقص جدٍّ ؟ أمن نقص أب ؟
ألسـت وإيّاك من أسرةٍ ... وبينـي وبينـك عرق النسب ؟
ودادٌ تناسـب فيه الكرام ... وتـربيةٌ ومحـلٌّ أشـب[1]
ونفسٌ تكبَّـرُ إلاّ عليك ... وترغـب إلاّك عمّـن رغب
فـلا تعـدلن فداك ابـن عمّـــك ، لا ، بل غلامك عمّا يجب
وأنصِفْ فتـاك فإنصافه ... من الفضـل والنسـب المكتسب
فكنـت الحبيب ، وكنـت القريب ... ليالـيَ أدعـوك من عن كثب
فلمّـا بعـدت بدت جفوةٌ ... ولاح من الأمـر ما لا أحب
فلـو لم أكن بك ذا خبرةٍ ... لقلـت صديقـك من لم يغب

وكتب إليه أيضاً [من الوافر] :

زمانـي كلّـه غضـبٌ وعتبُ ... وأنـت علـيّ والأيام أَلْبُ[2]
وعيش العين لديك سهـلٌ ... وعيشي وحده بفناك صعب
فكيف وأنـت دافـع كلّ خطبٍ ... مع الخطـب الملـمّ علـيّ خطب

(١) أشب : ملتف ومتماسك .
(٢) ألب : أي مجتمعون عليّ .

فلا تحمل على قلبٍ جريحٍ به لحوادث الأيام ندبُ[1]
أمثلي تقبل الأقوال فيه ومثلك يستمرّ عليه كذبُ
جناني ما علمت ، ولي لسانٌ يقدّ الدرع والإنسان ، عضب[2]
وزندي وهو زندك ليس يكبو وناري وهي نارك ليس تخبو[3]
وفرعي فرعك السّامي المعلّى وأصلي أصلك الزاكي وحسب
وفضلي تعجز الفضلاء عنه لأنّك أصله والمجدّ ترب[4]
فدت نفسي الأمير وكان حظّي وقربي عنده ما دام قربُ
فلمّا حالت الأعداء دوني وأصبح بيننا بحرٌ ودرب[5]
ظللت تبدّل الأقوال بعدي ويبلغني اغتيابك ما يغبّ[6]
فقل ما شئت فيّ فلي لسانٌ مليءٌ بالثّناء عليك رطب
وقابلني بإنصافٍ وظلمٍ تجدني في الجميع كما تحبُّ

وبلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في المفاداة ، وتتضرع إليه ، فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب ، ووافق ذلك عنفا من الدمستق بأبي فراس ومن معه من الأسرى ، وزيادة في إرهاقهم ، فكتب إلى سيف الدولة [من المنسرح] :

يا حسرةً ما أكاد أحملها آخرها مزعجٌ وأولها
عليلةٌ بالشآم مفردةٌ بات بأيدي العدى معلّلها

(١) الندب : الجرح وجمعه ندوب .
(٢) يقدُّ : يقطع ، والعضب صفة ثانية للّسان وهي بمعنى القاطع .
(٣) كبا الزند : أي أنّه لم يخرج ناراً عند القدح ، وتخبو : تضعف وتنطفىء .
(٤) الترب : يقال فلان تِربُ فلان ، أي يساويه في السنّ .
(٥) حالت : منعت ووقفت في طريقي ، والدرب : الطريق الموصل إلى بلاد الروم .
(٦) يغب : يزور الفينة بعد الفينة .

إذا اطمأنـــت ، وأين ؟ أو هدأت   عنـــت لهـــا ذكرةٌ تقلقلها[1]
تســأل عنّــا الركبــان جاهدةً   بأدمـــعٍ ما تكــاد تمهلها
يا من رأى لي بحصــن خرشنةٍ   أســدَ شرىً في القيود أرجلها
يا من رأى في الــدروب شامخةً   دون لقــاء الحبيب أطولهـا
يا أيهــا الراكبــان هل لكما   في حمـل نجــوى يخفُّ محملها
يا أمّتــا هــذه منازلنا   نتــركهـا تـارة وننزلهـا

ومنها :

يا سيّداً ما تعــدُّ مكرمةً   إلاّ وفــي راحتيك أكملها
ليســت تنــال القيود من قدمي   وفــي اتباعــي رضــاك أحملها
لا تتيمَّــمْ والمــاء تدركه   غيرك يرضــى الصغــرى ويقبلها[2]
أنـــت سمـــاءٌ ونحــن أنجمها   أنـــت بلادٌ ونحــن أجبلهـا
أنـــت سحـــابٌ ونحــن وابله   أنـــت يمينٌ ونحــن أشملها
بــأيٍّ عذرٍ رددت والهةً   عليك دون الــورى معولّها[3]
جاءتــك تمتــاح ردّ واحدها   ينتظــر النــاس كيف تقفلها[4]
تلك العقــود التــي عقــدت لنا   كيف وقــد أحكمــت تحلّلها
أرحامنــا منــك ، لمْ تقطّعها ؟   ولــم تزلْ دائبــاً توصّلها
سمحــت منّــي بمهجــةٍ كرمتْ   أنـــت ، علــى يأسهــا ، مؤمّلها
إن كنـــت لم تبــذل الفــداء لها   فلــم أزل في هواك أبذلها
تلك المــودات كيف تهملها   تلك المــواعيد كيف تغفلها

---

(١) عنّت : خطرت في بالها ، والذكرة : الفكرة ، وتقلقِلها : تقضُّهـا وتقلِقُها .
(٢) التيمُّم : هو استعمال التراب للوضوء في حال الجنابة وعدم توفّر الماء .
(٣) الوالهة : العاشقة الحزينة المفجوعة ، ومعولّها : أي الذي يعولها .
(٤) تمتاح : أصل الامتياح ، استخراج الماء من البئر والمراد هنا : تسأل ، وتقفلها : ترجعها وتعيدها .

أين المعالي التي عرفت بها   تقولها دائباً وتفعلها ؟
يا واسع الدار كيف توسعها   ونحن في صخرةٍ نزلزلها
يا ناعم الثوب كيف تبدله   ثيابنا الصوف ما نبدِّلها !
يا راكب الخيل لو بصرت بنا   نحمل أقيادنا وننقلها
رأيت في الضر أوجهاً كرمت   فارق فيك الجمال أجملها
قد أثّر الدهر في محاسنها   تعرفها تارةً وتجهلها
لا يفتح الناس باب مكرمةٍ   صاحبها المستغاث يقفلها
أينبري دونك الكرام لها   وأنت قمقامها وأجملها[1]
وأنت إن عزَّ حادثٌ جللٌ   قُلَّبُها المرتجى وحُوَّلُها[2]
منك تردّى بالفضل أفضلها   منك أفاد النوال أنولها[3]
فإن سألنا سواك عارفةً   فبعد قطع الرجاء نسألها[4]
لم يبق في الناس أمّةٌ عرفتْ   إلاّ وفضل الأمير يشملها
نحن أحقُّ الورى برأفته   فأين عنّا وكيف معدلها
يا منفق المال لا يريد به   إلاّ المعالي التي يؤثّلها[5]
أصبحت تشري مكارماً فضلاً   فداؤنا ما علمت أفضلها
لا يقبل الله قبل فرضك ذا   نافلةً عنده تنفّلها[6]

وكتب إلى أبي المعالي وأبي المكارم ابني سيف الدولة [من الكامل] :

يا سيديّ أراكما   لا تذكران أخاكما

---

(١) القمقام : السيّد الكثير العطاء .

(٢) قلّبها : يقال فلان قُلّب حوّل : إذا كان بصيراً بمسالك الأمور ، خبيراً بحلّ مشكلها ، قادراً على التحيُّل لها .

(٣) تردّى : أي لبس الرداء ، واستعاره هنا للاستمساك بالفضل ، وأنولها : أشدّها نوالاً .

(٤) العارفة : النوال والعطاء .

(٥) يؤثّلها : يقال مجدٌ أثيل : أي أصيل وعظيم .

(٦) النافلة : ما زاد عن الواجب ، وتنفلها : أراد تتنفلها ، فحذف إحدى التاءين .

أوجــدتمــا بــدلاً بــه يبنــي سمــاءَ علاكمــا
أوجــدتمــا بدلاً بــه يفــري نحــور عداكما[1]
مــن ذا يعــاب بمــا لقيــــــت من الــورى إلاّكما
لا تقعــدا بي بعدها وسـلا الأميـر أباكما
وخــذا فدايَ جعلــت من ريب المنــون فداكما !

وقال لما طال أسره يسب الشامتين ويتشوق محله بمنبج [من الكامل] :

قف فــي رســوم المستجا ب ونــاد أكنــاف المصلّى
تلــك المنــازل والمــلا عـب لا أراهــا الله محلا[2]
أوطنتهــا زمــن الصبــا وجعلــت منبــج لي محلاّ
حيث التفــت رأيت ما ءً سائحــاً وسـكنت ظلاّ
والمــاء يفصــل بين زهـــــر الـروض في الشـطين فصلا
كبســاط وشـــيٍ جـرّدت أيدي القيون عليه نصلا[3]
مــن كان سرٌّ بمــا عرا ني فليمــت ضرّاً وهزلا[4]
مــا غضّ مني حادثٌ والقـرم قـرمٌ حيث حلاّ[5]
أنّــى حللــت فإنّمــا يدعــونني السيف المحلى
ولئــن خلصــت فإنّنــي شرق العــدا طفــلاً وكهلا[6]
مــا كنــت إلاّ السيف زا د على صروف الدهـر صقلا[7]

---

(١) يفري : يقطع .
(٢) المحل : الجدب ، وهنا دعاء للمنازل بأن تبقى مخصبة ناعمة .
(٣) القيون : جمع قين ، وهو الحداد ، الذي يصنع السيوف .
(٤) عراني : أصابني .
(٥) غضٌ : نقص وقلّل من منزلتي ، والقرم : السيّد .
(٦) شرق العدا : غصتهم .
(٧) الصقل : المضاء ، وصقل السيف : جلاه .

ولئن قتلت فإنّما … موت الكرام الصيد قتلى[1]
يغترّ بالدنيا الجهو … ل وليس بالدنيا مملّى[2]

وقال من قصيدة [من الطويل] :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر … أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ
بلى أنا مشتاق وعندي لوعةٌ … ولكنّ مثلي لا يذاع له سرُّ
إذا الليل أضوى بي بسطت يد الرّجا … وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحي … إذا هي أذكتها الصبابة والفكر[3]

ومنها :

وإنّي لجرارٌ لكلِّ كتيبةٍ … معوّدةٍ أن لا يخلّ بها النصر
وأصدأ حتى ترتوي البيض والقنا … وأسغبُ حتى يشبع الذئب والنسر[4]

ومنها :

أسرت وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى … ولا فرسي مهر ولا ربّه غمرُ[5]
ولكن إذا حمّ القضاء على امرئٍ … فليس له برٌّ يقيه ولا بحرُ
وقال أصيحابي : الفرار أو الرّدى … فقلت : هما أمران أحلاهما مرُّ
ولكنّني أمضي لما لا يعيبني … وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
ولا خير في دفع الرّدى بمذلةٍ … كما ردّها يوماً بسوأته [redacted][6]

---

(١) الصيد : بكسر الصاد : وهو الذي يميل رأسه كبراً .
(٢) مملّى : يقال تملّى فلان من عمره : أي أطال الله عمره ومدّ بحياته .
(٣) أذكتها : أذكى النار ، أوقدها وزادها وقوداً .
(٤) أصدأ : أظمأ ، وأسغب : أجوع .
(٥) بعزل : بجبناء ، والغمر : القليل التجربة ، الجاهل .
(٦) يقال : إنّ عمرو بن العاص ، كان يقاتل عليّ بن أبي طالب فنال منه أبو الحسنين وصرعه ، وأراد أن يجهز عليه فرفع ثوبه وأظهر سوأته ، وكان الإمام عليّ لا ينظر إلى سوأة أحدٍ قطّ ، فتركه وأشاح بنظره =

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الكامل] :

ما لي جزعت من الخطوب ، وإنّما … أخذ الإلّه لبعض ما أعطاني
إن لم تكن طالت سنيَّ فإنَّ لي … رأي الكهول ونجدة الشبانِ
قمنٌ بما سرّ الأعادي موقفي … والدهر بَرْزٌ لي مع الأقران[1]
يا دهر خنت مع الأصادق خلّتي … وغدرت بي في جملة الإخوان
لكنّ سيف الدولة المولى الذي … لم أنسه وأراه لا ينساني
أيضيعني من لم يزل ليَ حافظاً … كرماً ويخفضني الذي أعلاني
إنّي أغار على مكانيَ أن أرى … فيه رجالاً لا تسدُّ مكاني

وقال من قصيدة [من الوافر] :

يعزّ على الأحبّة بالشآم … حبيبٌ بات ممنوع المنام
وإنّي للصبور على الرزايا … ولكنّ الكلام على الكلام[2]
جروح ما يزلن يردن منّي … على جرحٍ قريب العهد دام
تأمّلني الدمستق إذ رآني … فأبصر صيغة الليث الهمام
أتنكرني كأنّك لست تدري … بأنّي ذلك البطل المحامي
فلا هُنِّئتها نعمى بأخذي … ولا وصلت سعودك بالتمام
أما مِنْ أعجبِ الأشياء علجٌ … يعرّفني الحلال من الحرام[3]
وتكنفه بطارقةٌ تيوسٌ … تباري بالعثانين الضخامِ[4]

= عنه ، ففرّ عمرو ونجا بهذه الحيلة ، وذكر ذلك إلى معاوية فقال له : لو كنت مكانه لاخترمتك بالرمح . . .

(١) القمن : الجدير والخليق .

(٢) الكلام : الجراح ، يريد أن الجراح بعضها فوق بعض أو إثر بعض .

(٣) العلج : الكافر .

(٤) تكنفه : تحيط به ، والعثانين : اللحى ، أو ما فضل منها بعد العارضين « في الذقن » .

لهم خلق الحمير فلست تلقى فتىً منهم يسير بلا حزام
يريغون العيوب ، وأعجزتهم ، وأيّ العيب يوجد في الحسام[1]
ثناءٌ طيِّبٌ لا خلف فيه وآثارٌ كآثار الغمام
ألاز على التعرُّض للمنايا ولي سمعٌ أصمّ عن الملام
بنو الدنيا إذا ماتوا سواءٌ ولو عمر المعمّر ألف عام
ألا يا صاحبيَّ تذكّراني إذا ما شمتما البرق الشآمي[2]
إذا ما لاح لي لمعان برقٍ بعثت إلى الأحبّة بالسلام

وكتب إليه ابن الأسمر يوصيه بالصبر ، فأجابه [من الطويل] :

ندبت لحسن الصبر قلب نجيب ونـاديت بالتسليم خير مجيبِ
ولم يبق منّي غير قلبٍ مشيّعٍ وعودٍ على ناب الزمان صليب[3]
وقد علمت أمي بأنّ منيتي بحدّ حسامٍ أو بحدّ قضيب
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها بمهلكه في الماء أم شبيب

كانت أم شبيب رأت في منامها ـ وهي حبلى ـ كأن نار أخرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ثم وقعت في الماء فانطفأت، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها لم تصدق ، حتى قيل : إنه قد غرق في الماء ، فأقامت المناحة .

تجشمت خوف العار أعظم خطةٍ وأمّلت نصراً كان غير قريب
وللعار خلّى ربّ غسان ملكه وفارق دين الله غير مصيب[4]

---

(١) يريغون العيوب : يطلبونها ، والحسام : هو الذي يحسم مادة الشرّ والخلاف .
(٢) شمتما : شام البرق : نظر إليه ليعرف أين مطره .
(٣) قلب مشيع : أي جريء قوي ، والصليب : أي صلب .
(٤) أراد بربّ غسان : جبلة بن الأيهم ، وكان قد أسلم ثم ذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولطم أعرابياً مسلماً لأنّه داس رداءه فأراد عمر أن يقتصّ منه ، إلاّ أن يرضى الأعرابي ، فاستمهله إلى الغد ، ثمّ فرّ في جنح الليل ولحق بالروم متنصرًا . . . ؟

ولم يرتغب في العيش عيسى بن مصعبٍ ولا خفَّ خوفُ بالحـزون خبيب[1]

وأحفظ أبو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما فقال له الدمستق : إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب ، فقال له أبو فراس : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام ؟ ثم قال [من الطويل] :

أتزعـم يا ضخـم اللغـاديد أنّنا ونحن أسود الحرب، لا نعرف الحربا[2]
فويلك ! من للحرب إن لم نكن لها ؟ ومن ذا الذي يضحي ويمسي لها تربا ؟

ومـن ذا يكفّ الجيش من جنباته ومـن ذا يقـود العين أو يصـدم القلبا
وويلك ، من أردى أخـاك بمرعشٍ وجلّل ضربـاً وجـه والـدك العضبا[3]
[وويلك من خلى ابـن أختك موثقاً وخـلاّك باللقـان تبتـدر الشعبا
أتوعـدنـا بالحـرب حتّـى كأننا وإياك لم يعصب بهـا قلبنـا عصبا][4]
لقـد جمعتنـا الحـرب من قبـل هذه فكنّـا بهـا أسـداً وكنـت بهـا كلبا
وسـلْ برد ، سل عنّـا أبـاك وصهره وسل أهل برداليس أعظمهـم خطبا[5]
وسـل قرقاشـا والشمقمـق صهره وسـل سبطـه البطـريق أثبتهـم قلبا
وسـل صيدكم آل المـلابين ، إنّنا نهبنـا ببيض الهنـد عرضهـم نهبا[6]
وسـل أهـل بيرامٍ وأهـل بلنطسٍ وسـل آل شنـوان الخناجـرة الغلبا
وسـل بالبطـرصيس العسـاكر كلّها وسـل بالمسيطـر ناطس الـروم والعربا

---

(١) عجز هذا البيت في ديوانه « ولا خفَّ خوفَ الحرب قلبُ حبيب » والحـزون : الأرض الصعبة المسالك ، والخبيب : من الخبب وهو ضربٌ من العدو .
(٢) اللغاديد : جمع لغدود ، وهو لحمة في الحلق ، أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن .
(٣) العضب : السيف القاطع .
(٤) لم يعصب : لم يجمع ويشرك ، والعصابة : الجماعة .
(٥) برد : اسم أبي الدمستق ، وبرداليس : إسم مكان .
(٦) الصيد : جمع أصيد وهو المائل الرأس كبراً ومخيلة والملابين جمع ملبـون : وهـو من به مثل السكر .

ألــم تكفهــم قتــلا ونهبــاً سيوفنا وأسد الشرى الملأى وإن جمدت رعبا
بأقلامنــا أجحــرت أم بسيوفنا ؟ وأسد الشرى قدنـا إليك أم الكتبا ؟[1]
تفاخرنا بالضّرب والطعن والقنا لقد أوسعتك النفس يا ابن استها كذبا[2]
رعــى الله أوفانــا ـ إذا قال ـ ذمّةً وأنفذنــا طعنــا وأثبتنــا ضربا

وقال من قصيدة [من الطويل] :

خليلـيَّ ما أعددتمــا لمتيّمٍ أسيرٍ لدى الأعــداء جافــى المراقد
فريدٍ عن الأحبــاب لكن دموعه مثــانٍ علــى الخــدين غير فرائد[3]
جمعــت سيوف الهنــد من كلّ وجهةٍ وأعــددت للأعــداء كلّ مجالــد
إذا كان غير الله للمــرء عدّةً أتتــه الــرزايا من وجــوه الفوائد
فقــد جرّت الحنفــاء حتف حذيفةٍ وكان يراهــا عدّةً للشدائد[4]
[وجــرت منــايا مالك بن نويرة عقيلتــه الحسنــاء أيام خالـد][5]
وأردى ذؤابــاً في بيوتِ عُتيبةٍ بنــوه وأهلــوه بشـدو القصائد[6]

ولما خفف عن أبي فراس ورفه ، ونوظر في أمر الهدنة والأسارى ، وأجيب إلـى ملتمسه بعد أن أكرم وبجل قال [من الطويل] :

ولله عنــدي في الإســار وغيره مواهــب لم يخصص بهـا أحــدٌ قبلي
حللـت عقـوداً أعجــز النــاس حلّها ومــا زلــت لا عقــدي يذم ولا حلّي

---

(١) أحجرت : أي دخل الحجر فراراً .
(٢) الإست : المؤخّرة .
(٣) مثانٍ : جمع مثنى ، وأراد متتالية بعضها إثر بعض .
(٤) الحنفاء : القوس ، والحتف : الهلاك .
(٥) العقيلة : الزوجة : وخالد : هو خالد بن الوليد .
(٦) أردى : قتل ، وذؤاباً : جمع ذئب .

إذا عاينتنـي الـروم قد ذلّ صيدها كأنّهـمٌ أسـرى يديٍّ بلا كبل[1]
وأوسـعُ أيّامـاً حللـت كرامةً كأنّـيَ من أهلـي نُقلـتُ إلـى أهلي
فأبلغ بنـي عمـي وأبلـغ بنـي أبي بأنّـيَ في نعمـاء يشكرهـا مثلي
ومـا شاء ربـي غير نشـر محاسني وأن يعرفـوا ما قد عرفتـم من الفضل

* * *

ما أخرج من مزدوجته الطردية

مـا العمـر ما طالـت به الدهور العمـر ما تمّ به السرورُ
أيام عزّي ونفـاذ أمري هي التـي أحسبهـا من عمري
[مـا أجـور الدهـر علـى بنيه وأغـدر الدهـر بمـن يُصفيه][2]
لـو شئـت ممـا قد قللن جدا عددت أيام السـرور عدّا
أنعـت يومـاً مرّ لي بالشام ألـذّ ما مرّ من الأيام
دعـوت بالصّقّـار ذات يوم عنـد انتباهـي سحـراً من نومي[3]
قلـت له اختـر سبعـةً كبارا كلٌّ نجيبٌ يردُ الغبارا
يكون للأرنـب منهـا اثنان وخمسـةٌ تفـرد للغزلانِ
واجعـل كلاب الصيد نوبتين يرسـل منهـا اثنـان بعـد اثنينِ
ثـم تقدّمـت إلـى الفهّاد والبـازيارين بالاستـعـداد[4]
وقلـت إنّ خمسـةً لتقنع والزُّرَّقـان الفـرخُ والملمّع
وأنـت يا طبـاخ لا تباطا عجّـل لنـا اللّفـات والأوساطا
ويا شرابـيٌّ البلقسيـات تكون للـراح ميسَّراتِ

---

(١) الكبل : القيد .

(٢) يُصفيه : يتخذه خليلاً .

(٣) الصقّار : الذي مهنته رعاية الصقور .

(٤) البازيارين : حملة الباز ، الحيوان الذي يستعمل في الصيد وهو استعمال فارسي .

بـالله لا تستصحبـوا ثقيلا   واجتنبـوا الكثـرة والفضـولا
ردّوا فلانَـا وخـذوا فلانا   وضمنونـي صيدكـم ضمانـا
فاختـرت لمّـا وقفـوا طويلاً   عشـرين أو فويقهـا قليـلا
عصابـةً أكرم بهـا عصابهْ   معروفـة بالفضـل والنجابهْ
ثـم قصدنـا صيد عين باصر   مظنّـة الصيد لكلّ خابر[1]
جئنـاه والشـمس قبيل المغربِ   تختـال في ثوب الأصيل المذهبِ
وأخـذ الـدّراج في الصياح   مكتنفـاً مـن سائـر النواحي[2]
فـي غفلـةٍ عنّـا وفـي ضلال   ونحـن قد زرنـاه بالآجالِ
يطـرب للصبـح وليس يدري   أنّ المنـايا في طلـوع الفجرِ
نحـن نصلـي والبـزاة تخرج   مجـرّداتٍ والخيـول تسـرج
وقلـت للفهّـاد : إمض وانفردْ   وصح بنـا إن عنّ ظبـيٌ واجتهد
فلـم يزل غير بعيد عنّا   إليه يمضـي ما يفـرّ منّا
وسـرت في صفٍّ من الرجال   كأنّمـا نزحف للقتال
فمـا استوينـا كلّنـا حتـى وقف   غليّمٌ كان قريبـاً من شرف[3]
ثـم أتانـي عجـلاً قال السبق   فقلـت إن كان العيان قد صدق
سـرت إليه فأرانـي جاثمه   ظننتهـا يقظـى وكانـت نائمه
[ثـم أخـذت نبلـة كانـت معي   ودرت دورين ولـم أوسع]
حتـى تمكنـت فلـم أخـط الطلبْ   لكلّ حتفٍ سبـبٌ من السبب

ومنها :

ثم دعوت القوم: هذا بازي   فأيكـم ينشـط للبـراز

(١) مظنّة الصيد : أي حيث يظن أنّ فيها ما يصطاد والخابر : أي الخبير العارف .
(٢) الدرّاج : طائر كالحجل .
(٣) الشُرَف : أي المكان العالي للمراقبة .

فقـال منهـم رشـأُ: أنـا ، أنا ولـو درى ما بيدي لأذعنا[١]

ومنها :

جئـت ببـازٍ حسـنٍ وهبرج دون العقـاب وفـويق الزمَّج [٢]
زيْنٍ لرائيه وفـوق الزّين ينظـر من نارين في غارين
كأنَّ فوق صدره والهادي آثـار مشـي الـذرّ في الرماد
[ذي منسـرٍ فخـمٍ وعينٍ غائرهْ وأفخـذٍ مثـل الجبـال وافـره[٣]
ضخـمٍ قريب الدَّستبـان جدّا يلقـى الـذي يحمـل منـه كدّا[٤]
وراحـةٍ تحمـل كفّـي سبطة زادت علـى قدر البـزاة بسطه[٥]
سـرّ وقـال هات قلـت مهلا احلف علـى الـردّ فقـال كلاّ
أمـا يمينـي فهـي عنـدي غاليهْ وكلمتـي مثـل يمينـي وافيه
فقلـت خذه هبـةً بقبله فصـدّ عنـي وعلتـه خجله
ثـم ندمـت غاية الندامة ولمـت نفسـي أكثـر الملامه
علـى مزاحـي والرجـال حضّـر وهـو يزيد خجـلاً ويحصر
فلـم أزل أمسحـه حتـى انبسط وهشّ للصّيد قليلاً ونشطْ

ومنها في وصف البازي واستيلائه على الكركي .

حتـى إذا جندلـه كالعندل أيقنـت أن العظـم غير الفضل[٦]
صحـت إلـى الطبـاخ ماذا تنتظر انـزل عن المهـر وهـات ما حضر

---

(١) أذعن : أقرّ وهدأ .
(٢) الهبرج : السمين ، والزمج : طائرٌ دون العقاب في صوته يشبه نباح الجرو ، يُصاد به .
(٣) المنسر : الظفر .
(٤) الدستبان : فارسية والدست المكان والبيت .
(٥) البسطة : القوّة .
(٦) العندل : الناقة العظيمة ، وجندله : صرعه .

جـاء بأوسـاطٍ وجُرْدباج / من حجـل الـطير ومـن درّاج
فمـا تنازلنـا عن الخيولِ / يمنعنـا الحـرص من النزولِ
وجـيء بالـكأس وبالشراب / فقلـت : وفّرهـا علـى أصحابي
أشبعنـي اليوم وروّانـي الفرح / فقـد كفانـي بعض وسـطٍ وقدح

ومنها :

ثـم انصرفنـا والبغـال موقرهْ / في ليلـةٍ مثـل الصبـاح مسفره
حتـى أتينـا رحلنـا بليلٍ / وقـد سُبقنـا بجياد الخيل
ثـم نزلنـا فطرحنـا الصّيدا / لمـا عددنـا مائـةً وزيْدا[1]
فلـم نزل نشـوي ونقلـي ونصُبْ / حتـى طلبنـا صاحياً فلـم نُصِبْ
شربـاً كمـا عنّ من الزّقاق / بغير ترتيبٍ وغير ساق
ولـم نزل سبـع ليالٍ عددا / أسعـد من راحَ وأحظـى من غدا

وحكى بديع الزمان أبو الفضل الهمذاني قال : قال الصاحب أبو القاسم يوماً لجلسائه وأنا فيهم ـ وقد جرى ذكر أبي فراس ـ : لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعراً ، فقلت : ومن يقدر على ذلك وهو الذي يقول [من الوافر] :

رويدك لا تصـل يدهـا بباعك / ولا تغـز السبـاع إلـى رباعكْ
ولا تعـنِ العـدو علـيّ ، إني / يمينٌ إن قطعـت فمـن ذراعكْ

فقال الصاحب : صدقت ، قلت : أيد الله مولانا قد فعلت . ولعمري إنه فد حسن ، ولكن لم يشق غبار أبي فراس .

وكتب على ظهر الجزء المشتمل على مزدوجته التي أولها [من الرجز] :

مـا العمـر ما طالـت به الدّهور / العمـر مـا تمَّ به السّرورُ

---

(١) زيْدا : مصدر زاد يزيد ، وأراد مائةً وزائداً عليها .

هذه الأبيات [من الرجز] :

أروِّح القلب ببعض الهزل تجاهلاً منّي بغير جهلِ
أمزح فيه مزح أهل الفضلِ والمزح أحياناً جلاء العقلِ

* * *

فصل

قد أطلت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن ؟ وذلك لتناسبها وعذوبة مشارعها. ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الإحسان . وأصاب شاكلة الصواب ، ولعمري إنها ـ كما قرأته لبعض البلغاء ـ لو سمعته الوحش أنست ، أو خوطبت به الخرس نطقت ، او استدعي به الطير نزلت .

ولما خرج قمر الفضل من سراره ، وأطلق أسد الحرب ، عن إساره ، لم تطل أيام فرحته ، ولم تسمح النوائب بالتجافي عن مهجته . ودلت قصيدة قرأتها لأبي إسحاق الصابي في مرثيته على أنه قتل في وقعه كانت بينه وبين بعض موالي أسرته، وما أحسن وأصدق قول المتنبي [من البسيط] :

فلا تنلك الليالي ، إنّ أيديَها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب(١)
ولا يعنّ عدوّاً أنت قاهره فإنهنّ يصدن الصقر بالخرب(٢)

---

(١) النبع : شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال والغرب : بيت ضعيف بيت على الانهار يريد يكسرن بالضعيف .

(٢) الخرب : بفتحتين : ذكر الحباري ، والصقر : من الطيور الجارحة ، يعني أنّ الليالي إذا أعانت الضعيف صاد القويّ .

وذكر ابن خالويه أن آخر شعر لأبي فراس قوله عند موته ، رحمه الله تعالى ! [من الكامل] :

أبنيَّتي لا تجزعي كلٌّ الأنام إلى ذهابْ
نوحي عليَّ بحسرةٍ من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلّمتني فعييت عن ردٍّ الجواب
زين الشباب أبو فرا س لم يمتَّعْ بالشّباب

اللهم ارحم تلك الروح الشريفة !!

* * *

الباب الرابع

في ملح شعر آل حمدان
وغيرهم من أمراء الشام وقضاتها وكتابها

(أخبرني جماعة من أهل الأدب أن المتنبي لما عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال : قد تجوزت في قولي ، وأعفيت طبعي ، واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان) وفيهم من يقول [من الوافر] :

وقد علمت بما لاقته منّا ... قبائل يعربٍ وبنو نزارِ
لقيناهم بأرماحٍ طوالٍ ... تبشّرهم بأعمارٍ قصار

يعني أبا زهير مهلهل بن نصر بن حمدان ، ومنهم من يقول - يعني أبا العشائر - [من الكامل] :

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفي ... والخيل من تحت الفوارس تنحطُ[1]
لقرأت منها ما تخطّ يد الوغى ... والبيض تشكِلُ والأسنة تنقط

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لبعضهم [من الكامل] :

أغمامُ ما يدريك ما أفعالنا ... والخيل تحت النّقع كالأشباح[2]

---

(١) تنحط : تزفر من الجهد .

(٢) النقع : الغبار الذي تثيره الحرب .

تطفـــو وترســـب في الدّمـــاء كأنّها صور الفـــوارس في كؤوس الراح

وأنشدت لأبي العشائر [من البسيط] :

سطا علينا ، ومن حاز الجمال سطا ، ظبـيٌ من الجنَّــة الفـــردوس قد هبطا
له عذران قد خطّـا بوجنته فاستوقفـا فوق خدّيه ومـا انبسطا
وظــلّ يخطـو فكلٌّ قال مِنْ شغفٍ : يا ليتــه في سواد الناظــرين خطا

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة هجمت عليه فقلت له : ما يجد الأمير؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه اسمه نسطوس كأن رضوان غفل عنه فأبق[1] من الجنة، وأنشد [من مخلع البسيط] :

أسقـم هذا الغـلام جسمي بمـا بعينيه من سقام
فتـور عينيه من دلالٍ أهـدى فتـوراً إلـى عظامي[2]
وامتزجـت روحـه بروحي تمـازج المـاء بالمـدام

وكان أبو الحسن الماسرجي ينشد في تدريسه مسألة « الحر لا يقتل بالعبد » هذين البيتين ، وهما لبعض آل حمدان [من الطويل] :

خذوا بدمـي هذا الغـزال ، فإنّه رمانـي بسهمـيْ مقلتيه علـى عمدِ
ولا تقتلـوه إنّنـي أنـا عبده ولـم أر حرّاً قطُّ يقتـل بالعبد

وأنشدت لبعضهم ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الكامل] :

للعبـد مسألـةٌ لديك جوابها إن كنـت تذكره فهـذا وقتهُ
ما بال ريقـك ليس ملحـاً طعمه ويزيدنـي عطشـاً إذا ما ذقتهُ !

---

(١) أبق : هرب .
(٢) الفتور : الضعف والانكسار .

ووجدت بخط أبي بكر الخوارزمي هذه الأبيات منسوبة إلى أبي وائل تغلب ابن داود بن حمدان ، ورويت لغيره [من الكامل] :

لا والـذي جعـل الموا ... لي في الهـوى خدم العبيدِ
وأصـار في أيدي الظبا ... ء قياد أعنـاق الأسودِ
وأقـام ألـوية المنيـ ... ـة بين أفنية الصّدود[1]
مـا الـورد أحسـن منظراً ... من حسـن توريد الخدود

ووجدت بخطه لحمدان الموصلي [من الخفيف] :

يا رسـول الحبيب ويحـك قد ألـ ... ـقى عليك الحبيب حسنـاً وطيبا
وتعلّمـت حسـن ألفاظـه تلـ ... ـك فظرّفـت بادئـاً ومجيبـا
ولقـد كدت أن أضمّـك لولا ... أن يسـيء الظنـون أو يستريبا
خيفـةً أن يكون ذاك كمـا قيـ ... ـل قديمـاً : صار الرسـول حبيبا

ولأبي وائل الحمداني لما أسره المبرقع [من الخفيف] :

يا خليلـيَّ ، أسعدانـي فقـد عيـ ... ـل ، اصطبـاري علـى احتمـال البليّهْ
غربـةٌ قارظيّـةٌ ، وغرامٌ ... عامـريٌّ ومحنـةٌ علويـة[2]

ولأبي زهير ، وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

وزعمـت أنـي ظالـمٌ فهجرتني ... ورميت في قلبـي بسهـمٍ نافذِ
فنعـم ظلمتـك فاغتفـر لي زلّتي ... هذا مقـام المسـتجير العائذ

وأنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذه الأبيات ولم يسم

---

(١) أفنية : جمع فناء ، وهو الساحة والمتسع من المكان .
(٢) قارظيّة : أراد دائمةً أبد الدهر ، وعامري : نسبة إلى بني عامر عشاق العرب منهم ليلى العامريّة وعلويّة : نسبة إلى آل عليّ بن أبي طالب عليهم الرحمة .

قائلاً ، ثم وجدتها في بعض التعليقات منسوبة إلى بعض آل حمدان [من الوافر] :

أَجِلْ عينيك في عيني تجدها ... مشرّبةً ندى ورد الخدود[1]
وصافحني تجد عبقاً بكفّي ... يضوع إليك من ردع النهود[2]
وخذ سمعي إليك فإنّ فيه ... بقايا من حديثٍ كالعقود

وأنشدني أبو الحسن محمد بن أبي موسى الكرخي ، قال: أنشدني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن القاضي أبي القاسم التنوخي ، قال : أنشدني أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد لنفسه ، تغمدهم الله تعالى برحمته وأسكنهم بحبوحة جنته ! [من البسيط] :

إنّي لأحسد « لا » في أسطرِ الصحف ... إذا رأيت اعتناق اللام للألف
وما أظنُّهما طال اجتماعهما ... إلاّ لما لقيا من شدّة الشغفِ

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

أفدى الذي زرته بالسّيف مشتملاً ... ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق له ... حتّى لبست نجاداً من ذوائبه
فكان أنعمنا عيشاً بصاحبه ... من كان في الحبّ أشقانا بصاحبه

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

قالت لطيف خيالٍ زارها ومضى : ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزدِ
فقال : خلفته لو مات من ظمأٍ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت : صدقت الوفا في الحبّ عادته ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي !

---

(١) أجل : أدِر ، وتطلّع ، وحدّق .
(٢) العبق : الريح الطيب ، ويضوع : يفوح ، والردع : أثر الطيب .

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني لنفسه في جارية كانت معاجرها[1] تبلى بسرعة [من البسيط] :

أرى الثياب من الكتّان يلمحها ضوءٌ من البدر أحياناً فيبليها
وكيف تنكر ان تبلى معاجرها والبدر في كلّ حينٍ طالع فيها[2]

وقد أحسن غاية الإحسان ، والعرب تزعم أن البدر يبلي الثياب الحلوة ، وقوله [من المتقارب] :

أيا من صبرت على فقدهِ وإنْ كان لي مؤلماً موجعا
لقد نال كلّ الذي يشتهي حسودٌ علينا ببينٍ دعا[3]

وأنشدني أيضاً للحسين بن ناصر الدولة [من البسيط] :

لو كنت أملك طرفي ما نظرت به من بعد فرقتكم يوماً إلى أحدِ
ولست أعتدّه من بعدكم نظراً لأنّه نظرٌ من مقلتيْ رمِدِ[4]

* * *

٣ ـ منصور وأحمد ابنا كيغلغ

أديبان شاعران ، من أولاد أمراء الشام ، فمن مشهور ملح منصور قوله [من السريع] :

خنت الذي أهوى من الناس ونمت عن جودي وعن باسي
يومَ أرى الدجن فلا أرتوي من ريق إلفي ومن الكاس[5]

---

(١) المعجر : بزنة المنبر ، ثوب تشدّه المرأة على وسطها .
(٢) تبلى : تخلق وترثّ .
(٣) البين : الفراق ، ودعا : توسّل الله .
(٤) الرمد : وجعٌ يصيب العين .
(٥) الدجن : المطر الكثير ، والإلف : خلّي وحبيبي .

وقوله [من السريع] :

كأنها والقرط في أذنها ... بدر الدجى قرّط بالمشتري
قد كتب الحسن على وجهها ... « يا أعين الناس قفي وانظري »

وقوله من أبيات [من مخلع البسيط] :

يدير في كفّه مداما ... ألذَّ من غفلة الرقيب
كأنّها إذ صفت ورقّتْ ... شكوى محبٍّ إلى حبيب

وقوله [من الكامل] :

عاد الزمان بمن هويت فأعتبا ... يا صاحبيَّ فسقِّياني واشربا
كم ليلةٍ سامرت فيها بدرها ... من فوق دجلة قبل أن يتغيَّبا
قام الغلام يديرها في كفِّه ... فحسبت بدر التمِّ يحمل كوكبا
والبدر يجنح للغروب كأنَّهُ ... قد سلَّ فوق الماء سيفاً مذهبا

وقد أكثروا في وصف القمر على الماء ، وبيت منصور هذا من غرر ذلك ، وأحسن ما سمعت فيه ـ على كثرته ـ قول القاضي التنوخي [من الكامل] :

أحسِنْ بدجلة والدجى متصوِّبُ ... والبدر في أفق السماء مغرِّبُ(١)
فكأنّها فيه بساطٌ أزرقٌ ... وكأنّه فيها طرازٌ مذهب

وقول أبي الفتح كشاجم [من مجزوء الرجز] :

ما زلت أسقاها على ... وجه غزالٍ مونِقِ(٢)
بقمرٍ منتقبٍ ... بخاتمٍ منتطق
والبدر فوق دجلةٍ ... والصبح لمّا يشرق

---

(١) الدّجى : الظلام : متصوّب : منحدر ، ونازل .
(٢) المونق : البديع الفاتن .

كحليةٍ من ذهبٍ على رداءٍ أزرق

ومن ملح منصور قوله [من المتقارب] :

كتبت إليك بماء الجفون وقلبي بماء الهوى مشربُ
فكفّي تخطُّ وقلبي يمل وعيني تمحو الذي تكتبُ

وقوله [من مخلع البسيط] :

ألبسني ذلّة العبيد مَنْ قلبُهُ صيغ من حديد[1]
ونمَّ طرفي بما ألاقي من كمدٍ دائم المزيد[2]
وكيف يخفي الهوى عميدٌ ودمّه صاحب البريد

وقوله [من البسيط] :

قالوا : عليك سبيل الصبر ، قلت لهمْ : هيهاتَ ! إن سبيل الصبّر قد ضاقا
ما يرجع الطرف عنه حين يبصره حتى يعود إليه القلب مشتاقا

* * *

ولأحمد [من الرمل] :

لا يكن للكأس في كفّـ ـك يوم الغيث لبثُ[3]
أو ما تعلم أن الـ ـغيث ساقٍ مستحثُّ

وله [من الهزج] :

ولولا أن برذون الـ ـهوى يعتلف الرطبه

---

(١) صيغ : سبك وصنع .
(٢) نمَّ : أظهر ودلّ ، والكمد : الحزن والغمّ .
(٣) اللَّبْث : مقامْ .

ركبناه إلى الصيّد وأرسلنا له كلْبه
فصدنا ثعلب الهجرا ن تلك الخبّة الضبّه[1]
وصيّرنا لزيت الوصـ ـل من جلد استها ربّه[2]

وله ، ويروي لديك الجن [من مخلع البسيط] :

قلت له والجفون قرحى قد أقرح الدمع ما يليها
ما ليَ في لوعتي شبيهٌ قال : وأبصرت لي شبيها ؟!

وله [من الهزج] :

بدت من خلل الحجب كمثل اللؤلؤ الرطبِ
فأدمى خدّها لحظي وأدمى لحظها قلبي

وله [من الرجز] :

واعطشي إلى فمٍ يمجُّ خمراً من برد
إنْ قسّم الناس فحسـ ـبي بك من كلٍّ أحد

* * *

٤ ـ أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبد الله ابنا ورقاء الشيباني

من رؤساء عرب الشام وقوادها ، والمختصين بسيف الدولة . وما منهما إلا أديب شاعر جواد ممدح ، وبينهما وبين أبي فراس مجاوبات ، وإليهما أرسل أبو فراس يقول من قصيدة [من الوافر] :

أتاني عن بني ورقاء قولٌ ألذُّ جنىً من الماء القراح

---

(١) ثعلب الهجران : تقلّبه وتحوله ، والخبّة : خرقة طويلة تعصب بها اليد ، والضبّة : جلد الضب المدبوغ ، أو أنثى الضبّ .
(٢) الإست : المؤخرة .

وأطيب من نسيم الـروض حفّتْ   به اللّـذات من روحٍ وراح
ولـو أنّـي اقترحـت علـى زماني   لكنتـم ، يا بنـي ورقـا ، اقتراحي

ولأبي أحمد في جوابها من قصيدة أولها [من الوافر] :

أصـاح قلبـه أم غير صاحٍ   وقـد عنّـت له عفـر البطاح[1]
ظبـاء الـوحش تحـكي ماثلاتٍ   ظبـاء الإنس بالصّـور الملاح

ومنها :

يدرن مراض أجفـانٍ صحاحٍ   فيا عجبي من المرضـى الصحاحِ
ومـا زالـت عيون العين فينا   تؤثّـر فوق تأثير السّلاح

ومنها :

أمطلعـةَ الهـلال علـى قضيبٍ   ومسدلـة الظـلام علـى الصّباح !
عدتنـي عن زيارتـك العوادي   ودهـرٌ للأكارم ذو اطراح[2] !

ومنها :

أمـدره تغلـب لسنـاً وعلما   ومصقـع نطقهـا عنـد التلاحي[3]
لقـد أوتيت علمـاً واضطلاعا   بآدابٍ وألفـاظٍ فصـاح
لمقـولِكَ المضـاء إذا انتضـاه الـ   ـقصيد علـى المهنّـدة الصّفاح

وله من قصيدة [من الطويل] :

ألا ليت شعـري ، والحـوادث جمّةٌ   وما كنت في دهري إلى النـاس شاكيا

---

(١) عنّت : أذعنت ، وعفر البطاح : شجعانها ودهاتها .
(٢) عدتني : منعتني ، والعوادي : الأحداث المانعة .
(٣) المدره : العالم الجليل . والمصقع : البليغ الفصيح ، والتلاحي : اللوم .

أمخترمي ريب المنون بحسرةٍ تبلّغ نفسي من شجاها التراقيا ؟[1]
إلى الله أشكو أنّ في الصدر حاجةً تمرُّ بها الأيام وهي كما هيا

ومنها في ذكر بني كعب وإيحاشهم سيف الدولة حتى أضربهم :

وإنّهمُ لمّا استهاجوا صياله وما كان عن مستوجب البطش وانيا[2]
كمن شبّ ناراً في شعار ثيابه وهيّج ليثاً للفريسة ضاريا[3]

وله من قصيدة أجاب بها عن قصيدة أبي فراس التي أولها [من الطويل] :

لعل خيال العامرية زائر

عمرن بعمّارٍ من الإنس برهةً فها هنّ صفرٌ ليس فيهنّ صافرُ
أخلّت بمغناها دمىً وخرائدٌ وحلّت بأقصاها مهاً وجآذر[4]
أهنّ عيونٌ باللحاظ دوائرٌ على عاشقيها أم سيوفٌ بواتر ؟[5]
ضعائف يقهرن الأشدّاء قدرةً عليهم وسلطان الصّبابة قاهرُ

ومنها :

ألا يا ابن عمّ يستزيد ابن عمّه رويدك إنّي لانبساطك شاكرُ
تصفّحت ما أنفذته فوجدته كما استودعتْ نظم العقود الجواهر
وذكّرني روضاً بكته سماؤه فضاحكه مستأسدٌ وهو زاهر
عرائس تجلوها عليك خدورها ولكنّما تلك الخدور دفاتر

(١) امخترمي : اخترم الشيء : ثقبه من ناحيةٍ إلى ناحية . والتراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .
(٢) الصيال : أي صولته في الحرب ، والواني : المتأخّر والتعِب ، والضعيف .
(٣) شبّ ناراً : أسعرها وأصلاها .
(٤) الدمى والخرائد : الفتيات الأبكار النواهد .
(٥) البواتر : القاطعة .

فعدلاً ، فإنّ العـدل في الحـكم سيرةٌ بها سار في الناس الملـوك الأساور[١]

ولما قال أبو فراس [من الكامل] :

إنــا إذا اشتـدّ الزما ن ونــاب خطــبٌ وادلهمْ

من أبيات قـد مـرت أجابه أبو محمد جعفر بن محمد بن ورقاء بقوله من أبيات [من الكامل] :

أنتــم كمــا قد قلــت بل أعلــى وأشــرف يا ابــن عمْ
ولــكم سوابــق كلِّ فخـــــرٍ واللواحــق من أمم[٢]
أحسنــت والله العظيـــــم نظــام بيتــك حين تمّ
فيمــا ذكرت من السيو ف ومــا ذكرت من النعم
حتــى كــأنّ بنظمــه للحســن دراً منتظــم

وكتب أبو محمد عند حصوله ببغداد بعد وفاة سيف الدولة إلى أبي إسحاق الصابي ، وكانت بينهما مودة وتزاور فانقطع عنه أبو إسحاق لبعض العوائق [من الكامل] :

يا ذا الــذي جعــل القطيعــة دأبه إنّ القطيعــة موضــعٌ للريْبِ
إن كان ودّك في الطــويّة كامناً فاطلـب صديقــاً عالمــاً بالغيبِ[٣] !

فأجابه أبو إسحاق بهذه الأبيات [من الكامل] :

قـد يهجـر الخـلّ الســليم الغيب للشغــل وهــو مبـرأً من ريب
ويواصـل الرجــل المنافــق مبدياً لك ظاهــراً مستبطنــا للعيب

(١) الأساور : الشجعان الأسود .
(٢) أمم : قرب .
(٣) الطويّة : يقصد الصدر والضمير والنيّة .

لا تفرحــنّ من الصــديق بشاهدٍ　　حتــى يكون موافقــاً للغيب
وتأمّــلِ المســودَّ من شعــر الفتى　　أهو الشبيبة أم خضاب الشيب ؟[1]
وإذا ظفــرت بذي ودادٍ خالص　　فاغفــر له ما دون غشّ الجيب

وكتب إليه أبو إسحاق قصيدة طويلة فأجابه بقصيدة منها [من الطويل] :

ومشمولــةٍ صرفٍ صرفــت بشربها　　وجــوه لحاتــي قاطبــاتُ الحواجبِ
إذا جال فيهــا المــزج خلــت حبابها　　عيون الأفاعــي أو قرون الجنادب
وعاذلــةٍ في بذل ما ملــكت يدي　　رددت لهــا المسعــى بصفقــة خائب
فإنّ زئير الأســد من كلٍّ جانبٍ　　ليشغــل سمعــي عن صياح الثعالب
أفــي الحــقّ أن قايســت غير محقّقٍ　　فظاظــة جنــديّ إلــى ظرف كاتب[2]
ولا سيّمــا أنــت الــذي نشــرت له　　محاســن كالأعــلام فوق المراقب[3]
ومــا زلــت بين النــاس صدر محافلٍ　　وعين مقامــاتٍ وقلــب مواكِبِ

وكتب إليه أبو أحمد قصيدة منها [من الخفيف] :

يا هلالاً يدعــى أبــوه هلالا　　جلّ باريك في الــورى وتعالى
أنــت بدرٌ حسنــاً، وشــمسٌ علوّاً ،　　وحســامٌ عزمــاً ، وبحــرٌ نوالا

* * *

٥ ـ أبو حصين علي بن عبد الملك الرقي القاضي بحلب

هو الذي يقول فيه السري الموصلي من قصيدة [من الوافر] :

لقــد أضحــت خلال أبــي حصينٍ　　حُصونــاً في الملمّــاتِ الصعابِ

---

(١) الخضاب : الصباغ .
(٢) قايست : وازنت وساويت .
(٣) نشرت له : دفعت واشتهرت ، والمراقب : الأماكن العالية حيث تكون المراقبة .

كساني ظلّ وابلـه ، وآوى غرائـب منطقـي بعـد اغتراب
وكنـت كروضـةٍ سقيت سحاباً فأثنـت بالنسيم علـى السّحاب

وكتب إليه أبو فراس ـ وقد عزم على المسير إلى الرقة ـ قصيدة افتتاحها [من البسيط] :

يا طولَ شوقـيَ إنْ كان الـرحيل غدا لا فرَّق الله فيمـا بيننـا أبـدا

فأجابه القاضي بقصيدة أولها [من البسيط] :

الحمـد لله حمـداً دائمـاً أبداً أعطانـيَ الدَّهـر ما لم يعطـه أحدا

ومنها :

إن كان ما قيل من سير الـركاب غداً حقّاً فإنّي أرى وشـك الحمـام غدا[1]

ومنها في ذكر سيف الدولة :

لولا الأمير وأنّ الفضـل مبدؤه منـه لقلـت بأنّ الفضـل منـك بدا
دام البقـاء له ما شاء مقتدراً تمضـي أوامـره ، إن حلَّ أو عقدا
يذلّ أعـداءه عزّاً ، ويرفـع منْ والاه فضـلاً ، ويبقـى للعـلا أبدا

وكتب أبو حصين إلى أبي فراس من قصيدة جواباً [من البسيط] :

من واثـبَ الدهـر كان الدهـر قاهرهُ ومـن شكا ظلمـه قلَّـت نواصِرُهُ[2]
إن كان سار فإنّ الـروح تذكره ، والعين تبصـره ، والقلـب حاضره
يا من أخالصـه ودّي ، وأمحضه نصحي ، وتأتيه من وصفي جواهره[3]
أتـى كتابـك والأنفـاسُ خافتةٌ والجسـم مستسلـمٌ ، والسُّقـم قاهره

---

(١) وشك الحمام : قرب الموت .
(٢) واثب الدّهر : قارعه وسابقه .
(٣) أمحضه : أصفيه .

والطـرف منكسـرٌ، والشــوق طارقه ، والوجــد باطنــه ، والصبــر ظاهره
فانتاشنــي وأعــاد الــروح في بدني وشـدّ صدعـاً وكســراً أنــت جابره[1]
ما زلــت في نزهــةٍ منــه وفــي زهرٍ وأحســن الــروض ما دامــت زواهره
حسبــي بسيِّدنــا فخــراً أصــول به هو الفخــور ومــا خلــقٌ يفاخرُهُ
من ذا يطاولــه ؟ أم من يماجده ؟ أم من يساجلــه ؟ أم من يكاسره ؟[2]
أم من يفاقهــه ؟ أم من يشاعره ؟ أم من يجادلــه ؟ أم من يناظره ؟
أم من يقاربــه في كلٍّ مكرمةٍ ؟ أم من يناضلـه ؟ أم من يساوره ؟[3]
أم من يبــارزه ؟ أم من يواقفه في كلٍّ معتــركٍ ؟ أم من يصابره ؟
الحــرب نزهتــه ، والبــأس همَّتُهُ والسيف عزمتــه ، والله ناصره
والجــود لذّتــه ، والشــكر بغيته والعفــو والعــرف والتقــوى ذخائره

ومنها :

هذا جواب عليلٍ لا حراك به قد خانــه فهمــه ، بل مات خاطره
يشــكو إليك بعــاداً عنــك أتلفه وطــول شوقٍ ونيرانــاً تخامره[4]
إن كان قصّــر فيمــا قال مجتهداً فأنــت بالعــدل والإحســان عاذره

وقال أيضاً فيه [من الكامل] :

آليت إنّــي ما بقيت رهين شكرِ الحــارث[5]
فــإذا المنيَّــة شارفــتْ ورَّثــت ذلــك وارثــي[6]

---

(١) انتاشني : نال منّي ، أو أعاد إليّ الروح ، والصدع : الكسر ، وجبر العظم : أصلحه وقوّاه .
(٢) يطاوله : أي يقاربه رفعةً وعلاءً ، المساجلة : المباراة والمفاخرة في الماجد والمآثر .
(٣) يساوره : يواثبه ، والمراد المحاربة .
(٤) تخامره : تداخله وتخالطه .
(٥) أليت : حلفت وأقسمت .
(٦) المنيّة : الموت ، وشارفت : دنت وقربت .

رقّي له من بعد سيّـ ـدنا وليس لثالث
قسماً على صدق الضمير ولست فيه بحانث[1]

* * *

٦ ـ أبو الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة

يقول شعراً يكاد يمتزج بأجزاء الهواء رقة وخفة ، ويجري مع الماء لطافة وسلاسة ، كقوله [من السريع] :

من سرَّه العيد فما سرّني بل زاد همِّي وأشجاني[2]
لأنّه ذكّرني ما مضى من عهد أحبابي وإخواني

ونظيرهما لغيره [من الكامل] :

من سرَّه العيد الجديـ ـد فما لقيت به سرورا
كان السرور يتمُّ لي لو كان أحبابي حضورا

ولأبي الفرج ، ويروى للقاضي أبي النعمان البصري [من المنسرح] :

نوح حمام بيثربٍ غرد هيّج شوقي وزاد في كمدي
واكبدي من عذابكم ! وكذا من ذاق ما ذقت صاح واكبدي !
فارقت إلفي فصار في بلدٍ بالرغم منّي ، وصرت في بلد

وأنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني القاضي أبو الفرج ببيروت لنفسه [من الكامل] :

مولاي ما لي منك بختُ قد ذبت من كمدٍ ومتُّ[3]

---

(١) الحانث : الذي لا يفي بقسمه .
(٢) أشجاني : أحزنني .
(٣) البخت : الحظ ، والكمد : الحزن والغمّ .

تصفو بك الدنيا ولا يصفو لعبدك منك وقتُ
مولاي ما ذنبي إليك ؟ فلو عرفت الذنب تبت
لا أنني أنسيتكم أو أنني للعهد خنت
إن كان ذاك فلا بقيت ، وإن بقيت فلا سلمت

* * *

٧ ـ أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض

كاتب سيف الدولة ونديمه ، معروف ببعد المدى في مضمار الأدب وحلبة الكتابة ، أخذ بطرفي النظم والنثر ، وكان سيف الدولة لا يؤثر عليه في السفارة إلى الحضرة أحداً لحسن عبارته وقوة بيانه ، ونفاذه في استغراق الأغراض ، وتحصيل المراد ، وقد ذكره أبو إسحاق الصابي في الكتاب « التاجي » ومدحه السري بقصائد منها قوله من قصيدة [من الوافر] :

محت رسم الكرى عن مقلتيه رواسمُ لا تملُّ من الرسيمِ[١]
تروم وقد فرعن بنا فروعاً من الفيَّاضِ طيِّبة الأرومِ[٢]
إذا طافت بعبد الله لاقت سمات المجد في الوجه الوسيمِ
لك القلم الذي يضحي ويمسي به الإقليم محمّي الحريم[٣]
هو الصلُّ الذي لو عضَّ صلاً لأسلمه إلى ليل السليم
أخو حِكَمٍ إذا بدأت وعادت حكمن بعجز لقمان الحكيم
ملكت خطامها فعلوت قساً برونقها وقيس بن الخطيم[٤]

(١) الرواسم : الإبل ، والرسيم : ضرب من السير .
(٢) الأروم : الأصول والمحتد .
(٣) الصلّ : الأفعى ، والسليم : اللديغ أطلق عليه ذلك تمنّياً له السلامة .
(٤) الخطام : العنان والزمام ، وقساً : هو قسّ بن ساعدة الأيادي .

نجومٌ لا تعوز فمن درارٍ يسار بضوئهن ومن رجوم[١]
كحلي الخود مؤتلفُ النّواحي ووشي الرّوض مختلف الرقوم[٢]

وكان يعجن مداده بالمسك ، ولا تلاق دواته إلا بماء الورد، تفادياً من قول القائل [من الوافر] :

دعيٌّ في الكتابة لا رويٌّ له فيها يُعِدُّ ولا بديهُ
كأنَّ دواته من ريق فيه تُلاقُ فريحها أبداً كريه[٣]

وإيثاراً لما قال الآخر [من الرجز] :

في كفّه مثل سنان الصعدهْ أرقش بزّ الأفعوان جلده[٤]
كأنّما النقش إذا استمدّهْ غاليةٌ مدوفةٌ بندّه[٥]

ومن ملح شعره قوله ، ولم أسمع في معناه أحسن منه [من البسيط] :

قمْ فاسقني بين خفق الناي والعودِ ولا تبعْ طيْب موجودٍ بمفقود
كأساً إذا أبصرت في القوم محتشماً قال السرور له قم غير مطرود
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا نزوّج ابن سحابٍ بنت عنقود[٦]

وأنشدني أبو علي محمد عمر الزاهر ، قال : أنشدني ابن الفياض لنفسه بحلب في

(١) رجوم : شهب تتطاير .
(٢) الخود : المرأة الناعمة ، والرقم : جمع رقم ، أراد به سطور الأزهار .
(٣) تلاق : تملأ .
(٤) الصعدة : القناة المستوية ، وأراد قلمه والأرقش : من الحيات : المنقط ، والأفعوان : ذكر الحيّات وبزّ : غلب وقهر ، يريد أنه اعتصب جلدا لأفعوان ولبسه ، والمقصد تشبيه قلمه بالأفعى .
(٥) الغالية : ضربٌ من الطيب ، وكذا الندّ ، ومدوفة : مخلوطة وممزوجة .
(٦) أي نخلط الماء بالخمر .

غلام له أثير لديه استوحش منه لميله إلى غلام آخر يقال له إقبال [من الكامل] :

أنكرت إقبالي على إقبالِ وخشيت أن تتساويا في الحال
هيهات ! لا تجزع فكلٌّ طريفةٍ ربحٌ يهون وأنت رأس المال

قال : وأنشدني لنفسه في ذلك الغلام [من الكامل] :

الآن تهجرني وأنت المذنبُ وظننت أنَّك عاتبٌ لا تعتبُ
وأمنت من قلبي التقلّب واثقاً بوفائه لك ، والقلوب تقلّبُ[1]

وقال [من الوافر] :

وما بقيت من اللّذات إلاّ محادثة الكرام على الشرابِ
ولثمك وجنتي قمرٍ منيرٍ يجول بخدِّه ماء الشباب

٨ ـ أبو القاسم الشيظمي

قال يصف نمرقة[2] رآها بجنب سيف الدولة [من مجزوء الرجز] :

نمرقةٌ منها استعا ر الرّوض أصناف المُلَحَ
فيها لمن يبصر من ريش الطواويس ملح
كأنّما دارت على سمائها قوس قزح

* * *

٩ ـ أبو ذر أستاذ سيف الدولة

قال [من الكامل] :

نفسي الفداء لمن عصيت عواذلي في حبّه لم أخش من رقبائه

---

(١) التقلّب : التحوّل والتغيّر .

(٢) النمرقة : الصغيرة من الوسائد .

الشـمس تطلـع في أسـرّة وجهه   والبـدر يطلـع من خلال قبائه[1]

وله أيضاً [من مخلع البسيط] :

مـروّعٌ منـك كلّ يوم   محتمـلٌ فيـك كلّ لوم
إن كنـت أنـكرت ملك رقي   غصبـاً صراحـاً بغير سوم[2]
فقـلْ لجنبـيَّ : أين قلبي ؟   وقـل لعينـيَّ : أين نومي ؟

* * *

١٠ ـ أبو الفتح البكتمري

يعرف بابن الكاتب الشامي ، له شعر يتغنى بأكثره ملاحة ولطافة ، أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن الكاتب لنفسه بالشام [من الرجز] :

وروضـةٍ راضيةٌ عن الدِّيمْ   وطأتهـا بناظـري دون القدمْ
وصنتها صونيَ بالشكر النّعمْ

قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

قالـوا : بكيت دمـاً؟ فقلـــت: مسحـت من خدي خلوقا[3]
أبصـرت لـؤلـؤ ثغـرهِ   فنثـرت من جفنـي عقيقا
لـولا التمسُّـك بالهـوى   لحملـت في دمعـي غريقـا

وأنشدني غيره له [من الكامل] :

قمـرٌ كأنّ قوامـه   من قدِّ غصـنٍ مسترقْ

---

(١) القباء : الثوب الذي يعتمره فوق ثيابه .
(٢) السوم : المبايعة والمفاصلة عند الشراء
(٣) الخلوق : الطيب .

وكأنّما اصطبح الربيـــع بوجنتيه واغتبق[1]
وكأنّما قلم الزمرّد فوق عارضه مشق[2]

وله من أبيات [من المتقارب] :

سقاني بعينيه كأس الهوى وثنّى وثلّث بالحاجبِ
كأنّ العذار على خدّه فذالك من مشقة الكاتبِ

ووجدت على ظهر دفتر عراقي الخط هذين البيتين منسوبين إليه [من الكامل] :

ردّوا الهدوّ كما عهدت إلى الحشا والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا
من بعد ملكي رمتمُ أنْ تغدروا ما بعد فرقة بيِّعين تخيّرٌ[3]

وله زعم في الميضأة [من السريع] :

أحقّ بيتٍ من بيوت الورى بصونه قدماً وإيثاره
بيتٌ إذا [ما] زاره زائرٌ فقد قضى أعظم أوطاره[4]
يدخله المولى بخزٍّ كما يدخله العبد بأطماره[5]
وهو إذا ما كان مستنظفاً مروءة الإنسان في داره

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني بعضهم لنفسه في أبي الفتح ابن الكاتب ، ولم ينصف فضله [من السريع] :

إن أبا الفتح فتىً كاتبٌ والشعر من آلته فضلُ

---

(١) اصطبح واغتبق : أي شرب الخمرة صباحاً ومساءاً .
(٢) العارض : صفحة الخدّ ، ومشق : مدّ وأطال حرومه .
(٣) أخذ معناه من الحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .
(٤) أوطاره : حاجاته وغاياته .
(٥) الخزّ : ضربٌ فاخر من الحرير ، والأطمار : الثياب البالية .

أنشدنـــا شعـــراً فقلنـــا له : ذا غزلٌ ويحـــك أم غَزْلُ ؟
وملـــت عنـــه نحـــو أصحابنا أسألهـــم : هل عنـــدكم نعل !؟

* * *

١١ ـ أبو الفرج العجلي الكاتب

أنشدني أبو بكر الخوارزمي له أبياتاً تعجب من سلاستها وسهولة مأخذهـا وعذوبة ألفاظها ، وذكر أنه من أفـراد مطبوعـي تلك البـلاد ، فمنهـا قولـه [مـن المتقارب] :

أقـــول له يا مُذيقـــي الهوى ولـــم أكُ فيمـــا مضـــى ذقتُهُ
سألتـــك بالله لا تدنني إلـــى أجـــلٍ ما دنـــا وقته
ملـــكت فؤادي فعذّبته ولـــو أنّـــه في يدي صنته

ومنها قوله [من الكامل] :

أرسلـــت نظـــرة وامـــقٍ لك خائفٍ من عين واشٍ لحظـــه ما يفترُ[١]
وجعلـــت أوهـــم أنّ قلبـــي مضمرٌ شيئاً سوى نظـري ، وأنـــت المضمر

ومنها قوله [من الخفيف] :

وأريه أنّـــي سلـــوت ، وإني لمشـــوقٌ والله صبٌّ إليهِ
وهـــواه يدبُّ في كلّ قلبٍ كدبيب الســـواد في عارضيه[٢]

ومنها قوله وأنشدنيه غيره [من الوافر] :

عـــذارٌ كالطّـــراز علـــى الطراز وبـــدرٌ في الحقيقـــة لا المجازِ

---

(١) الوامق : المحب العاشق ، يفتر : يضعف وينكسر .
(٢) يدبُّ : يتمشّى .

ولـــو جاز السجـــود له سجدنا ولـــكن ليس ذاك بمستجازِ

* * *

١٢ ـ أبو عبد الله الحسين بن خالويه*[١]

أصله من همذان ، ولكن استوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآل حمدان يكرمونه ، ويدرسون عليه ، ويقتبسون منه ، وله شعر لم يحضرني منه الآن إلا قوله في وصف بَرْدَ همذان [من الطويل] :

إذا همـــذان اعتارهـــا القـــرُّ وانقضى برغمـــك أيلـــولٌ وأنـــت مقيمُ[٢]
فعينـــك عمشـــاءُ وأنفـــك سائلٌ ووجهـــك مســـودّ البياض بهيم
وأنـــت أسيرُ البـــرد تمشـــي بعلّةٍ علـــى السّيف تحبـــو مرّةً وتقوم
بلادٌ إذا ما الصيف أقبـــل جنّةٌ ولكنّهـــا عنـــد الشتـــاء جحيم

ولبعضهم في برد همذان [من الكامل] :

همـــذان متلفـــة النفـــوس ببردها والزمهـــرير ، وحرُّهـــا مأمونُ
غلـــب الشتـــاء مصيفهـــا وخريفها فكأنّمـــا تمـــوزهـــا كانـــون

ولأبي علي كاتب بكر [من السريع] :

يـــا بلـــدةً أســـلمني بردها وبـــرد من يسكنهـــا للقلقْ
لا يسلـــم الشاتـــي به من أذىً من لثـــقٍ أو دمـــقٍ أو زلق[٣]

---

(١) إقرأ ترجمة ابن خالويه في ابن خلكان (١/ ٢٨١ النيل) .
(٢) اعتارها : حلّ بها ، والقرّ : البرد القارص .
(٣) اللثق : الوحل ، والدّمق : الريح التي يرافقها بَرْد ، والزلق : السقوط وزلّة القدم .

ولأبي الربيع البلخي في الشاش[1] [من المجتث] :

الشـــاش في الصيف جَنَّة ومــن أذى الحــر جُنَّةٌ[2]
لـكـنّني تعتـريـنـي بهـا لدى البــرد جِنّـةٌ[3]

وفي مثل هذه الصنعة ، وإن كان في غير المعنى ، لغيره [من المجتث] :

يا شادنــاً متُّ قَبْلَهْ قد صار في الحســن قُبْلَهْ
امنــنْ عليَّ بقبلـةٍ تشـفـي فـؤاداً مـولّـه[4]

ولابن خالويه ايضاً [من الطويل] :

إذا لم يكن صدر المجــالس سيّداً فلا خيرَ فيمــن صدّرتــه المجالسُ
وكم قائــلٍ : ما لي رأيتــك راجلاً ؟ فقلـت له : مَن أجـل أنّــك فارس !

* * *

١٣ ـ أبو الفتح عثمان بن جني النحوي اللغوي*[5]

هو القطب في لسان العرب ، وإليه انتهت الرياسة في الأدب ، وصحب أبا الطيب دهراً طويلاً ، وشرح شعره ، ونبه على معانيه وإعرابه ، وكان الشعر أقل خلاله لعظم قدره ، وارتفاع حالـه . فمـن ذلك قولـه في الغـزل [مـن مجـزوء الوافر] :

غـزالٌ غيـر وحشـيٍّ حكـى الوحشـيُّ مقلتَـهُ
رآه الــورد يجنـي الور د فاستـكسـاه حـلّـتـهُ

(١) الشاش : بلدة ممّا وراء النهر ينسب إليها كثير من العلماء .
(٢) جلة الأولى بفتح الجيم : البستان ، والثانية بضم الجيم : بمعنى الوقاية .
(٣) جنّة : بكسر الجيم : تعني الجنون .
(٤) امنن : تكرّم وتمنّن ، والواله : العاشق المعذب .
(٥) إقرأ ترجمة أبي الفتح في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٥٦١ النيل) .

وشمٌّ بأنفه الريحا ... ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريقه الصهبا ... ء فاختلسته نكهته[1]

وله [من الطويل] :

أيا دارهم ما أنت أنت مذ انتووا ... ولا أنا مذ سار الركاب أنا أنا[2]
وجود المنى أن لا يكاثر بالمنى ... ونيل الغنى أن لا يكاثر بالغنى
ومن كان في الدنيا أشدّ تصوّراً ... تجده عن الدنيا أشدُّ تصوّنا

* * *

١٤ ـ الشمشاطي

هو أبو الفتح الحسن بن علي بن محمد ، لم يقع إلى من شعره إلا قوله في البنفسج [من الكامل] :

إشربْ على زهر البنفسـ ... ـج قبل تأنيب الحسودِ
فكأنّما أوراقه ... آثار قرصٍ في الخدودِ

وقوله في الجلنار [من الخفيف] :

وبدا الجلّنار مثل خدودٍ ... قد كساها الحياءُ ثوبَ عقارِ
صبغة الله كالعقيق تراه ... أحمراً ناصعاً لدى الاخضرارِ

* * *

وممن يليق ذكره بهذا المكان من اعيان الشام ، وليس يحضرني شعر أبو القاسم الآدمي ، وإذا حصلت عليه الحقته به ، وهذا آخر الباب الرابع .

* * *

---

(١) اختلسته : أي سرقت منه ، والنكهة : المذاق .
(٢) انتووا : أي ابتعدوا وفارقوا .

الباب الخامس

١٥ ـ في ذكر أبي الطيب المتنبي ، وما له وما عليه*

هو ـ وإن كان كوفي المولد ـ شامي المنشأ ، وبها تخرج ، ومنها خرج . نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه ، المشهور به ، إذ هو الذي جذب بضبعه[٢] ، ورفع من قدره ، ونفق سعر شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه في البدو والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظه ، كما قال وأحسن ما شاء [من الطويل] :

وما الدّهر إلاّ من رواة قصائدي ... إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمِّراً ... وغنّى به من لا يغنّي مغرِّدا[٣]

وكما قال [من المتقارب] :

ولي فيك ما لم يقلْ قائلٌ ... وما لم يسرْ قمرٌ حيث سارا
وعندي لك الشُّردُ السائرا ... ت لا يختصصن من الأرض دارا
إذا سرن من مَقْوِلٍ مرّةً ... وثبن الجبال وخضن البحارا

---

(١) إقرأ ترجمة أبي الطيب في وفيات الأعيان (١/ ٦٢/ النيل) .
(٢) جذب ضبعه : كناية عن أنه رفعه وأعلى قدره .
(٣) مشمّراً : جاداً .

هذا من أحسن ما قيل في وصف الشعر السائر ، وأبلغ منه قول علي بن الجهم حيث قال [من الطويل] :

ولكنّ إحسان الخليفة جعفرٍ دعاني إلى ما قلت فيه من الشِّعر
فسار مسير الشمس في كلِّ بلدةٍ وهبَّ هبوب الريح في البرِّ والبحر

فليس اليوم مجالس الدرس ، أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس ولا أقلام كتاب الرسائل ، أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل ، ولا لحون المغنين والقوالين ، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألفت الكتب في تفسيره ، وحل مشكله وعويصه ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه ، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه[1] . وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه والنضح[2] عنه ، والتعصب له وعليه . وذلك أول دليل دل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفرده عن أهل زمانه ، بملك رقاب القوافي ، ورق المعاني ، فالكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته « وما زالت الأملاك تهجي وتمدحُ » .

وأنا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه ، وما يرتضى وما يستهجن من مذاهبه في الشعر وطرائقه ، وتفصيل الكلام في نقد شعره ، والتنبيه على عيونه وعيوبه ، والإشارة إلى غرره وعرره[3] ، وترتيب المختار من قلائده وبدائعه ، بعد الأخذ بطرف من طرق أخباره ومتصرفات أحواله ، وما تكثر فوائده وتحلو ثمرته ، ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب كتميزه عن أصحابها بعلو الشأن في شعر الزمان ، والقبول التام عند أكثر الخاص والعام .

---

(١) العون : بضمّ العين ، جمع عوان وهي النصف من النساء .
(٢) النضح عنه : أراد الدفاع عنه .
(٣) الغرر : البدائع ، والعرر : الساقط من شعره .

ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأن أباه سافر إلى بلاد الشام، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها ، ومن مدرها إلى وبرها ، ويسلمه في المكاتب ، ويردده في القبائل ، ومخايله نواطق الحسنى عنه . وضوامن النجح فيه ، حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع ، وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوماً من رائشي نبله[1] ، على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده . وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده ، وهو القائل في الحبس قصيدته التي أولها [من المتقارب] :

أيا خدَّد الله ورد الخدودِ ... وقدَّ قدود الحسان القدودِ

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتنصل مما قذف به :

أمالك رقّي ، ومن شأنه ... هبات اللجين وعتق العبيدِ
دعوتك عند انقطاع الرجا ... ء والموت منّي كحبل الوريدِ
دعوتك لما براني البلى ... وأوهن رجليَ ثقلُ الحديدِ

ومنها :

وقد كان مشيهما في النعال ... فقد صار مشيهما في القيود[2]
وكنت من الناس في محفلٍ ... فها أنا في محفلٍ من قرود
تعجّل فيَّ وجوب الحدود ... وحدِّيَ قبل وجوب السجود ![3]

---

(١) رائشي نبله : كناية عمّن يقوى بهم ساعده تقول راش النبل يريشه : إذا لزق فيه الريش ليقوى .
(٢) المشيهم : من الشيهم ، وهوما عظم شوكه من ذكور القنافذ .
(٣) الحدود : تنفيذ أوامر الشريعة في المخالفين لها .

أي : إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب عليّ الصلاة بعد ، ويجوز أن يكون قد صغّر سنه وأمر نفسه عند الوالي ، لأن من كان صبياً لم يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف .

ومن شعره في الحبس ما كتب به إلى صديق له قد كان أنفذ إليه مبرّة [من المنسرح] :

أهــون بطــول الثــواء والتلفِ   والسجــن والقيد ، يا أبــا دلفِ
غير اختيارٍ قبلــت برّك بي   والجــوع يرضـي الأســود بالجيف

يشبه قول أبي عيينة [من مخلع البسيط] :

مــا أنــت إلا كلحــم ميْتٍ   دعــا لي إلــى أكلــه اضطرارُ

(رجع) :

كنْ أيّهــا السجــن كيف شئــت فقدْ   وطّنــت للمــوت نفسَ معترِفِ
لو كان سكنــاي فيك منقصةً   لم يكن الــدرُّ ساكن الصدف

ويحكى أنه تنبأ في صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبه ، وحسن كلامه ، وحـكى أبـو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقبت بالمتنبي لقولي [من الخفيف] :

أنــا ترب النــدى وربُّ القوافي   وسمــام العــدا وغيظُ الحسودِ
أنــا في أمّــةٍ تداركهــا اللـ   ـه غريبٌ كصالــحٍ في ثمودِ

وفي هذه القصيدة يقول :

مــا مقامــي بأرض نخلــة إلاّ   كمقــام المسيــح بيـن اليهود

وما زال في برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ، يدور حب الولاية والرياسة في رأسه ، ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه ، في الخروج

على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الأطراف ، ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله [من البسيط] :

لقد تصبّرت حتى لات مصطبرٍ فالآن أقحم حتى لات مقتحم[١]
لأتركنّ وجوه الخيل ساهمةً والحرب أقوم من ساقٍ على قدم[٢]
[والطعن يحرقها والزجر يقلقها حتّى كأنّ بها ضرباً من اللممِ[٣]
قد كلّمتها العوالي فهي كالحةٌ كأنّما الصّاب مذرورٌ على اللجمِ][٤]
بكلّ منصلتٍ ما زال منتظري حتى أدلت له من دولة الخدمِ[٥]
شيخٌ يرى الصلوات الخمس نافلةً ويستحلُّ دمَ الحجاج في الحرم

وقوله [من الطويل] :

سأطلب حقّي بالقنا ومشايخٍ كأنّهم من طول ما التثموا مردُ
ثقالٌ إذا لاقوا ، خفافٌ إذا دعوا كثيرٌ إذا شدّوا ، قليلٌ إذا عدّوا
وطعنٍ كأنّ الطّعنَ لا طعنَ بعده وضربٍ كأنّ النار من حرّه بردُ
إذا شئت حفت بي على كلّ سابحٍ رجالٌ كأنّ الموت في فمها شهد[٦]

وقوله [من الطويل] :

ولا تحسبنّ المجد زقّاً وقينةً فما المجد إلاّ السّيفُ والفتكةُ البكرُ
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر[٧]

---

(١) لات : بمعنى النهاية أي تصبر حتى أخر الاصطبار .
(٢) ساهمة : ضامرة ضعيفه .
(٣) اللمم : ضرب من الجنون.
(٤) الصّاب : شجر مرّ ، وعصارته شديدة المرارة مذرور : نابت وطالع.
(٥) أدلت له : غلّبته وأظفرته.
(٦) السابح : الحصان.
(٧) الهبوّ : الغبار يرتفع في الجوّ.

وتـركك في الـدّنيا دويّاً كأنّما تداول سمع المـرء أنملـه العشر[1]

وقوله [من البسيط] :

وإن عمـرْت جعلـت الحـرب والدةً والسمهـريَّ أخـاً ، والمشرفـيَّ أبا
بكلِّ أشعـث يلقـى المـوت مبتسماً حتّـى كأنّ له في قتلـهِ أربا
قحٌّ يكاد صهيل الخيل يقذفه من سرجـه مرحـاً للعـزّ أو طربا[2]
الموت أعذرُ لي ، والصبر أجمل بي ، والبـرُّ أوسـع ، والـدنيا لمـن غلبا

وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعـد من آمالـه ، ويمشـي في منـاكب الأرض ، ويطوي المناهل والمراحـل ، ولا زاد إلا من ضرب الحـراب ، علـى صفحة المحراب[3] . ولا مطية إلا الخف أو النعل ، كما قال [من المنسرح] :

لا ناقتـي تقبـل الـرديف ولا بالسّـوط يوم الرهـان أجهدُها
شراكهـا كورهـا ، ومشفرها زمامهـا ، والشسـوع مقودهـا[4]

وإنما ألم في هذا المعنى بأبي نواس في قوله [من الطويل] :

إليك أبـا العبـاس من بين من مشى عليهـا امتطينـا الحضرمـيّ الملسّنا[5]
قلائص لم تعـرفْ حنينـاً علـى طلا ولـم تدرِ ما قرع الفنيق ولا الهنا[6]

---

(١) تداول سمع المرء : أي جعل الإنسان أصابعه في أذنيه .
(٢) قحٌّ : خالص النسب ، جمعه أقحاح يقال: عربٌ أقحاح .
(٣) أراد بالمحراب هنا العنق ، يريد أنه ينهب الناس بعد ما يقتلهم .
(٤) الشسوع : حبل من جلد .
(٥) الحضرميّ الملسّنا : أراد النعل الذي يلبسه في رجله .
(٦) القلائص : النوق ، والطلا : الصغير من ولد الإبل والفنيق : الفحل من فحولة الأبل؛ الهنا : طلي الإبل ، الجربى بالقطران .

وكما قال في شكوى الدهر ووصف الخف [من الكامل] :

أظمتنـــيَ الــدُّنيا فلمّــا جئتها مستســقياً مطــرت علــيَّ مصائبا(١)
وحُبيت من خِوص الــرِّكاب بأسودٍ من دارشٍ فغدوت أمشــي راكبا(٢)

وكما قال في الاعتداد بالرحلة ، والقدرة على الرجلة [من المنسرح] :

ومهمــهٍ جبتــهُ علــى قدمي تعجــز عنــه العــرامس الذُّلُلُ(٣)
[بصارمــي مرتــدٍ ، بمخبرتــي مجتــزىءٌ ، بالظّــلام معتملُ]
إذا صديقٌ نكرت جانبه لم تعينــي في فراقــهِ الحيلُ
فــي سعــة الخــافقين مضطربٌ وفــي بلاد من أختهــا بدلُ

وشتان ما بين حاله هذه والحال التي قال فيها [من البسيط] :

وعرَّفاهــمْ بأنّــي من مكارمــه أقلّــب الطــرف بين الخيل والخول(٤)

وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصطـاد ما بين الكركي والعندليب .

ويحكى أن علي بن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التي أولها [من الكامل] :

بأبي الشمـوس الجانحـاتِ غواربا [اللابســاتِ مـن الحـرير جلاببا]

---

(١) أطمتني : أصلها أظمأتني بالهمز - فسهّل الهمزة فصارت الفاً، ثم حذفها كما تحذف الألف الأصلية.
(٢) حُبت : أعطيت، والخوص : ورق النخل.
(٣) العرامس : التوق الشديدة ، والذلُلْ : جمع ذلول وهو سهلة القياد.
(٤) الخول: العبيد .

ومنها :

حالٌ متى علم ابن منصورٍ بها جاء الزّمان إليَّ منها تائبا

إلا ديناراً واحداً ، فسميت الدينارية .

ولما انخرط في سلك سيف الدولة ، ودرّت له أخلاف الدنيا على يده ، كان من قوله فيه [من الطويل] :

تركت السُّرى خلفي لمن قلَّ ماله وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا[1]

وقيَّدت نفسي في هواك محبَّةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيَّدا

وهذا البيت من قلائده ، وإنما ألم فيه بقول أبي تمام [من الكامل] :

هممي معلَّقةٌ عليك رقابها مغلولةٌ ، إنّ الوفاء إسارُ

ولكنه أخذ عباءة وردها ديباجاً ، وأرسلها مثلاً سائراً ، وكرر هذا المعنى فزاد فيه حتى كاد يفسده في قوله [من الكامل] :

يا من يقتِّل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان

* * *

نبذ من أخباره

لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها [من البسيط] :

أجاب دمعي وما الداعي سوى طللِ دعا فلبّاه ، قبل الركب والإبلِ

وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة ، فلما انتهى إلى قوله :

يا أيُّها المحسن المشكور من جهتي والشكر من جهة الإحسان ، لا قبلي

---

(١) السُّرى : المسير ليلاً ، والعسجد الذهب .

[مـا كان نومـيَ إلاّ فوق معرفتي بأنّ رأيك لا يؤتـى من الزَلَل]
أقـلْ أنـلْ أقطـعْ احمـلْ علْ سلْ أعد زدْ هشّ بشّ تفضّـلْ أدنِ سرْ صلِ

وقع تحت أقل : قد أقلناك ، وتحت أنل : يحمل إليه من الدراهم كذا ، وتحت أقطع : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب ، وتحت احمل : يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت عل : قد فعلنا ، وتحت سل : قد فعلنا فاسل ، وتحت أعد : أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت زد : يزاد كذا ، وتحت تفضل : قد فعلنا ، وتحت أدن: قد أدنيناك ، وتحت سر : قد سررناك . وتحت صل : قد فعلنا .

قال ابن جني : فبلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السرية ، فأمر له بجارية .

قال : وحكى لي بعض إخواننا أن المعقلي ـ وهو شيخ كان بحضرته ظريف ـ قال له ـ وحسد المتنبي على ما أمر به ـ : يا مولاي قد فعلت به كل شيء سألكه ، فهلا قلت له لما قال لك هش بش : هه هه هه ، يحكي الضحك ، فضحك سيف الدولة ، فقال له : ولك أيضاً ما تحب ، وأمر له بصلة .

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » أن أبا الطيب نسج على منوال ديك الجن فقال [من الخفيف] :

احـل وامـررْ وضـر وانفـعْ ولِنْ واخـ ـشنْ ورِشْ وابـرِ وانتـدبْ للمعالي

وحكى ابن جني قال : حدثني أبو علي الحسين بن أحمد الصنوبري ، قال : خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس متلثم قد أهوى نحوي برمح طويل ، وسدده الى صدري ، فكدت أطرح نفسي عن

الدابة فرقاً ، فلما قرب مني ثنى السنان وحسر لثامه[1] فإذا المتنبي ، وأنشدني [من الطويل] :

نثرنـا رءوسـاً بالأحيدب منهم كمـا نثـرت فوق العـروس الدراهم

ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسـن هو ؟ فقلـت له : ويحـك ! قد قتلتني يا رجل ، قال ابن جني : فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينـة السـلام لأبـي الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا علي من التقريظ والثناء بما يقال في مثله .

قال : وأنشدت أبا علي ليلاً قصيدة أبي الطيب التي أولها [من البسيط] :

* واحرّ قلباه ممّن قلبه شبم[2] *

فلما وصلت إلى قوله فيها :

وشـرّ ما قنصتـه راحتـي قنصٌ شهـب البـزاة سواءٌ فيه والرّخم[3]

أعجب جداً به ، ولم يزل يستعيده ، حتى حفظه ، ومعناه : إذا تساويت ومن لا قدر له في أخذ عطاياك فأي فضل لي عليه ؟ وما كان من الفائدة كذا لم أفرح به ، وإنما أفرح بأخذ ما تختص به الأفاضل .

قال : وحدثني المتنبي قال : حدثني فلان الهاشمي من أهل حران بمصر ، قال : أحدثك بطريفة ، كتبت إلى امرأتي وهي بحران كتاباً تمثلت فيه ببيتك [من البسيط] :

بم التعلّل لا أهـلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ ؟

---

(١) حسر لثامه : أزاله عن وجهه فانكشف وظهر.
(٢) الشبم : البارد ، لأنّ قلبه لم يداخله الحب حتى يحترق بناره.
(٣) الرّخم : طائر من الجوارح يشبه النسر.

فأجابتني عن الكتاب ، وقالت : ما أنت والله كما ذكرته في هذا البيت ، بل أنت كما قال الشاعر في هذه القصيدة :

سهـرت بعـد رحيلـي وحشـةً لكمُ ثم استمـرّ مريري وارعـوى الوسن[1]

قال : ولما سمع سيف الدولة البيت الذي يتلوه وهو قوله :

وإن بليت بودٍّ مثـل ودكمُ فإنّنـي بفـراقٍ مثلـه قِمنُ[2]

قال : سار وحق أبي .

قال : ولما سمع قوله لفنا خسرو [من المنسرح] :

وقـد رأيت الملـوك قاطبةً وسـرت حتـى رأيت مولاها

قال : ترى هل نحن في الجملة ؟

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كان أبو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر [من الطويل] :

وإنّ أحـقّ النـاس باللـوم شاعرٌ يلـوم علـى البخـل الرجـال ويبخلُ

وإنما أعرب عن عادته وطريقته في قوله [من الطويل] :

بليت بلـى الأطـلال إن لم أقفْ بها وقوف شحيحٍ ضاع في التـرب خاتمه

فحضرت عنده يوماً بحلب وقد أحضر مالاً من صلات سيف الدولة ، فصب بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد في كيس ، وإذا بقطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصير ، فأكب عليهـا بمجامعه ينقرهـا ويعالج استنقاذها منـه ، ويشتغـل بذلك عن جلسائـه حتـى توصـل إلـى إظهـار

---

(١) استمرّ مريري : قوي بعد ضعف والمرير : العزيمة وارعوى : تراجع ، والوسن: النعاس.
(٢) القمن : الجدير .

بعضها ، فتمثل ببيت قيس بن الخطيم [من الطويل] :

تبــدَّتْ لنــا كالشــمس بين غمامةٍ بدا حاجبٌ منهـا وضنَّت بحاجبِ[1]

ثم استخرجها ، وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس ، وقال : إنها تحضر المائدة .

وسمعته يقول : لما أنشد المتنبي عضد الدولة قصيدته فيه التي أولها [من الوافر] :

* مغاني الشعب طيباً في المغاني *

وانتهى إلى قوله فيها .

وألقــى الشــرق منهــا في ثيابي دنــانيراً تفرُّ من البنان

قال له عضد الدولة : لأقرنها في يديك ، ثم فعل .

قال : ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد ، وترفع عن مدح المهلبي الوزير ، ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك ، شق ذلك على المهلبي ، فأغرى به شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه ، وتباروا في هجائه ، وفيهم ابن الحجاج وابن سكرة [محمد بن عبد الله الزاهد] الهاشمي ، والحاتمي ، وأسمعوه ما يكره ، وتماجنوا به ، وتنادروا عليه ، فلم يجبهم ولم يفكر فيهم ، وقيل له في ذلك ، فقال : إني فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء [من الوافر] :

أرى المتشاعـرين غروا بذمّي ومـن ذا يحمـل الـدّاء العضالا[2]

ومـن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجـد مرّاً به المـاء الزلالا

---

(١) تبدّت : ظهرت.

(٢) غروا : أولعوا .

وقولي [من الطويل] :

أفـي كلّ يومٍ تحـت ضبنـي شويعرٌ ضعيفٌ يقاوينـي قصيرٌ يطاولُ[1]
لساني بنطقـي صامـتٌ عنـه عادلٌ وقلبـي بصمتي ضاحـكٌ منـه هازلُ
وأتعـب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكلُ
ومـا التّيه طِبِّـي فيهـمُ غير أنني بغيضٌ إلـيَّ الجاهـل المتعاقل[2]

وقولي [من الكامل] :

وإذا أتتـك مذمّتـي من ناقصٍ فهـي الشهـادة لي بأنِّـي فاضل

قال : وبلغ أبا الحسين بن لنكك بالبصرة ما جرى على المتنبي من وقيعة شعراء بغداد فيه ، واستحقارهم له ، وكان حاسداً له ، طاعناً عليه ، هاجياً إياه ، زاعماً أن أباه كان سقاء بالكوفة فشمت به وقال [من البسيط] :

قولا لأهـل زمـانٍ لا خلاق لهم ضلّوا عن الرشد من جهلٍ بهم وعموا
أعطيتـم المتنبـي فوق منيته فزوّجـوه برغـمٍ أمّهاتكمُ
لكنّ بغـداد جاد الغيث سَاكنها نعالهـم في قفـا السقّـاء تزدحم

قال : ومن قوله فيه [من الخفيف] :

متنبِّيكُمُ ابـن سقّـاء كوفا ن ويوحـى من الـكنيف إليه[3]
كان من فيه يسلـح الشعـر حتى سلحـت فقحـةُ الزمـان عليه

ومن قوله أيضاً فيه [من المجتث] :

مـا أوقـح المتنبّـي فيمـا حكـى وادّعـاهُ

---

(١) الضبن : بكسر الضاد وسكون الباء ، ما بين الكشح والإبط.
(٢) التيه :التكبّر والعجب، وطبّي : عادتي وخلقي.
(٣) الكنيف : المرحاض .

أبيح مالاً عظيماً حتى أباح قفاه
يا سائلي عن غناه من ذاك كان غناه
إن كان ذاك نبياً فالجاثليق إلّه

ثم إن أبا الطيب المتنبي اتخذ الليل جملاً ، وفارق بغداد متوجّهاً إلى حضرة أبي الفضل بن العميد مراغماً للمهلبي الوزير ، فورد أرجان ، وأحمد مورده ، فيحكى أن الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان ، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، وكتب إليه يلاطفه في استدعائه ، وتضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يقم له المتنبي وزناً ، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده ، وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمنية ، وورود مشرع المنية ، واتخذه الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ، ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعي عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته، وأحفظهم لها ، وأكثرهم استعمالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته ، وكان مثله معه كما قال الشاعر [من الرجز] :

شتمت من يشتمني مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجتهْ
فقال: لمّا وقّع البزّاز في الثوب علمنا أنّه من حاجتهْ[1]

وكما قال الآخر[من الطويل] :

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم أر كالدُّنيا تذمُّ وتحلب[2]

وكما قال الآخر[من البسيط] :

(١) البزّاز : بائع البز.
(٢) يرضعونها : أي يشربون لبنها ، وتحلب : يستخرج لبنها .

نُبِّئْتُ أنّي إذا ما غبتُ تشتمني   قل ما بدا لك فالمحبوب مسبوبُ

* * *

قطعة من حل الصاحب وغيره نظم المتنبي واستعانتهم بألفاظه ومعانيه في الترسل

فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة :

وأما قلعة (كذا) فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تعطس بأنف شامخ من المنعة ، وتنبو بعطف جامع على الخطبة ، وترى أن الأيام قد صالحتها على الإعفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث ، فلما أتاح الله للدنيا ابن بجدتها ، وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون ما بين البحور والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار ، فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين ومثواهم القديم ، نهزة الحوادث ، وفرصة البوائق ، ومجر العوالي ، ومجرى السوابق .

وإنما ألم بألفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما [من الكامل] :

حتّى أتى الدنيا ابن بجدتها   فشكا إليه السّهل والجبل[1]

والآخر [من الطويل] :

تذكّرت ما بين العذيب وبارق   مجرّ عوالينا ومجرى السوابقِ[2]

وفصل له ـ لئن كان الفتح جليل الخطر ، عظيم الأثر ، فإن سعادة مولانا لتبشر بشوافع له ، يعلم معها أن لله أسراراً في علاه لا يزال يبديها ، ويصل أوائلها بتواليها .

---

(١) ابن بجدتها : أي العالم بالشيء المتقن له .

(٢) العوالي : الرماح ، والسوابق : الخيل.

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما كلام العــدى ضربٌ من الهذيانِ

فصل ـ ولو كان ما أحسنه شظية في قلم كاتب لما غيرت خطه ، أو قذى في عين نائم لما انتبه جفنه .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولــو قلــمٌ ألقيت في شقّ رأسهِ من السقــم ما غيّرت من خط كاتبِ

وقول نصر [من السريع] :

ضنيت حتــى صرت لو زجّ بي في ناظــر النائــم لــم ينتبهْ[1]

ومنه أخذ ابن العميد قوله [من الكامل] :

فلــو انّ ما أبقيت في جســدي قذى في العين لم يمنــع من الإغفاء

فصل للصاحب في التعزية ـ إذا كان الشيخ القدوة في العلم وما يقتضيه ، والأسوة في الدين وما يجب فيه ، لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ، ويؤخذ في ثارات الأسى والأسى بمذهبه ، فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزيته ، إلا إذا روينا له بعض ما أخذناه عنه ، وأعدنا إليه طائفة مما استفدناه منه .

وإنما هو حل من قول أبي الطيب [من الخفيف] :

أنــت يا فوق أن يعــزى عن الأحـ ـبــاب فوق الــذي يعــزّيك عقلا
وبألفاظــك اهتـدى فإذا عزّا ك قال الــذي له قلــت قبلا

وفصل له ـ وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر .

---

(١) ضنيت : هزلت وضعفت.

وهو من قول أبي الطيب [من الكامل] :

وذكيٌّ رائحة الرياض كلامها ... تبغي الثناء على الحيا فيفوح[١]

والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمة الوليّ على الوسميّ ثم العهاد بعد العهاد[٢]
فهي تثني على السماء ثناءً ... طيّب النّشر شائعاً في البلاد
من نسيم كأنّ مسراه في الأر ... واح مسرى الأرواح في الاجساد

ومما أورده من أبيات أبي الطيب كما هي قوله في كتاب أجاب به ابن العميد عن كتابه الصادر إليه عن شاطىء البحر في وصف مراكبه وعجائبه :

وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفكره ، سعة صدره ، ولو فعل ذلك لرأى البحر وشلاً لا يفضل عن التبرض[٣] ، وثمداً لا يكثر عن الترشف[٤] [من الطويل] :

وكم من جبالٍ جبت تشهد أنّني الـ ... ـجبال وبحرٍ شاهدٍ أنّني البحرُ[٥]

وله من رسالة في التهنئة ببنت أولها ـ أهلاً بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، ثم يقول فيها [من الوافر] :

ولو كان النساء كمثل هذي ... لفضّلتِ النّساء على الرجالِ

---

(١) الحيا : المطر ، شبه رائحة أزهار الرّياض بالكلام ، ثم بيّن أن الرياض أرادت أنّ تتحدّث عن صنائع المطر فأرسلت عبير أزهارها تحدِّث عنه .

(٢) الولي : المطر بعد المطر ، والوسميّ : مطر الربيع والعِهاد : أوّل المطر.

(٣) الوشل : القليل من الماء ، والتبرّض : الاكتفاء والتبلّغ بالقليل، ولا يفضل عنه : لا يزيد على قدره .

(٤) الثمد : الماء القليل ، والترشّف: أخذ الماء جرعة بعد جرعة .

(٥) جبت : قطعت.

وما التـأنيث لاسـم الشـمس عيبٌ   ولا التـذكير فخـرٌ للهلال

وهما لأبي الطيب من قصيدة في مرثية والدة سيف الدولة إلا أنه يقول :

* ولو كان النساء كمن فقدنا *

وللصاحب من كتاب تعزية ـ وقلنا : قد أخذ الزمان من أخـذ ، وتـرك من ترك ، فهو لا شك يعفو عن القمر ، وقد أسلم الشمس للطفل[1] ولا يصل الصروف بالصروف ، ولا يجمع الكسوف إلى الخسوف ، فأبي حكم الملوين ، وقد غبنك إذ قاسمك الأخوين ، إلا أن يعود فيلحق الباقي بالفاني ، والغابر بالماضي [من البسيط] :

وعـاد في طلـب المتـروك تاركهُ   إنّـا لنفعـل والأيام في الطلبِ
ما كان أقصـر وقتـاً كان بينهما   كأنّـه الوقـت بين الـورد والقرب

أقول : هذا كعادة المصدور في النفث ، وشكوى الحزن والبث ، وإلا فما يعجب السفر من تقدم بعض ، وكل بين الراحلة والرحل ، لا يترك الموت ساعياً على وجه الأرض ، حتى ينقله إلى بطن الترب [من السريع] :

نحـن بنـو الموتـى فمـا بالنا   نعـاف ما لا بدّ من شربهِ
تبخـل أيدينـا بأرواحنا   علـى زمـانٍ هنّ من كسبه
فهـذه الأرواح من جوِّه   وهـذه الأجسـام من تربه

وهذا غيض من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبي ، وتمثل به من شعره . ولو ذكرت نظائره لامتد نفس هذا الباب .

وليس هو بأوحد في الاقتباس من كلامه ، هذا أبو إسحاق الصابي رسيله في

---

(١) الطَفَل : بفتح الطاء والفاء، الوقت عند الغروب.

ذلك وزميله ، وقد قرأت له غير فصل فيما أشرت إليه ، ونبهت عليه : فمنه ما كتب في تقريظ ـ شاب مقتبل الشبيبة ، مكتهل الفضيلة ، ولقد آتاه الله في اقتبال العمر جوامع الفضل ، وسوغه في عنفوان الشباب محامد الاستكمال ، فلا تجد الكهولة خلة تتلافاها بتطاول المدة ، وثلمة تسدها بمزايا الحنكة .

وإنما هو حل نظم أبي الطيب ، وإن كان في معنى آخر [من المنسرح] :

لا تجد الخمر في مكارمه   إذا انتشى خلّةً تلافاها[1]

وأخذ من قول البحتري [من الطويل] :

تكرّمت من قبل الكؤوس عليهمِ   فما اسطعن أن يحدثن فيك تكرُّما

ومنه ما كتب إلى ابن معروف تهنئة بقضاء القضاة ـ منزلة قاضي القضاة تجل عن التهنئة ، لأن ما تكتسبه الولاة بها من الصيت والذكر ، ويدرعونه فيها من الجمال والفخر ، سابق لها عنده ، وحاصل قبلها له ، وإذا مد أحدهم إليها يداً تجذبها إلى سفال ، جذبتها يده إلى المحل العالي ، فكأن أبا الطيب المتنبي عناه أو حكاه بقوله [من الكامل] :

فوق السماء وفوق ما طلبوا   فإذا أرادوا غايةً نزلوا

ومنه ما كتب ـ وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحلي إلى العاطل ، والغيث إلى الروض الماحل .

وإنما من قول أبي الطيب [من المتقارب] :

وعدت إلى حلبٍ ظافراً   كعود الحليِّ إلى العاطلِ[2]

---

(١) الخلّة : الصداقة وتلافاها : توقّاها وتجنّبها.

(٢) العاطل : يقال جيدٌ عطل أي خالٍ من الحليّ.

وإذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب في رسائلهما ، فما الظن بغيرهما ؟ وما أحسن قول الشاعر [من الطويل] :

ألا إن حلّ الشعـر زينـة كاتبٍ ولـكنّ منهـمْ من يحـلُّ فيعقِدُ

وممن يحذو حذوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبـي ، ومـا أظرف ما قرأت له في كتابه إلى أبي سعيد الشبيبي :

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن[1] بل جنة عدن . وفي شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان يعقوب .

وهو من بيت أبي الطيب [من البسيط] :

كأنّ كلّ سؤالٍ في مسامعه قميص يوسف في أجفـان يعقوبِ

وفصل لأبي بكر الخوارزمي ـ وكيف أمدح الأمير بخلـق ضن به الهـواء ، وامتلأت من ذكره الأرض والسماء ، وأبصره الأعمى بلا عين وسمعه الأصم بلا أذن .

وهو حل نظم أبي الطيب [من المنسرح] :

تنشـد أثـوابنـا مدائحـهُ بألسـنٍ ما لهـنّ أفواهُ
إذا مررنـا علـى الأصـمّ بها أغنتـه عـن مسـمعيه عيناهُ

ولأبي بكر من رسالة ـ ولقد تساوت الألسن حتى حسـد الأبـكم ، وأفسـد الشعر حتى أحمد الصمم .

---

(١) موضعٌ في ديار بني يربوع يشتمل على قيعان ورياض .

وهو قول أبي الطيب [من البسيط] :

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره قد أفسد القول حتّى أُحمد الصممُ

وهذا ميدان عريض ، وشوط بطين ، وفيما ذكرته كفاية .

* * *

ولاستراقات الشعراء من أبي الطيب باب هذا مكانه .

* * *

أنموذج لسرقات الشعراء منه

١ ـ قال المتنبي [من الوافر] :

وقد أخذ التّمام البدر فيهمْ وأعطاني من السّقم المحاقا[1]

أخذه أبو الفرج الببغاء فلطفه وقال [من الكامل] :

أوليس من إحدى العجائب أنّني فارقته وحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامه ارحمْ فتىً يحكيه عند محاقه

٢ ـ وقال أبو الطيب [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمى ، وألّف ذا القلب أحزانا[2]

أخذه المهلبي الوزير وقال [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتني فما تلتقي إلاّ على عبرةٍ تجري

(١) المحاق : وقت سرار القمر وخفائه.

(٢) البين : الفراق، وألّف : أوجد.

٣ ـ وقال أبو الطيب وهو من قلائده [من الطويل] :

وكنت إذا يمّمت أرضاً بعيدةً سريت فكنت السرَّ والليل كاتمهْ

أخذه الصاحب وقال [من الطويل] :

تجشّمتها والليل وحفٌ جناحه كأنّيَ سرٌّ والظلام ضميرُ[1]

٤ ـ وقال أبو الطيب ، وهو أيضاً من قلائده [من الوافر] :

لبسن الوشيَ لا متجمّلاتٌ ولكن كي يصنَّ به الجمالا

أغار عليه الصاحب لفظاً ومعنى فقال [من الطويل] :

لبسن برود الوشي لا لتجمّلٍ ولكن لصون الحسن بين برود

وإنما فعل ببيتيه ما فعل أبو الطيب ببيت العباس بن الأحنف [من الكامل] :

والنجم في كبد السماء كأنّه أعمى تحيّر ما لديه قائدُ

فقال [من المنسرح] :

ما بال هذي النجوم حائرةً كأنّها العمى ما لها قائد

وهذه مصالتة لا سرقة[2] ، وهي مذمومة جداً عند النقدة .

٥ ـ وقال أبو الطيب ، وهو من فرائده [من الطويل] :

سقاك وحيّانا بك الله ، إنّما على العيس نورٌ والخدور كمائمهْ

أخذه السري بن أحمد ، قال ابن جني : أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها أبا

---

(١) تجشّم : كابد ، والوحف : الشعر الأسود.

(٢) المصالتة : أن يأخذ الشاعر معنى بيت من أبيات شاعر آخر، ولا يكتفي بهذا حتى يضمّ إليه ألفاظ البيت المأخوذ أو بعضها.

الفوارس سلامة بن فهد ، وهي قوله [من المنسرح] :

حيًّا به الله عاشقيه فقد أصبح ريحانةً لمن عشقا

ولم أجد أنا هذه القصيدة في ديوان شعره ، والبيت نهاية في العذوبة ، وخفة الروح .

٦ ـ والسري كثير الأخذ من أبي الطيب في مثل قوله [من الوافر] :

وخرقٍ طال فيه السّير حتى حسبناه يسير مع الركابِ

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب [من الطويل] :

يخدن بنا في جوزه وكأنّنا على كرةٍ أو أرضه معنا سفرُ[١]

٧ ـ وقال السري [من الكامل] :

وأحلّها من قلب عاشقها الهوى بيتاً بلا عمدٍ ولا أطنابِ

وهو من قول أبي الطيب [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابيةٍ سكنتْ بيتاً من القلب لم تضرب به طنبا[٢]

٨ ـ وقال السري [من الكامل] :

وأنا الفداء لمن مخيلةُ برقهِ عندي وعند سواي من أنوائه[٣]

وإنما ألم فيه بقول أبي الطيب [من البسيط] :

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهنّ إلى من عنده الدِّيمُ

---

(١) يخدن : يهتمُّ ويحدب ، والخدن : الصديق.
(٢) الطنب : الحبال.
(٣) الأنواء : المطر.

٩ ـ وقال أبو الطيب ، وهو من قلائده [من الوافر] :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وقال أيضاً [من الوافر] :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام(١)

أخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين ، وهما قريب من قريب ، فقال [من الوافر] :

فديتك ما بدا لي قصد حرٍّ سواك من الورى إلاّ بدالي
وأنّك منهمُ وكذاك أيضاً من الماء الفرائد واللآلي
وتسكن دارهم وكذاك سكنى الـ ـحجارة والزّمرد في الجبال

وهذا معنى قد اخترعه المتنبي ، وكرره في تفضيل البعض على الكل ، فأحسن غاية الإحسان حيث قال [من الطويل] :

فإن يك سيّار بن مكرم إنقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

١٠ ـ وقال [من البسيط] :

وإن تكن تغلبُ الغلباء عنصرها فإنّ في الخمر معنىً ليس في العنب

ألم به أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب فقال [من الطويل] :

أبوك حوى العليا وأنت مبرّزٌ عليه إذا نازعته قصب المجدِ
وللخمر معنىً ليس في الكرم مثله وفي النار نورٌ ليس يوجد في الزّند
وخيرٌ من القول المقدّم فاعترفْ نتيجته والنّحل يكرم للشهدِ

---

(١) الرغام : التراب.
(٢) الزند: الذي تورى به النار.

وقال أيضاً [من الطويل] :

أبــوك كريمٌ غير أنّــك سابقٌ مداه بلا ضيمٍ عليه ولا ذيم[1]
فلا يعجبــنّ النــاس ممــا أقوله وأقضــي به فالغيث أنــدى من الغيم

١١ ـ وقال أبو الطيب [من الوافر] :

وصــرت أشــكُّ فيمــن أصطفيه لعلمــيَ أنَّــهُ بعض الأنـامِ

أخذه أبو بكر الخوارزمي فقال [من الرمل] :

قــد ظلمنـاك بحســن الـ ـظــنّ يـا بعض الأنـامِ

١٢ ـ وقال أبو الطيب [من البسيط] :

أتــى الزّمــان بنــوه في شبيبتهِ فسرّهــمْ وأتينــاه علــى الهرم

أخذه أبو الفتح وحسنه فقال [من البسيط] :

لا غرو إن لم تجد في الدّهـر مخترفاً فقــد أتينــاه بعــد الشيب والخرف

١٣ ـ وقال أبو الطيب [من الطويل] :

هما الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى ومنــزلك الــدنيا ، وأنــت الخلائق

امتثله أبو الحسن السلامي فقال [من الطويل] :

وبشّــرت آمالــي بملكٍ هو الورى ودارٍ هي الــدنيا ، ويومٍ هو الدهر

١٤ ـ وقال أبو الطيب [من الخفيف] :

لم تزلْ تسمــع المــديح ولكــــن صهيل الجياد غير النهاقِ

---

(١) الذيم والذام : العيب.

أخذه أبو القاسم الزعفراني ولطفه جداً فقال [من الخفيف] :

وتغنّيك في النداء طيورٌ   أنا وحدي ما بينهن الهزار

* * *

وإذ قد ذكرت أنموذجاً من سرقات الشعراء منه ، فلا بأس أن أذكر سرقاته من الشعراء ، سوى ما أورده القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » فشفى وكفى وبالغ فأوفى ، وسوى ما مر ويمر منها في أماكنها من فصول هذا الكتاب .

صدر من سرقاته

١ ـ قال مخلد الموصلي [من مخلع البسيط] :

يا منزلاً ضنّ بالسلام   سقيت ريّاً من الغمامِ
ما ترك الدهر منك إلاّ   ما ترك الشوق من عظامي

أخذه أبو الطيب فجوّده حيث قال [من البسيط] :

ما زال كلٌّ هزيم الودق ينحلها   والشوق ينحلني حتى حكت جسدي[1]

٢ ـ وقال عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا   وإبنا بالملوك مصفّدينا

أخذه أبو تمام فأحسن إذ قال [من البسيط] :

إنّ الأسود أسود الغاب همّتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السلب[2]

---

(١) هزيم الودق : أي المطر المندفع، وينحلها : يخصُّها وحكت : شابهت وماثلت.
(٢) الكريهة : الحرب.

وأخذه أبو الطيب فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش إذ هو من ألفاظ العامة [من الوافر] :

ونهـب نفـوس أهـل النّهـب أولى ... بأهـل المجـد من نهـب القماشِ

٣ ـ وقال بشار بن برد [من الطويل] :

كأنّ مثـار النقـع فوق رؤوسنا ... وأسيافنـا ليلٌ تهـاوى كواكبه(١)

أخذه أبو الطيب وذكر الرماح مكان الأسياف فقال [من الكامل] :

وكأنّمـا كسـيَ النّهـار بهـا دجى ... ليلٍ ، وأطلعـت الرّمـاح كواكبا

٤ ـ وقال مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أرادوا ليخفـوا قبـره من عدوّه ... فطيْبُ تراب القبـر دلَّ علـى القبرِ

ألم به أبو الطيب فقال [من الوافر] :

ومـا ريح الـرياض لهـا ولكنْ ... كساهـا دفنهـم في التّـرب طيبا

٥ ـ وقال الفرزدق [من البسيط] :

وكنـت فيهـم كممطـورٍ ببلدته ... يسـرّ أن جمـع الأوطـان والمطرا

أخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

وليس الـذي يتبـع الوبـل رائداً ... كمـن جاءه في داره رائـد الوبل

٦ ـ وفي قوله في هذه القصيدة [من الطويل] :

وخيلٍ إذا مرّت بوحشٍ وروضةٍ ... أبـت رعيهـا إلاّ ومرجلنـا يغلي

---

(١) النقع : الغبار

رائحة من قول امرىء القيس [من الطويل] :

إذا ما ركبنـا قال ولـدانُ أهلنا : تعالوا إلى أن يأتـيَ الصَّيد نحطبِ[1]

٧ ـ وقال أبو نواس ، ويقال : إنه أمدح بيت للمحدثين [من البسيط] :

وكلـت بالدهـر عينـاً غير غافلةٍ بجـود كفّيك تأسـو كلَّ ما جرحا[2]

أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه فقال [من الطويل] :

تتبـع آثـار الـرزايا بجوده تتبّـع آثـار الأسنّـة بالقتل[3]

٨ ـ وقال أبو نواس ، وهو من قلائده في وصف الخمر [من الطويل] :

إذا ما أتـت دون اللهـاة من الفتى دعـا همَّـه من صدره برحيل

أخذه أبو الطيب ونقله إلى معنى آخر فقال [من الطويل] :

ومـا هي إلاّ لحظـةٌ بعـد لحظةٍ إذا نزلـت في قلبـه رحـل العقل

٩ ـ وقال ابن أبي عيينة ، ويروي للخليل [من البسيط] :

زرْ واديَ القصر ، نعم القصر والوادي في منزل حاضرٍ ، إن شئتَ ، أو بادي
ترقـى به السفـن والظلمـان حاضرةً والضبُّ والنـون والمـلاح والحادي[4]

وهـذا أحسـن ما قيل في وصف مكان يجمـع بين أوصـاف البـر والبحـر والحاضرة والبادية ، ألم به أبو الطيب في وصف متصيد عضد الدولة بناحية سهلية

---

(١) نحطب : نجمع الحطب.

(٢) تأسو : تطيّب وتخفّف الجراح.

(٣) الرزايا : المصائب، والأسنّة الرماح وغيرها من عدّة الحرب.

(٤) الظلمان: جمع ظليم ، وهو ذكر النعام، والنون : الحوت والحادي من يسوق الإبل ويزجرها.

جبلية تجمع الأضداد [من الرجز] :

سقياً لدشت الأرزن الطوال ... بين المروج الفيح والأغيال(1)
مجاور الخنزير والرئبال ... داني الخنانيص من الأشبال(2)
مستشرف الدبّ على الغزال ... مجتمع الأضداد والأشكال

١٠ ـ وقال بعض العرب ، وهو من الأمثال السائرة [من الطويل] :

إذا بلّ من داءٍ به ظنّ أنّه ... نجا ، وبه الداء الذي هو قاتله(3)

أخذه أبو الطيب فقال وأحسن [من الوافر] :

وإنْ أسلمْ فما أبقى ولكنْ ... سلمت من الحمامِ إلى الحمام(4)

١١ ـ وقال بعض الرجاز [من الرجز] :

هل يغلبني واحدٌ أقاتله ... ريمٌ على لبَّاته سلاسلهْ(5)

* سلاحه يوم الوغى مكاحله *

أخذه أبو الطيب فأكمل الوصف وأظهر الغرض حيث قال [من الكامل] :

من طاعني ثغر الرجال جآذرُ ... ومن الرماح دمالجٌ وخلاخلُ
ولذا اسم أغطية العيون جفونها ... من أنّها عمل السيوف عوامل

(1) الدشت : الصحراء لفظة فارسية، والأرزن : الشجر والفيح : الواسعة، والغيل : أجمة الأسد .
(2) الخنانيص : أولاد الخنازير، والرئبال: الأسد .
(3) بلّ من دائه : شُفي ونجا من المرض.
(4) الحمام : الموت.
(5) الريم : الظبي الخالص البياض، واللبّة: موضع القلادة.

١٢ ـ وقال أبو تمام [من الكامل] :

غربتْ خلائقه وأغرب شاعرٌ فيه فأبدع مغربٌ في مغربِ

أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفـ ـظ كلانا ربّ المعاني الدّقاقِ(١)

١٣ ـ وقال أبو تمام [من الطويل] :

يمدّون بالبيض القواطع أيدياً فهن سواءٌ والسّيوف قواطعُ

أخذه أبو الطيب فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال [من الطويل] :

همامٌ إذ ما فارق الغمد سيفه وعاينته لم تدر أيُّهما النصل

١٤ ـ وقال ابن الرومي [من السريع] :

لا قدّست نُعمى تسربلْتها كم حجةٍ فيها لزنديق

أخذه أبو الطيب فقال [من البسيط] :

فإنّه حجةٌ يؤذي القلوب بها من دينه الدّهر والتعطيل والقدم

١٥ ـ ولابن الرومي وأجاد [من الطويل] :

وأحسن من عقد العقيلة جيدها وأحسن من سربالها المتجرِّد

أخذه أبو الطيب فقال [من الرجز] :

وربّ قبحٍ وحليٍ ثقالِ أحسن منها الحسن في المعطال

---

(١) الخدن : الصاحب والصديق.

١٦ ـ وقال عبيد الله بن طاهر [من الطويل] :

وجرّبت حتى لا أرى الدهر مغرباً ... عليَّ بشيءٍ لم يكن في تجاربي

أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

قد بلوت الخطوب حلواً ومرّاً ... وسلكت الأيام حزناً وسهلا[1]
وقتلت الزمان علماً فما يغـ ... ـرب قولاً ولا يجدّد فعلا

وكرر هذا المعنى فقال [من الطويل] :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا ... فلمّا دهتنا لم تزدني بها علما

١٧ ـ وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه أبي محمد ويسليه ببقاء أبي الحسين القاسم أبياتاً منها [من الكامل] :

ولقد غبنت الدهر إذ شاطرته ... بأبي الحسين وقد ربحت عليهِ[2]
وأبو محمدٍ الجليل مصابه ... لكن يمنّي المرء خير يديهِ

فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن أخته الصغرى ، ويسليه ببقاء الكبرى حيث قال [من الخفيف] :

قاسمتك المنون شخصين جوراً ... جعل القسم نفسه فيك عدلا
فإذا قست ما أخذن بما غا ... درن سرى من الفؤاد وسلّى
وتيقّنت أنّ حظك أوفى ... وتبيّنت أن جدك أعلى[3]

١٨ ـ وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز ، على تركه الإقرار بالنظر في شعر

(١) بلوت : خبرت وجرّبت، والحزن : الأرض الصعبة المسالك.
(٢) غبنت : انتقصت، يقال غبنه حقه : أي انتقصه إياه .
(٣) الجدّ : الحظّ.

المحدثين : فمما أخذه منه قوله [من البسيط] :

وتكسب الشمس منك النور طالعةً كما تكسّب منها نورها القمرُ

وهو معنى قول ابن المعتز [من السريع] :

البدر من شمس الضحى نوره والشمس من نورك تستملي

١٩ ـ وأخذ قوله ، وهو من قلائده ، ولعله أمير شعره [من البسيط] :

أزورهمْ وسواد الليل يشفعُ لي وأنثني وبياضُ الصبح يغري بي

من مصراع لابن المعتز ، ذكر ابن جني قال : حدثني المتنبي ـ وقت القراءة عليه ـ [قال] : قال لي ابن حنزابة وزير كافور : أحضرت كتبي كلها وجماعة من الأدباء يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى ، فلم يظفروا بذلك ! وكان أكثر من رأيت كتباً .

قال ابن جني : ثم إني عثرت بالموضع الذي أخذه منه ، إذ وجدت لابن المعتز مصراعاً بلفظ لين صغير جداً فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالة لفظه وحسن تقسيمه ، وهو قوله [من البسيط] :

* فالشمس نمّامة والليل قوّاد *[1]

ولن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث : إما أن يكون ألم بهذا المصراع فحسنه وزينه ، وصار أولى به ، وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثر به ابن المعتز فأربى عليه في جودة الأخذ ، وإما أن يكون قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرد به ، فلله دره ! وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه !

وما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد ، وما أراه سبق إلى

---

(١) صدر هذا البيت : لا تلق إلاّ بليلٍ من تواصله .

مثلها ، وما زال الناس يعجبون من جمع البحتري ثلاث مطابقات في قوله [من البسيط] :

وأمّـةً كان قبـح الجـور يسخطها   دهـراً فأصبـح حسـن العـدل يرضيها

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة .

ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقـات ، ولكنـه لا يستقـل إلا بإنشاد بيتين قبله . وهي [من الطويل] :

عذيري من الأيام مدّت صروفها   إلى وجه من أهوى يد النسخ والمحوِ
وأبـدت بوجهـي طالعـاتٍ أرى بها   سهـام أبـي يحيى مسـدّدةً نحوي
فذاك سواد الحـظّ ينهـى عن الهوى   وهـذا بياض الوخـط يأمـر بالصحو[1]

٢٠ ـ وقال ابن الرومي [من الطويل] :

أرى فضـل مال المـرء داءً لعرضه   كمـا أنّ فضـل الـزاد داءً لجسمهِ
فليس لداء العـرض شيءٌ كبذله   وليس لداء الجســم شيءٌ كحسمه

ألم به أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

يتـداوى من كثـرة المـال بالإقـ   ـلال جوداً كأنّ مـالا سقام

* * *

بعض ما تكرر في شعره من معانيه

١ ـ قال [في سيف الدولة] [من الوافر] :

وأنـت المـرء تمرضـه الحشايا   لهمّتـه ، وتشـفيـه الحـروبُ

---

(١) الوخط : اختلاط الشعر الأبيض بالأسود.

وقال [يذكر الحمى التي كانت تغشاه بمصر] [من الوافر] :

وما في طبِّه أنّي جوادٌ أضرَّ بجسمه طول الجمامِ [1]

٢ ـ وقال [يمدح بدر بن عمار] [من الكامل] :

ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى من غير جرمٍ واصِلي صلة الضّنا

وقال [يمدح طاهر بن الحسين] [من الطويل] :

فيا ليت ما بيني وبين أحبّتي من البعد ما بيني وبين المصائبِ

٣ ـ وقال [يمدح المغيث بن بشر العجلي] [من البسيط] :

إذا بدا حجبت عينيك هيبتهُ وليس يحجبه سترٌ إذا احتجبا

وقال [وقد حجبه بدر عمار] [من الكامل] :

أصبحت تأمر بالحجاب لخلوةٍ هيهات لست على الحجاب بقادرِ
من كان ضوء جبينه ونوالهِ لم يحجبا لم يحتجبْ عن ناظر
فإذا احتجبت فأنت غير محجّبٍ وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

٤ ـ وقال [من قصيدة يمدحه بها] [من المتقارب] :

أميرٌ أميرٌ عليه الندى جوادٌ بخيلٌ بأن لا يجودا

وقال [من الوافر] :

إلا أنّ الندى أضحى أميراً على مال الأمير أبي الحسينِ

٥ ـ وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

ومالٍ وهبت بلا موعدٍ وقرنٍ سبقت إليه الوعيدا [2]

---

(١) طبّه : عِلمه والجمام: الراحة.
(٢) القرن : النضير في العلم والشجاعة ، والوعيد : التهديد .

وقال [من القصيدة التي كتبها إلى السلطان من حبسه] [من المتقارب] :

لقـد حال بالسيف دون الوعيد   وحالـت عطـاياه دون الوعودِ

٦ ـ وقال [من قصيدة يمدح بها كافوراً] [من الطويل] :

ومـا رغبتـي في عسجـدٍ أستفيده   ولكنّهـا في مفخـرٍ أستجدُّهُ[1]

وقال [من قصيدة يمدح بها أبا العشائر] [من الوافر] :

فسـرت إليك في طلـب المعالي   وسـار سواي في طلـب المعاش

٧ ـ وقال [يمدح سعيد بن عبد الله] [من البسيط] :

قد علّـم البين منّـا البين أجفانا   تدمـي وألف في ذا القلـب أحزانا

وقال [في خلاص أبي وائل] [من المتقارب] :

كأنّ الجفـون علـى مقلتي   ثيابٌ شققـن علـى ثاكلِ

٨ ـ وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

كأنّـك بالفقـر تبغـي الغنى   وبالمـوت في الحـرب تبغـي الخلودا

وقال [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

كأنّـك في الإعطـاء للمـال مبغضٌ   وفـي كلّ حربٍ للمنية عاشقُ

٩ ـ وقال [من الخفيف] :

الّـذي زلـت عنـه شرقـاً وغرباً   ونـداه مقـابلـي مـا يـزولُ

وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

ومـن فرّ من إحسانـه حسـداً له   تلقـاه منـه حيث ما سار نائلُ

---

(١) العسجد : الذهب والجوهر.

١٠ ـ وقال [يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران] [من الكامل] :

فكأنّمـا نتجـت قيامـاً تحتهم ... وكأنّمـا ولـدوا علـى صهواتها[١]

وقال [في الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

وطعـن غطـاريفٍ كأنّ أكفّهم ... عرفن الـردينيات قبـل المعاصـم[٢]

١١ ـ وقال [يشكو الحمى بمصر] [من الوافر] :

جرحـتِ مجرّحـاً لم يبـق منهُ ... مكـانٌ للسيـوف وللسهـامِ

وقال [في مرثية والدة سيف الدولة] [من الوافر] :

رمانـي الدهـر بالأرزاء حتّى ... فؤادي في غشـاءٍ من نبالِ
فصـرت إذا أصابتنـي سهامٌ ... تكسّـرت النصـال علـى النصال

١٢ ـ وقال [يمدح أبا علي هارون بن عبد الله الكاتب] [من الكامل] :

وشـكيتـي فقـد السّهـام لأنّـه ... قد كان لمّـا كان لي أعضاءُ

وقال [قبيل مسيره من مصر يهجو كافوراً] [من البسيط] :

لم يترك الدهـر من قلبـي ومـن كبدي ... شيئـاً تتيّمـه عينٌ ولا جيـدُ[٣]

١٣ ـ وقال [يصف مدينة مرعش] [من الطويل] :

تصـد الـرياح الهـوج عنهـا مخافةً ... وتفـزع فيهـا الـطير أن تلقـط الحبَّا

---

(١) نتجت : ولَدت.
(٢) الغطاريف : جمع غطريف ، وهو الفتى الجميل والردينيّات : الرماح.
(٣) تتيِّمه : تجعله يعشق والجيد : العنق.

وقال [من قصيدة في مدح كافور] [من البسيط] :

إذا أتتها الرياح النكب في بلدٍ فما تهبُّ بها إلاّ بترتيب

١٤ ـ وقال [يمدح الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

إذا ضوؤها لاقى من الطّير فرجةً تدوَّر فوق البيض مثل الدراهمِ[1]

وقال [من كلمة يمدح فيها عضد الدولة] [من الوافر] :

وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيراً تفرُّ من البنانِ

وقال[2] [يمدح أبا شجاع محمد بن أوس] [من الكامل] :

ولقد بكيت على الشباب ولمّتي مسودّةٌ ، ولماء وجهي رونقُ
حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق[3]

١٥ ـ وقال [وقد أهداه عبد الله بن خراسان هدية] [من المنسرح] :

هديةٌ ما رأيت مهديها إلاّ رأيت العباد في رجلِ

وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

[أحلماً نرى أم زماناً جديداً] أم الخلق في شخص حيٍّ أعيدا

ومثله [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

[هي الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى] ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلائقُ

---

(١) الفرجة : الكوّة .
(٢) لا يظهر لي وجه اتفاق هذين البيتين مع ما قبلها ولا ما بعدهما ، ولا بدّ أنّه سقط من الأصول ما يوافقها وكذلك سقط من الصبح المنبي ١٧٦ .
(٣) أشرقُ : أغصُّ.

ثم كرره وزاد فيه فقال [من كلمة يمدح فيها ابن العميد] [من الكامل] :

ولقيت كلّ الفاضلين كأنّما ... ردّ الإلـه نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدّماً ... وأتى فذلك إذ أتيت مؤخّرا

والأصل فيه قول أبي نواس [من السريع] :

ليس على الله بمستنكرٍ ... أن يجمع العالم في واحد

وقال [من البسيط] :

متى تخطي إليه الرجل سالمةً ... تستجمع الخلق في تمثال إنسانِ

١٦ ـ وقال [في سيف الدولة] [من البسيط] :

هو الشجاع يعدّ البخل من جبنٍ ... وهو الجواد يعدُّ الجبن من بخلِ

وقال [وقد ضرب أبو العساكر خيمة على الطريق فكثر سؤاله وغاشيته] [من المنسرح] :

فقلت إنّ الفتى شجاعته ... تريه في الشحّ صورة الفرقِ[1]

والأصل فيه قول أبي تمام [من الكامل] :

أيقنت أنّ من السماح شجاعةً ... تدمى ، وأنّ من الشجاعة جودا

١٧ ـ وقال [يمدح أبا شجاع عضد الدولة] [من الوافر] :

ومن أعتاض منك إذا افترقنا ؟ ... وكلُّ الناس زورٌ ما خلاكا

وقال في مثله فتبرد وبالغ [من الخفيف] :

إنّما الناس أنت ، وما النا ... س بناسٍ في موضعٍ منك خالِ

---

(١) الشحّ : البخل، والفرق : الخوف وشدّته.

١٨ ـ وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

إذا اعتلّ سيف الدولة اعتلّتِ الأرضُ ومَنْ فوقها والبأس والكَرَمُ المحض[١]

وقال [فيه أيضاً] [من البسيط] :

وما أخصك في برءٍ بتهنئةٍ إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا

١٩ ـ وقال [يمدح كافوراً ولم يلقه بعد] [من الطويل] :

تجاوز قدر المدح حتّى كأنّه بأحسن ما يُثنى عليهِ يعابُ

وقال [في عبد الله بن يحيى البحتري] [من البسيط] :

وعظْمُ قدرك في الآفاق أوهمني أني بقلّةِ ما أثنيت أهجوكا

وقال [يعزي عضد الدولة وقد ماتت عمته] [من السريع] :

وكان من عدّد إحسانهُ كأنّه أسرف في سبّه

والأصل في هذا قول البحتري [من الخفيف] :

جلّ عن مذهب المديح فقد كا د يكون المديح فيه هجاءُ

٢٠ ـ وقال [وهو مما سبق إليه] [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه منّي لله ما تصنع الخمورُ

وقال [من الطويل] :

أفيكم فتىً حيٌّ فيخبر ناعباً بما شربت مشروبة الراح من ذهني

---

(١) المحض : الخالص الصافي.

٢١ ـ وقال [يمدح سيف الدولة] [من الطويل] :

عليمٌ بأســرار الديانــات واللّغى له خطـراتٌ تفضـح النـاس والكتبا(١)

وقال [في أبي العشائر علي بن الحسين] [من الوافر] :

كأنّــك ناظـرٌ في كلِّ قلبٍ فمــا يخفــى عليك محــلّ غاشِ(٢)

وقال [من البسيط] :

ووكّل الظــن بالأســرار فانكشفتْ له سرائــر أهــل السهــل والجبلِ

٢٢ ـ وقال [لبدر بن عمار يمدحه] [من الكامل] :

فاغفــرْ فدىً لك واحبنــي من بعدها لتخصّنــي بعــطيةٍ منهــا أنا(٣)

وقال [من المنسرح] :

لــه أيادٍ إلــيّ سالفةٌ أعــدٌّ منهــا ولا أعدِّدها

٢٣ ـ وقال وهو من قلائده [من الخفيف] :

خير أعضائنــا الــرؤسُ ولكنْ فَضُلتهــا بقصــدك الأقــدام(٤)

وقال [من المتقارب] :

وإنّ القيام الألــى حوله لتحســد أرجلهــا الأرؤس

٣٤ ـ وقال [من قصيدة في مدح سيف الدولة] [من الطويل] :

وما الحســن في وجــه الفتــى شرفٌ له إذا لم يكن في فعلــه والخلائق

---

(١) اللغى : جمع لغة.

(٢) غاشٍ : مغطى ومحجوب.

(٣) الحباء : العطاء.

(٤) فضلتها : من الفضل، اي سبقتها إلى الفضل.

وقال في وصف الخيل [من الطويل] :

إذا لم تشاهـدْ غير حسـن شياتها وأعضائهـا فالحسـن عنـك مغيبُ(1)

وقريب منه قوله [من الوافر] :

يحبُّ العاقلـون علـى التصافي وحـبّ الجـاهلين علـى الوسامِ

٢٥ ـ وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء [من الخفيف] :

ذلّ من يغبـطِ الـذليل بعيشٍ ربَّ عيشٍ أخفُّ منـه الحمامُ

وقال [في صباه] [من الخفيف] :

عش عزيزاً أو متْ وأنـت كريمٌ بين طعـن القنـا وخفـقِ البنودِ(2)

٢٦ ـ وقال [لعلي بن إبراهيم التنوخي يمدحه] [من الوافر] :

إذا ما لم تسـرْ جيشـاً إليهمْ أسـرت إلـى قلوبهـم الهلوعا(3)

وقال [من الخفيف] :

بعثـوا الرعـب في قلـوب الأعادي فكأنّ القتـال قبـل التلاقي

وقال [من البسيط] :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا يصنع البهمُ

وقال [من الخفيف] :

أبصـروا الطعـن في القلـوب دراكاً قبـل أن يبصـروا الرمـاح خيالا(4)

---

(1) الشية : العلامة.

(2) البنود : الأعلام والرايات.

(3) الهلوع : الخوف والرعب.

(4) دراكاً : متلاحقه.

وقال [من الطويل] :

صيامٌ بأبواب القباب جيادهمْ وأشخاصهم في قلب خائفهم تعدو

وقال [من البسيط] :

تغيرُ عنه على الغارات هيبتهُ وماله بأقاصي البرّ أهمالُ[1]

والأصل فيه قول النبيﷺ « نصرت بالرعب » ثم أكثر الناس منه ، ومن أوجز ما قالوا قول علي بن جبلة العكوّك [من الهزج] :

غدا مجتمع العزم له جندٌ من الرعبِ

٢٧ ـ وقال أبو الطيب [من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همّهُ وقصّر عمّا تشتهي النفس وجدَهُ

وقال [من الطويل] :

لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ فكلّ بعيد الهمّ فيها معذّبُ[2]

٢٨ ـ وقال [من الخفيف] :

ومعالٍ إذا ادّعاها سواهمْ لزمته خيانة السُّرّاقِ

وقال [من الكامل] :

مسكيّةُ النّفحات إلاّ أنّها وحشيةٌ بسواهم لا تعبقُ

* * *

(١) تغير : تغزو ـ من الغارة .
(٢) لحى الله : لعن وقبّح .

والآن حين أذكر ما ينعى على أبي الطيب من معائب شعره ومقابحه :

ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلّها كفى المرء فضلاً أن تعدّ معائبه[1]

ثم أقفى على آثارها بمحاسنه وسياق بدائعه وفرائده :

فحسن دراريٍّ الكواكب أن ترى طوالع في داجٍ من الليل غيهبِ[2]

* * *

١ ـ فمنها قبح المطالع

وحقه الحسن والعذوبة لفظاً ، والبارعة والجودة معنى ، لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن ، فإذا كانت حاله على الضد مجه السمع ، وزجه القلب ، ونبت عنه النفس ، وجرى أوله على ما تقوله العامة « أول الدن دردى » .

ولأبي الطيب ابتداءات ليست لعمري من احرار الكلام وغرره ، بل هي ـ كما نعاها عليه العائبون ـ مستشنعة لا يرفع السمع لها حجابه ، ولا يفتح القلب لها بابه ، كقوله [من الكامل] :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا[3]

فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من « هذي » ، وهو غير جائز عند النحويين ، حتى ذكر الرسيس والنسيس ، فأخذ بطرفي الثقل والبرد .

---

(١) السجايا : الصفات والطبائع .

(٢) داجٍ : مظلمٍ . وغيهب : شديد الظلمة .

(٣) الرسيس : الرقة في الشوق . والنسيس : بقية الروح .

وكقوله [من المنسرح] :

* أوهِ بديلٌ من قولتي واها *[1]

وهو برقْيَة العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك .

وكقوله ـ وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف ، لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجه ، ولا تقوم فائدة الانتفاع به بإزاء التأذي باستماعه [من الطويل] :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمهْ بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمهْ[2]

وكقوله في استفتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقية [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا

وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة ، التي تنفر منها السوقة ، فضلاً عن الملوك .

حكى الصاحب قال : ذكر الأستاذ الرئيس يوماً الشعر ، فقال : وإن أول ما يحتاج فيه إليه حسن المطلع ، فإن ابن أبي الشباب أنشدني في يوم نيروز قصيدة ابتداؤها [من الطويل] :

* أقبرٌ وما طلّت ثراك يد الطلِّ ؟ *

فتطيرت من افتتاحه بالقبر ، وتنغصت باليوم والشعر ، فقلت : كذاك كانت حال

---

(١) وعجز البيت : لمن نأت والبديل ذكراها . وأوه : كلمة توجع ، وواهاً : كلمة تعجب وطيبة .
(٢) طاسمه : دارسه ، وأشجاه : أحزنه والساجم : المذروف من الدمع .

ابن مقاتل لما مدح الداعي بقوله [من الرمل] :

لا تقل بشرى ولكنْ بشريانِ غرّة الدّاعي ويوم المهرجان

فإنه نفر من قوله « لا تقل بشرى » أشد نفار ، وقال : أعمى وتبتدىء بهذا في يوم مهرجان ؟!

قال الصاحب : ومن عنوان قصائده التي تحير الأفهام ، وتفوت الأوهام ، وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرتيماطيقي ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقى [من الوافر] :

أحادٌ أم سداسٌ في أحاد ليبلتنا المنوطة بالتنادي

وهذا كلام الحكل ورطانة الزط[1] وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماع من مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة والمعاني المنبوذة ؟ فأي هزة تبقى هناك ؟ وأي أريحية تثبت هنا ؟

وقد خطأه في الأنظ والمعنى كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني ، حتى احتيج في الاعتذار له ، والنضح عنه ، إلى كلام لا يستأهله هذا البيت ، ولا يتسع له هذا الباب .

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله [من الوافر] :

ملثّ القطرِ أعطِشْها ربوعاً وإلاّ فاسقِها السمّ النجيعا[2]

وقوله [من الكامل] :

أثلث فإنّا أيّها الطلل [نبكي وترزم تحتنا الإبل][3]

(١) الحكل : ما لا يسمع صوته كالذرّ، والحكلة : العجمة في الكلام، والزط: جيل من الهنود.
(٢) ملثُّ القطر : أي المطر الذي لا ينقطع لأيّام والنجيع : النافع، أي القائل لها.
(٣) أثلث: كن ثالثاً. ترزم : تحنّ.

وقوله [من الوافر] :

بقائـي شاء ليس هم ارتحالا [وحسـن الصبـر زمّـوا لا الرّحالا][1]

قال الصاحب : ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة في التسلية عند المصيبة [من الطويل] :

لا يحـزن الله الأمير فإنني لآخـذُ من حالاتـه بنصيب

قال الصاحب : لا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبي بنصيب من القلق !

* * *

٢ ـ ومنها إتباع الفقرة الغراء ، بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر الأطراف ، وتخالف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط . فبينا هو يصوغ أفخر حلي ، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفس وشي ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة ، أو تعويص اللفظ ، أو تعقيد المعنى ، إلى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج إلى الإفراط والإحالة والسفسفة ، والركاكة والتبرد والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا تلك المحاسن ، وكدر صفاءها ، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها ، واستهدف لسهام العائبين ، وتحكك بألسنة الطاعنين : فمن متمثل بقول الشاعر [من الكامل] :

أنـت العـروس لهـا جمـالٌ رائقٌ لكنّهـا في كلِّ يومٍ تصرعُ

---

(١) زمّوا : أجمعوا .

ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ، ثم يتبعها بطعام وضر ، وشراب عكر ، أو من يتبخر بالند المعشب المثلث ، المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب ، ثم يرفقه بإرسال الريح الخبيثة ، ويفسده بالرائحة الردية ، أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم ، وطرائف الحكم ، ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول : اعذروني فإن العذرة متعذرة .

فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله [من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشّاقِ تحسب الدمع خلقةً في المآقي ؟

وهو ابتداء ما سمع بمثله ، ومعنى تفرد بابتداعه ، ثم شفعه بما لا يبالي العاقل أن يسقطه من شعره فقال :

كيف ترثي التي ترى كلّ جفنٍ راءها غير جفنها غير راقي[1]

وقوله [من الطويل] :

لياليَّ بعد الظاعنين شكولُ طوالٌ ، وليل العاشقين طويلُ[2]
يبِنَّ ليَ البدر الذي لا أريده ويخفين بدراً ما إليه وصولُ
وما عشت من بعد الأحبّة سلوةً ولكنني للنائبات حمولُ
وما شرقي بالماء إلاّ تذكّراً لماءٍ به أهل الخليط نزول[3]
يحرِّمُهُ لمع الأسنة فوقه فليس لظمآنٍ إليه سبيل

من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهل في ألفاظها ، فجاءت مصنوعة ، ثم

---

(١) راءها : أي رآها قدّم الألف واخر الهمزة ضرورة راقي : رقأ الدمع ، انكفأ وانقطع .
الظاعنين : الراحلين .
(٢) الظاغين: الراحلين وشكول : متشابهة .
(٣) شرقي : غصي ، والخليط: المكان الذي يختلط به القوم.

اعترضته تلك العادة المذمومة ، فقال :

أغـرَّكُمُ طول الجيوش وعرضها   عليٌّ شروبٌ للجيوش أكول
إذا لم تكن لليث إلاّ فريسةً   غذاه ولم ينفعك أنّك فيل

ثم أتى بما هو أطم[1] منه فقال ، وذكر الصاحب أنه من أوابده التي لا يسمع طول الأبد بمثلها :

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ   ففي الناس بوقاتٌ لها وطبول
فإن تكن الدولات قسماً فإنّها   لمن ورد الموت الزؤام تدول

قال الصاحب : قوله « الدولات » و« تدول » من الألفاظ التي لو رزق فضل السكوت عنها لكان سعيداً .

وقال من قصيدة جمع فيها الشذرة والبعرة ، والدرة والآجرة [من الكامل] :

لك يا منازل في الفؤاد منازل   أقفرت أنت ، وهنَّ منك أواهلُ

وهذا ابتداء حسن ومعنى لطيف ، ثم قال :

وأنا الذي اجتلب المنيَّة طرفُهُ   فمن المطالب والقتيل القاتلُ

وهو وإن كان مأخوذاً من قول دعبل [من الكامل] :

لا تطلبا بظلامتي أحداً   طرفي وقلبي في دمي اشتركا

فإنه آخذ بأطراف الرشاقة والملاحة، ثم استمر في قصيدته ، فجاء بالمتوسط المقارب والبديع النادر والرديء النافر ، حيث قال :

ولذا اسم اغطية العيون جفونها   من أنّها عمل السيوف عوامل

---

(١) أطمّ : أدهى .

وهذا معنى في نهاية الحسن واللطف لو ساعده اللفظ ، ثم قال :

كم وقفةٍ سجرتك شوقاً بعدما غريَ الرقيب بنا ولجَّ العاذل[١]

فلم يحسن موقع قوله « سجرتك » أي ملأتك (هكذا الرواية بالجيم ، ولو كانت بالحاء من السحر لم يكن بأس) ثم قال وملح :

دون التعانق ناحلين كشكلتي نصبٍ أدقّهما وضمٌّ الشاكلُ[٢]

أي : قريب بعضنا من بعض ، ولم نتعانق خوف الرقيب . ثم قال فأحسن غاية الإحسان :

للهو آونةٌ تمرُّ كأنّها قبلٌ يزوّدها حبيبٌ راحلُ
جمع الزمان فما لذيذٌ خالصٌ ممّا يشوب، ولا سرورٌ كامل
حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤ يته المنى وهو المقام الهائل

قال ابن جني : وهذا خروج غريب ظريف حسن ، ما أعرفه لغيره ، يقول : إن المنى رؤيته إلا أن هيبته تهول . ثم قال فجمع أوصافاً في بيت واحد :

للشّمس فيه وللرّياح وللسّحا ب وللبحار وللأسود شمائلُ

ثم قال وتحذق وتبرّد :

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحياة وملمات مناهل[٣]

وإنما ألم في صدر هذا البيت بقول أبي تمام [من المنسرح] :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

---

(١) سجرتك : أشعلتك، وسجر التنوّر : زاده ناراً ووقوداً.

(٢) أدقهما : حركهما ،

(٣) يريد : من العقيان، ومن الحيات ، ومن الممات فحذف النون من (منْ) الجارة والف الوصل من المجرور بها.

ثم قال :

علاَّمـــةُ العلمـــاء واللـــجُّ الذي لا ينتهـــي ، ولــكلّ لجٍّ ساحلُ[١]

ثم قال فأحال :

لو طاب مولـد كلّ حيٍّ مثله ولـد النســاء ومـا لهــنَّ قوابلُ[٢]

قال القاضي أبو الحسن : إن طيب المولد لا يستغني به عن القابلة ، وإن استغنى عنها كان ماذا ؟ وأي فخر فيه ؟ وأي شرف ينال به ؟

ثم توسط وقارب فقال :

ليزد بنــو الحســن الشــراف تواضعاً هيهــات تُكتــم في الظــلام مشاعلُ
ستــروا النــدى ستــر الغــراب سفاده فبدا، وهل يخفي الرباب الهاطـل ؟[٣]

ثم قال وتوحش وتبغض ما شاء الحاسد :

جفخــت وهــم لا يجفخــون بهــا بهم شيمٌ علــى الحســب الأغــرّ دلائل[٤]

يريد بالجفخ الفخر والبذخ ، ثم قال :

يا افْخــرْ فإنّ النــاس فيك ثلاثةٌ : مستعظــمٌ ، أو حاســدٌ ، أو جاهل

أي : يا هذا افخر ، فحذف المنادى ، وتباغض وتبادى ، ثم قال :

لا تجســر الفصحــاء تنشــد ههنا شعــراً ، ولكنّــي الهزبــر الباسل

---

(١) اللجُّ: البحر الزاخر.
(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهي التي تشرف على الولادة.
(٣) السِّفاد : الجماع ، والرّباب.
(٤) جفخت : فخرت وبذخت ، والأغرّ : الشريف والكريم.

ثم قال وأرسله مثلاً سائراً ، وأحسن جداً :

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي كامل
ما نال أهل الجاهلية كلّهم شعري ، ولا سمعت بسحري بابل

ثم قال وتعسف في اللفظ :

أمّا وحقّك وهو غاية مقسمٍ للحقّ أنت ، وما سواك الباطل
الطيب أنت إذا أصابك طيبه والماء أنت إذا اغتسلت الغاسلُ

وتقدير الكلام : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت غاسله إذا اغتسلت به ، وإنما ألم فيه بقول القائل [من الخفيف] :

وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تمسّيه ، أين مثلك أينا ؟!

وقال من قصيدة كهذه التي تقدمت [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمى ، وألّف في ذا القلب أحزانا
أمّلت ساعة ساروا كشف معصمها ليلبث الحيّ دون السير حيرانا
بالواخدات وحاديها وبي قمرٌ يظلّ من وخدها في الخدر حشيانا(١)

وحشيان ـ بالحاء المهملة ـ من الغريب الوحشي ، الذي لا يأنس به السمع ، ولا يقبله القلب ، يقال : حشى الرجل حشياً فهو حشيان ، إذا أخذه البهر . يقول : إذا وخدت الإبل تحت هذا القمر أخذه البهر لترفه . ومن المؤدبين من يروي خشيانا بالخاء معجمة من الخشية .

(١) الواخدات : النوق ، والوخد ضرب من السير والحادي : السائق.
والخدر : الخباء .

ثم قال ، وأحسن ولطف وظرف :

قد كنت أشفق من دمعي على بصري فاليوم كلّ عزيزٍ بعدكم هانا

ثم أراد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا ، فأتى ـ كما قال الصاحب ـ بأخزى الخزايا ، فقال :

لو استطعت ركبت الناس كلّهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا(١)

قال الصاحب : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح لعل له عصبة لا يريد أن يركبوا إليه ، فهل في الأرض أفحش من هذا السخف وأوضع من هذا التبسط ؟

ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله :

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عمّا يراه من الإحسان عميانا

وقال ، ثم قال وأجاد في مدح الممدوح :

إن كوتبوا ، او لقوا ، او حوربوا ، وجدوا في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا(٢)
كأنّ ألسنهم في النطق قد جعلتْ على رماحهم في الطّعن خرصانا(٣)
كأنّهم يردون الموت من ظمأ أو ينشقون من الخطّيِّ ريحانا

ثم قال :

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا ظمي الشفاه جعاد الشعر غرّانا

والزنجي لا يوجد إلا جعد الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة ؟ وقد

---

(١) بعران : جمع بعير ، وهو الجمل .
(٢) الهيجاء : الحرب .
(٣) خرصان : جمع خرص ، وهي أسنّة الرماح ، او الحراب .

احتج عنه أصحاب المعاني بما يطول ذكره .

والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله في قصيدة [من المتقارب] :

وملمومةٍ زردٍ ثوبها ولكنّه بالقنا مخملُ[1]
يفاجىء جيشاً بها حينه وينذر جيشاً بها القسطل[2]

ثم يتصور في هذا الكلام الغث الرث فيتبعه به حيث يقول :

جعلتك في القلب لي عدّةً لأنك باليد لا تجعل

ولو قاله بعض صبيان المكاتب لاستحيا له منه .

* * *

٣ ـ ومنها استكراه اللفظ ، وتعقيد المعنى

وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنمها ، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة فيضل ويضل ويتعب ويُتعب ولا ينجح ، إذ يقول في وصف الناقة [من الكامل] :

فتبيت تسئد مسئداً في نيِّها إسئادها في المهمه الأنضاءُ[3]

وتقديره : فتبيت تسئد مسئد الأنضاء في نيها إسآدها في المهمه : أي كلما قطعت الأرض قطعت الأرض شحمها على احتذاء ومثال هذا بهذا .

---

(١) الملمومة : الدرع .
(٢) القسطل : الغبار.
(٣) تسئد : تسرع السير في الليل خاصة والني : الشحم
والمهمه : الأرض الواسعة البعيد
والأنضاء : مصدر أنضاه : أي أهزله .

ويقول في المدح [من الكامل] :

أنّــى يكون أبــا البــرايا آدمٌ وأبـوك ، والثقـلان أنــت ، محمدُ[1]

وتقديره : أنى يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان .

وقال من نسيب قصيدة [من الطويل] :

إذا عذلــوا فيهــا أجبــت بأنّةٍ حبيبتــا قلبــي فؤادي هيا جمل

أراد « يا حبيبتي » ثم أبدل الياء من حبيبتي ألفاً تخفيفاً ، و « قلبي » منصوب لأنه بدل من حبيبتا ، و « فؤادي » بدل من قلبي ، وهذا كقولك : أخي سيدي مولاي ، نداء بعد نداء ، ويقال في النداء : يا زيد ، وأيا زيد ، وهيا زيد .

وأشباه هذه الأبيات كثيرة في شعره كقوله [من الطويل] :

لســانــي وعينــي والفــؤاد وهمّتي أودّ اللواتــي إذا اسمُهـا منـك والشطرُ

وقوله [من الطويل] :

فتــىً ألف جزءٍ رأيهُ في زمانه أقــلُّ جزيٍّ بعضــه الــرأي أجمعُ

وقوله [من الكامل] :

لو لم تكنْ من ذا الورى اللذ منك هو عقمـت بمـولـد نسـلهـا حواء

وهو مما اعتل لفظه ، ولم يصح معناه ، فإذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر ، وكد الخاطر، والحمل على القريحة ، [ثم] إن ظفر بعد العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل .

* * *

---

(١) الثقلان : الجنّ والانس.

٤ ـ ومنها عسف اللغة والإعراب

وهو مما سبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عند المحتجين عنه الاعتذار له ، والمناضلة دونه ، كقوله [من الطويل] :

فدى من على الغبراء أولّهم أنا لهذا الأبي الماجد الجائد القرمِ[1]

ولم يحك عن العرب « الجائد » وإنما المحكى رجل جواد ، وفرس جواد ، ومطر جواد .

وكقوله [من الطويل] :

فأرحام شعرٍ تتصلن لدنّه وأرحام مالٍ لا تني تتقطّعُ

وتشديد النون من « لدن » غير معروف في لغة العرب .

وكقوله [من الوافر] :

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع النخيلِ

والمعروف عند العرب الأترج ، والترنج مما يغلط فيه العامة . قال الصاحب : لا أدري الاستهلال أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله ترنج أفصح ؟

وكقوله [من الكامل] :

بيضاء يمنعها تكلّم دلّها تيها ، ويمنعها الحياء تميسا

فنصب « تميس » مع حذف أن ، وهو ضعيف عن أكثر النحويين .

وكقوله [من الكامل] :

وتكرّمتْ ركباتها عن مبركٍ تقعان فيه ليس مسكاً أذفرا[2]

---

(١) القرم : السيد.

(٢) المبرك : مكان البروك ، والأذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت سواء كانت طيبة أم خبيثة .

فجمع الركبات ثم انتقل إلى التثنية فقال « تقعان » ، وهو ضعيف وغير سديد في صناعة الإعراب .

وكقوله [من الخفيف] :

ليس إلاّكِ يا علــيُّ همامٌ سيفــه دون عرضــه مسلـولُ

وكقوله [من السريع] :

لــم تر من نادمــت إلاّ كا لا لســوى ودّك لي ذا كا

فوصل الضمير بإلا ، وحقه أن ينفصل عنه كمـا قال الله تعالـى[1] : ﴿ضـل من تدعون إلا إياه﴾ .

وكقوله [من البسيط] :

* لأنت أسود في عيني من الظلمِ *

وألف التعجب[2] لا تدخل على أفعل ، وإنما يقال : أشد سواداً وحمرة وخضرة .

وكقوله [من الكامل] :

* جللاً كما بي فليكُ التبريحُ *

وحذف النون من « يكن » إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين[3] ، لأنها تتحرك إلى الكسر ، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت .

---

(١) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء .

(٢) يريد أن صيغة «أفعل» في التفضيل والتعجب لا تبنى من الأفعال الدالة على الألوان، وهذا رأي كثير من النحاة، ومنهم من أجـاز البناء من البياض والسّواد بخصوصـهما .

(٣) أجازه يونس بن حبيب واستدل له بوروده في في بعض القراءات وفي الشعر العربي من مثل قول الشاعر : فإن لم تك المرآة أبدت وسامةً. فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم .

وكقوله [من الطويل] :

* أمطْ عنك تشبيهي بما وكأنّه *[1]

والتشبيه بما محال .

وكقوله [من الكامل] :

لعظمــتَ حتــى لو تكون أمانةٌ ... ما كان مؤتمنــاً بهــا جبرين

قال الصاحب : وقلب هذه اللام إلى النون ، أبغض من وجه المنون ، ولا أحسب جبرائيل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز، هذا على ما في البيت من الفساد والقبح .

وكقوله [من الطويل] :

حملــت إليه من ثنائــي حديقةً ... سقاها الحجا سقي الرياض السحائب

أي : سقي السحائب الرياض[2] .

* * *

٥ ـ ومنها الخروج عن الوزن

كقوله [من الطويل] :

تفــكُّره علــمٌ ، ومنطقــه حكمُ ... وباطنــه دينٌ ، وظاهــره ظرفُ

وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب « مفاعيلن » في عروض الطويل غير مصرع ، وإنما جاء « مفاعلن » ، قال الصاحب : ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل ، فما نجد له على خطئه مساعداً .

---

(١) أمط : نحِّ وأبعد.

(٢) فيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول المضاف وهو جائز عند الكوفيين، وله شواهد.

قال القاضي أبو الحسن : وقد عيب أيضاً بقوله [من الرمل] :

إنّمـا بدر بن عمّـار سحابٌ هطِـلٌ فيه ثوابٌ وعقابْ

لأنه أخرج الرمل على « فاعلاتن » وأجـرى جميع القصيدة علـى ذلك في الأبيات غير المصرعة ، وإنما جاء الشعر على « فاعلن » وإن كان أصله في الدائرة فاعلاتن .

* * *

٦ ـ ومنها استعمال الغريب الوحشي

وإذا كان المتنبي من المحدثين ، بل من العصريين ، وجرى على رسومهم في اختيار الألفـاظ المعتـادة المألوفـة بينهـم ، بل ربمـا انحـط عنهـم بالـركاكة والسفسفة ، ثم تعاطى الغريب الوحشي ، والشاذ البدوي ، بل ربما زاد في ذلك على أقحاح المتقدمين ـ حصـل كلامـه بين طرفـي نقيض ، وتعـرض لاعتـراض الطاعنين .

فمن ذلك الفن الذي ينادي على نفسه ، ويقلق موقعه في شعره وشعر غيره من أبناء عصره ـ قوله [من الوافر] :

ومـا أرضـى لمقلتـه بحلمٍ إذا انتبهـت توهّمـه ابتشاكا

والابتشاك : الكذب ، ولم أسمع فيه شعـراً قديمـاً ولا محدثـاً سوى هذا البيت وقوله في وصف الغيث [من الوافر] :

لسـاحيه علـى الأجـداث حفشٌ كأيدي الخيل أبصـرت المخالي

الساحي : القاشر ، ومنه سميت المسحاة لأنها تقشر وجه الأرض ، والحفش : مصدر حفش السيل حفشاً ، إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع .

وقوله في وصف السيف [من الخفيف] :

ودقيقٌ قديَ الهبـاء أنيـقٌ متـوالٍ فـي مستـوٍ هزهازِ

قدي : بمعنى مقدار ، يقال : بينهما قيد رمح ، وقدي رمح .

وقوله [من الكامل] :

* تطِسُ الخدود كما تطسن اليرمعا *

تطسن : أي تدق ، واليرمع : الحجارة الرخوة .

وقوله [من الكامل] :

وإلـى حصـى أرضٍ أقـام بها بالنّـاس منْ تقبيلهـا يلَلُ

اليلل : إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم ، ولم أسمعه في غير شعره .

وقوله [من الكامل] :

* الشمس تشرق والسّحاب كنهوراً *

الكهنور : القطع من السحاب العظيمة .

وقوله [من البسيط] :

وكيف أستر ما أوليت من حسنٍ وقد غمرت نوالاً أيّها النّالُ

والنال : المعطي .

وقوله [من الوافر] :

* أسائلها عـن المتديّريها *

قال الصاحب : لفظة « المتديريها » لو وقعت في بحر صاف لكدرته ، ولو ألقى ثقلها على جبل سام لهده ، وليس للمقت فيها نهاية ، ولا للبرد معها غاية ، المتديروها : المتخذوها داراً .

قال الصاحب : ومن أطم ما يتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة ، والكلمات الشاذة، حتى كأنه وليد خباء ، وغذي لبن ، لم يطأ الحضر ، ولم يعرف المدر، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

أيفطمــه التــوراب قبــل فطامه ويأكله قبـل البلـوغ إلـى الأكلِ[1]

وليس ذلك سائغاً لمثله ، وهو وليد قرية ، ومعلم صبية .

ومن الجموع الغريبة التي يوردها قوله في جمع الأرض [من الوافر] :

أُروضُ النــاس من تربٍ وخوفٍ وأرضُ أبــي شجــاعٍ مـن أمانِ[2]

وقوله في جمع اللغة [من الطويل] :

* عليمٌ بأسرار الديانات واللّغى *

وقوله في جمع الدنيا [من الطويل] :

* أعزُّ مكان في الدنى سرج سابحٍ *

وقوله في جمع الأخ [من الخفيف] :

* كلّ آخائه كرام بني الدنيا *

قال الصاحب : لو وقع « الآخاء » في رائية الشماخ لاستثقل ، فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنــا ما قلــت في الأحلام وأنلنــاك بدرةً في المنام[3]

---

(١) التوراب : لغة في التراب ، والترباء : الأرض.

(٢) أروض : جمع أرض .

(٣) البدرة : العطية، وهي كيس من الدراهم، أو صرّة.

والكلام إذا لم يتناسب زيفته جهابذته ، وبهرجته نقاده .

* * *

٧ ـ ومنها الركاكة والسفسفة بألفاظ العامة والسوقة ومعانيهم

كقوله [من الطويل] :

رماني خساس الناس من صائب استه   وآخــرُ قُطــنٌ من يديه الجنادلُ[١]

وقوله [من الوافر] :

وإن ما ريتنــي فاركب حصاناً   ومثِّلــهُ تخرُّ له صريعا[٢]

وقوله [من الكامل] :

إن كان لا يدعــى الفتــى إلاّ كذا   رجــلاً فســمّ النــاس طرّاً إصبعا

وقوله [من الوافر] :

قســا فالأســد تفــزع من يديه   ورقّ فنحــن نفــزع أن يذوبا

وقوله [من الوافر] :

تألــم درزه والــدّرز لينٌ   كمــا يتألــم العضــب الصنيعا[٣]

وعلى ذكر الدرز فقد حكى الصاحب في كتاب الروزنامجة من حديث لحظة الطولونية المغنية ما يشبه معنى هذا البيت ، وهو أنـه قال : سمعتهـا تقـول : يا

(١) خساس الناس : أقلّهم قدراً. والإست : المؤخّرة.
والقطن : الذي تصنع منه الثياب، والجنادل : الصخور .

(٢) ماريتني : جادلتني.

(٣) الدرز : الخياطة ، والعضب : السيف.

جارية ، علي بالقميص المعمول في النسج ، فقد آذاني نقل الدروز .

وقوله [من الخفيف] :

لسرى لباسه خشن القطـ ـن ومروي مرو لبس القرود

وقوله [من المجتث] :

ما أنصف القوم ضبّه وأمه الطرطبه[1]
رموا برأس أبيه وباكوا الأمّ غلبه[2]

وقوله [من البسيط] :

بياض وجهٍ يريك الشمس طالعةً ودرّ لفظٍ يريك الدرَّ مخشلبا[3]

وقوله [من الكامل] :

إن كان مثلك كان أو هو كائنٌ فبرئت حينئذ من الإسلامِ

قال الصاحب : « حينئذ » ، ههنا من عير منفلت .

قال : ومن ركيك صنعه ، في وصف شعره ، والزراية على غيره ، قوله [من الخفيف] :

إنّ بعضاً من القريض هراءٌ ليس شيئاً ، وبعضه أحكام
منه ما يجلب البراعة والذهـ ـن ، ومنه ما يجلب البرسام

وقال : وههنا بيت نرضى باتباعه فيه ، وما ظنك بمحكم مناويه ثقة بظهور حقه وإيراء زنده ؟، ولو لم يكن التحكيم بعد أبي موسى من موجب العزم ،

(١) القرطبه : القصيرة الضخمة.
(٢) باكوا : نزوا .
(٣) المخشلب : نبطية الأصل ليست عربية وتعني خرز من حجارة البحر وليس بدر .

ومقتضى الحزم ، وهو[من الطويل] :

أطعناك طوع الدهر يا بن ابـن يوسفٍ بشهوتنـا والحاسـدو لك بالرغم

وقوله [من الخفيف] :

تقضمُ الجمـر والحـديد الأعادي دونـه قضـم سكّر الأهوازِ

وقوله [من الكامل] :

فكأنّمـا حسِـب الأسنّـة حلوةً أو ظنّهـا البـرنـي والآزاذا[1]

قال الصاحب : إذا جمع السكر إلى البرني والأزاذ تم الأمر .

قال : وكانت الشعراء تصف المآزر ، تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ذكره ، حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذي لم يهتد له غيره فقال [من الكامل] :

إنّـي علـى شغفـي بمـا في خمرها لأعفُّ عمّـا في سراويلاتها

وكثير من العهر أحسن من هذا العفاف .

قال القاضي : ومن أمثاله العامية قوله [من المتقارب] :

وكـلّ مكانٍ أتـاه الفتى علـى قدر الرِجـلِ فيه الخطى

* * *

ومنها إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها

كقوله [من البسيط] :

مسـرّةٌ في قلـوب الـطيب مفرقها وحسـرةٌ في قلـوب البيض واليلب[2]

---

(١) البرني : نوع من التمر، وكذلك الآزاذ.
(٢) اليلب : الجلد.

وقوله [من المنسرح] :

تجمّعتْ في فؤادهمْ هممٌ ملء فؤاد الزمان إحداها

وقوله [من الكامل] :

لم يحك نائلك السّحاب ، وإنّما حمّت به فصبيبها الرحضاء[1]

وقوله [من البسيط] :

إلاّ يشبْ فلقد شابت له كبدٌ شيباً إذا خضبته سلوةٌ نصلا

وقوله [من الطويل] :

وقد ذقت حلواء البنين على الصّبا فلا تحسبنّي قلت ما قلت عن جهلِ

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوباً ، وللسحاب حمى ، وللزمان فؤاداً ، وللكبد شيباً ، وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة ، وطرق من الشبه والمقاربة .

قال الصاحب : وما زلنا نتعجب من قول أبي تمام [من الكامل] :

لا تسقني ماء الملام [فإنّني صبٌّ قد استعذبت ماء بكائي]

فخف علينا بحلواء البنين .

* * *

ومنها الاستكثار من قول « ذا »

قال القاضي : وهي ضعيفة في صنعة الشعر ، دالة على التكلف ، وربما

(١) الرحضاء : العرق إثر الحمّى.

وافقت موضعاً تليق به فاكتست قبولاً ، فأما في مثل قوله [من الخفيف] :

قد بلغــت الــذي أردت من البـــــرِّ ومــن حق ذا الشـريف عليكا
وإذا لم تســر إلــى الــدار في وقـــــتك ذا خفــت أن تسير إليكا

وقوله [من الكامل] :

لو لم تكن من ذا الورى اللذمنك هو عقمت بمولـد نسـلها حواءُ

وقوله [من الكامل] :

عن ذا الــذي حرم الليوث كماله تنسـى الفريسـة خوفـه لجمالِهِ

وقوله [من المنسرح] :

وإنْ بكينـا له فلا عجبٌ ذا الجـزر في البحـر غير معهودِ[1]

وقوله [من الطويل] :

أفــي كلِّ يومٍ ذا الدمستــق مقدمٌ قفـاه علـى الإقـدام للوجـه لائمُ

وقوله [من الطويل] :

أبا المسك ذا الوجه الذي كنـت تائقاً إليه ، وذا الوقـت الـذي كنـت راجيا

وقوله [من الطويل] :

* وأعجب من ذا الهجر ، والوصل أعجب *

وقوله [من البسيط] :

أريد من زمنـي ذا أن يبلِّغني ما ليس يبلغـه في نفسـه الزمنُ

---

(١) الجزرُ : رجوع ماء البحر إلى الوراء .

وقوله [من الطويل] :

* يضاحك في ذا اليوم كلٌّ حبيبةٍ *

فهو ـ كما تراه ـ سخافة وضعف ، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف ما ذكرناه من هذه الإشارة ، وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفاً ، والمحدثون أكثر استعانة بها ، لكن في الفرط والندرة ، أو على سبيل الغلط والفلتة .

* * *

ومنها الإفراط في المبالغة ، والخروج فيه إلى الإحالة

كقوله [من الوافر] :

ونالوا ما اشتهوا بالحزم هوناً وصاد الوحش نملهم دبيبا[1]

وقوله [من البسيط] :

وضاقت الأرض حتى صار هاربهمْ إذا رأى غير شيءٍ ظنَّه رجلا
فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضتْ بالخيل في لهوات الطفل ما سعلا

وقوله [من الوافر] :

وأعجب منك كيف قدرت تنشا وقد أعطيت في المهد الكمالا
وأقسم لو صلحت يمين شيءٍ لما صلح العباد له شمالا

وقوله [من الطويل] :

بمن أضرب الأمثال ؟ أم من أقيسه إليك وأهلُ الدهر دونك والدهرُ ؟

---

(١) الهون : الرفق والتأنّي والدبيب : مشي النمل.

وقوله [من الطويل] :

ولـــو قلـــمٌ ألقيت في شقّ رأسهِ　　من السّقــم ما غيّرت من خطّ كاتبِ

وقوله [من البسيط] :

من بعــد ما كان ليلــي لا صبــاح لهُ　　كأنّ أوّل يوم الحشـــر آخرُهُ

فهو مما يستهجن في صنعة الشعر ، علـى أن كثيراً من النقـدة لا يرتضـون هذا الإفراط كله .

* * *

ومنها تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين

كقوله [من الطويل] :

ومـن جاهـلٍ بي وهـو يجهــل جهله　　ويجهــل علمــي أنّــه بيَ جاهلُ

وقوله في هذه القصيدة :

فقلقلـت بالهـمّ الــذي قلقــل الحشا　　قلاقــل عيسٍ كلُّهــنّ قلاقلُ[1]

قال الصاحب : وما زال الناس يستبشعون قول مسلم [من الكامل] :

سلّــت وسلّــت ثم سلّ سليلها　　فأتــى سليل سليلهــا مسلـولا

حتى جاء هذا المبدع فقال [من الوافر] :

وأفجــع من فقدنــا من وجدنا　　قبيـل الفقــد مفقــود المثالِ

وأظن المصيبة في الراثي أعظم منها في المرثي .

---

(١) قلقل : حرّك ، وقلاقل عيس : وهي النوق الخفيفة والعيس : الإبل .

وقوله [من الطويل] :

عظمتَ فلمّا لم تكلّمْ مهابةً   تواضعت وهو العظم عظماً عن العظم

قال الصاحب : وما أحسن ما قال الأصمعي لمن أنشده [من الطويل] :

فما للنوى جدّ النوى قطع النوى   كذاك النوى قطّاعةٌ لوصالِ

لو سلط الله تعالى على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله !

وقوله [من الطويل] :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه   ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألفُ

وقوله [من الوافر] :

ولم أر مثل جيراني ومثلي   لمثلي عند مثلهِمِ مقامُ

وقوله [من البسيط] :

العارض الهتنُ ابن العارض الهتنِ ابـ   ـن العارض الهتن ابن العارضِ الهتنِ (1)

وقوله [من الطويل] :

وإنّي وإنْ كان الدفين حبيبه   حبيبٌ إلى قلبي حبيبُ حبيبي

وقوله [من الطويل] :

لك الخير غيري رام من غيرك الغنى   وغيري بغير اللاذقية لاحقُ

وقوله [من المنسرح] :

ملولةٌ ما تدوم ليس لها   من مللٍ دائمٍ بها مللُ

(1) العارض الهتن : الغيم الممطر.

وقوله [من الوافر] :

قبيلٌ أنت أنت وأنت منهم ... وجدّك بشّر الملك الهمامُ[1]

وقوله [من الوافر] :

وكلُّكُمُ أتى مأتى أبيهِ ... فكلٌّ فعالِ كلِّكمُ عجابُ

وقوله [من الطويل] :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كلّهُ ... ولكن شعري فيك من نفسه شعرُ

وقوله [من الخفيف] :

إنّما الناس حيث أنت ، وما النا ... س بناسٍ في موضعٍ منك خالي

وقوله [من الطويل] :

ولولا تولّى نفسه حمل حمله ... عن الأرض لانهدّت وناء بها الحملُ

وقوله [من الوافر] :

ونهبُ نفوسِ أهل النّهب أولى ... بأهل النّهب من نهب القماشِ

وقوله [من الطويل] :

* وطعنٍ كأنَّ الطّعن لا طعنَ عندهُ *

وقوله [من الطويل] :

أراه صغيراً قدرها عظم قدره ... فما لعظيمٍ قدره عنده قدرُ

---

(١) قبيل : جماعة .

وقوله [من الوافر] :

جـواب مسائلـي أَلَـهُ نظيرٌ ولا لك في سؤالك لا ألالا

قال الصاحب : ما قدرت أن مثل هذا البيت يلـج سمعـاً ، وقـد سمعـت الفأفاء ، ولم أسمع باللألاء ، حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف ، الذي لا يقف حيث يعرف .

* * *

ومنها إساءة الأدب بالأدب

كقوله [من الكامل] :

فغـدا أسيراً قد بللـت ثيابه بدمٍ ، وبـلَّ ببولَـه الأفخاذا

وقوله [من المتقارب] :

ومـا بين كاذتـي المستغير كمـا بين كاذتـي البائـل[1]

وقوله [من الطويل] :

خفِ الله واستـرْ ذا الجمـال ببرقعٍ فإن لحت حاضت في الخدور العواتقُ[2]

ويقال : لما أنكرت عليه « حاضت » غيره فجعله « ذابت » ، وذكر البول والحيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة الملوك والرؤساء .

وأقبح موقعاً من ذلك قوله في قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة ، ويعزيه عنها حيث يقول [من البسيط] :

وهـل سمعـت سلامـاً لي ألـمَّ بها فقـد أطلـت ومـا سلّمـت عن كثبِ

(١) الكاذة : ما حول السوأة من ظاهر الفخذين ، أو لحم مؤخرهما.

(٢) حاضت : من الحيض وهو معروف عند المرأة والعوائق : الكريمات من النساء.

وما باله يسلم على حرم الملوك ، ويذكر منهن ما يذكره المتغزل في قوله [من البسيط] :

يعلمن حين تحيّ حسن مبسمها ... وليس يعلم إلاّ الله بالشنبِ[1]

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول : لو عزاني إنسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته بها ، وضربت عنقه على قبرها ، قال الصاحب : ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس ، على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكاً في أمه بقوله [من الوافر] :

بعيشك هل سلوت فإنّ قلبي ... وإن جانبت أرضك غير سالي ؟

فيتشوق إليها ، ويخطىء خطأ لم يسبق إليه ، وإنما يقول مثل ذلك من يرثي بعض أهله ، فأما استعماله إياه في هذا الموضع فدال على ضعف البصر بمواقع الكلام ، وفي هذه القصيدة :

رواق العزّ فوقك مسبطر ... وملك عليٍّ ابنِكَ في كمالِ[2]

ولعل لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المتبر قال : ولما أبدع في هذه القصيدة واخترع قال :

صلاة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفّن بالجمالِ

فلا أدري هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدة ملك يرثيها بالجمال أم قوله في وصف قرابتها وجواريها .

أتتهنّ المصائب غافلاتٍ ... فدمع الحزن في دمع الدلالِ !؟

* * *

(١) الشنب : البارد من رضابها .
(٢) رواق العزّ : أي أروقتها . ومسبطر : الممتدّ .

ومنها الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين

على أن الديانة ليست عياراً على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في وقته ، وكثيراً ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله [من الخفيف] :

يترشّفن من فمي رشفاتٍ هنَّ فيه أحلى من التوحيدِ

وقوله [من الطويل] :

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضى الذي يسمى الإلّه ولا يكنى

وقوله من قصيدة مدح بها العلوي [من الطويل] :

وأبهر آيات التهاميٍّ أنّه أبوكم ، وإحدى مالكم من مناقبِ

وقوله [من الكامل] :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدُّنا

وقد أفرط جداً ؛ لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل .

وقوله [من المنسرح] :

الناس كالعابدين آلهةً وعبده كالموحد اللاها

وقوله [من الكامل] :

لو كان علمك بالإلّه مقسّماً في الناس ما بعث الإلّه رسولا

أو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ ـتوراة والفرقان والإنجيلا

وقوله [من الكامل] :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموساً
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركةٍ لأعيا عيسى

عازر : اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام ، بإذن الله عز وجل .

أو كان لجُّ البحر مثل يمينه ما انشقّ حتّى جاز فيه موسى

وكأن المعاني أعيته حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء ، وفي هذه القصيدة :

يا من نلوذ من الزمان بظلّهِ أبداً ، ونطرد باسمه إبليسا

وقوله وقد جاز حد الإساءة [من مجزوء الرجز] :

أيُّ محلٍّ أرتقي ؟! أيُّ عظيمٍ أتّقي ؟!
وكلُّ ما قد خلق اللـه وما لم يخلق
محتقرٌ في همّتي كشعرةٍ في مفرقي[1]

وقبيح بمن أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة .

* * *

ومنها الغلط بوضع الكلام في غير موضعه

كقوله [من الوافر] :

أغار من الزجاجة وهي تجري على شفةِ الأمير أبي الحسينِ

(١) مفرقي : أي مفرق الشعر في الرأس .

وهذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوبه ، كما قال أبو الفتح كشاجم وأحسن [من الوافر] :

أغـار إذا دنـت من فيه كأسٌ ... علـى درٍّ يقبِّلـه الزُّجاجُ

فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاهها !

وكقوله [من المتقارب] :

وغـرَّ الدمستـق قول الوشا ... ة إنّ علياً ثقيلٌ وصِبْ[1]

فجعل الأمراء يوشى بهم، وإنما الوشاية السعاية ونحوها [من الـرعية] ، ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوه ، ويجري العدو مجرى بعض أصحابه وليس في اللغة أن يقال : وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته .

وكقوله في وصف الحمى المعرقة [من الوافر] :

إذا مـا فارقتنـي غسلتني ... كأنّـا عاكفـان علـى حرام

وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .

وكقوله في وصف مهره [من الرجز] :

* وزاد في الأذن على الخرانق *[2]

وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب ، وتشبه بطرف القلم ، وأذن الأرنب ، على الضد من هذا الوصف .

* * *

---

(١) وصب : مريض .

(٢) الخرانق : الأرانب .

ومنها امتثال ألفاظ المتصوفة

واستعمال كلماتهم المعقدة ، ومعانيهم المغلقة ، في مثل قوله في وصف فرس [من الطويل] :

[وتسعدني في غمرةٍ بعد غمرةٍ]   سبوحٌ لها منها عليها شواهدُ[1]

وقوله [من الوافر] :

إذا ما الكأس أرعشتِ اليدين   صحوت فلم تحلْ بيني وبيني

وقوله [من الطويل] :

أفيكم فتىً حيٌّ يخبِّرني عنّي   بما شربت مشروبة الراح من ذهني

وقوله [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه منّي   لله ما تصنع الخمورُ !

وقوله [من الكامل] :

كبر العيان عليَّ حتّى إنّه   صار اليقينُ من العيان توهّما

وقوله [من الكامل] :

وبه يضنُّ على البرية ، لا بها   وعليه منها ، لا عليها ، يوسي

وقوله [من الوافر] :

ولولا أنّني في غير نومٍ   لكنت أظنّني منّي خيالا

قال الصاحب : ولو وقع قوله [من الخفيف] :

نحن من ضايق الزمان له فيـ   ـك ، وخانته قربك الأيام

---

(١) غمرة : موقعة وحرب ، وسبوح : فرس .

في عبارات الجنيد والشبلى لتنازعته المتصوفة دهراً بعيدا .

ومن أشد ما قاله في هذا المعنى قوله [من الطويل] :

ولكنّك الدّنيا إليَّ حبيبةٌ   فما عنك لي إلاَّ إليك ذهابُ

* * *

ومنها الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة

كقوله [من الكامل] :

ولجدت حتى كدت تبخل حائلاً   للمنتهى ، ومن السرور بكاءُ

وقوله [من الخفيف] :

والأسى قبل فرقة الروح عجزٌ   والأسى لا يكون قبل الفراقِ

وقوله [من الخفيف] :

إلف هذا الهواء أوقع في الأنـ   ـفس أنّ الحمام مرٌّ المذاقِ

وقوله [من البسيط] :

تخالف الناس حتى لا اتفاقَ لهمْ   إلاّ على شجبٍ والخلف في الشجب(١)

فقيل : تخلص نفس المرء سالمةً ،   وقيل : تشرك جسم المرء في العطبِ

وقوله [من الكامل] :

خلفتْ صفاتك في العيون كلامَهُ   كالخطّ يملأ مسمعي من أبصرا

---

(١) الشجب : الهلاك .

وقوله [من الوافر] :

تمتّع من سهادٍ أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام[1]
فإنّ لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

قال ابن جني : أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها .

* * *

ومنها استكراه التخلص

قال القاضي : لعلك لا تجد في شعره تخلصاً مستكرهاً إلا قوله [من الوافر] :

أحبك أو يقولوا : جرَّ نملٌ ثبيراً وابن إبراهيم ريعا[2]

فأما قوله [من الطويل] :

فأفنى وما أفنته نفسي ، كأنّما أبو الفرج القاضي له دونها كهفُ

وقوله [من البسيط] :

لو استطعت ركبت الناس كلّهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

وقوله [من الطويل] :

أعزُّ مكانٍ في الدّنا سرج سابحٍ وخير جليسٍ في الزّمان كتابُ[3]
وبحر أبو المسك الخضمٌ الذي له على كلّ بحرٍ زخرةٌ وعبابُ[4]

فهي وإن لم تكن مستحسنة مختارة فليست بالمستهجن الساقط .

* * *

(١) الرجام : الحجارة توضع على القبر .
(٢) ثبير : إسم جبل ، وابن ابراهيم : هو علي بن إبراهيم التنوخي ممدوحه ، وريعا : أي أخيف .
(٣) السابح : الحصان .
(٤) زخرة وعباب : كناية عن تفوّقه على غيره .

ومنها قبح المقاطع

كقوله بعد أبيات أحسن فيها غاية الإحسان ، وترقى الدرجة العالية ، وهي [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما ... كلام العدا ضربٌ من الهذيانِ
أتلتمس الأعداء بعد الذي رأتْ ... قيام دليلٍ أو وضوح بيان ؟
رأت كلّ من ينوي لك الغدر يبتلي ... بغدر حياةٍ أو بغدر زمان
قضى الله يا كافور أنّك واحدٌ ... وليس بقاضٍ أن يرى لك ثاني
فما لك تختار القسيّ ، وإنّما ... عن السعد ترمي دونك الثقلان(١)
وما لك تعني بالأسنّة والقنا ... وجدّك طعّانٌ بغير سنانِ ؟!
ولم تحمل السيف الطويل نجاده ... وأنت غنيٌّ عنه بالحدثان(٢)
أرد لي جميلاً جدت أو لم تجد بهِ ... فإنّك ما أحببت فيَّ أتاني

هذا البيت الذي هو عوذتها .

لو الفلك الدوّار أبغضت سعيَهُ ... لعوّقه شيءٌ عن الدورانِ

وقوله في قصيدة منها [من الكامل] :

في خطّه من كلِّ قلبٍ شهوةٌ ... حتّى كأنَّ مداده الأهواءُ
ولكلِّ عينٍ قرّةٌ في قربهِ ... حتّى كأنّ مغيبه الأقذاءُ(٣)

هذا البيت الذي جعله المقطع .

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو ... عقمت بمولد نسلها حواءُ

---

(١) القسيّ : جمع قوس ، والثقلان : الجن والإنس .
(٢) نجاد السيف : حمائله ، والحدثان : الليل والنهار .
(٣) قرّة : من القرار ، وهو السكينة والهدوء ، والقذى : ما يقع في العين من أذىً .

وكقوله في آخر القصيدة [من الكامل] :

خلت البلاد من الغزالة ليلها　　فأعاضهاك الله كي لا تحزنا(١)

* * *

هذا آخر المقابح والمعائب ، وأول المحاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد التي زاد فيها على من تقدم ، وسبق جميع من تأخر .

* * *

فمنها حسن المطالع

كقوله [من الطويل] :

فديناك من ربعٍ وإن زدتنا كربا　　فإنّك كنت الشرق للشمس والغربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً　　لمن بان عنه أن نلمَّ به ركبا

وقوله [من الكامل] :

الرأي قبل شجاعة الشجعان　　هو أوّلٌ، وهي المحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةٍ　　بلغت من العلياء كلَّ مكانِ(٢)

وقوله [من الطويل] :

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ　　أكلُّ فصيحٍ قال شعراً متيَّمُ ؟
لحبُّ ابن عبد الله أولى : فإنّهُ　　به يبدأ الذكر الجميل ويختمُ

وقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسلِ　　والطعن عند محبّيهن كالقبلِ(٣)

---

(١) الغزالة : أي الشمس .
(٢) المرّة : القوية الثابتة .
(٣) الأسل : الرماح .

وقوله [من الوافر] :

فـؤادٌ ما تسلِّيه المدام ... وعمـرٌ مثل ما يهب اللئام

وقوله [من البسيط] :

أفاضـل النـاس أغـراضٌ لذا الزمنِ ... يخلو من الهمِّ أخلاهـم من الفطنِ[1]

وقوله [من الكامل] :

اليوم عـهدكـمُ فأين الموعدُ ... هيهـات ليس ليوم عهـدكُمُ غدُ ؟
المـوت أقـرب مخلبـاً من بينكمْ ... والعيش أبعـد منـكُمُ لا تبعدوا

وقوله [من البسيط] :

المجـد عوفـيَ إذْ عوفيت والكرمُ ... وزال عنـك إلـى أعدائـك الألم

* * *

ومنها حسن الخروج والتخلص

كقوله [من البسيط] :

مرَّت بنـا بين تربيهـا فقلـت لها : ... من أين جانس هذا الشـادن العربا[2]
فاستضحـكت ثم قالـت : كالمغيث يرى ... ليث الشرى وهو من عجـلٍ إذا انتسبا

وقوله [من الطويل] :

وغيثٍ ظننـا تحتـهُ أنَّ عامراً ... علا لم يمـت أوفـى السحـاب له قبرُ

وقوله [من الطويل] :

وإلاّ فخانتنـي القوافـي ، وعاقني ... عن ابـن عبيد الله ضعف العزائمِ

---

(١) أغراض : أهداف ، والفطن : الذكاء .
(٢) الشادن : الظبي إذا طلع قرنه .

إذا صلت لم أترك مصالاً لصائلٍ　　وإن قلت لم أترك مقالاً لعالمِ

وقوله [من الطويل] :

نودِّعهم والبين فينا كأنَّهُ　　قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلقِ[1]

وقوله [من الكامل] :

ومقانبٍ بمقانبٍ غادرتها　　أقوات وحشٍ كنَّ من أقواتها[2]
أقبلتها غرر البلاد كأنّما　　أيدي بني عمران في جبهاتها

وقوله [من الكامل] :

حدقٌ يذمُّ من القواتل غيرها　　بدر بن عمار بن إسماعيلا

وقوله [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى　　ضمنت ضمان أبي وائلِ
فدى نفسه بضمان النّضار　　وأعطى صدور القنا الذابلِ

* * *

ومنها النسيب بالأعرابيات

كقوله [من البسيط] :

من الجآذر في زيِّ الأعاريب　　حمر الحلى والمطايا والجلابيبِ ؟[3]
إن كنت تسأل شكّاً في معارفها　　فمن بلاك بتسهيدٍ وتعذيب ؟

---

(١) الفيلق : القطعة العظيمة من الجيش ، أو الرجل العظيم .
(٢) المقانب : جمع مقنب وهي الجماعة من الناس وأراد أنه لقي الأعداء بجيشٍ عظيم مغادرهم طعمةً للوحوش .
(٣) الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

سوائـرُ ربّمـا سارت هوادجها منيعـةً بين مطعـونٍ ومضروب

أي : لكثرة الرغبة فيهن، وشدة الذب عنهن ، والمحاربة دونهن .

وربمـا وخـدت أيدي المطـيّ بها على نجيعٍ من الفرسـان مصبوبِ[1]
كم زروةٍ ليَ في الأعـراب خافيةٍ أدهـى وقـد رَقـدوا من زورة الذيب
أزورهـم وسـواد الليل يشفـع لي وأنثنـي وبياض الصبـح يغـري بي

قد وقع التنبيه على حسن هذا البيت في شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه ، وكونه أمير شعره .

قد وافقوا الـوحش في سكنى مراتِعها وخالفوهـا بتقـويضٍ وتطنيـبِ
فؤاد كلٍّ محـبٍّ في بيوتهم ومـال كلّ أخيذِ المـال محروب[2]
ما أوجـه الحضـر المستحسنـات به كأوجـه البـدويّـات الرعابيب[3]
حسـن الحضـارة مجلـوبٌ بتطريةٍ وفـي البـداوة حسـنٌ غير مجلوب
أفـدي ظبـاء فلاةٍ ما عرفـن بها مضـغ الـكلام ولا صبـغ الحواجيب
ولا برزن مـن الحمّـام مائلةً أوراكهـنَّ صقيـلاتُ العراقيب[4]
ومـن هوى كلّ من ليسـت مموهةً تركت لون مشيبـي غير مخضوب
ومـن هوى الصـدق في قولـي وعادته رغبـت عن شعـرٍ في الوجـه مكذوب

وناهيك بهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن .

وله طريفة ظريفة في وصف البدويات قد تفرد بحسنها وأجاد ما شاء فيها ،

---

(١) وخدت : سارت ، والنجيع : الدم السائل .
(٢) محروب : الذي أخذ جميع ماله .
(٣) الرعابيب : جمع رعبوبة وهي الطويلة الممتلئة .
(٤) العراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل .

فمنها قوله [من البسيط] :

هامِ الفؤاد بأعرابيةٍ سكنتْ بيتاً من القلب لم تضربْ به طنبا
مظلومة القدّ في تشبيهه غصناً مظلومة الرّيق في تشبيهه ضربا(1)

وقوله [من الكامل] :

إن الذين أقمت واحتملوا أيامهم لديارهم دُوَلُ
الحسن يرحل كلّما رحلوا معهم ، وينزل حيثما نزلوا
في مقلتيْ رشأٍ تديرهما بدويّةٌ فتنت بها الحلل
تشكو المطاعم طول هجرتها وصدودها ومن الذي تصل

وصفها بقلة الطعم ، وهي محمودة في نساء العرب .

ما أسأرت في القعب من لبنٍ تركته وهو المسكُ والعسل(2)
قالت ألا تصحو فقلت لها أعلمتني أنّ الهوى ثملُ

وقوله [من الطويل] :

ديار اللواتي دارهنَّ عزيزةٌ بطول القنا يحفظن لا بالتمائم(3)
حسان التثنِّي ينقش الوشي مثله إذا مِسْنَ في أجسادهنّ النواعم
ويبسمن عن درٍّ تقلّدن مثلهُ كأنّ التراقي وشّحت بالمباسم(4)

* * *

---

(1) الضرب : بفتح الضاد والراء : الشهد ؛
(2) السؤر : بضمّ فسكون ، ما فضل من الشرب في الإناء ، والقعب : الإناء .
(3) التمائم : جمع تميمة وهي عوذة تعلق على الصبي من العين .
(4) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

ومنها حسن التصرف في سائر الغزل

كقوله [من الكامل] :

قد كان يمنعني الحياء من البكا   فالآن يمنعه البكا أن يمنعا
حتّى كأنّ لكلّ عظمٍ رنّةً   في جلده ولكلّ عرقٍ مدمعا
سفرت وبرقعها الحياء بصفرةٍ   سترت محاسنها ولم تكُ برقعا
فكأنّها والدمع يقطر فوقها   ذهبٌ بسمطي لؤلؤٍ قد رصّعا[1]
كشفت ثلاث ذوائبٍ من شعرها   في ليلةٍ فأرت ليالي أربعا[2]
واستقبلت قمر السماء بوجهها   فأرتنيَ القمرين في وقتٍ معا

وهي مما يتغنى به لرشاقتها وبلوغها كل مبلغ من حسن اللفظ وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة .

وكقوله [من الوافر] :

أيدري الربع أي دمٍ أراقا ؟   وأيّ قلوب هذا الركب شاقا ؟
لنا ولأهله أبداً قلوبٌ   تلاقي في جسومٍ ما تلاقى

معناه ينظر إلى قول ابن المعتز [من الرجز] :

إنّا على البعاد والتفرُّقِ   لنلتقي بالذّكر إنْ لم نلتقي

ومنها :

فليت هوى الأحبَّة كان عدلاً   فحمّل كلَّ قلبٍ ما أطاقا[3]

---

(١) السمط : العقد .

(٢) الذوائب : خصلات الشعر في مقدّمة الرأس .

(٣) عدلاً : منصفاً ، وأطاق : تحمّل .

ومنها :

وقد أخذ التمام البدر فيهم ... وأعطاني من السقم المحاقا
وبين الفرع والقدمين نورٌ ... يقود بلا أزمّتها النِّياقا[1]
وطرفٍ إن سقى العشّاق كأساً ... بها نقصٌ سقَانيها دهاقا[2]
وخصرٍ تثبت الأحداق فيه ... كأنّ عليه من حدقٍ نطاقا[3]

وقوله [من المنسرح] :

كأنّما قدّها إذا انفتلتْ ... سكران من خمر طرفها ثملُ
يجذبها تحت خصرها عجزٌ ... كأنّه من فراقها وجلُ[4]

وقوله [من الكامل] :

مثّلت عينك في حشاي جراحةً ... فتشابها كلتاهما نجلاءُ[5]
نفذت عليّ السابريّ ، وربّما ... تندقّ فيه الصّعدة السّمراء[6]

وكقثوله [من الوافر] :

كأنّ العيس كانت فوق جفني ... مناخاتٍ فلمّا ثرن سالا[7]
لبسن الوشي لا متجملاتٍ ... ولكنْ كي يصنّ به الجمالا
وضفّرن الغدائر لا لحسنٍ ... ولكن خفن في الشعر الضّلالا

* * *

(١) الفرع : الشعر الأسود كناية عن الرأس .
(٢) دهاقاً : مملوءة .
(٣) النطاق : الازار ، وما تضعه المرأة في خصرها .
(٤) الوجل : الخوف .
(٥) النجلاء : الواسعة .
(٦) السابريّ : الدرع ، والصعدة : حديدة الرمح .
(٧) العيس : النوق والإبل ، ثرن : أي مشين ، وسال : أي دمعه .

ومنها حسن التشبيه بغير أداة التشبيه

كقوله [من الوافر] :

بدت قمــراً ، ومالــت غصــن بانٍ وفاحــت عنبــراً ، ورنــت غزالا[1]

وقوله [من البسيط] :

ترنــو إلــيَّ بعينِ الظَّبــي مجهشةً وتمســح الطــلَّ فوق الــورد بالعنمِ[2]

وقوله [من الكامل] :

قمــراً ترى وسحــابتين بموضعٍ من وجهــه ويمينــه وشمالهِ

وقوله [من البسيط] :

أعارنــي سقــم عينيه وحمَّلني من الهــوى ثقــل ما تحــوي مآزره

وقوله [من الوافر] :

عرفــت نوائــب الحدثــان حتّى لو انتسبــت لكنــت لهــا نقيبا

وقوله [من الكامل] :

فــأتيت معتزمــاً ولا أسدٌ ومضيت منهزمــاً ولا وعلُ

وقوله في وصف الخيل [من المتقارب] :

خرجنــا من النقــع في عارضٍ ومــن عرق الــركض في وابلِ[3]

---

(١) رنت : نظرت .

(٢) العَنَمْ : شجر حجازي له نبت أحمر ، والعرب تشبّه به أصابع الحسان .

(٣) النقع : الغبار ، والعارض : الغيم . والوابل : الممطر .

وقوله [من الخفيف] :

وجيادٍ يدخلن في الحرب أعرا ءً ويخرجن من دمٍ في جلالِ[1]
واستعار الحديد لوناً وألقى لونه في ذوائب الأطفالِ

* * *

ومنها الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات

كقوله [من الطويل] :

وإنَّ نهاري ليلةٌ مدلهمَّةٌ على مقلةٍ من فقدكمْ في غياهبِ
بعيدة ما بين الجفون كأنّما عقدتم أعالي كلّ هدبٍ بحاجب

ذكر ابن جني أنه مثل قول بشار [من الوافر] :

جفت عيني عن التغميض حتّى كأنّ جفونها عنها قصارُ

وذكر القاضي أنه مأخوذ من قول الطرمي في رطاناته [من الطويل] :

ورأسي مرفوعٌ إلى النّجم كأنّما قفاي إلى صلبي بخيطٍ مخيَّطُ[2]

وقوله [من الطويل] :

كأنَّ رقيباً منك سدّ مسامعي عن العذل حتّى ليس يدخلها العذلُ
كأنّ سهاد العين يعشق مقلتي فبينهما في كلّ هجرٍ لنا وصلُ

وقوله [من الطويل] :

رأيت الحميّا في الزّجاج بكفِّهِ فشبّهتها بالشمس في البدر في البحرِ[3]

---

(١) الجلال : جمع جل ، وهو للفرس كالبرذعة للحمار .
(٢) الصلب : عظم في الظهر من الكاهل إلى أسفل الظهر .
(٣) الحميّا : الخمر .

وقوله في الحمى [من الوافر] :

وزائرتي كأنَّ بها حياءً فليس تزور إلاّ بالظلامِ
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

وقوله في وصف الظبي [من الرجز] :

أغْناه حسن الجيد عن لبس الحلى وعادة العري عن التفضُّلِ[1]

* كأنّه مضمَّخٌ بصندلِ *[2]

وقوله في سرعة الأوبة وتقليل اللبث [من الوافر] :

وما أنا غير سهمٍ في هواءٍ يعود ولم يجد فيه امتساكا

قال ابن جنى : قد اختلف أهل النظر في هذا الموضع ، فقال قوم : إن السهم والحجر ونحوهما إذا رمي به صعدا فتناهى صعوده كانت له في آخر ذلك لبثة ما، ثم يتصوب منحدراً . وقال آخرون : لا لبثة له هناك ، وإنما أول وقت انحداره وقت صعوده .

وقوله ـ وهو أحسن ما قيل في وصف محنة نهكت صاحبها ، واشتدت به ، ثم عاد إلى حال السلامة وقد هذبته تلك الحال وزادته صفاء وسهولة [من الوافر] :

وربّتما شفيت غليل صدري بسيرٍ أو مقامٍ أو حسامِ
وضاقتْ خطّةٌ فخرجت منها خروج الخمر من نسج الفدام[3]

وقوله وهو مما لم يسبق إليه [من الطويل] :

كريمٌ نفضت الناس لمّا لقيته كأنّهم ما جفَّ من زاد قادمِ

---

(1) الجيد : العنق ، والتفضّل : بقيّة الشيء .
(2) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر ، خشبه طيّب الرائحة .
(3) الفدام : المصفاة .

وكاد سروري لا يفــي بندامتي ... على تركه في عمــريَ المتقادم

وقوله وهو من بدائعه [من الوافر] :

رضــوا بك كالرضــا بالشيب قسراً ... وقــد وخــط النــواصي والفروعا[1]

وقوله في وصف الشعر [من البسيط] :

إذا خلعْــت علــى عرضٍ له حللاً ... وجدتهــا منــه في أبهــى من الحلل
بذي الغبــاوة من إنشادهــا ضررٌ ... كمــا تضــرُّ رياح الــورد بالجعل[2]

وذلك أن الجعل إذا طرح عليه الورد غشي عليه .

* * *

ومنها التمثيل بما هو من جنس صناعته

كقوله [من البسيط] :

وإنّمــا نحــن في جيلٍ سواسيةٌ ... شرٌّ على الحرِّ من سقــمٍ علــى البدنِ
حولــي بكلِّ مكانٍ منهــم خلقٌ ... تخطي إذا جئـت في استفهامهـا بمن

« من » إنما يستفهم بها عمن يعقل ، يقول : هؤلاء كالبهائم ، فقولك لهم « من أنتم » خطأ ، إنما ينبغي أن يقال لهم « ما أنتم » لأن موضع « مـا » لمـا لا يعقل ، ويحكى أن جريراً لما قال [من البسيط] :

يا حبــذا جبــل الــريّان من جبلٍ ... وحبّــذا ساكن الــريان من كانا

قال الفرزدق : ولو كان ساكنه قروداً ؟ فقال له جرير : لو أردت هذا لقلت ما كانا ولم أقل من كانا .

---

(١) وخط : خالط ، والنواصي : جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس والفروع : الشعر الأسود.

(٢) الجعل : نوع من الخنافس .

وكقوله [من البسيط] :

نتــاج رأيك في وقــتٍ علــى عجلٍ　　كلفــظ حرفٍ وعــاه سامــعٌ فهِمُ

وقوله [من البسيط] :

من اقتضــى بســوى الهنــديِّ حاجتهُ　　أجــاب كلَّ سؤال عن هل بلمِ

وقوله [من الكامل] :

أمضــى إرادتــه فســوف له قـد　　واستقــرب الأقصــى فثـمَّ لـه هنا

« سوف » للاستقبال ، و « قد » موضوعة للمضي ومقاربة الحال ، يقول : إذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته ، وقوله [من الكامل] :

دون التعانــق ناحلين كشكلتي　　نصــبٍ أدقَّهمــا وضــمٌّ الشاكلُ

وقوله [من الوافر] :

ولــولا كونــكم في النــاس كانوا　　هـراءً كالــكلام بلا معان[1]

وقوله [من الطويل] :

قشيرٌ وبلعجــان فيهــا خفيةٌ　　كراءين في ألفــاظ ألثــغ ناطقٍ[2]

وقوله [من الطويل] :

إذا كان ما تنــويه فعــلاً مضارعاً　　مضــى قبــل أن تلقــى عليه الجوازمُ

المضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع ، مثل : أقوم ، ونقـوم وتقـوم ، ويقوم ، يقول : إذا نويت فعلاً أوقعته قبل فوته . وقبل أن يقال لم يفعل ، وأن

---

(١) الهراء : الذي لا معنى وراءه .

(٢) أراد بقوله ، بلعجان ، بنو العجلان .

يفعل ، وقوله [من الوافر] :

وكان ابنا عدوٍّ كاثراه له يآءي حروف أُنَيْسَيانِ

« أنيسيان » تصغير إنسان وتحقيره ، وإنسان عدد حروفه خمسة ، وهو اسم مكبر ، فإذا صغرته زدت عليه ياءين فزادت حروفه ونقص معناه ، فكذاك إذا كان لعدوه ابنان فكاثره بهما ، فيكونان زائدين في عدده ولكن ناقصين ، لسقوطهما وتخلفهما .

* * *

ومنها المدح الموجه

كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن ، كقوله [من الطويل] :

نهبت من الأعمار ما لو حويتهُ لهنّئتِ الدنيا بأنّك خالدُ

قال ابن جني : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه ، لأنه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه ، وكقوله [من البسيط] :

عمر العدوّ إذا لاقاه في رهجٍ أقلّ من عمر ما يحوي إذا وهبا[1]
مالٌ كأنّ غراب البين يرقبهُ فكلّما قيل هذا مجتدٍ نعبا[2]

وقوله [من المنسرح] :

تشرق تيجانه بغرّته إشراق ألفاظهِ بمعناها

---

(١) الرهج : غبار الحرب .
(٢) المجتدي : السائل ، ونعب : صوّت .

وقوله [من المنسرح] :

تشرق أعراضهم وأوجههمْ كأنّما في نفوسهم شيمُ

وقوله [من الطويل] :

إلى كم تردّ الرسل فيما أتوا له كأنهم فيما وهبت ملامُ

وقوله [من الطويل] :

يخيَّلِ لي أنّ البلاد مسامعي وأنّيَ فيها ما تقول العواذلُ

وقوله [من البسيط] :

كأنّ ألسنهم في النطق قد جعلتْ على رماحهم في الطعنِ خرصانا[1]

* * *

ومنها حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية

كقوله [من المتقارب] :

لقد رفع الله من دولةٍ لها منك يا سيفها منصلُ[2]

وقوله [من الكامل] :

لولا سميٌّ سيوفه ومضاؤه لمّا سللن لكنّ كالأجفان

وقوله [من الطويل] :

عزاءك سيف الدولة المقتدى بهِ فإنّك نصلٌ والشدائد للنصلِ

---

(١) خرصان : جمع خرْص ، وهو سنان الرمح .
(٢) المنصل : السيف .

وقوله [من البسيط] :

يسمّى الحسام وليست من مشابهةٍ — وكيف يشتبه المخدوم والخدمُ
كلّ السيوف إذا طال الضراب بها — يمسّها ـ غير سيف الدولة ـ السأمُ(١)

وقوله [من الطويل] :

تهاب سيوف الهند وهي حدائدٌ — فكيف إذا كانت نزاريّةٌ عربا

وقوله [من الطويل] :

تحيّر في سيفٍ : ربيعة أصلُهُ — وطابعه الرحمن ، والمجد صاقلُ

وقوله [من الخفيف] :

قلّد الله دولةً سيفها أنـ — ـت حساماً بالمكرمات محلّى
فإذا اهتزّ للندى كان بحراً — وإذا اهتزّ للعدا كان نصلا

وقوله [من الطويل] :

وأنت حسام الملك والله ضاربٌ — وأنت لواء الدّين والله عاقدُ

وقوله [من الطويل] :

لقد سلّ سيف الدولة المجد معلماً — فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمهْ(٢)
علـى عاتق الملك الأغرِّ نجاده — وفي يد جبار السّموات قائمهْ(٣)
وإنّ الذي سمى عليّاً لمنصفٌ — وإنّ الذي سمّاه سيفاً لظالمه
وما كلّ سيفٍ يقطع الهام حدُّهُ — وتقطع لزبات الزمان مكارمه(٤)

---

(١) الضراب : من الضرب ، والسأم : الملل .
(٢) معلماً : واضحاً عالياً وثلمه : قطعه .
(٣) قائمه : قبضته .
(٤) الزبات : شدّته وقحطه .

وقوله [من الكامل] :

إنّ الخليفة لم يسمِّكَ سيفهُ حتى بلاك فكنت عين الصارمِ[1]
وإذا تتوّج كنت درّة تاجه وإذا تختّم كنت فصَّ الخاتمِ

وقوله [من الكامل] :

من للسيوف بأن تكون سميُّها في أصله وفرندِهِ ووفائهِ[2]
طبع الحديد فكان من أجناسه وعليٌّ المطبوع من آبائه

* * *

ومنها الإبداع في سائر مدائحه

كقوله [من الكامل] :

ملِكٌ سنانُ قناته وبنانهِ يتباريان دماً وعرفاً ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لوفده ويظنُّ دجلة ليس تكفي شاربا
كالبدر من حيث التفتّ رأيته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا
كالبحر يقذف للقريب جواهراً جوداً ، ويبعث للبعيد سحائبا

وقوله [من الكامل] :

ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجباً له حفظ العنان بأنملٍ ما حفظها الأشياء من عاداتها
لو مرّ يركض في سطور كتابه أحصى بحافر مهره ميماتها
كرمٌ تبيَّن في كلامك ماثلاً ويبين عتق الخيل فى أصواتها[3]

---

(١) بلاك : اختبرك ، والصارم : السيف القاطع .
(٢) الفرند : السيف بالفارسية .
(٣) عتق الخيل : نجابتها .

أعيا زوالك عن محلٍّ نلته   لا تخرج الأقمار من هالاتها

فيه مدح ، ومثل مضروب ، وتشبيه نادر .

ذكر الأنام لنا فكان قصيدةً   أنت البديع الفرد من أبياتها

وهذا البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة ، وكقوله [من الطويل] :

وما زلت حتى قادني الشوق نحوهُ   يسايرني في كلِّ ركبٍ له ذكرُ
وأستكبر الأخبار قبل لقائهِ   فلمّا التقينا صغَّر الخبرَ الخُبْرُ

هذا ضد قولهم « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » .

أزالت بك الأيام عتبي كأنّما   بنوها لها ذنبٌ وأنت لها عذرُ

وكقوله [من الطويل] :

ألا أيّها المال الذي قد أباده   تعزَّ فهذا فعله بالكتائبِ[1]
لعلّك في وقتٍ شغلت فؤاده   عن الجود أو أكثرت جيش محارب

وقوله [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي   فكأنّ القتال قبل التلاقي
وتكاد الظُّبا لما عوَّدوها   تنتضي نفسها إلى الأعناق
كلّ ذمرٍ يزيد في الموت حسناً   كبدورٍ تمامها في المحاق[2]
كرمٌ خشّنَ الجوانب منهمْ   فهو كالماء في الشِّفار الرقاقِ[3]
ومعالٍ إذا ادّعاها سواهمْ   لزمته جناية السُّراقِ

(١) أباده : أنفقه ، والكتائب : جمع كتيبة وهي الفرقة من الجيش .
(٢) الذمر : الشجاع الظريف . والمحاق : سرار القمر وخفاؤه .
(٣) الشِّفار : السيوف .

وكقوله [من الخفيف] :

خيـر أعضـائنـا الـرءوس ولكن ... فَضُـلتهـا بقصـدك الأقـدامُ

وكقوله [من المنسرح] :

قـومٌ بلـوغ الغـلام عندهمُ ... طعـن نحـور الكمـاة لا الحلمُ
كأنّمـا يولـد النـدى معهمْ ... لا صغـرٌ عاذرٌ ولا هرمُ
إذا تولّـوا عداوةً كشفوا ... وإن تولّـوا صنيعـةً كتموا
تظـنُّ من فقـدك اعتدادهمُ ... بأنّهـم أنعمـوا ومـا علموا
إن برقـوا فالحتـوف حاضرةٌ ... أو نطقـوا فالصـواب والحكم
أو شهـدوا الحـرب لاقحـاً أخذوا ... من مهـج الـدارعين ما احتكموا[1]
أو حلفـوا بالغمـوس واجتهدوا ... فقولهم « خاب سائلـي » القسم[2]
أو ركبـوا الخيل غير مسرجةٍ ... فإنّ أفخـاذهـم لهـا حزمُ
تشـرق أعراضهـم وأوجههمْ ... كأنّهـا في نفوسهـم شيمُ
أعيذكم من صروف دهركمُ ... فإنّـه فـي الـكرام متّهمُ

وكقوله [من المنسرح] :

النـاس ما لم يروك أشباهُ ... والدهـر لفـظٌ وأنـت معناهُ
والجـود عينٌ وأنـت ناظرهُ ... والبـأس باعٌ وأنـت يمناه
يا راحـلاً كلّ من يودّعه ... مودِّعٌ دينـه ودنيـاهُ
إن كان فيمـا تراه من كرمٍ ... فيك مزيدٌ فزادك الله

وكقوله [من البسيط] :

تمشـي الـكرام علـى آثـار غيرهم ... وأنـت تخلـق ما تأتـي وتبتدعُ

---

(١) لاقحاً : هائجة .

(٢) خاب سائلي : هذه جملة يقولها أحدهم عندما يحلف ، مثل قول أحدنا « برئت من كذا » .

من كان فوق محلِّ الشمس موضعه فليس يرفعه شيءٌ ولا يضعُ

وكقوله [من الطويل] :

فلما رأوه وحده دون جيشه دروا أنّ كلَّ العالمين فضولُ

وكقوله [من الطويل] :

وأوردهم صدر الحصان وسيفه فتى بأسه مثل العطاء جزيلُ
جوادٌ على العلاّت بالمال كلّهِ ولكنّه بالدّارعين بخيلُ[1]

وكقوله [من الطويل] :

أرى كلَّ ذي ملكٍ إليك مصيرُهُ كأنّكَ بحرٌ والملوك جداولُ
إذا أمطرت منهم ومنك سحابةٌ فوابلهم طلٌّ وطلُّك وابلُ[2]

وقوله [من الطويل] :

ودانت له الدنيا فأصبح جالساً وأيّامه فيما يريد قيامُ
وكلُّ أناسٍ يتبعون إمامهم وأنت لأهل المكرمات إمامُ
وربَّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته وعنوانه للناظرين قتامُ[3]

وكقوله [من الطويل] :

هم المحسنون الكرَّ في حومةِ الوغى وأحسن منهم كرُّهم في المكارمِ[4]
ولولا احتقار الأسد شبّهتها بهم ولكنّها معدودةٌ في البهايمِ

---

(١) العلاّت : كلّ الأحوال .
(٢) الطلّ : الندى ، والوابل : المطر .
(٣) القتام : الغبار .
(٤) الكرُّ : الهجوم والحرب .

وكقوله [من المنسرح] :

أغـرّ أعـداؤه إذا سلمـوا ... بالهـرب استكثـروا الـذي فعلوا
إنـك من معشـرٍ إذا وهبوا ... ما دون أعمارهـم فقـد بخلوا
كتيبـةٌ لسـت ربّهـا نفلٌ ... وبلـدةٌ لسـت حليهـا عَطِلُ[1]

وكقوله [من المنسرح] :

لـو كفـر العالمـون نعمته ... لمـا عَدَتْ نفسـه سجاياها[2]
كالشـمس لا تبتغـي بمـا صنعتْ ... منفعـةً عندهـم ولا جاها

وكقوله [من الطويل] :

فجـاءت بنـا إنسـان عين زمانه ... وخلّـت بياضـاً خلفهـا ومآقيا[3]

وهذا أحسن ما يمدح به ملك اسود ، ولا نهاية لحسنه ، وشرف معناه ، وجودة تشبيهه وتمثيله :

ترفـع عن عون المـكارم فعله ... فمـا يفعـل الفعـلات إلاّ عذاريا[4]
أبـا كلِّ طيبٍ ، لا أبـا المسـك وحده ... وكلّ سحـاب لا أخصّ الغواديا
يدلُّ بمعنـى واحـدٍ كلّ فاخرٍ ... وقـد جمع الرحمـن فيك المعانيا

ألم فيه بقول أبي نواس [من المجتث] :

كأنّمـا أنـت شـيءٌ ... حـوى جميـع المعاني

* * *

---

(١) النفل : الغنيمة ، والعطل : الخالية من الحليّ .
(٢) عدت : فارقت ، والسجايا : المزايا والصفايا .
(٣) إنسان العين : بؤبؤها .
(٤) العون : النصف من النساء ، وأراد هنا المكرمة التي لها مثال ونظير ، والعذارى : البكر من النساء ، وأراد المكرمة التي ليس لها نظير .

ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك

بمثل مخاطبة المحبوب والصديق ، مع الإحسان والإبداع

وهو مذهب له : تفرد به ، واستكثر من سلوكه ، اقتداراً منه ، وتبحراً في الألفاظ والمعاني ، ورفعا لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدريجاً لها إلى مماثلة الملوك ، في مثل قوله لكافور [من الطويل] :

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوةً ضعيف هوىً يبغي عليه ثوابُ
وما شئت إلاّ أن أدلّ عواذلي على أن رأيي في هواك صوابُ
وأعلم قوماً خالفوني فشرّقوا وغرَّبتُ ، أنّي قد ظفرت وخابوا
إذا نلت منك الودّ فالمال هينٌ وكلّ الذي فوق التراب ترابُ

وقوله له [وقد أهداه مهراً أسود] [من الطويل] :

فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها بقلب المشوق المستهام المتيَّمِ

وقوله لابن العميد [يودعه] [من الطويل] :

تفضّلتِ الأيّام بالجمع بيننا فلمّا حمدنا لم تدمنا على الحمدِ
فجدْ لي بقلبٍ إن رحلت فإنّني مخلّفُ قلبي عند من فضله عندي

وقوله لعضد الدولة [من الوافر] :

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبّك أن يحلّ به سواكا
فلو أنّي استطعت حفظت طرفي فلم أبصرْ به حتّى أراكا

من قصيدة تشتمل على أبيات من هذا الطراز ، سأكتبها في آخر الباب .

وكقوله لسيف الدولة [من البسيط] :

ما لي أكتّمُ حبّاً قد برى جسدي وتدّعي حبّ سيف الدولة الأممُ ؟

إن كان يجمعنا حبٌّ لغرَّته ... فليت أنّا بقدر الحبِّ نقتسِمُ(1)
يا أعدل الناس إلاّ في معاملتي ... فيك الخصام ،وأنت الخصم والحكم
إذا رأيت نيوب الليث بارزةً ... فلا تظنَّنَّ أنَّ الليث يبتسم
أعيذها نظراتٍ منك صادقةً ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورمُ
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنوار والظُّلَمُ
يا من يعزُّ علينا أن نفارقهمْ ... واجداننا كلُّ شيءٍ بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمةٍ ... لو أنّ أمركم من أمرنا أمم(2)
إن كان سرَّكم ما قال حاسدنا ... فما لجرحٍ - إذا أرضاكم - ألم
وبيننا ، لو رعيتم ذاك ، معرفةٌ ... إنَّ المعارف في أهل النُّهى ذممُ
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكمْ ... ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي ... أنا الثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمام الذي عندي صواعقُهُ ... يزيلهنّ إلى من عنده الدِّيم(3)
أرى النوى تقتضيني كلَّ مرحلةٍ ... لا تستقلّ بها الوخّادة الرّسم(4)
لئن تركنا ضميراً عن ميامننا ... ليحدثنّ لمن ودّعتهم ندم
إذا ترحّلت عن قوم وقد قدروا ... ألاّ تفارقهم فالراحلون هم
شر البلاد بلادٌ لا صديق بها ... وشرُّ ما يكسب الإنسان ما يصم(5)
وشرُّ ما قنصته راحتي قنصٌ ... شهب البزاة سواءٌ فيه والرخم(6)

---

(١) لغرَّته : لطلعته المضيئة .
(٢) أخلقنا : أجدرنا ، وأمم : قريب .
(٣) الديم : السحاب الممطر .
(٤) النوى : الفراق والبعد ، والوخّادة : النوق السريعة السير ، والرسم : جمع رسوم ، وهي الناقة التي تؤثّر في الأرض بأخفافها .
(٥) يصم : يلحق به العار .
(٦) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر .

وهي ـ على براعتها ، واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها ـ تكاد تدخل في باب إساءة الأدب بالأدب ، وقد تقدم ذكره .

* * *

ومنها استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجد

وهو أيضاً مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل ، وأعرِب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام ، كقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما يبني على الأسلِ   والطعن عند محبِّيهن كالقبلِ

وقوله ، وهو من فرائده [من الطويل] :

شجاعٌ كأنَّ الحرب عاشقةٌ له   إذا زارها فدّته بالخيل والرجل

وكقوله [من البسيط] :

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهمْ   تركتَ جمعهم أرضاً بلا رجلِ
ما زال طرفك يجري في دمائهم   حتى مشى بك مشي الشارب الثملِ

وكقوله [من المنسرح] :

والطّعن شزرٌ والأرض واجفةٌ   كأنّما في فؤادها وهلُ[1]
قد صبغت خدّها الدماء كما   يصبغ خدّ الخريدة الخجلُ[2]
والخيل تبكي جلودها عرقاً   بأدمعٍ ما تسحّها مُقَلُ[3]

---

(١) الشزر : أي أن الطعن عن اليمين والشمال ، وواجفة : مضطربة ، والوهل : الخوف والرعب والذهل .

(٢) الخريدة : الفتاة البكر .

(٣) تسحّ : تذرف .

وكقوله [من الطويل] :

تعوّد أن لا تقضم الحبَّ خيله ... إذا الهام لم ترفع جنوب العلائقِ [1]
ولا ترد الغدران إلاّ وماؤها ... من الدمّ كالريحان تحت الشقائق

وكقوله [من الكامل] :

فأتتك دامية الأظلّ كأنّما ... حذيت قوائمها العقيق الأحمرا
وإذا الحمائل ما يخدن بنفنفٍ ... إلاّ شققن عليه برداً أخضرا [2]

وكقوله [من الكامل] :

قد سوّدت شجر الجبال شعورهمْ ... فكأنّ فيه مسفَّة الغربان [3]
وجرى على الورق النجيع القاني ... فكأنّه النارنج في الأغصان

وكقوله [من الوافر] :

حمى أطراف فارس شمريٌّ ... يحضُّ على التباقي في التفاني [4]
بضربٍ هاج أطراب المنايا ... سوى ضربِ المثالث والمثاني
كأنّ دم الجماجم في العناصي ... كسا البلدان ريش الحيقطان [5]
فلو طرحت قلوب العشق فيها ... لما خافت من الحدق الحسان [6]

---

(١) العلائق : العلف الذي تعلق به .
(٢) يخدن : من الوخد وهو ضرب من السير السريع ، والنفنف : المفازة والمهوى .
(٣) المسفّة : الدانية من الأرض ، وأسفّ الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه .
(٤) شمّريٌّ : فارسٌ كثير التشمير ، أي الجدّ والسّعي ، ويحضّ : يحثّ .
(٥) العناصي : جمع عنصوة وهو الشعر المتفرّق في جوانب الرأس ، والحيقطان : ذكر الدرّاج وريشه ملون .
(٦) يريد بقلوب العشق ، قلوب أهله .

وكقوله [من الطويل] :

كَرِعْنَ بسبتٍ في إناءٍ من الورد[1]

* * *

ومنها حسن التقسيم

حكى أبو القاسم الآمدي في كتاب الموازنة بين شعري الطائيين ، قال : سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف [من الطويل] :

وصالُكُمُ هجرٌ ، وحبُّكم قلى وعطفكم صدٌّ ، وسلمكم حربُ[2]
وأنتم بحمد الله فيكم فظاظةٌ وكلُّ ذلولٍ من مراكبكمْ صعبُ[3]

فقال : والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس ، وقول أبي الطيب المتنبي في هذا الفن أولى بهذا الوصف [من البسيط] :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملكٍ ملء الزمان وملء السهل والجبل
فنحن في جذلٍ ، والرُّوم في وجلٍ والبرُّ في شغلٍ ، والبحر في خجل[4]

وكقوله [من البسيط] :

الدّهر معتذرٌ ، والسّيف منتظرٌ وأرضهم لك مصطافٌ ومرتبعُ
للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا

وقوله [من الطويل] :

فلم يخلُ من نصرٍ له مَنْ له يدٌ ولم يخل من شكرٍ له مَن له فمُ

---

(١) كرعن : شربن . ، والسبت : بكسر السين وسكون الباء ، جلود تدبغ بالقرظ .
(٢) القلى : البغض .
(٣) الذلول : الليّن السهل الانقياد .
(٤) الجذل : السرور والفرح ، والوجل : الخوف .

ولـم يخـل من أسمائـه عود منبرٍ ولـم يخـل دينـارٌ ولـم يخـل درهمُ

وقوله [من الوافر] :

قليلٌ عائـدي ، سقـمٌ فؤادي كثيرٌ حاسـدي ، صعـبٌ مرامي[1]
عليـل الجسـم ممتنـع القيام شديد السّـكر من غير المدام

وقوله [من المتقارب] :

بمصـر ملـوكٌ لهـمْ ما لَهُ ولـكنّهـم ما لهـم همّةُ
فأجـود من جودهـم بخله وأحمـد من حمدهـم ذمّةُ
وأشـرف من عيشهـم موته وأنفـع من وجدهـم عدمه

وقوله [من البسيط] :

لم نفتقـد بك من مزنٍ سوى لثقٍ ولا من البحـر غير الـريح والسفن[2]
ولا من الليث إلاّ قبـح منظره ومـن سواه سوى ما ليس بالحسن

وقوله [من الطويل] :

يجـلُّ عن التشـبيه : لا الـكفُّ لجّةٌ ولا هو ضرغـامٌ ، ولا الـرأي مخذمُ
ولا جرحـه يؤسـى، ولا غوره يرى ولا حـدّه ينبـو ولا يتثلّمُ[3]
محلّك مقصـودٌ ، وشـانيك مفحمٌ ومثلك مفقـود ، ونيلك خضرم[4]

---

(١) العائد : الزائر ، والمرام : الغاية والنيل .
(٢) المزن : السحاب الممطر ، واللثق : تبلُّل الثياب أو : الوحل .
(٣) غوره : عمقه وعبابه ، ينبو : لا يصيب ولا يقطع . ويتثلّم : يتقطّع .
(٤) الشانيء : المبغض ، والمفحم : المغلوب والمقهور . والخضرم : البحر العظيم ، والكثير من كلّ شيء .

وقوله [من الطويل] :

أذمُّ إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدمٌ ، وأحزمهم وغدُ[1]
وأكرمهم كلبٌ ، وأبصرهم عمٍ ، وأسهدهم فهدٌ ، وأشجعهم قردُ

وقوله [من الكامل] :

وغناك مسألةٌ ، وطيشك نفحةٌ ورضاك فيشلةٌ ، وربُّك درهمُ[2]

وقوله [من الخفيف] :

عربيٌّ لسانه ، فلسفيٌّ رأيه ، فارسيّةٌ أعياده

وقوله [من الطويل] :

سقتني بها القطربُّليَ مليحةٌ على كاذبٍ من وعدها ضوء صادقِ[3]
سهادٌ لأجفانٍ ، وشمسٌ لناظرٍ ، وسقمٌ لأبدانٍ ، ومسكٌ لناشق
وأغيد يهوى نفسه كلّ عاقلٍ عفيفٍ ، ويهوى جسمه كلّ فاسقِ

* * *

ومنها حسن سياقة الأعداد

كقوله [من الطويل] :

على ذا مضى الناس : اجتماعٌ وفرقةٌ وميتٌ ومولودٌ ، وقالٍ ووامقُ[4]

---

(١) الفدم : الجاهل والأحمق والوغد : الخبيث الماكر .
(٢) النفحة : الفورة والدفعة ، والفيشلة : القضيب الضخم الرأس .
(٣) القطربليّ : الخمر المنسوب إلى قطربل .
(٤) القال : الكاره ، والوامق : العاشق .

وقوله [من الطويل] :

ألا أيّهـا السيف الـذي ليس مغمداً   ولا فيه مرتـابٌ ، ولا منـه عاصمُ(١)
هنيئـاً لضـرب الهـام والمجـد والعلا   وراجيك والإسـلام أنّـك سالـمُ

وقوله [من الكامل] :

لا يستحـي أحـدٌ يقـال له   فضلـوك آل بويه أو فضلـوا(٢)
قدِروا عفـوا ، وعـدوا وفـوا ، سئلوا   أغنـوا ، علَـوْا أعلَـوْا ، ولُـوا عدَلوا

وقوله [من قصيدة يمدح بها سيف الدولة] [من الطويل] :

وربَّ جوابٍ عن كتـابٍ بعثته   وعنوانـه للناظـريـن قتـامُ
حروف هجـاء النـاس فيه ثلاثةٌ :   جوادٌ ، ورمـحٌ ذابـلٌ ، وحسام(٣)

لما سمى الجيش جواباً جعل حروفه جواداً ورمحاً وحساماً ، اقتداراً واتساعا في الصنعة، وقوله [من البسيط] :

ومـرهفٍ سِرْتُ بين الجحفلين به   حتـى ضربـت ومـوج المـوت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمـح والقرطـاس والقلم

قال ابن جني : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه في هذا البيت ، ولكن لم يجتمع مثله في بيت ما علمت ، وقد قال البحتري [من الخفيف] :

اطلبـا ثالثـاً سـواي فإنّي   رابـع العيـس والدُّجـى والبيدِ

---

(١) عاصم : مانع .
(٢) فضلـوك : غلبوك .
(٣) الرمح الذابل : الرمح الدقيق .

وهـذا اللفـظ عذب ، ولـكن ليس فيه جميع ما في بيت المتنبي ، وقولـه [مـن البسيط] :

أنـت الجـواد بلا منٍّ ولا كدرٍ ولا مطـالٍ ولا وعـدٍ ولا مذل[1]

وقوله [من المنسرح] :

بي حرُّ شوقٍ إلـى ترشُّفها ينفصـل الصّبـر حين يتّصلُ
فالثغـر والفجـر والمخلخـل والـ ـمعصـم دائـي ، والفاحـم الرَّجِلُ[2]

وقوله [من الطويل] :

ولـكنَّ بالفسطـاط بحـراً أزرته حياتـي ونصحـي والهـوى والقوافيا[3]

وقوله [من الطويل] :

أمينـاً وإخلافـاً وغـدرا وخسّةً وجبناً، أشخصاً لحت لي أمْ مخازيا ؟[4]

ومنها إرسال المثل في أنصاف الأبيات

كقوله [من الطويل] :

* مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ *

وقوله [من الطويل] :

* ومن قصد البحر استقلّ السّواقيا *

وقوله [من الطويل] :

* وخير جليسٍ في الزمان كتابُ *

---

(١) المنّ : تعداد الفضل في كلّ مناسبة والمذل : الضجر والقلق .
(٢) الفاحم الرَّجل : الشعر المسترسل المسرّح .
(٣) أزرته : منحته .
(٤) المين : الكذب .

وقوله [من البسيط] :

* إنّ المعارف في أهل النّهي ذممُ *

وقوله [من البسيط] :

* وربّما صحَّتِ الأجسام بالعللِ *

وقوله [من الوافر] :

* وفي الماضي لمن بقيَ اعتبارُ *

وقوله [من المتقارب] :

* وتأبى الطِّباع على الناقلِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ومنفعة الغوث قبل العطبْ *

وقوله [من الكامل] :

* هيهات تكتم في الظلام مشاعلٌ *

وقوله [من المنسرح] :

* ومخطىءٌ من رميه القمرُ *

وقوله [من الوافر] :

* وما خير الحياة بلا سرورِ *

وقوله [من البسيط] :

* بجبهة العير يفدى حافر الفرسِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ولا رأي في الحبِّ للعاقلِ *

وقوله [من الطويل] :

* ولكنّ طبع النفس للنفس قائدُ *

وقوله [من البسيط] :

* وليس يأكل إلاّ الميّتَ الضبعُ *

وقوله [من الخفيف] :

* كلّ ما يمنح الشريف الشريفُ *

وقوله [من المنسرح] :

* والجوع يرضي الأسود بالجيَفِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ومن فرح النفس ما يقتلُ *

وقوله [من الطويل] :

* ويستصحب الإنسان من لا يلائمهْ *

وقوله [من البسيط] :

* إنّ النفيس غريبٌ حيثما كانا *

وقوله [من الكامل] :

* فمن الرّديف وقد ركبت غضنفراً *

وقوله [من الطويل] :

* إذا عظم المطلوب قلَّ المساعدُ *

وقوله [من البسيط] :

* ومن يسدُّ طريق العارض الهطلِ *

وقوله [من الوافر] :

* وأدنى الشّرك في نسبٍ جوارُ *

وقوله [من الطويل] :

* وفي عنق الحسناء يستحسن العقدُ *

وقوله [من الطويل] :

* لا تخرج الأقمار من هالاتها *

وقوله [من الرجز] :

* إنّ النفوس عدد الآجالِ *

وقوله [من الطويل] :

* ولكنّ صدم الشر بالشرِّ أحزمُ *

وقوله [من البسيط] :

* أنا الغريق فما خوفي من البللِ *

وقوله [من الطويل] :

* أشدّ من السُّقمِ الذي أذهب السّقما *

وقوله [من الوافر] :

* فإنّ الرفق بالجاني عتابُ *

وقوله [من الكامل] :

* إنَّ القليل من الحبيب كثيرُ *

وقوله [من الطويل] :

* بغيضٌ إليَّ الجاهلُ المتعاقلُ *

وقوله [من البسيط] :

* وليس كلّ ذوات المخلب السبعُ *

وقوله [من البسيط] :

* وللسيوف كما للنـاس آجالُ *

وقوله [من البسيط] :

* في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحلِ *

وقوله [من الوافر] :

* فأوّل قرح الخيل المهار *

وقوله [من البسيط] :

* والبر أوسع والدنيا لمن غلبا *

وقوله [من البسيط] :

* ليس التكحّل في العينين كالكحل *

وقوله [من الكامل] :

* ويبين عتقُ الخيل في أصواتها *

* * *

ومنها إرسال المثالين في مصراعي البيت الواحد

كقوله [من الطويل] :

وكلُّ امرىءٍ يولي الجميل محبّبُ   وكلُّ مكانٍ ينبت العزَّ طيِّبُ

وقوله [من المنسرح] :

في سعة الخافقين مضطربٌ   وفي بلادٍ من أُختها بدل

وقوله [من الكامل] :

الحبُّ ما منع الكلام الألسنا   وألذّ شكوى عاشقٍ ما أعلنا

وقوله [من الخفيف] :

ذلَّ من يغبط الذليل بعيشٍ   ربَّ عيشٍ أخفُّ منه الحمامُ(١)
من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرحٍ بميِّتٍ إيلامُ

وقوله [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً   وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراضٌ لذا الزمن   يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفطنِ

---

(١) يغبط الذليل : أي يتمنّى مثل عيشه ويكاد يحسده عليه ، والحمام : الموت .

وقوله [من الطويل] :

وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكلُ

وقوله [من البسيط] :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ

وقوله [من الطويل] :

إذ أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرَّدا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومَنْ لك بالحرِّ الذي يحفظ اليدا
وقيّدت نفسي في ذراك محبّةً ومن وجد الإحسان قيْداً تقيَّدا

* * *

ومنها إرسال المثل والاستملاء والموعظة
وشكوى الدهر والدنيا والناس
وما يجري مجراها .

كقوله [من الطويل] :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي بأصعب من أن أجمع الجدَّ والفهما

وقوله [من الكامل] :

يخفي العداوة وهي غيرُ خفيَّةٍ نظرُ العدو بما أُسِرُّ يبوحُ

وقوله [من المنسرح] :

والأمر لله ، ربَّ مجتهدٍ ما خاب إلاَّ لأنَّه جاهد[1]

---

(١) جاهد : راغب في عمله ومثابرٌ عليه .

وقوله [من الطويل] :

إليك فإنّـي لسـت ممّـن إذا اتقى عضـاض الأفاعـي نام فوق العقارب

وقوله [من الكامل] :

خير الـطيور على القصـور ، وشرُّها يأوي الخـراب ويسـكن الناووسا[1]

وقوله [من البسيط] :

ليس الجمـال لوجـهٍ صحّ مارنه أنف العـزيز بقطـع العـزّ يُجتدعُ[2]

وقوله [من الوافر] :

وليس يصـح في الأفهـام شيءٌ إذا احتـاج النَّهـار إلـى دليـلِ

قال ابن جني : هذا كما يقول أهل الجدل « من شك في المشاهدات فليس بكامل العقل » .

وقوله [من الطويل] :

وقـد يتـزيّا بالهـوى غير أهله ويستصحـب الإنسـان مـن لا يلائمه

وقوله [من الطويل] :

ومـا تنفـع الخيل الـكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الـكرامِ كرامُ

وقوله [من البسيط] :

ما كلُّ ما يتمنّـى المـرء يدركه تجري الـرّياح بمـا لا تشتهي السّفنُ

---

(١) الناووس : القبر .

(٢) مارنه : لين جلده . يجتدع : يقطع ويرغم .

وقوله [من الكامل] :

وأحبّ أنّي لو هويت فراقكمْ ... فارقته والدّهر أخبث صاحبِ

وقوله [من الكامل] :

من خصّ بالذمِّ الفراق فإنّني ... من لا يرى في الدّهر شيئاً يحمدُ

وقوله [من الطويل] :

ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى ... عدواً له ما من صداقته بدُّ[1]

وقوله [من الخفيف] :

وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبتْ في مرادها الأجسامُ

وقوله [من الكامل] :

تلْفَ الذي اتخذ الشجاعة جنَّةً ... وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا[2]

وقوله [من الطويل] :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً ... فأفعاله اللاتي سررن ألوفُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا خفيتُ على الغبيِّ فعاذرٌ ... أنْ لا تراني مقلةٌ عمياءُ

وقوله [من البسيط] :

إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزي بذلوا ... منها رضاك ومن للعور بالحولِ ؟!

---

(١) النكد : البلاء والقهر .
(٢) الجنّة : الدرع ، والخليل : الصاحب .

وقوله [من الوافر] :

فآجرك الإلّه على مريضٍ بعثت به إلى عيسى طبيبا

وقوله [من الوافر] :

إذا أتت الإساءة من لئيمٍ ولم أَلُمِ المسيءَ فَمَنْ ألومُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشّهادة لي بأنّي فاضلُ

وقوله [من المتقارب] :

إذا ما قدرت على نطقةٍ فإنّي على تركها أقدرُ

وقوله [من الخفيف] :

واحتمال الأذى ورؤية جانيـ ـه غذاءٌ تضوى به الأجسامُ[1]

وقوله [من الكامل] :

وتوهّموا اللعب الوغى والطعن في الـ ـهيجاء غير الطعن في الميدانِ

وقوله [من الخفيف] :

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطّعن وحده والنزالا

وقوله [من الخفيف] :

ومن الخير بطءُ سيبك عنّي أسرع السحب في المسير الجهام[2]

---

(١) تضوى : تهزل .

(٢) السيب : العطاء ، والجهام : القاتم .

وقوله [من الطويل] :

وليس الـذي يتبـع الوبـل رائداً كمـن جاءه في داره رائـد الوبلِ

وقوله [من المنسرح] :

أبلـغ ما يطلـب النجـاح به الـطبـع ، وعنـد التعمّـق الزللُ

وقوله [من البسيط] :

كم مَخْلصٍ وعـلاً في خوضِ مهلكةٍ وقتلـةٍ قرنـت بالـذمِّ في الجبن

وقوله [من المتقارب] :

ومـا قلـت للبـدر أنـت اللجين ولا قلـت للشـمس أنـت الذهبْ
ومـن ركب الثـور بعـد الجوا د أنـكر أظـلافه والغبـب[1]

وقوله [من البسيط] :

فقـر الجهـول بلا قلـبٍ إلـى أدبٍ فقـر الحمـار بلا رأسٍ إلـى رسنِ
لا يعجبـن مضيمـاً حسـن بزّته وهـل يروق دفينـاً جودة الكفنِ

وقوله [من الوافر] :

إذا ما النـاس جرَّبهـم لبيبٌ فإنّـي قـد أكلتهـمُ وذاقا
فلـم أر ودّهـم إلاّ خداعاً ولـم أر دينهـم إلاّ نفاقا

وقوله [من الطويل] :

ذرينـي أنـل ما لا ينـال من العلا فصعب العلا في الصّعب والسهل في السهلِ
تريدين لقيان المعالـي رخيصةً ولا بدّ دون الشهـد من إبـر النحل

---

(١) الغبب : اللحم المتدلّي تحت الحنك من الناس والبقر والدّيكة .

وقوله [من الطويل] :

تمــنٍّ يلــذُّ المستهــام بمثلـه وإن كان لا يغنــي فتيلاً ولا يجدي
وغيظٍ علــى الأيام كالنّــار في الحشا ولكنّــه غيظ الأسير علــى القدِّ[1]

وقوله [من الكامل] :

ومكائــد السفهــاء واقعــةٌ بهمْ وعــداوة الشعراء بئسَ المقتني
لعنــت مقاربــة اللئيم فإنّها ضيفٌ يجــرُّ من النّدامــة ضيفنا

وقوله [من الطويل] :

ومــا الخيل إلاّ كالصــديق قليلةٌ وإن كثــرت في عين من لا يجرِّبُ
إذا لم تشاهــد غير حســن شياتها وأعضائهـا فالحســن عنــك مغيَّبُ[2]

وقوله [من الكامل] :

تصفــو الحياة لجاهــلٍ أو غافلٍ عمّــا مضــى منهــا ومــا يتوقَّعُ
ولمــن يغالــط في الحقائــق نفسه ويسومهـا طلــب المحــال فتطمع[3]

كأنه مأخوذ من قول لبيد [من الرمل] :

أكذب النفس إذا حدّثتها إنّ صدق النفس يزري بالأمل

وكقوله [من الطويل] :

وأتعــب خلــق الله من زاد همُّه وقصّــر عمــا تشتهــي النفس وجدُهُ
فلا ينحلل في المجــد مالك كلّه فينحــلَّ مجــدٌ كان بالمــال عقدُهُ

---

(١) القدّ : القيد .
(٢) الشية : العلامة .
(٣) يسومها : يكلّفها .

ودبِّـره تدبير الـذي المجـد كفّه إذا حارب الأعـداء والمـال زنده
فلا مجـد في الـدنيا لمـن قلّ ماله ولا مال في الـدنيا لمـن قلّ مجدُهُ
إذا كنـت في شكٍّ من السيف فابْلُهُ فإمّـا تنفيه وإمـا تعدُّهُ[1]
ومـا الصـارم الهنـديُّ إلاّ كغيره إذا لم يفارقـه النجـاد وغمدُهُ[2]

وقوله [من الخفيف] :

إنّمـا تنجـح المقالـة في المر ء إذا وافقـت هوىً في الفؤادِ
وإذا الحلـم لم يكنْ في طباعٍ لـم يحلّـم تقـادم الميـلادِ
إنّمـا أنـت والـدٌ ، والأب القا طع أحنـى من واصـل الأولاد

وقوله [من الطويل] :

وما الحسـن في وجـه الفتـى شرفاً لهُ إذا لم يكنْ في فعلـه والخلائقِ
ومـا بلـد الإنسـان غير الموافق ولا أهلـه الأدنـون غير الأصادق
وجائـزة دعـوى المحبّـة والهوى وإن كان لا يخفـى كلام المنافقِ
ومـا يوجـع الحرمـان من كفٍّ حارمٍ كمـا يوجـع الحرمـان من كفٍّ رازقِ

وقوله [من الخفيف] :

إنّمـا أنفس الأنيس سباعٌ يتفـارسـن جهـرةً واغتيـالا
مـن أطـاق التمـاس شيءٍ غلاباً واقتسـاراً لم يلتمسـه سؤالا
كلُّ غادٍ لحاجـةٍ يتمنّـى أن يكون الغضنفـر الرئبالا[3]

وقوله [من البسيط] :

لولا المشقّـة ساد النـاس كلّهم الجـود يفقـر والإقـدام قتّالُ

---

(١) أبله : اختبره من البلاء .
(٢) الصارم : السيف القاطع ، والهندي : نسبة إلى بلاد الهند .
(٣) الغضنفر الرئبالا : أي الأسد الشجاع .

وقلَّما يبلغ الإنسان غايته   ما كلُّ ماشيةٍ بالرجل شملالُ[1]
إنّا لفي زمنٍ تَرْكُ القبيح به   من أكثر النّاس إحسانٌ وإجمالُ
ذكر الفتى عمره الثاني ، وحاجته   ما قاته ، وفضول العيش أشغال

وقوله [من الوافر] :

يرى الجبناء أنَّ العجز حزمٌ   وتلك خديعة الطّبع اللئيمِ
وكلُّ شجاعةٍ في المرء تغني   ولا مثل الشجاعة في الحكيمِ

قيل له : أنى يكون الشجاع حكيماً ؟ فقال : هذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ! .

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً   وآفته من الفهم السقيمِ
ولكن تأخذ الأذهان منه   على قدر القرائح والعلومِ

وقوله [من الكامل] :

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى   يققاً يميت ولا سواداً يعصم[2]
والهمُّ يخترم الجسيم نحافةً   ويشيب ناصية الصبيّ ويهرمُ[3]
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله   وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
لا يخدعنَّك من عدوٍّ دمعه   وارحم شبابك من عدوٍّ يرحمُ
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتّى يراق على جوانبه الدم

(١) الشملال : السريع .
(٢) اليقق : الشديد البياض ، يقول : البياض في الشعر لا يكون سبباً في الموت فقد يعيش الشيخ ، وسواد الشعر لا يكون سبباً في الحياة فقد يموت الشاب .
(٣) يخترم : يصيب ، واخترم الشيء : ترك فيه خرماً من جانب إلى جانب ، والناصية : شعر مقدّم الرأس .

قال ابن جني : أشهد بالله لو لم يقل غير هذا البيت لتقدم به أكثر المحدثين .

وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد ، لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر ، وقدرة على الإبداع ظاهرة .

والظُّلم من شيم النفوس ، فإنْ تجدْ ذا عفةٍ فلعلّةٍ لا يظلمُ
ومن البليّة عذل من لا يرعوي عن جهله ، وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصّداقة ما يضرُّ ويؤلم

وقوله [من الطويل] :

أرى كلُّنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا[1]
فحبّ الجبان النفس أورده التُّقى وحبُّ الشُّجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحدٌ إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

وقوله [من الوافر] :

وفيك إذا جنَى الجاني أناةٌ تظنّ كرامةً وهي احتقارُ[2]
بنو كعبٍ وما أثّرت فيهم يدٌ لم يدمها إلاّ السّوار
بها من قطعه ألمٌ ونقصٌ وفيها من جلالته افتخار
لهم حقٌّ بشركك في نزارٍ وأدنى الشّرك في نسبٍ جوارُ
لعلّ بنيهمُ لبنيك جندٌ فأوّل قرّح الخيل المهار[3]
وما في سطوة الأرباب عيبٌ ولا في ذلّة العبدان عار[4]

---

(١) الصبّ : العاشق .
(٢) الأناة : التصبُّر وطول البال .
(٣) القرح : جمع قارح ، وهو ما بلغ التاسعة من عمره من ذوات الحافر ، والمهار : جمع مهر .
(٤) العبدان : أحد جموع العبد ، والسطوة : القوّة والبسطة .

وقوله [من البسيط] :

من اقتضى بسوي الهنديِّ حاجته ... أجاب كلّ سؤالٍ عن هل بلم
ولم تزلْ قلّة الإنصاف قاطعةً ... بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم
هوّنْ على بصرٍ ما شقّ منظره ... فإنّما يقظات العين كالحلمِ
لا تشكونّ إلى خلقٍ فتشمتهُ ... شكوى الجريح إلى الغربان والرخم
وكن على حذرٍ للنّاس تسترهُ ... ولا يغرّنّك منهم ثغر مبتسم
وقتٌ يضيع وعمرٌ أنت مدّته ... في غير أمّته من سائر الأمم
أتى الزمان بنوه في شبيبته ... فسرّهم وأتيناه على الهرم

وقوله [من الكامل] :

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أوّلٌ ، وهي المحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةٍ ... بلغت من العلياء كلَّ مكان
ولربّما طعن الفتى أقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الأقران[1]
لولا العقول لكان أدنى ضيغمٍ ... أدنى إلى شرفٍ من الإنسان[2]

وقوله [يمدح كافوراً] [من الطويل] :

لحا الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ ... فكلُّ بعيد الهمِّ فيها معذَّبُ !
ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً ... ولا أشتكي فيها ولا أتعتّبُ !؟
وبي ما يذود الشعر عنّي أقلّه ... ولكنّ قلبي ، يا ابنة القوم ، قلَّبُ
أما تغلط الأيام فيَّ بأن أرى ... بغيضاً تُنائي أو حبيباً تقرِّبُ ؟

---

(١) القرين : المثيل والنظير ، والأقران :
(٢) الضيغم : المفترس من الحيوانات .

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

أبي خُلُقُ الدّنيا حبيباً تديمهُ ... فما طلبي منها حبيباً تردُّهُ ؟
وأسرع مفعولٍ فعلت تغيّراً ... تكلّف شيء في طباعك ضدّه

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدّق ما يعتاده من توهُّمِ
وعادي محبيه بقول عداتهُ ... وأصبح في ليلٍ من الشّكِّ مظلم

ومنها :

وما كلُّ هاوٍ للجميل بفاعلٍ ... ولا كلُّ فعّالٍ له بمتمّمِ

ومنها :

فأحسنُ وجهٍ في الورى وجه محسنٍ ... وأيمن كفٍّ فيهمُ كفُّ مُنعمِ
وأشرفهم من كان أشرف همّه ... وأكثر إقداماً على كلّ معظم
لمن تطلب الدّنيا إذا لم تردْ بها ... سرورَ محبٍّ أو مساءةَ مجرم ؟

وقوله [يمدح المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

فؤادٌ ما تسلّيه المدامُ ... وعمرٌ مثل ما يهب اللئامُ
ودهرٌ ناسه ناسٌ صغارٌ ... وإن كانت لهمْ جثثٌ ضخامُ
وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدنُ الذّهب الرُّغام(١)
وشبه الشيء منجذبٌ إليه ... وأشبهنا بدنيانا الطّغام(٢)
ولو لم يعل إلاّ ذو محلٍّ ... تعالى الجيش وانحطَّ القتام(٣)

---

(١) الرغام : التراب .
(٢) الطغام : أرذال الناس .
(٣) القتام : الغبار .

ولـو حِيْزَ الحفـاظ بغير عقلٍ تجنّـب عنـق صيقلـه الحسام[1]

وقوله [من الخفيف] :

أبـداً تسـتردّ ما تهـب الدّنـ ـيا فيا ليت جودهـا كان بخلا
فَكَفَـتْ كون فرحـةٍ تورث الغـ ـمّ وخـلٌ يغـادر الوجـد خلاً
وهـي معشوقـةٌ علـى الغـدر لا تحـ ـفـظ عهـداً ولا تتمّـم وصلا
كلُّ دمـعٍ يسيل منهـا عليها وبفـكّ اليديـن عنهـا تخلّـى

أي : كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي لفوت شيء منها ، ولا يخليها الإنسان إلا قسراً بفك يديه .

وفي هذه القصيدة :

شيم الغـانيات فيهـا فلا أد ري لذا أنّث اسمها النـاس أم لا ؟
ولـذيذ الحياة أنفس في النّفـ ـس وأشهـى من أن يمـلّ وأحلى
وإذا الشيخ قال أفٍّ فما مـــلّ حياةً وإنّمـا الضّـعف ملاً
آلـة العيـش صحّـةٌ وشبـابٌ فإذا وليّا عن المـرء ولّى

* * *

ومنها افتضاضه أبكار المعاني ، في المراثي والتعازي

كقوله [من المنسرح] :

سالـم أهـل الـودادِ بعدهُمُ يُسْلـمُ للحـزن لا لتخليـد

أي : إذا مات الصديق يسلم صديقه للحزن لا للخلود ، لأن كلا ميت .

فمـا ترجّـى الخلـود من زمنٍ أحمـد حاليـهِ غيـر محمودِ

---

(١) حِيْزَ : امتلك .

أي : أحمد حاليك أن تبقى مع صديقك ، وهو مع ذلك غير محمود لتعجيل الحزن وانتظار الأجل .

وقوله [من الكامل] :

المجـد أخسـر والمكـارم صفقةً ... من أن يعيش بهـا الـكريم الأروعُ
والنـاس أنـزل في زمانـك منزلاً ... من أن تعايشهـم وقـدرك أرفعُ
قبحـاً لوجهـك يا زمـان ؛ فإنّهُ ... وجـهٌ له من كلِّ قبـحٍ برقع
أيمـوت مثـل أبـي شجـاعٍ فاتكٌ ... ويعيش حاسـده الخصـيُّ الأوكع ؟[1]

وقوله [من البسيط] :

عدمتـه وكأنّـي سرت أطلبه ... فمـا تزيدنـي الـدّنيا علـى العـدمِ
من لا يشابهـه الأحياء في شيمٍ ... أمسـى يشابهـه الأمـوات في الرّمم[2]

أحسن والله أبدع ما شاء ! .

وقوله [من الطويل] :

وقـد فارق النـاس الأحبـة قَبْلنا ... وأعيا دواء المـوت كلَّ طبيبِ
سبقنـا إلـى الـدنيا ، فلـو عاش أهلها ... منعنـا بهـا من جيئـةٍ وذهوبِ
تملَّكهـا الآتـي تملُّك سالبٍ ... وفارقهـا الماضـي فراقَ سليب

هذا كقـول بعضهـم في الموعظـة : « وإن ما في أيديكم أسـلاب الهالـكين ، ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون » .

علينـا لك الإسعـاد إن كان نافعاً ... بشـقّ قلـوبٍ لا بشـقٍّ جيوبِ
فربٌّ كئيبٍ ليس تنـدى جفونه ... وربٌّ كثيرِ الدّمـع غير كئيبِ

(١) الأوكع : اللئيم ، والأحمق .
(٢) الشّيم : السجايا والخصال الكريمة . والرّمم : العظام البالية .

وللواجـد المـكروب من زفراته سكون عزاءٍ أو سكون لغوب(١)

وقوله [من الكامل] :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثّرى أنَّ الـكواكب في التـراب تغورُ
ما كنـت آمـل قبـل نعشـك أن أرى رضـوى علـى أيدي الرجـال تسيرُ(٢)
خرجـوا به ، ولـكلٍّ باكٍ خلفه صعقـات موسـى يوم دكّ الطُّور(٣)
حتـى أتـوا جدثـا كأنّ ضريحه في كلِّ قلـب موحِّـدٍ محفورُ
كفـل الثنـاء له بردِّ حياته لمـا انطـوى فكأنّـه منشورُ

وقوله في تعزية سيف الدولة عن أخته [من الخفيف] :

ولعمـري لقـد شغلـت المنايا بالأعـادي فكيـف يطلبـن شغلا
وكم انتشْـتَ بالسّيوف من الدّهــر أسيراً وبالنّـوال مقلاّ(٤)
خطبـةٌ للحمـام ليس لهـا ردٌّ وإن كانـت المسـمّاة ثكـلا
وإذا لم تجـد من النـاس كفواً ذات خدرٍ أرادتِ المـوت بعلا

هذا أحسن ما قيل في مرثية حرم الملوك .

وقوله في مرثية طفل لسيف الدولة وتعزيته عنه [من الطويل] :

فإن تك في قبـرٍ فإنّـك في الحشا وإن تك طفـلاً فالأسـى ليس بالطفلِ
ومثلك لا يبـكي علـى قدر سنِّهِ ولـكنْ علـى قدر المخيلـة والفضل(٥)
عزاءك سيف الدولـة المقتـدى به فإنّـك نصـلٌ ، والشدائـد للنّصلِ

---

(١) اللغوب : الإعياء الشديد .
(٢) رضوى : إسم جبل معروف .
(٣) دكّ : هدم وتحطم ، والطور : جبل .
(٤) انتشت : انتاش : تناول وانتشل ، والمقلّ : الفقير .
(٥) المخيلة : المظنّة .

ولـم أر أعصـى فيك للحـزن عبرةً وأثبـت عقـلاً ، والقلـوب بلا عقل
تخـون المنـايا عهـده في سليله وتنصـره بين الفـوارس والرّجل[1]
ويبقـى علـى مرّ الحـوادث صبره ويبدو كما يبـدو الفرنـد على الصقل
ومـا المـوت إلاّ سارقٌ رقّ شخصه يصـول بلا كفٍّ ويسعـى بلا رجل
يردّ أبـو الشبـل الخميس عن ابنه ويسلمـه عنـد الـولادة للنمل
إذا ما تأمّلـت الزّمـان وصرفه تيقّنـت أن المـوت ضربٌ من القتل
ومـا الدّهـر أهـلٌ أن يؤمّـل عنده حياةٌ وأن يشتـاق فيه إلـى النّسل

وقوله [من السريع] :

نحـن بنـو الـدنيا فمـا بالنا نعـاف ما لا بدَّ من شربِهِ
تبخـل أيدينـا بأرواحنـا علـى زمـانٍ هنَّ من كسبه
فهـذه الأرواح من جوّه وهـذه الأجسـام مـن تربه
لـو فكر العاشـق في منتهى حسـن الـذي يسـبيه لم يسبه
لـم ير قرن الشـمس في شرقه فشـكَّتِ الأنفس في غربه
يمـوت راعـي الضـأن في جهله موتـة جالينـوس فـي طبِّه
وربّمـا زاد على عمره وازداد في الأمـن علـى سربه[2]
وغـاية المفـرط فـي سلمه كغـاية المفـرط فـي حربه ؟[3]
فـلا قضـى حاجتـه طالـبٌ فؤاده يخفـق من رعبـه !

* * *

(١) الرجل : المشاة من الجيش .
(٢) السرب : الجماعة .
(٣) المفرط : المتزيّد والمكثر .

ومنها الايجاع في الهجاء

كقوله [من المجتث] :

إن أوحشتك المعالي ... فإنّها دار غربهْ
أو آنستك المخازي ... فإنّها لك نسبهْ

وقوله [من البسيط] :

إنّي نزلت بكذّابين ضيفهم ... عن القرى وعن الترحال محدودُ
جود الرجال من الأيدي ، وجودهُمُ ... من اللسان ، فلا كانوا ولا الجود !
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم ... إلاّ وفي يده من نتنها عود

يعني العود الذي يتناوله المعالج للشيء القذر ليكون واسطة بينه وبين يده .

وقوله [من البسيط] :

العبد ليس لحرٍّ صالحٍ بأخٍ ... لو أنّه في ثياب الحرّ مولودُ
لا تشترِ العبد إلاّ والعصا معه ... إنّ العبيد لأنجاسٌ مناكيد
من علّم الأسود المخصيَّ مكرمةً ... أقومه البيض أم آباؤه الصيد ؟[1]
أم أذنه في يد النخاس داميةً ... أم قدره وهو بالفلسين مردود ؟
وذاك أن الفحول البيض عاجزةٌ ... عن الجميل فكيف الخصية السّودُ

كأنه من قول أبي علي البصير [من الخفيف] :

عجز الراكب البصير ، وأولى ... منه بالعجز راجلٌ مكفوفُ[2]

وقوله [من السريع] :

فلا ترجً الخير عند امرىءٍ ... مرّت يد النخاس في رأسه

---

(١) الصيد : السادة ، والصيد إمالة الرأس عجباً وتكبّراً .
(٢) المكفوف : الأعمى ، والراجل : السائر على قدميه .

وقوله [من الوافر] :

أخـذتُ بمدحـه فرأيت لهواً ... مقالـي للأحيمـق يا حكيمُ
ولمّـا أن هجـوت رأيت عيّاً ... مقالـي لابـن آوى يا حليمُ[1]
فهـل من غادرٍ في ذا وهذا ... فمدفـوعٌ إلـى السُّقـمِ السّقيمُ

وقوله [من المتقارب] :

لقـد كنـت أحسـب قبـل الخصي ... بأنّ الـرءوس مقـرُّ النهى
فلمـا نظـرت إلـى عقله ... رأيت النهـى كلّهـا في الخصى

وقوله [يهجو إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ] [من الكامل] :

يمشـي بأربعـةٍ علـى أعقابه ... تحت العلـوج ومـن وراءٍ يلجم[2]
وجفونـه ما تستقـرُّ كأنّها ... مطروفـةٌ أو فتَّ فيهـا حصرم
وتـراه أصغـر ما تراه ناطقاً ... ويكون أكذب ما يكون ويقسم
وإذا أشـار مكلِّمـاً فكأنَّهُ ... قردٌ يقهقـه أو عجـوزٌ تلطم
يقلـي مفارقـة الأكفّ قذاله ... حتـى يكاد علـى يدٍ يتعمّم[3]

* * *

ومنها إبراز المعاني اللطيفة
في معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة
والرمز بالطرف والملح

كقوله في الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه ، وبين مدح كافور وقد

---

(١) العيّ : الصعوبة في الكلام .
(٢) العلوج : الحمير .
(٣) يقلى : يكره ، والقذال : القفا من الرقبة .

قصده في بيت واحد [من الطويل] :

فراقٌ ومن فارقت غير مذمّمٍ وأمٌّ ومن يممّتُ خير ميمّم[1]

ثم قال معرضاً بسيف الدولة :

وما منزل اللذات عندي بمنزلٍ إذا لم أبجّلْ عنده وأكرَّمُ
رحلت فكم باكٍ بأجفان شادنٍ عليّ ، وكم باكٍ بأجفان ضيغم[2]

المصراع الثاني تصديق لقوله :

* ليحدثنّ لمن ودّعتهم ندمُ *

وما ربّة القرط المليح مكانهُ بأجزع من ربّ الحسام المصمّمِ
فلو كان ما بي من حبيبٍ مقنّعٍ عذرت ، ولكن من حبيبٍ معمّمِ[3]

وهذا أيضاً مما نبهت عليه من إجرائه الممدوح من الملوك مجرى المحبوب في كثير من شعره :

رمى واتّقى رمي ، ومن دون ما اتقى هوىً كاسرٌ كفّي وقوسي وأسهمي

وكقوله في مدح كافور والتعريض بالقدح في سيف الدولة [من البسيط] :

قالوا : هجرت إليه الغيث ؟ قلت لهم إلى غيوثِ يديه والشآبيبِ[4]
إلى الذي تهب الدّولات راحته ولا يمنُّ على آثارِ موهوبِ
ولا يروع بمغرورٍ به أحداً ولا يفزّع موفوراً بمنكوبِ
يا أيّها الملك الغاني بتسميةٍ في الشرق والغرب عن نعتٍ وتلقيب

(١) يمّم : قصد ناحيته .
(٢) الشادن : الغزال ، والضيغم : المفترس من الوحش .
(٣) معمّم : يلبس عِمّة .
(٤) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

يعني أنا مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة .

أنت الحبيب ولكنّي أعوذ به   من أن أكون محبّاً غير محبوبِ

وهذا أيضاً من ذاك .

وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يعرض باستزادة يومه وشكر أمسه ، وهو من فرائده [من المتقارب] :

وإنْ فارقتنيَ أمطاره   فأكثر غدرانها ما نضبْ
وإنّي لأتبع تذكاره   صلاة الإلّه وسقي السُّحبْ

ومنها في التعريض بكافور :

ومن ركب الثور بعد الجوا   د أنكر أظلافه والغبب[1]

وقوله في هز كافور والتعريض باستزادته [من الطويل] :

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أناله   فإنّي أغنّي منذُ حينٍ وتشربُ

يقول : مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك .

وهبت على مقدار كفّي زماننا   ونفسي على مقدار كفّيك تطلبُ

وقوله أيضاً في التعريض بالاستزادة [من الطويل] :

أرى لي بقربي منك عيناً قريرةً   وإن كان قرباً بالبعاد يشابُ[2]
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا   ودون الذي أمّلت منك حجابُ ؟
أقلّ سلامي حبّ ما خفّ عنكُمُ   وأسكت كيما لا يكون جواب

(١) الغبب : اللحمة المتدلية تحت الحنك في الإنسان والبقر والدّيكة .
(٢) يشاب : يمزج ويخلط .

وفــي النفس حاجــاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتــي بيانٌ عندهــا وخطاب

وكقوله في وصف الفرس [من الطويل] :

ويومٍ كليل العاشــقين كمنته أراقــب فيه الشــمس أيّان تغربُ
وعينــي إلــى أذنــيْ أغــرّ كأنّه من الليل باقٍ بين عينيه كوكب

أي : كأنه قطعة من الليل ، وكأن الغرة في وجهه كوكب ، وعينه إلى أذنه لأنه كامن لا يرى شيئاً ، فهو ينظر إلى أذني فرسه ، فإن رآه قد توجس بهما تأهب في أمره وأخذ لنفسه ، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيه ، وتقول العرب : أذن الوحشي أصدق من عينيه .

له فضلــةٌ عن جسمــه في إهابه تجــيء علــى صدرٍ رحيبٍ وتذهبُ[1]
شققــت به الظلمــاء أدنــى عنانه فيطغــى ، وأرخيه مراراً فيلعب

أي : إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه وعزة نفسه ، وإذا أرخيت عنانه لعب برأسه .

وأصــرع أيّ الــوحش قفّيتــه به وأنــزل عنــه مثلــه حين أركبُ

وكقوله في التوديع [من الوافر] :

وإنّــي عنــك بعــد غدٍ لغادٍ وقلبــي في فنائــك غيــر غاد
محبُّك حيث ما اتجهــت ركابي وضيفــك حيــث كنــت من البلاد

وكقوله [من الكامل] :

سرْ حيث شئــت يحلُّــه النوّار وأراد فيك مرادك المقدارُ
وإذا ارتحلــت فشيَّعتْــكَ سلامةٌ حيــث اتجهــت وديمــةٌ مدرارُ

---

(١) الإهاب : الجلد .

وأراك دهــرك ما تحــاول في العدا حتــى كأنّ صروفـه أنصار
أنــت الــذي بجــح الزمــان بذكره وتزيَّنــت بحــديثه الأسمــار[1]

وكقوله في اللطف بالصديق والعنف بالعدو [من الكامل] :

إنّي لأجبن عن فراق أحبَّتي وتحسّ نفسي بالحمام فأشجعُ
ويزيدني غضب العداة جراءةً ويلمّ بي عتب الصديق فأجزعُ

وكقوله في حسن الكناية [من الخفيف] :

تشتـكي ما اشتــكيت من ألــم الشو ق إلينــا ، والشــوق حيث النحول

وإنما كنى عن تكذيبها ولم يصرح به : أي أنا أشتكي الشوق ونحولي يدل على ذلك ، وهي غير ناحلة فليست مشتاقة .

وكقوله [من الرجز] :

أبيضُ ما في تاجــه ميمونه عفيف ما في ثوبــه مأمونه[2]

أي : عفيف الفرج ، فكنى به .

وكقوله في حسن الحشو [من الكامل] :

صلّــى عليك الله غير مودعٍ وسقــى ثرى أبــويك صوبَ غمامِ

« غير مودع » حشو ، ولكنه حسن .

وكقوله [من الطويل] :

ويحتقــر الــدنيا احتقــار مجرّبٍ يرى كل ما فيهــا ، وحاشــاك ، فانيا

سبحان الله ! ما أحسن الحشو بقوله « وحاشاك » !

---

(١) بجح : افتخر وفرح ، والأسمار : من السَّمر ، وهو الأنس .
(٢) الميمون : من اليمن .

وكقوله [من البسيط] :

إذا خَلَتْ منك حمصٌ ، لا خلت أبداً فلا سقاها من الوسميّ باكره[1]

وكقوله في العيادة [من الكامل] :

لا نعذل المرض الذي بك ، شائقٌ أنت الرجالَ ، وشائقٌ علاّتها[2]
ومنازل الحمى الجسوم ، فقل لنا : ما عذرها في تركها خيراتها ؟

أي : لا عذر للحمى في تركها جسمك ، إذ هو أفضل الجسوم .

وكقوله [من المنسرح] :

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتك البلاد والسُّبُلُ
لم تبق إلاّ قليل عافيةٍ قد وفدت تجتديكها العلل

وقوله [من الوافر] :

تجشَّمك الزمان هوىً ووداً وقد يؤذى من المقت الحبيبُ
وكيف تعلُّك الدنيا بشيءٍ وأنت لعلّةِ الدّنيا طبيبُ ؟
وكيف تنوبك الشكوى بداءٍ وأنت المستجار لما ينوب ؟[3]

وكقوله في التهنئة وهي تهنئة سيف الدولة [من البسيط] :

المجد عوفيَ إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألمُ
وما أخصّك في برءٍ بتهنئةٍ إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا

---

(١) الوسمي : مطر الربيع .

(٢) شائق : خبر مقدم، وأنت مبتدأ مؤخر والرجال مفعول به لاسم الفاعل شائق وشائق الثاني معطوف على الأول، وعلاتها مفعول والشائق: باعث الشوق، يقول: ألمّ بك المرض لأنك باعث له على الحب لك .

(٣) تنوبك : تصيبك.

وكقوله [من الخفيف] :

إنّما التهنئات للأكفاء ولمن يدني من البعداء
وأنا منك لا يهنىء عضوٌ بالمسرات سائر الأعضاءِ

وكقوله [من البسيط] :

الصوم والفطر والأعياد والعصر منيرة بك ، حتّى الشمس والقمرُ
ما الدهر عندك إلا روضةٌ أُنُفٌ يا مَنْ شمائله في دهره زهرُ[1]
ما ينتهي لك في أيّامه كرمٌ فلا انتهي لك في أعوامه عمر
فإنّ حظك من تكرارها شرفٌ وحظّ غيرك منها النوم والسهر

وكقوله [من الطويل] :

تغيّر حالي والليالي بحالها وشبت وما شاب الزمان الغرانق[2]

وكقوله [من البسيط] :

تسوِّدُ الشمس منّا بيض أوجهنا ولا تسوِّد بيض العذر واللمم[3]
وكان حالهما في الحكم واحدةً لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم

وقوله [من الطويل] :

مُشبُّ الذي يبكي الشباب مشيبُهُ فكيف توَقّيه وبانيه هادمُهْ[4]
وما خضب الناس البياض لأنّه قبيحٌ ، ولكن أحسن الشعر فاحمه[5]

* * *

(١) روضة أنف : أي لم ترعَ.
(٢) الغرانق : الشاب الأبيض الناعم الجميل.
(٣) اللمم : جمع لمّة وهي شعر الرأس.
(٤) مشبّ : مبتدأ خبره مشيبه ، ويجوز العكس ، والبيت الذي يبكي الشباب إنّما أشابه الذي أشبّه ، فقد حصل له الشيب من عند الذي حصل له منه الشباب.
(٥) والفاحم : الأسود.

ومنها حسن المقطع

كقوله [من البسيط] :

قد شرَّف الله أرضاً أنت ساكنها   وشرَّف الناس إذْ سوَّاك إنسانا

قال ابن جني : لا يعجبني قوله « سواك إنسانا » لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ، ولو قال « أنشاك » أو نحو ذلك لكان أليق بالحال .

قلت أنا : ولو قال غير ما قاله لم يكن فصيحاً شريفاً . لأن في القرآن « ثم سواك رجلاً »[1] ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره وكقوله [من المتقارب] :

سما بك همّي فوق الهموم   فلست أعدّ يساراً يسارا
ومن كنت بحراً له يا عليّ   لم يقبل الدرّ إلاّ كبارا[2]

وكقوله [يمدح سيف الدولة] [من المتقارب] :

أنلت عبادك ما أمّلوا   أنالك ربّك ما تأملُ

وكقوله [في المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

وأعطيت الذي لم يعط خلقٌ   عليك صلاة ربِّك والسلامُ

* * *

ذكر آخر شعره وأمره

لما أنجحت سفرته ، وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة . ووصل إليه من صلاته أكثر من مائتي درهم ـ استأذنه في المسير عنها ليقضي حوائج في نفسه ،

---

(١) من الآية ٣٧ من سورة الكهف .
(٢) يا علي : أي سيف الدولة .

ثم يعود إليها ، فأذن له ، وأمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة ، ويقاد إليه الحملان الخاص ، وتعاد صلته بالمال الكثير ، فامتثل ذلك ، وأنشده أبو الطيب الكافية التي هي آخر شعره ، وفي أضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعي فيه نفسه ، وإن لم يقصد ذلك ، فمنه قوله [من الوافر] :

فلو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصرْ به حتّى أراكا

وهذه لفظة يتطير منها ، ومنه :

إذا التّوديع أعرض قال قلبي عليك الصّمت لا صاحبتُ فاكا
ولولا أنَّ أكثر ما تمنّى معاودةٌ لقلت ولا مناكا

أي : لو أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقلته له : ولا بلغت أنت أيضاً منتك ، وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

قد استشفيت من داءٍ بداءٍ وأقتل ما أعلّك ما شفاكا

أي : قد أضمرت يا قلب شوقاً إلى أهلك ، وكان ذلك داء لك ، فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقته داء لك أيضاً أعظم من داء شوقك إلى أهلك ، وهذا شبه قول النبي ﷺ « كفى بالسلامة داء » وقول حميد بن ثور [من الطويل] :

* وحسبك داءً أن تصحَّ وتسلما *

و « أقتل ما أعلك ما شفاكا » من ألفاظ الطيرة أيضاً ، ومنه :

وكم دون الثّويّة من حزينٍ يقول له قدومي ذا بذاكا

الثوية : من الكوفة ، يقول له « قدومي ذا بذاك » أي هذا القدوم بتلك الغيبة ، وهذا السرور بذلك الحزن ، لم يقل « إن شاء الله تعالى » ومنه :

ومن عذب الرّضاب إذا انخنا يقبّل رحل تروكِ والوراكا

تروك : اسم ناقة لم ير مثلها لعضد الدولة أمر له بها ، والوراك : شيء يتخذه الراكب كالمخدة تحت وركه .

يحرّم أن يمسّ الطيب بعدي وقد عبق العبير به وصاكا[1]

وهذا أيضاً من تلك الألفاظ ، ومنه :

وفي الأحباب مختصٌ بوجدٍ وآخر يدّعي معه اشتراكا
إذا اشتبهت دموعٌ في خدودٍ تبيَّن من بكى ممَّنْ تَباكى

وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

فزلْ بعد عن أيدي ركابٍ لها وقع الأسنّةِ في حشاكا

هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حشا ، ومنه :

وأيّاً شئت يا طرقي فكوني أذاةً أو نجاةً أو هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك ، وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور مال ، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة ، ولم يقبل ما أشير به عليه من الاحتياط باستصحاب الخفراء والمبذرقين[2] ، فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب عليه ومحاربتهم إياه ، وتكشف الوقعة عن قتله وابنه محسد ونفر من غلمانه ، وفاز الأعراب بأمواله وذلك في سنة أربع وخمسين وثلثمائة .

أنشدني أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي الكاتب لنفسه في مرثية المتنبي [من الخفيف] :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللّسانِ

---

(١) صاك : أراد أنّه لصق به.

(٢) المبذرقين : الحرّاس والخفراء.

مــا رأى النـــاس ثانـــيَ المتنبيّ أيّ ثانٍ يرى لبــكر الزمان ؟
كان من نفســه الــكبيرة في جيـ ـشٍ وفــي كبــرياء ذي سلطان
كان في لفظــه نبيّاً، ولكنْ ظهــرت معجزاتــه فــي المعاني

فصل - وقد جمح بي القلم في إشباع هذا الباب وتذييله ، وتصييره كتابـاً برأسه في أخبار أبي الطيب والاختيار من أشعاره والتنبيه على محاسنه ومساويه ، وقد كان بعض الأصدقاء سألني عمل ذلك ، وله الآن فيه كفاية ، وبه غنية ، فإن أحب إفراده عن الأبواب كان كتاباً على حدة ، وإن نشط لانتساخ الجميع تضاعفت الفوائد لديه ، وانثالت القلائد عليه ، بمشيئة الله وإرادته .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

* * *

الباب السادس

١٦ - في ذكر النامي والناشي والزاهي وإخراج غرر أشعارهم

أبو العباس أحمد بن محمد النامي - شاعر من فحولة شعراء العصر ، وخواص شعراء سيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة ، وقد أخرجت من ديوانه ما هو شرط الكتاب من عقائل شعره وفرائد عقده ، فمن ذلك قوله من قصيدة [من الطويل] :

له من هواها ما لصبٍّ متيّمٍ ... وذمة حبٍّ عهده لم يذمَّمِ
أفارق نفسي شعبةً بعد شعبةٍ ... فريقين باتا منجداً بعد متهم[١]
فقد كثرتْ في كلِّ أرضٍ ديارهمْ ... ككثرة عذّالي عليَّ ولوَّمي
ولم أر يوماً كان أثلم للحشا ... من اليوم بين الجزع والمتثلّم[٢]

ومنها :

لكم يا بني العباس سيفٌ على العدا ... حسامٌ متى يعرض له الداء يحسمِ
أخفُّ إلى يوم الوغى من حمامةٍ ... وأثبت من شوقٍ بقلبٍ متيَّمِ

(١) الشعبة : الجزء والقسم ومنجدو متهم : نسبة الى نجد وتهامة .
(٢) أثلم : أي أمرّ وأقطع .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمير العــلا ، إنّ العوالــي كواسبٌ علاءك في الــدنيا وفــي جنّــة الخلدِ
يمرُّ عليك الحول : سيفك في الطلا ، وطرفــك ما بين الشكيمــة واللبد[1]
ويمضي عليك الدهر : فعلك للعلا ، وقــولك للتقــوى ، وكفــك للرِّفدِ[2]

ومنها في وصف أشعاره :

رايحـن أذهــانٍ : سماحــك غارسٌ لها ، فاجنِها بالعرف من روضة الحمد
من المذهبــات الــدّارميّات شرَّدٌ تدقُّ معانيهـا علــى الملك الكندي[3]

وقوله من أخرى [من الوافر] :

أحقّــاً أنّ قالتــي زرود وأنّ عهودهــا تلك العهــودُ[4]
وقفــت وقــد فقــدت الصبــر حتّى تبيّن موقفــي أنّــي الفقيدُ
وشــكّتْ فيَّ عذالــي فقالوا لرســم الــدار : أيّكمــا العميد ؟

ومثل هذا النمط من التشبيه قول السري [من الوافر] :

إذا ما الــراح والأتــرج لاحا لعينــك قلــت : أيّهمــا الشرابُ ؟

وقول بعض أهل العصر [من المنسرح] :

لــي سيدٌ فاتــنٌ يعلّمني بحسنــه كيف يعبــد الصّنمُ
لمــا رآنــي وفــي يدي قلمٌ لم يدر مولاي أيُّنــا القلمُ

---

(١) الطلا : الدم المطلول والشكيمة : حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس.
(٢) الرفد : العطاء .
(٣) الملك الكندي : يعني امروء القيس.
(٤) زرود : إسم علم.

ومنها :

إليك صدعن أفئدة الليالي وفيهنّ السخائم والحقد[1]
فعيدان الأراك لها عظامٌ وأسقية السنان لها جلودُ[2]

ومنها :

وشعرٍ لو عبيد الشعر أصغى إليه لظلّ لي عبداً عبيد
كأنّ لفكرة نشر ابن حجرٍ ونوديَ من حفيرته لبيد[3]

وقوله من أخرى [من البسيط] :

إلمامةٌ بمغاني داره لممُ إذ لا أمامة في دارٍ لها أمم
بأيّ حكمٍ لأيّام الفراق نأتْ بناعبٍ كاعبٍ والبين يحتكم ؟
عقلت عيساً كأنّي كنت حاسدها بدار سلمى وترب الدار مستلم
إحدى الحسان أساءت بي وقد صرمت يوم الحمى وهواها ليس ينصرمُ

أخذه من قول ابن الرومي [من البسيط] :

يا ربّ حسّانةٍ منهنّ قد فعلت سوءاً وقد يفعل الأسواء حسّان

[رجع] :

كأنّ قلبي معارٌ للنوى جزعاً من قلب قرن عليٍّ وهو منهزمُ
ناط الحمائل في ليثٍ وفي قمرٍ وفي الحمائل قد نيطت به الهممُ[4]
كأنّه أجلٌ ، أو طرفه وجلٌ ، أو سيفه قدرٌ في الروح يحتكم

(١) السخائم : الضغائن.
(٢) الأراك : شجر طيب الرائحة يستعمل عوده سواماً.
(٣) ابن حجر : امروء القيس، ولبيد : لبيد بن ربيعة وعبيد : عبيد بن الأبرص .
(٤) ناط : أوكل وكلّف وعهد.

يا مظمىء الخيل أو تروى ذوابله والخيل تشرب من أشداقها اللّجم[1]
إذا ملائكة النصر اختلطت بها تشابه العالم النوريُّ والنَّسم
لم تدعَ يا علم المجد المقابلنا إلاّ وسبح إجلالاً لك العلم
لا يكتم النصر يوماً أنت شاهده واليوم من نقعه قد كاد ينكتم[2]
النصر أسرجها ، والعزُّ ألجمها والحزم أمسك بالأسراج لا الحزم
قال النهار له والشمس مغمدةٌ وللمنايا شموسٌ غمدها القمم :
هذا عجاجٌ فأين الأفق وهو قنا ؟ وتلك خيلٌ فأين الأرض وهي دم ؟
بحدٍ سيفك سيف الدولة انحطمتْ قواعد الشرك والأرواح تنحطم
يحدّث الذئب ذئبٌ وهو مبتهجٌ ويخبر النسر نسرٌ وهو مبتسم
قد أرضعتك ثديٌ الأرض درّتها ورمحك ابن رضاعٍ ليس ينفطم
من آل حمدان حيث الملك مقتبلٌ والمال مقتسمٌ والحمد مغتنم
قومٌ إذا حكموا يوماً لأنفسهم جار السماح عليهم في الذي حكموا
أمن علاً أم ندىً أدعوك ؟ أم بهما ؟ فأنت ذا والحيا والصارم الخذم[3]
إن يعجل الرأي تلحقه بغايته كذا الجواد من الإعجاب يحتدم
وإن تأنّيت عزماً لم يفتك عداً إن الأسود تمطّى ثم تعتزم[4]
إن لم أقم أمماً للمدح من فكري فشك فيك يقيني أنك الأمم
إذا طلبتك لم ألحقك في أمدٍ ما حيلتي ؟ قد تناهى دونك الكلم[5]
وما عليٌّ إذا ما كنت ناظمها فعطّلتْ كلٌّ ما قالوا وما نظموا

---

(١) الزوايل : الرماح.
(٢) النقع : الغبار.
(٣) الخذم : القاطع.
(٤) نمطّى : تتهيأ.
(٥) أمد : مجال.

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمــرن هوانــا أن يصــحّ لنسقما ... فأدمـى قلوبـاً صاديات إلــى الدّمى[١]

ومنها :

أرتنــا جنــى العنــاب للــورد ظالماً ... ومــن أقحــوانٍ مرمضٍ متظلّما[٢]

ما أحسن هذا البيت وأظرفه ، وفيه كناية عن حك الوجه بالبنان المخضب وعض اليد بالثغر الأشنب :

طوى البين ديبـاج الخـدود ، ونشّرت ... يد البين وشياً للخــدود منمنما
تقسّمــت الأهــواء قلبـي كمـا غدا ... نوال علــيٍّ في العــلا متقسّما
ويومٍ كأجياد العــذارى حليّه ... فريد ندىً في جيده قد تنظّما[٣]
جلونــا به وجهــي عروسٍ وكاعبٍ ... علـى طفــل زهــر قد بكى وتبسّما[٤]
وأخــرس يصبينــا بخمســة ألسنٍ ... إلــى أيّهــا مدّ السّنــان تكلّما
لدن غدوة حتـى إذا الشــمس ودّعتْ ... مغاربهــا واستــأذنتهـا التصرُّما
ثوينــا كأنّــا بعض أبنــاء قيصرٍ ... غدا فيهــم سيف الأمير محكّما
أطعــت العــلا حتـى كأنّـك عبدها ... وإن كنـت مولاهـا وكنــت لهــا ابنما
مكارم لا تنفــكّ تتعــب حاسداً ... يؤخّــره سعــيٌ لهــا قد تقدّما
زكت فكري فيهــا وأينــع هاجسي ... فَظِلْـتُ علـى أهــل القــريض مقدّما
وولّــد شعــري فيك شعــراً لمعشرٍ ... فكنـت عليهــم مثــل نعمــاك منعما

---

(١) الصادي : الظامىء ، والدمي : الفتيات.
(٢) مرمضٍ : اشتدت عليه الحرارة.
(٣) الجيد : العنق.
(٤) جلونا : زيّنا.

وقوله من أخرى [من الطويل] :

سلاها لم اسودَّ الهوى في ابيضاضه ؟ وإلا سلاني كيف بيّض مسودّي ؟
كأنّ برأسي عسكرين تحاربا فقد كثر استئمان جندٍ إلى جندِ
وليلٍ له نجمٌ كليلٌ عن السّري تحيّر لا يهدى لقصدٍ ولا يهدي[1]
كأنّي وابن الغمد والطّرف أنجمٌ على قصدها والنجم ليس على قصد
إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضبٌ جناحيه ورساً عُلَّ بالعنبرِ الوردي[2]
وحلّت يد الجوزاء عقد وشاحها إزاء الثريا وهي مقطوعة العقدِ
فقلت : أخَيلُ التغلبي مغيرةٌ أم الفجر يرمي الليل سدّاً على سدٍّ ؟
فتىً قسّم الأيام بين سيوفه وبين طريفات المكارم والتلد[3]
فسوِّد يوماً بالعجاج وبالرّدى وبيَّض يوماً بالفضائل والمجد
ألم تر فرعوناً وموسى تجاريا فغودرت العقبى لذي الحقّ لا الحشد ؟
جهدت فلم أبلغ مداك بمدحةٍ وليس مع التقصير عندي سوى جهدي
يزيد على شأوي زيادٌ وجرولٌ وقد غودر ابن العبد في نظمها عبدي[4]

وقوله من أخرى [من الطويل] :

له سورةٌ في البشر تقرأ في العلا وتثبت في صحف العطاء وتكتبُ[5]
إذا ما عليٌّ أمطرتك سماؤه رأيت العلا أنواؤها تتحلّب[6]
يرجى ويخشى ضرّه وهو نافعٌ كذا البحر في أزّاته متهيّب[7]

---

(١) كليلٌ: متوانٍ والسُّرى : المسير ليلاً.
(٢) الورس : نبات أحمر للصباح وعلٌّ: مزج.
(٣) الطريف والتلد : المال الحديث والموروث .
(٤) زياد : هو النابغة الذبياني، وجرول : هو الحطيئة وابن العبد : هو طرفة بن العبد البكري.
(٥) السورة : السطوة ، والعلاء والمجد.
(٦) تتحلّب : تتصبّب، والنوء: المطر.
(٧) أزاته : تموّجه.

يروع ويبـدو الأنس منـه كأنّـه الـ ـهـوى لذعـهُ بين الجوانـح يعذب
وأزهـر يبْيضُّ النّدى منـه في الرّضى وتحمـرُّ أطـراف القنا حين يغضب
أمير الندى ، ما للنـدى عنك مذهبٌ ولا عنـك يومـاً للرغائـب مرغب
إذا فاخـرت بالمكرمـات قبيلةٌ فتغلـب أبنـاء العـلا بك تغلب
قنـاةٌ من العلياء أنـت سنانها وتلك أنـابيبٌ عليهـا وأكعب
وخيلٍ كأمثـال القنـا في لبودها فإن صهلـت فهـي اليراع المثقّب[1]
وضـربٍ يريك الخيل مجّ نجيعه وأشبههـا من لون أشقـر يخضب[2]

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

سألـتْ بالفـراق صبّـاً ، ومـا ينـ ـبئهـا بالفـراق مثل خبيرِ
هو بين الحشـا صدوعٌ ، وفـي الأعـ ـين ماءٌ ، وجمـرةٌ فـي الصدورِ[3]
نحـن أبنـاء ذا الهـوى تسـكن الأنـ ـفس منّـا إلـى الضّنـا والزفيرِ
نال منـا يوم الفـراق كمـا نا ل من النـاكثين سيف الأمير
في خميسٍ للنّصـر فيه لواءٌ عقـده من لوائـه المنصور
رجلـه كالدبـا ، وفرسانـه كالأ سد بأسـاً ، وخيلـه كالصقور[4]
وسجـاياك يا أبـا الحسـن الغـ ـرّ وإتعابهـنّ شكر الشكـور
لو غدا الدهـر صافحـاً لي عن الحـ ـظّ وأعلـى من جدٍّ حالٍ عثور[5]
لتعطّـرت من غبـار مذاكيـ ـك رواحي ، وكان عطري بكوري[6]
ثم صيّرت من دمـاء أعاديـ ـك خلوقـي ، وكان منـه طهوري[7]

---

(١) اليراع : القصبة التي يزمر بها.
(٢) الأشهب: الذي يميل لونه إلى الحمرة والسّواد .
(٣) صدوع : شروخ.
(٤) الدبا : القرع.
(٥) الجد : الحظ ، والعاثر : السيء.
(٦) المذاكي : جياد الخيل.
(٧) الخلوق : الطيب.

ولقيت المنون تحت عواليـ ـك معداً ذخراً ليوم نشوري
سرْ على السعد تستظل من الأيـ ـام ظلَّيْ سلامةٍ وحبور
بين فرضين من جهادٍ وشهرٍ أنت في الناس مثله في الشهور
سمع النصر فيه أمرك لمّا خاطبته الأقدار بالتأمير
أنتم دارة العلا يا بني حمـ ـدان ، سكان بيتها المعمور
وتسيرون في القنا فترى الآ جال مرتابةً بذاك المسير
في شموسٍ من الحديد عليها أنجمٌ يفترون فوق بدور
وعجاجٍ كأنّه من دخان النـ ـدّ يلقى الهواء بالتعطير[1]
عبقٌ من علاكُمُ فكأنّ الـ أرض مسكٌ ، والجوُّ من كافور
فتحيّوا بمدحتي فهي ريحا نةُ حمدٍ تبقى بقاء الدّهور

وقوله من أخرى [من الكامل] :

ومنازلين إذا بدوا في شارقٍ شبّوا ضياء وقوده بوقود[2]
ردّوا على داود صنعة سرده لغناهم بالصّبر عن داود
لا يصبحون إذا انتضوا بيض الظّبا وشبا القنا غير المنايا السّود[3]

وقوله من أخرى [من الطويل] :

ألم تر أعداء الأمير كوفرهِ يظلّ لتوفير العلا غير وافرِ
وحسّاده ممّا تذوب كخيله بلغن مدى أنفاسهنّ الزوافرِ

وقوله من أخرى [من البسيط] :

وصارمٍ مثل لحظ البرق أسلك في مثال جدول ماء فيه منسكبِ

---

(١) العجاج: الغبار، والندّ : نوعٌ من الطيب.
(٢) شبّوا : أوقدوا ، وأسعروا.
(٣) انتضوا : شهروا،وبيض الظبا: ، وبيض الظبا : يقصد بها السيوف، وشبا القنا : رؤوس الرماح.

تنــأى به الهــام عن أجسامهــنّ كما تنـأى الخــواتيم عن مقــروءة الكتب

وقوله من أخرى [من البسيط] :

في ناظـر الشــمس إن عنّــت له رمدٌ ومسمع الرعـد إن أصغـى له صممُ[1]
يردّهــا ونظـام الملك متّسِقٌ والمـوت في خرز الأعنـاق ينتظم
أسعــد بعيدٍ إذا كارمتــه حكمت لك المعانـي وأمضـى حكمهـا الكرم
عيدٌ وفتـحٌ وملكٌ والأمير له دامــت سلامتــه ما أورق السلم !
الله أعطــاك أقســام الفخــار ، فما خلقٌ يساميك مذ حيزت لك القسم[2]
لو كان يرضـى لك الـدنيا لمــا فنيتْ ونلــت فيهـا خلــوداً أنــت والنعم

وقوله في صفة منارة [من الرجز] :

سامية في الجــوِّ مثــل الفرقد قاعــدةٌ فيه وإن لم تقعد
يكاد عاليهــا ـ وإن لم يبعد ـ يغــرف من حوض الغمــام باليـد

وقوله [من الطويل] :

خليلـيَ ، هل للمـزن مقلـة عاشقٍ ؟ أم النـار في أحشائهـا وهــي لا تدري
أشـارت إلـى أرض العـراق فأصبحت وكاللؤلـؤ المبتــول أدمعهــا تجري[3]
تسربــل وشياً من خروزٍ تطرّزتْ مطارفهــا طرزاً من البــرق كالتّبر[4]
سحابٌ حكت ثكلـى أصيبـت بواحدٍ فعاجت له نحـو الـرياض علـى قبر[5]
فوشــيٌ بلا رقــمٍ ، ونقشٌ بلا يدٍ ودمــعٌ بلا عينٍ ، وضحــكٌ بلا ثغر

---

(١) عنّت : بدت وخطرت ، والرمد : وجع يصيب العين ، والصميم : فقد السمع .
(٢) حيزت لك القسم : جعلت ملكك .
(٣) المبتول : المقطع المفصول عن غيره .
(٤) المطارف : أوشحة من الحرير ، والتبر : الذهب .
(٥) الثكلى : الفاقدة ، ولدها وعاجت ، المّت ونزلت .

ودخل على ناصر الدولة ويده وجعة قد لطخت بلطوخ ، فقال له : هل قلت شيئاً ؟ قال : ما علمت ، قال : فقل ، فقال ارتجالا [من الوافر] :

يدٌ في برئها برءُ الأيادي ووعكٌ للطريف وللتلاد[1]
يد الحسن التي خلقت سماءً موكّلةً بأرزاق العباد

* * *

١٧ ـ أبو الحسين الناشىء الأصغر

أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني أبو الحسين الناشىء بحلب لنفسه [من الطويل] :

إذا أنا عاتبت الملوك فإنّما أخطُّ بأقلامي على الماء أحرفا
وَهَبْهُ ارعوى بعد العتاب ، ألم يكنْ تودّده طبعاً فصار تكلُّفا ؟[2]

قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

ليس الحجاب من آلة الأشراف إنّ الحجاب مجانبُ الإنصاف
ولقلّ من يأتي فيحجب مرةً فيعود ثانيةً بقلبٍ صافي

وله في سيف الدولة يودعه [من الطويل] :

أودّع ، لا أنّي أودّع طائعاً وأعطي بكرهي الدهر ما كنت مانعا
وأرجع لا ألقى سوى الوجد صاحباً لنفسي إن القيت بالنفس راجعا
تحمّلت عنّا بالصنائع والعلا فنستودع الله العلا والصنائعا
رعاك الذي يرعى بسيفك دينه ولقّاك روض العيش أخضر يانعا

---

(١) البرء : الشفاء ، والوعك : المرض .
(٢) ارعوى : تراجع وأتاب .

وله [من المتقارب] :

إذا لم تنـل همـم الأكرمين وسعيهـم وادعـاً فاغتـرب
فـكم دعـةٍ أتعبـت أهلها وكم راحـةٍ نتجـت من تعب[1]

[وله أيضاً] [من مجزوء الخفيف] :

يا خليلـي وصاحبـي من لؤي بن غالـبِ
حـاكم الحـبٍّ جائـرُ موجـبُ غيـر واجـبِ
لـك صـدغُ كأنّمـا نونـه نـون كاتـبِ
يلـذع النـاس ـ إذ تعقـ ـرب ـ لذع العقارب

* * *

١٨ ـ أبو القاسم الزاهي

وصاف محسن ، كثير الملح والظرف ، ولم يقع إليَّ شعره مجموعاً ، وإنما تطرفته من أفواه الرواة ، واستفدته من التعليقات .

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشدنيه من النتف التي استفادهـا ببغداد ، وأتحفني به من اللطائف التي استصحبها : منها للزاهي [من الطويل] :

سفـرن بدوراً ، وانتقبـن أهلَّةً ومِسْن غصونـاً ، والتفتـن جآذرا[2]
وأطلعـن في الأجياد بالـدرّ أنجماً جعلن لحبّـات القلـوب ضرائرا[3]

---

(١) الدعة : الراحة .

(٢) سفرن : أظهرن محاسن وجوههن انتقبن اي لبسن النقاب ومِسن : تمايلن وتَثنّين والجاذر : البقر الوحشي .

(٣) الضرائر : جمع ضرّة وهي الزوجة الثانية مع الأولى في البيت الواحد .

وإنما احتذى في البيت الأول مثال المتنبي في قوله [من الوافر] :

بدت قمراً ، ومالت غصن بانٍ   وفاحت عنبراً ، ورنت غزالا

وممن نسج على هذا المنوال أبو عامر إسمعيل بن أحمد الشاشي ، فإنه قال من قصيدة [من الطويل] :

رأيت على أكوارنا كلَّ ماجدٍ   يرى كل ما يبقى من المال مغرما
ندوِّم أسيّافاً ، ونعلو قواضباً ،   وننقضُّ عقبانا ، ونطلع أنجما[1]

وقال أبو الحسن الجوهري في الخمر إلا أنه قلب التشبيه [من الطويل] :

يقولون : بغداد التي اشتقت برهةً   دساكرها والعكبريَّ المقيّرا[2]
إذا فضَّ عنه الختم فاح بنفسجاً ،   وأشرق مصباحاً ، ونوّر عصفرا[3]

ولبعض أهل العصر في غلام مغن [من الوافر] :

فديتك يا أتمَّ النَّاس ظرفاً   وأصلحهم لمتّخذٍ حبيبا
فوجهك نزهة الأبصار حسناً   وصوتك متعة الأسماع طيبا
وسائلةٍ تسائل عنك ، قلنا   لها في وصفك العجب العجيبا :
رنا ظبياً ، وغنّى عندليباً ،   ولاح شقائقاً ، ومشى قضيبا[4]

وللزاهي [من الطويل] :

أرى الليل يمضي والنجوم كأنّها   عيون الندامى حين مالت إلى الغمضِ
وقد لاح فجرٌ يغمر الجوَّ نوره   كما انفجرت بالماء عينٌ على الأرضِ

(١) القواضب : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب، وهو نوع من الطيور الجارحة .
(٢) العكبري : الشراب من الخمر ، والمقيّرا : المطلي بالقار .
(٣) فضّ : أزيل ، والعصفر : نبات يصبغ به .
(٤) رنا : نظر وتطلع .

وأنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب في كتابه « كتاب روائع التوجيهات ، من بدائع التشبيهات » للزاهي [من البسيط] :

الـريح تعصف والأغصـان تعتنقُ والمـزن باكيةٌ والزّهـر معتبق[1]
كأنّمـا الليل جفـنٌ والبـروق له عينٌ من الشـمس تبـدو ثم تنطبق

ومن مشهور شعر الزاهي قوله [من الكامل] :

لولا عذارك ما خلعـت عذاري ولكنـت في وزرٍ من الأوزارِ[2]
ما كنـت أحسـب أن أعـاين أو أرى تخـطيط ليلٍ في بياض نهار
حتـى نظـرت إلـى عذارك فاغتدى سقـم القلـوب ونزهـة الأبصار
فتـركت قولـي في الـوعيد لأجلهِ وعزمـت فيك علـى دخـول النّار

ووجدت في كتاب أبي الحسن علي بن أحمد بن عبـدان ، في مجموعـة المترجم بحاطب الليل ، قصيدة للزاهي أولها [من الكامل] :

الليل من فكري يصير ضياءَ والسّيف من نظـري يذوب حياءَ
والخيل لو حمّلتهـا علمـي بها لتركتهـا تحـت العجـاج هبـاءَ

ومنها :

أحصي علـى دهـري الذنـوب بمقلةٍ لدموعهـا لا أملـك الإحصاءَ

سرقه من قول ديك الجن [من الخفيف] :

أنـا أحصـي فيك النجـوم ولكنْ لذنـوب الزمـان لست بمحصِ

---

(١) المُزنْ : السُّحبْ، ومعتبق : أي مليء بالعبق الذكي.
(٢) الوزر : الإثم.

رجع :

عجباً لصرف الدّهر كيف يخون من غمر البرية نجدةً ووفاءَ
عدم الصباح فناب عنه بفكره وعلت يداه فطاول الجوزاء

وأنشدت له بيت معمى ، وما أراه قاله [من الكامل] :

من كان آدم جمّلاً في سنِّه هجرته حواء السنين من الدمى[1]

آدم في حساب الجمل خمس وأربعون ، وحواء خمسة عشر .

وله في وصف الأترج [من البسيط] :

وذاتِ جسم من الكافور في ذهبٍ دارت عليه حواشيه بمقدارِ
كأنّها ـ وهي قدّامي ممثَّلةً في رأس دوحتها ـ تاجٌ من النار

* * *

(١) جمّلاً : حساب الجمل، وهو حساب الأحرف الهجائية المقرونة بأرقام من الواحد الى الألف.
والمعنى : أنّ الذي في عمر آدم لابدّ أن تهجره النساءِ .

الباب السابع

١٩ ـ في ذكر أبي الفرج عبد الواحد الببغاء وغرر نثره ونظمه

هو : أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي ، من أهل نصيبين .

نجم الآفاق ، وشمامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ، وينبوع اللطف ، واحد أفراد الدهر ، في النظم والنثر ، له كلام بل مدام ، بل نظام من الياقوت ، بل حب الغمام ، فنثره مستوف أقسام العذوبة ، وشروط الحلاوة والسهولة ، ونظمه كأنه روضة منورة تجمع طيباً ومنظراً حسناً . وقد أخرجت من شعره . ما يشهد بالذي أجريت من ذكره ، وإنما لقب بالببغاء للثغة فيه سيجري وصفها في ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من طرف المكاتبات وملح المجاوبات ، وكان في عنفوان أمره وريعان شبابه متصلاً بسيف الدولة ، مقيماً في جملته ، ثم تنقلت به بعد وفاة صاحبه الأحوال في وروده ا لموصل وبغداد ومنادمته بهما الملوك والرؤساء ، وإخفاقه مرة وإنجاحه أخرى ، وآخر ما بلغني من خبره ما سمعت الأمير أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي يورده من ذكر التقائه معه عند صدره من الحج وحصوله ببغداد في سنة تسعين وثلاثمائة ، ورؤيته بها شيخاً عالي السن ، متطاول الأمد ، نظيف اللبسة ، بهي الركبة ، مليح اللثغة ، ظريف الجملة ، قد أخذت الأيام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من طرفه وأدبه ، وأنه مدح أباه الأمير أبا نصر بقصيدة فريدة أجزل عليها صلته ، ثم السلامي وغيره من شعراء العراق ، ثم عرض على القاضي أبو بشر الفضل بن محمد بجرجان سنة إحدى وتسعين كتاب

أبي الفرج الوارد عليه من بغداد مشتملاً من النظم والنثر على ما أثرت فيه حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف إلى ثنية الوداع ، ولست أدري ما فعل الدهر به ، وأغلب ظني أنه إلى الآن قد لحق باللطيف الخبير ، وأنا أبدأ بسياق قصة له من عبارته وحكايته ، لم أسمع أظرف منها في فنها ، ولا ألطف ولا أعذب ، ولا أخف ؛ وإن كان فيها بعض الطول ، والبديع غير مملول .

قال أبو الفرج : تأخرت بدمشق عن سيف الدولة رحمه الله مكرهاً ، وقد سار عنها في بعض وقائعه ، وكان الخطر شديداً على من أراد اللحاق به من أصحابه ، حتى إن ذلك كان مؤدياً إلى النهب وطول الاعتقال ، واضطررت إلى إعمال الحيلة في التخلص والسلامة ، بخدمة من بها من رؤساء الدولة الإخشيدية ، وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة، وكان انقطاعي منهم إلى أبي بكر علي بن صالح الروزباري لتقدمه في الرياسة ، ومكانه من الفصل والصناعة ، فأحسن تقبلي ، وبالغ في الإحسان بي ، وحصلت تحت الضرورة في المقام، فتوفرت على قصد البقاع الحسنة ، والمتنزهات المطرفة ، تسلياً وتعللاً ، فلما كان في بعض الأيام عملت على قصد دير مران ، وهذا الدير مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر ، فاستصحبت بعض من كنت آنس به . وتقدمت لحمل ما يصلحنا ، وتوجهنا نحوه ، فلما نزلنا أخذنا في شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسجاحة الخلق ، حسبما جرى به الرسم في غشيان الأعمار وطروق الديرة ، ومن التطرف بعشرة أهلها والأنسة بسكانها ، ولم تزل الأقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة إلى أن فض اللهو ختامه، ولوح السكر لصحبي أعلامه ، وحانت مني نظرة إلى بعض الرهبان فوجدته الى خطابي متوثباً ، ولنظري إليه مترقباً ، فلما أخذته عيني أكب يزعجني بخفي الغمز ووحي الايماء ، فاستوحشت لذلك ، وأنكرته ونهضت عجلان ، واستحضرته ، فأخرج إليَّ رقعة مختومة ، وقال لي : قد لزمم فرض الأمانة فيما تضمنته هذه الرقعة ، وونى وسقط

ذمام كاتبها في سترها بك عني ، ففضضتها ، فإذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقرئه وأوضحه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاي : بين حزم يحث على الانقباض عنك ، وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك ، إلى أن استنزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة ، ورفعت بيني وبينك سجف الحشمة ، فأطعت بالانبساط أوامر الأنسة ، وانتهزت في التوصل إلى مودتك فائت الفرصة ، والمستماح منك ـ جعلني الله فداك ! ـ زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الأيام من المسرة مهنأة بالانفراد إلا من غلامك الذي هو مادة مسرتك .

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ، ولكن لأخذي بالاحتياط على حالي ، فإن صادف ما خطبته منك ـ أيدك الله ! ـ قبولاً ، ولديك نفاقاً ، فمنية غفل الدهر عنها ، أو فارق مذهبه فيما أهداه إليَّ منها ، وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوثره وأهواه ، وأترقبه من قربك وأتمناه ، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الوقعة وسترها ، وتناسيها واطراح ذكرها . وإذا بأبيات تتلو الخطاب ، وهي [من المنسرح] :

يا عامر العمر بالفتوة والـ ... ـقصف وحث الكؤوس والطربِ
هل لك في صاحبٍ تناسب في الـ ... ـغربة أخلاقه وبالأدب
أوحشه الدهر فاستراح إلى ... قربك مستنصراً على النّوب[1]
فإن تقبَّلت ما أتاك به ... لم تشن الظنّ فيه بالكذب[2]
وإن أتى الزهد دون رغبتنا ... فكن كمن لم يقل ولم يُجِب

(١) النوب : المصائب والأحداث.
(٢) تُشِنْ : تُعِبْ.

قال أبو الفرج : فورد عليَّ ما حيرني ، واسترد ما كان الشراب حازه من تميزي ، وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما ، فشاهدته بالفراسة من ألفاظه ، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته ، وقلت للراهب : ويحك ! من هذا ؟ وكيف السبيل إلى لقائه ؟ فقال : أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا ، وأما السبيل إلى لقائه فمتسهل إن شئت قلت : دلني ، قال : تظهر فتوراً ، وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصرفاً ، وإذا حصلت بباب الدير عدلت بك إلى باب خفي تدخل منه ، فرددت الرقعة عليه ، وقلت : ارفعها [إليه] ليتأكد أنسه بي وسكونه إلي ، وعرفه أن التوفر على إعمال الحيلة في المبادرة إلى حضرته على ما آثره من ا لتفرد أولى من التشاغل بإصدار جو اب وقطع وقت بمكاتبته ، ومضى الراهب ، وعدت إلى أصحابي بغير النشاط الذي نهضت به ، فأنكروا ذلك ، فاعتذرت إليهم بشيء عرض لي ، واستدعيت ما أركبه ، وتقدمت إلى من كان معي ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم ، وقد كنا عملنا على المبيت ، فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف ، وخرجت من باب الدير ومعي صبي كنت آنس به وبخدمته ، وتقدمت إلى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي ، وتلقاني الراهب ، وعدل بي إلى طريق في مضيق ، وأدخلني إلى الدير من باب غامض ، وصار بي إلى باب قلاية متميز عما يجاوره من الأبواب نظافة وحسناً ، فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة ، فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه[1] ، معتدل القوام أهيفه[2] ، تخال الشمس برقعت غرته ، والليل ناسب أصداغه وطرته ، في غلالة تنم على ما تستره[3] ، وتجفو مع رقتها عما تظهره ، وعلى رأسه مجلسية مصمت فبهر عقلي ، واستوقف نظري ، ثم أجفل كالظبي المذعور ، وتلوته والراهب إلى صحن القلاية ، فإذا أنا ببيت فضي

(١) المخطف : دقيقة وناعمه.

(٢) الهيف : اعتدال القوام.

(٣) الغلالة : الثياب الشفافة.

الحيطان ، رخامي الأركان ، يضم طارقة خيش ، مفروشة بحصير مستعمل ، فوثب إلينا منه مقتبل الشبيبة ، حسن الصورة ، ظاهر النبل والهيئة ، متزي من اللباس بزي غلامه ، فلقيني حافياً يعثر بسراويله ، واعتنقني ، ثم قال : إنما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لأجعل ما لعلك استحسنته من وجهه مصانعاً عما ترد عليه من مشاهدتي ، فاستحسنت اختصاره الطريق إلى بسطي ، وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً في تأنيسي ، وأفاض في شكري على المسارعة إلى أمره . وأنا أواصل في خلال سكناته المبالغة في الاعتداد به ، ثم قال : يا سيدي أنت مكدود بمن كان معك ، والاستمتاع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى راحتك ، وقد كان الأمر على ما ذكر ، فاستلقيت يسيراً ثم نهضت ، فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي ألفتها في دور أكابر ا لملوك وأجلة الرؤساء .
وأحضرنا خادم له لم أر أحسن منه وجهاً ولا سواداً طبقاً يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف ، فقال : الأكل مني يا سيدي للحاجة ، ومنك للممالحة والمساعدة ، فنلنا شيئاً ، وأقبل الليل فطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت إلى فضاء أدى إلينا محاسن الغوطة ، وحبانا بذخائر رياضها : من المنظر الجناني ، والنسيم العطري ، وجاءنا الراهب من الأشربة بما وقع اتفاقنا على المختار منه ، ثم اقتعدنا غارب اللذة ، وجرينا في ميدان المفاوضة ، فلم يزل يناهبني نوادر الأخبار ، وملح الأشعار ، ونخلط ذلك من المزح بأظرفه ، ومن التودد بألطفه ، إلى أن توسطنا الشراب فالتفت إلى غلامه ، وقال له : يا مترف ، إن مولاك ما ادخر عنا السرور بحضوره ، وما يجب أن ندخر ممكنا في مسرته ، فامتقع وجه الغلام حياء وخفراً ، فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم ما يريد ، ومضى فعاد يحمل طنبوراً ، وجلس فقال لي : يا سيدي تأذن لي في خدمتك ؟ فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من عظم المسرة بذلك ، فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى [من المجتث] :

يا مالكي وهو مُلكي وسالبي ثوب نسكي

نـزّه يقيـن الهـوى فيـ ـك عن تعـرّض شكٍّ
لـولاك ما كنـت أبكي إلـى الصبـاح وأبكـي

فنظر إلى الغلام وتبسم ، فعلمت أن الشعر له ، فكدت والله أطير طرباً وفرحاً بملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه ، فاستدعيت كيزاناً، فأحضرنا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم ، فشربت سروراً بوجهه ، وشرب بمثل ما شربت ، ثم قال لي : أنا والله يا سيدي أحب ترفيهك وأن لا أقطعك عما أنت متوفر عليه ، ولكن إذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد أن تشي ليلتنا بشيء يكون لها طرازاً ولذكرها معلماً ، فجذبت الدواة وكتبت ارتجالاً وقد أخذ الشراب مني [من المجتث] :

وليلـةٍ أوسعتنـي حسنـاً ولهـواً وأنسـا
مـا زلـت ألثم بدراً بهـا وأشـرب شمسا
إذ أطلـع الـدّير سعداً لم يبـق مذْ بان نحسا
فصـار للـروح منّي روحـاً وللنفـس نفسا

فطرب على قولي « ألثم بدراً وأشرب شمساً » ، وجذب غلامه فقبله ، وقال : ما جهلت ما يجب لك يا سيدي من التوقير ، وإنما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته ، فبحياتي إلا فعلت مثل ذلك بغلامك ، فاتبعت آثاره خوفاً من احتشامه ، وأخذ الأبيات وجعل يرددها ، ثم أخذ الدواة وكتب إجازة لها [من المجتث] :

ولـم أكـن لغريمـي والله أبـذلُ فلسا
لـو ارتضـى لي خصمي بدير مرّان حبسا

فقلت : إذاً والله ما كان أحد يؤدي حقاً ولا باطلاً ، وداعبته في هذا المعنى بما حضر، وعرفت في الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه ، وقال لي : قد خرج لك أكثر الحديث ، فإن عذرت ، وإلا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها ، فتبينت ما يؤثره من كتمان أمره ، فقلت له : يا سيدي ، كل ما لا يتعرف بك نكرة . وقد

أغنت المشاهدة عن الاعتذار ، ونابت الخبرة عن الاستخبار ، وجعل يشرب وينخب عليَّ من غير إكراه ولا حثٍّ ولا استبطاء ، إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه ، وأكب على مجاذبة غلامه والفطنة تثنيه في الوقت بعد الوقت ، فأظهرت السكر وحاولت النوم ، وجاء الغلام ببرذعة ففرشها لي بإزاء برذعته ، فنهضت إليها وقام يتفقد أمري بنفسه ، فقلت له : إن لي مذهباً في تقريب غلامي مني ، واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذه الحال في غلامه ، فتبسم وقال لي بسكره ، جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لي بك ، وأظهرت النوم ، وعاد يجاذب غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد ، وغلامه تارة يقبل يده وتارة فمه ، وغلبتني عيناي إلى أن أيقظني هواء السحر ، فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس ، فأردت توديعه وحاذرت إنباهه وإزعاجه ، فخرجت ، ولقيني الخادم يريد إيقاظه وتعريفه انصرافي ، فأقسمت عليه أن لا يفعل ، ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته ، فركبت منصرفاً وعاملاً على العود إليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته ، ومتوهماً أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب أوله من آخره ، واعترضتني أسباب أدت إلى اللحاق بسيف الدولة ، فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك [من الطويل] :

ويومٍ كأنّ الدهر سامحني به ... فصار اسمه ما بيننا هبةَ الدّهرِ
جرت فيه أفراس الصّبا بارتياحنا ... إلى دير مرّان المعظّم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر الـ ... ـنّسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضةٍ بالحسن ترفد روضةً ... ومن نَهَرٍ بالفيض يجري إلى نهرِ
وفي الهيكل المعمور منه افترعتها ... وصحبي حلالاً بعد توفية المهرِ[1]
ونزّهت عن غير الدنانير قدرها ... فما زلت منها أشرب التبر بالتبرِ

---

(١) افترع : افتضّ.

وحــلّ لنــا ما كان منهــا محرّماً ... وهل يحظر المحظور في بلد الكفر(١)
فأهــدت ليَ الأيام فيه مودةً ... دعتنــيَ في ستــرٍ فلبَّيت في ستـر
أتـى من شريف الطبـع أصــدق رغبةٍ ... تخاطبنـي عن معــدن النظـم والنثر
وكـان جوابـي طاعـةً لا مقالةً ... ومن ذا الذي لا يستجيب إلى اليسر
فلاقيت ملء العيـن نبـلاً وهمَّةً ... محلّـى السّجـايا بالطـلاقة والبشر
وأحشـمني بالبـرّ حتـى ظننته ... يريد اختداعي عن جناني ولا أدري(٢)
ونــزّه عن غير الصفــاء اجتماعنا ... فكنـت وإياه كقلبين في صدر
وشــاء الســرور أن يلينــا بثالثٍ ... فلاطفنــا بالبــدر أو بأخــي البدر
بمعطي عيونٍ ما اشتهــت من جماله ... ومضنــي قلــوبٍ بالتجنّــب والهجر
جنينــا جنــيَّ الــورد في غير وقته ... وزهــر الرّبــا من روض خدّيه والثغر
وقــابلنــا مــن وجهـــه وشرابـه ... بشمسين في جنحيْ دجى الليل والشعر
وغنّى فصـار السمـع كالطـرف آخذاً ... بأوفــر حظٍّ من محاسنــه الزهر
وأمتعنــا من وجنيتــه بمثــل ما ... تمــزّج كفّــاه من المــاء والخمر
سرورٌ شكرنــا منّــة الصحــو إذ دعا ... إليه ولــم نشــكر به منّــة السكر(٣)
كأنَّ الليالــي نمــن عنــه فعندما ... تنبَّهــن نكّبــن الوفــاء إلــى الغدر
مضـى وكأنّــي كنـت فيه مهوّماً ... يحدث عن طيف الخيال الذي يسري(٥)
وهــل يحصــل الإنسان من كل ما به ... تســامحه الأيام إلاّ علــى الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة ، وأشد تأسف على ما سلبته من فراق الفتى ، لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا يقين خبر يؤديانني إلى الطمع

---

(١) المحظور : الممنوع .
(٢) الخبان : العقل.
(٣) المنّة : التفضّل.
(٤) نكّبن : حولّن وغيّرن .
(٥) التهوُم : النوم القليل، وهوّم : هزّ رأسه لشدّة النعاس.

في لقائه ، إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق ، وأنا في جملته ، فما بدأت بشيء قبل المصير إلى الراهب ، وقد كنت حفظت اسمه ، فخرج إليَّ مرعوباً ، وهو لا يعرف السبب ، فلما رآني استطار فرحاً ، وأقسم ألا يخاطبني إلا بعد النزول والمقام عنده يومي ذلك ، ففعلت ، فلما جلسنا للمحادثة قال : ما لي لا أراك تسأل عن صديقك ؟ قلت : والله ما لي فكر ينصرف عنه ، ولا أسف يتجاوز ما حرمته منه ، ولا سررت بعودي إلى هذه البلدة إلا من أجله ، ولذلك بدأت بقصدك ، فاذكر لي خبره ، فقال لي : أما الآن فنعم ، هذا فتى من المادرانيين جليل القدر ، عظيم النعمة ، كان ضمن من سلطانه بمصر ضياعاً بمال كثير ، فخاس به ضمانه[1] ، لقعود السعر ، وأشرف على الخروج من نعمته ، فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفياً إلى أن ورد دمشق بزيّ تاجر ، فكان استتاره عند بعض إخوانه ممن أخدمه ، فإني عنده يوماً إذ ظهر لي وقال لصديقه : إني أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان عليَّ مأموناً فذكر له صديقه مذهبي ، وأظهرت السرور بما رغب فيه من الأنس بي وأنا لا أعرفه ، غير أن صديقي قد أمرني بخدمته ، وحصل في قلايتي ، فواصل الصوم ، فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا ، ومعه الغلام والخادم ، وقد لحقا به ومعهما سفاتج[2] وعليهما ثياب رثة . فلما نظر إلي الغلام قال : يا راهب ، قد حل الفطر وجاء العيد ،[3] ووثب إليه فاعتنقه ، وجعل يقبل عينيه ويبكي ، ووقف على السفاتج فأنفذها مع درج رقعة منه إلى صديقه فلما كان بعد يومين حمل إليه ألفي دينار ، وقال له : ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيعة ، فابتاع آلة وفرشاً ، ولم يزل مكباً على ما رأيت إلى أن ورد عليه بالبغال والآلات الحسنة ، وكتب أهله باجتماعهم إلى صاحب مصر وتعريفهم إياه الحال في بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع

---

(١) خاس : خسر.

(٢) السفاتج : هي أن تدفع أموالاً في بلدٍ معين لرجل معين ويعطيك لقاء ذلك صكاً أو رسالة تستردّ بها مالك من عميلٍ له في بلد آخر.

بحطيطة المال عنه مقترناً بالكتب ، فلما عمل على المسير قال لغلامه : سلم جميع ما بقي معك من نفقتنا إلى الراهب ليصرفه في مصالح الدير إلى أن نواصل تفقده من مستقرنا ، وسار وما له حسرة غيرك ، ولا أسف إلا عليك ، يقطع الأوقات بذكرك ، ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك ، وهو الآن بمصر على أفضل الأحوال وأجلها ، ما يبخل بتفقدي ، ولا يغبّ بري[1] ، فتعجلت بعض السلوة بما عرفت من حقيقة خبره ، وأتممت يومي عند الراهب ، وكان آخر العهد به (انتهى كلامه) .

* * *

في بيان غرر من رسائله الموصولة بمحاسن شعره

كتب إلى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً إلى الثغر ومقامه على ابن الزيات صاحبه ، وقد عصي ، وأخذه إياه ، وانكفاءه بعد ذلك إلى حلب :

الرياسة ـ أيد الله سيدنا ! ـ حلة مموقة ، ومرتبة مرموقة ، يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم ، وينالونها بحسب مراتبها من الكرم ، فما تدرك إلا بالسماح ، ولا تملك إلا بأطراف الرماح . ولا تتقمص إلا بالحمد . ولا تخطب إلا بلسان المجد ، فكل من أدركها طلبا ، واستحقها بأفعاله لقبا ، من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد ، ورق الإخلاص لا التودد ، فقد حرم نيل الكمال ، وعدل عن الحقيقة إلى المحال [من البسيط] :

لأنّه الغاية القصوى التي عجزتْ ... عن أن تؤمّل إدراكاً لها الهممُ
ما تستحق ملوك الدهر مرتبةً ... في الفضل إلاّ له من فوقها قدمُ

---

(١) لا يغبّ برّي : أي لا تنقطع صلاته عن الوصول إلي.

ذكاؤه إن دجا ليل الشكوك ضحىً   وظلّه إن خطا صرف الردى حرم[1]
فلو عدا الكرم الموصوف راحته   عن أن يجاوزها لم يكرم الكرمُ

الشجاعة أقل أدواته ، والبلاغة أصغر صفاته ، يطرق الدهر إذا نطق ، وينطق المجد إذا افتخر . فالآمال موقوفة عليه ، والثناء أجمع مصروف إليه ، نهض بما قعدت همم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر عن معاناة مثله . بهمم سيفية ، وعزائم علوية ، فرد شمل الدين جديداً ، وذميم الأيام حميداً ، بحق أوضحه ، وخلل أصلحه . وهدى أعاده ، وضلال أباده [من الطويل] :

فلا انتزع الله الهدى عزّ بأسه   ولا انتزع الله الوغى عزّ نصرهِ
وأحسن عن حفظ النبي وآله   ورعي سوام الدين توفير شكره
فما تدرك المدّاح أدنى حقوقه   بإغراق منظوم الكلام ونثره

لأن أدنى نعمة تستغرق جماع الشكر ، وأيسر منة تفوت المبالغة في جميل الذكر ، فأما هذا الفتح الشريف خطره ، الحميد أثره ، المشهور بلاؤه ، الواجب ثناؤه ، الباسق فرعه ، العام نفعه ، فأشرف من أن يحد بالصفات ، أو يعد بأفصح العبارات ، لإجراء الله تعالى سيدنا فيه من نيل الإرادة ، على مشكور العرف والعادة ، فيما ابتسم به من ثغر الدين ، وشمل صلاحه كافة المسلمين [من البسيط] :

كأنّما ادّخر الرحمن معظمةً   دون الملوك لسيف الدولة البطلِ[2]
رآه أكرمهم في الخير إن ذكروا   وصفاً ، وأفضلهم في القول والعمل
فهزّه وظُبَا الأسياف مغْمَدَةٌ   واستلّه غير منسوبٍ إلى الفلل[3]

---

(١) دجا : أظلم ، والردى : الموت.
(٢) ادّخر : أبقى ، وجمّع ، ومعظمة : أي أمراً عظيماً.
(٣) الفلل : التقطع والتثلم في حدّ السيف .

حتى غدا الـدين من بعـد العبـوس به جذلان يرفـل من نعمـاه في حلل
فلـو تكلـم في حالٍ وقيل له: من خير هذا الورى؟ لم يسمِ غير علي

وله من رسالة أخرى :

شهاب ذكاء ، وطود وفاء ، وكعبة فضل ، وغمامة بذل ، وحسام حق ، ولسان صدق . فالليالي بأفعاله مشرقة ، والأقدار لخوفه مطرقة ، تحمده أولياؤه ، وتشهد له بالفضل أعداؤه [من المتقارب] :

يقابلنـا البـدر من بردهِ ويشـملنـا السعـد من سعدِهِ
ولـو فخـر المجـد لم تلقه فخـوراً شيءٍ سوى مجدِهِ

وله من رسالة أخرى :

ثم إن شكري نعمة الله تعالى بما جددت من ملاحظة سيدنا حالي ، وتداركه بطول التطول مرض آمالي ، ما لا أؤمل ـ مع المبالغة والإغراق فيه ـ فكّ نفسي بحال من رق أياديه ، غير أني أحسن لها النظر ، وأجمل عندها الأحدوثة والخبر ، بالدخول في جملة الشاكرين ، والاتسام بفضيلة المخلصين ، إذ كان ـ أدام الله عزه ! ـ قد نصر نباهتي على الخمول ، واستنقذني من التعهد للتأميل [من البسيط] :

فصرت أمسك عن أوصاف نعمتِهِ عجزاً ، وينطق عن آثارها حالي
لما تحصّنت من دهري بمعقلِهِ سمتْ بحملانه ألحاظ إقبالي[1]
وواصلتني صلاتٌ منه رحت بها أختال ما بين عزٍّ الجاه والمال
فلينظر الدهر عقبي ما صبرت له إذ كان من بعض حسادي وعذالي[2]
ألم أكِدْهُ بحسن الانتظار الى أن صنت حظِّيَ عن حلٍّ وترحال

(١) المعقل : الحصن.
(٢) العقبى : العاقبة والنتيجة .

بلغت ما لا يجوز السؤل نائله ولا يدافع عن فضلٍ وإفضال
يا عارضاً لم أشمْ مذ كنت بارقه إلاّ رويت بغيثٍ منه هطّال[1]
رويد جودك قد ضاقت به هممي وردّ عني برغم الدّهر إقلالي
لم يبق لي أملٌ أرجو نداك به دهري لأنك قد أفنيت آمالي

والله ينهضني من شكر طوله ، والنهوض بحقوق فضله . لما يبلغني رتبة الزيادة ، ونيل السؤل والإرادة ، بمنه وكرمه .

وله من رسالة إليه يلتمس رسمه من الكسوة :

والعادة جارية بإعانتي على ما أوثره من التجمل في الخدمة بمتابعة النظر ومواصلة التفقد [من البسيط] :

فإن رأى ـ لا رأى سوءاً ولا برح الـ إقبال مشتملاً أيام دولتِهِ ـ
أن يقتضي ليَ من إنعامه خلعاً تنوب عن منطقي في شكر نعمتِهِ[2]
إذا تأمّلها الحسّاد لائحةً تيقنوا أنّها عنوان نيتِهِ

فعل إن شاء الله .

وله من رسالة إلى المهلبي الوزير :

ولما كانت مناقب سيدنا من المعجز الذي لا يتعاطى استطاعة الوصف مطالوته ، ولا إمكان البلاغة مساجلته ، عدلت إلى شكر الله تعالى على ما ألهمنيه من تأميل سيدنا ، والتجمل بحمل منته ، واكتساب الشرف بسمة ذكره . متحققاً أني على البعد منه حاضر بالإخلاص ، لا حق بذوي الحظوة والاختصاص . إذ كانت خدمة مثلى إنما هي بلبه لا بقربه وبفهمه لا بجسمه [من البسيط] :

وفي الحقيقة لولا أنّ معتقلي عن السُّرى جود سيف الدولة الملكِ

---

(١) أشم : انظر واتطلع ، والعارض : السحاب.
(٢) الخلع : العطايا والهبات.

لما اقتصرت على غير المسير إلى ... من حظّه في المعالي غير مشترك
لكنّه فلك الفضل المحيط، وما ... من عادة الشمس أن تنأى عن الفلكِ

وفي هذه الرسالة [من البسيط] :

وإن رأى المتناهي من سيادته ... إلى المحلّ الذي لم يرقهُ أحدُ[1]
أن يقتضي ليَ حظّاً من مكارمه ... يغري على العدى من أجله الحسدُ
فالشمس تدنو ضياءً وهي نازحةٌ ... والسّحب تروي ومن أوطانها البعد[2]

وله من رسالة إلى أبي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء :

وقد كنت أوثر أن لا يصدر كتابي هذا إلا بقصيدة في الأمير ، غير أن الوقت لم يتسع لما أوثره فأنفذت هذه الأبيات ، وأرجو أن يكون موقعها باسطاً لي إلى ما أوثره من المواصلة بأمثالها ، ولا والله ما حسبت فيها ، ولا فيما تقدمها من المنثور ، عنان القلم، وهي [من الخفيف] :

جاد ربعاً حللته يا همامُ ... من ندى كفّك العزيز رهامُ[3]
فقبيحٌ إن استزدت له صو ... ب غمامٍ وأنت فيه غمامُ
ما بأرضٍ لم تبد فيها صباحٌ ... ما بدارٍ حللت فيها ظلامُ
وإذا ما حللت في بلدٍ فهـ ... ـو جميع الدنيا وأنت الأنام
سؤددٌ عنده التفاخر ذلٌّ ... وندى عنده الكرام لئام
وسجايا كأنّها الروض، إلاّ ... أنّها للعدوّ موتٌ زؤام[4]
أنتُمُ أنفس العلا يا بني ور ... قاء والناس كلّهم أجسام

---

(١) لم يرقه : لم يصعده ، أو لم يصل اليه.
(٢) النازحة : البعيدة.
(٣) الرهام : بكسر الراء : هو المطر الضعيف الدائم.
(٤) الزؤام : المحتّم القاتل.

سخّط المال من أكفّكمُ ما حمدته السيوف والأقلام

وله من رسالة كتبها بعد وفاة سيف الدولة ، إلى عدة الدولة أبي تغلب بن ناصر الدولة ، يذكر رغبته في قصده وإيثاره الانقطاع إليه ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة :

ومن أبرز لسيدنا صفحة رجائه ، ووفق للانقطاع إلى سعة نعمائه ـ فقد استظهر لما بقي من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره [من المتقارب] :

فما يقدح الفقر في حاله ولا يطمع الدهر في قصدِهِ
وكيف وقد صار ضيف الغما م وهو قريبٌ على بعده ؟
ومن علقت بأبي تغلبٍ يداه احتذى البدر من سعده
همامٌ قضى الله من عرشه له بالإمارة في مهدِهِ
فطود السيادة في دسته وشمس الرياسة في برده[1]

ولما ورد الجواب عن مكتوبه مقروناً بإزاحة العلة في جميع ما يحتاج إليه في سفره ، والتوقيع بالمبادرة في المسير إلى الموصل ، وردها ، ولقي أبا تغلب برسالة طويلة منها :

أفصح دلائل الإقبال ، وأصدق براهين السعادة ـ أطال الله بقاء سيدنا ! ـ ما شهدت العقول بصحته ، ونطقت البصائر بحقيقته ، ونعمة الله تعالى على الدين والدنيا بما أولاهما من اختيار سيدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسترهما بظل عدله ، مفصحة بتكامل الإقبال ، مبشرة بتصديق الآمال [من البسيط] :

محروسةٌ ضمن الشكر الوفيُّ لها عن الزيادة نيل السؤل في الدركِ[2]
تحقّق الدهر أنَّ الملك منذ نشا له أبو تغلب اسمٌ غير مشترك

---

(١) الدست : المجلس • وصدر البيت .
(٢) الدرك : اللحاق وإدراك الحاجة .

واستخلف الفلك الدوّار همّته فلو ونى أغنت الدُّنيا عن الفلك[1]

موفر الحسنات ، مأمون الهفوات ، متناصر الصفات ، ربعي النفاس ، حمداني السياسة ، ناصري الرياسة ، عطاردي الذكاء ، موفق الآراء ، شمسي التأثير ، فلكي التدبير ، قمري التصوير ، للصدق كلامه ، والعدل أحكامه ، وللوفاء ذمامه . وللحسام عناؤه ، وللقدر مضاؤه ، وللسحاب عطاؤه [من البسيط] :

دعوتهُ فأجابتني مكارمهُ ولو دعوت سوى نعماه لم تُجِبِ
وجدته الغيث مشغوفاً بعادته والروض يجني بما في عادة السّحب
لو فاته النسب الوضّاح كان لهُ من فضله نسبٌ يغني عن النّسب
إذا دعته ملوك الأرض سيّدها طراً دعته المعالي سيد العرب[2]

فأجمل بره ، وتقبله مدة مقامه بحضرته، إلى أن سار عنها إلى مدينة السلام سنة تسعة وخمسين وثلاثمائة، وجعل يعاود الموصل مرة ، ومدينة السلام اخرى .

وله من رسالة شكر :

وكأني أرى عواقب اشتمالك علي ، وتفقدك المتواصل إلي ، من مرآة العقل ، وبصيرة الذكاء والفضل ، إذ كانت امارات الإقبال على حالي بك لائحة ، وشواهد السعادة لدي بعنايتك واضحة [من الوافر] :

فمن نظرٍ يسارع في صلاحي ومن وصفٍ يحثُّ على نفاقي
فإنعامٌ أسرُّ من التداني على عدمٍ أفظّ من الفراقِ[3]

(١) وني : ضعف.
(٢) طراً : قاطبة، جميعاً.
(٣) العدم : الفقر : وأفظّ : أغلظ وأقسى.

وله في مثلها :

من كان جميل رأي سيدنا عدته ، أمن من الدهر شدته ، ومن فزع إلى إحسانه ، استظهر على زمانه ، ومن توجه برغبته إليه ، لم تقدم الأيام عليه [من الكامل] :

وأنا الذي علمت من طلب الغنى ... كيف الطريق إلى الغنى برجائِهِ
فظللت مخصوصاً بحمد عفاتهِ ... وغدوت ممدوحاً بشكر عطائه[1]
وأفدت قدماً معجزات فضائلي ... من نور فطنته ونار ذكائه
فإذا نطقت نطقتُ من ألفاظه ... وإذا وهبت وهبتُ من نعمائه

* * *

ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي

كان كل منهما يتمنى لقاء صاحبه ، ويكاتبه ويراسله ، فاتفق أن أبا الفرج قدم مرة بغداد وأبو إسحاق معتقل منذ مدة بعيدة ، فلم يصبر عنه ، فزاره في محبسه ، ثم انصرف عنه ولم يعاوده ، فكتب إليه أبو إسحاق [من الطويل] :

أبا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزلْ ... يزيدك صرف الدهر حظّاً إذا نقصْ
مضى زمنٌ تستام وصلي غالياً ... فأرخصته ، والبيع غالٍ ومرتخصْ[2]
وآنستني في محبسي بزيارةٍ ... شفت كمداً من صاحب لك قد خلصْ
ولكنّها كانت كحسوة طائرٍ ... فواقاً كما يستفرص السارق الفرصْ[3]
وأحسبك استوحشت من ضيق محبسي ... وأوجست خوفاً من تذكّرك القفصْ
كذا الكرز اللّماح ينجو بنفسهِ ... إذا عاين الأشراك تنصب للقنصْ[4]

---

(١) العفاة : عطائه.
(٢) استام البضاعة : سأل عن ثمنها.
(٣) الحسوة : الجرعة.
(٤) الكرز : البازي.

فحـــوشيت يا قسَّ الـــطيور فصاحةً … إذا أنشد المنظوم أو درس القصص[1]
من المنسر الأشغـى ومـن حزّة المدى … ومن بندق الرامي ومن قصّة المقص[2]
ومـن صعـدةٍ فيهــا من الدبــق لهذمٌ … لفرسانكم عنـد الطعـان بهـا قعص[3]
فهـــذي دواهـــي الـــطير وُقِّيت شرَّها … إذا الدهر من أحداثه جرّع الغصص[4]

فأجابه أبو الفرج في الحال مع رسوله :

أيا ماجـداً مذ يمّـم المجـد ما نكص … وبـــدر تمـــامٍ مذ تكامـــل ما نقصْ[5]
ستخلص من هذا السّــرار ، وأيّما … هلالٌ توارى بالسّــرار فمـــا خلص[6]
برأفــة تاج الملّــة الملك الذي … لسؤدده في خطّــة المشتـري خصص
تقنّصت بالألطاف شكري ، ولـم أكنْ … علمـــت بأن الحـــرّ بالبـــرِّ يُقتنصْ
وصادفـــت أدنـــى فرصـــةٍ فانتهزتها … بلقياك إذ بالحـــزم تنتهـــز الفرص
أتتنـي القوافـي الباهـرات تحمــل الـ … ـبدائع من مستحسن الجـدّ والرخص
فقابلت زهـر الـروض منهـا ولـم أرعْ … وأحـرزت درَّ البحـر منهـا ولـم أغُصْ
فإن كنـــت بالببغـــاء قدمـــاً ملقّباً … فكم لقبٍ بالجور لا العدل مخترص[7]
وبعـد ، فمـــا أخشـــى تقنّص جارحٍ … وقلبـــك لي وكرٌ ورأيك لي قفص !

فانتهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة ، فأعجب بهمـا واستظرفهمـا ، وكان ذلك أحد أسباب إطلاق أبي إسحاق من اعتقاله ، ثم اتصلـت بينهمـا المكاتبـة والمودة .

---

(١) قسّ الطيور : يعني أفصحها ، وقسّ: هو قسّ بن ساعدة الايادي .
(٢) المنسر : المنقار والأشغى: الطويل.
(٣) الدبق : غراء تصاد به الطيور، **واللهذم**: الحاد القاطع من السيوف **والقعص** : القتل والإجهاز.
(٤) جرع : شرب.
(٥) يمّم : قصد ، ونكص : ولّى وهرب .
(٦) السِّرار : المحاق ، ماخر أيام الشهر.
(٧) مخترص : مختلق، والتخريص : الكذب.

وكتب أبو إسحاق إلى أبي الفرج أبياتاً في صفة القبج[١] والخطاطيف، ثم كتب إليه هذه الأرجوزة في صفة الببغاء:

أنعتها صبيحةً مليحه ناطقةً باللّغة الفصيحهْ
غدت من الأطيار، واللسانُ يوهمني بأنّها إنسانُ
تنهي إلى صاحبها الأخبارا وتكشف الأسرار والأستارا
سكّاء إلا أنّها سميعه تعيد ما تسمعه طبيعه[٢]
وربّما لُقّنتِ العضيهه فتغتدي بذيئةً سفيههْ[٣]
زارتك من بلادها البعيده واستوطنت عندك كالقعيده
ضيفٌ قراه الجوز والأرزُّ والضيف في أبياتنا يعزُّ
تراه في منقارها الخلوقي كلؤلؤٍ يلقط بالعقيق
تنظر من عينين كالفصّين في النور والظلمة بصّاصين[٤]
تميس في حلتها الخضراءِ مثل الفتاة الغادة العذراءِ
خريدةٌ خدورها الأقفاصُ ليس لها من حبسها خلاص[٥]
تحبسها وما لها من ذنبِ وإنّما تحبسها للحبِّ
تلك التي قلبي بها مشغوفُ كنّيت عنها واسمها معروفُ
نشرك فيها شاعر الزمان والكاتب المعروف بالبيانِ
وذاك عبد الواحد بن نصر تقيه نفسي عاديات الدهرِ!

فأجابه أبو الفرج بهذه الأرجوزة:

من منصفي من حكم الكتاب شمسُ العلوم قمر الآدابِ؟

---

(١) القبج: هو الحجل.
(٢) السكّاء: أي أذنها صغيرة، او مقطوعة من أصلها
(٣) العضيهة: الكذب والزور البهتان.
(٤) بصّاصين: مضيئين، ناظرين.
(٥) الخريدة • البكر.

أضحى لأوصاف الكلام محرزا
وسام أن يلحق لمّا برّزا
وهل يجاري السابق المقصّرُ؟
أم هل يساوي المدرك المعذّر؟
ما زال بي عن غرضٍ معرضا
ولي بما يصدره مستنهضا
فتارةً يعتمد الخطافا
ببدعٍ تستغرق الأوصافا
وتارةً يعني بنعت القبجْ
من منطقٍ لفضله محتج[1]
يحوم حول غرضٍ معلومِ
ومقصدٍ في شعره مفهومِ
حتى تجلّت رغوة الصّريح
وسلّم التلويح للتصريح
وصحّ أن الببغاء مقصدهْ
بكلّ ما كان قديماً يوردهْ
فلم يدع لقائلٍ مقالا
فيها ولا لخاطرٍ مجالا
أهدى لها من كل نعتٍ أحسنهْ
وصاغ من حلي المعاني أزينهْ
أحال بالريش الأشيب الأخضر
وباحمرار طوّقها والمنسر[2]
على اختلاط الروض بالشقيقِ
وأخضر الميناء بالعقيقِ
تزهى بدوّاجٍ من الزّمرد
ومقلةٍ كسبجٍ في عسجد[3]
وحسن منقارٍ أشمّ قاني
كأنّما صيغ من المرجانِ
صيّرها انفرادها في الحبس
بنطقها من فصحاء الإنسِ
تميّزت في الطير بالبيان
عن كلّ مخلوقٍ سوى الإنسان
تحكي الذي تسمعه بلا كذبْ
من غير تغيير لجدٍّ أو لعبْ
غذاؤها أزكى طعامٍ رغدا
لا تشرب الماء ولا تخشى الصّدا[4]
ذات شغى تحسبه ياقوتا
لا ترتضي غير الأرز قوتا[5]

---

(١) القبج : الحجل.
(٢) الأشيب : المختلط، والمنسر : المنقار.
(٣) الدوّاج : لحاف يلبس، والسبج : خرزٌ أسود ناعم.
(٤) الصدا : الظمأ.
(٥) الشغى : المنقار، أو السن الزائدة طولاً عن رفيقاتها.

كأنّما الحبّة في منقارها حبابةٌ تطفو على عقارها[1]
إقدامها ببأسها الشديدِ أسكنها في قفص الحديدِ
فهي كخودٍ في لباسٍ أخضرِ تأوي إلى خركاهةٍ لم تسترِ[2]
ووصفها المعجز ما لا يدركُ ومثله في غيرها لا يملكُ
لو لم تكن لي لقباً لم أختصرْ لكن خشيت أن يقال منتصرْ
وإنما تنعتُ باستحقاق لوصفها حذق أبي إسحاقِ
شرّفها وزاد في تشريفها بحكمٍ أبدع في تفويفها[3]
فكيف أجزي بالثناء المنتخبْ من صرف المدح إلى اسمي واللّقبْ

وكتب إليه أبو إسحاق بأحسن ما قيل في مدح الألثغ [من الطويل] :

أبا الفرج استحققت نعتاً لأجله تسمّيت من بين الخلائق بَبْغا
بياناً منيراً كاللّجين مضمّناً نضاراً من المعنى أديباً وأفرغا
فلو لامرىء القيس انتدبت مجارياً كبا أو لقسٍّ في فصاحته صغا[4]
متى ما يرمْ ذا الاسم غيرك رائمٌ ليبلغَ من غايات فضلك مبلغا[5]
فإنّي أسميه به ثم أنثني فأسلبه باءً من الاسم إذ بغى
إذا أنا سلّمت البلاغة طائعاً إليك فأيُّ الناس خالفني طغى
كفتك على رغم الحسود شهادتي بأن كنت منه ثم منّيَ أبلغا
وما هجّنت منك المحاسن لثغةً وليس سوى الانسان تلقاه ألثغا[6]

---

(١) العقار : الخمرة، والحباب : فقاعٌ يعلو الخمرة حين تصبُّ في الكأس.
(٢) الخود : الفتاة القاعمة.
والخركاهة : إسم مكان فارسي.
(٣) التفويف : التنزيين والتوشية.
(٤) صغا : مالَ.
(٥) يروم : يبتغي.
(٦) اللثغة : تكون في نطق الحرف كالسين ينطق شيناً.

أتعرفهـا فيمـا تقـدم خالياً لعيرٍ إذا ما صاح أو جمـل رغا[1]
فيا لك حرفـاً زدت فضـلاً بنقصه فأصبحـت منـه بالكمـال مسوّغا
بقيت ولا تعـدم بقـاءً مرفّهاً وعشـت ولا تعـدم معاشـاً مرفّغا[2]

ولما نقل عز الدولـة بختيار ابنتـه المزوجـة بعـدة الدولـة أبـي تغلـب إليه بالموصل ـ كتب عنه أبو إسحاق في معناها فصلاً من كتـاب استحسنـه النـاس وتحفظوه وأقر له بالبراعة والبلاغة كل بليغ ، وهو :

قد توجه أبو النجم بدر الحرمي ، وهو الأمين على ما يلحظه ، الوفي بمـا يحفظه ، نحوك يا سيدي ومولاي ـ أدام الله عزك ! ـ بالوديعة ، وإنما نقلـت من وطن إلى سكن ، ومن مغرس إلى معرس . ومن مأوى بر وانعطاف ، إلى مثوى كرامة وإلطاف . ومن منبت درت لها نعماؤه ، إلى منشأ تجود عليها سماؤه . وهي بضعة مني انفصلت إليك ، وثمرة من جنى قلبي حصلت لديك . وما بان عني من وصلت حبله بحبلك ، وتخيرت له بارع فضلك . وبوأته المنزل الرحب من جميل خلائقك ، وأسكنته الكنف الفسيح من كرم شيمك وطرائقك . ولا ضياع على ما تضمه أمانتك ، ويشتمل عليه حفظك ورعايتك . وأرجو أن يقـرن الله موردهـا بالطائر السعيد . والأمر الرشيد . والعز الزائد ، والمجد الصاعـد . والنمـاء في الائتلاف ، والعصمة من الفرقة بالخلاف . حتـى تكون عوائـد البـركة بأحوالهـا منوطة ، ومن عوادي الأيام وغيرها محوطة .

وإنما ألـم أبو إسحاق في تسميته لها بالوديعة بالفصل الذي كتبه جعفر ابن محمد بن ثوابة عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنته قطر الندى المنقولة إليه ، وهو :

وأما الوديعة ـ أعزك الله ! ـ فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك ،

---

(١) رغا : أزبد وهاج.
(٢) الرفاغية : السّعة في العيش.

عناية بها ، وحياطة لها ، ورعاية لموالاتك فيها .

فلما عرضه على الوزير عبد الله بن سليمان ارتضاه جداً واستحسنه ، وقال له : تسميتك إياها بالوديعة نصف البلاغة ، ووقع له بالزيادة في إقطاعه ومشاهرته .

ولما قرىء الفصل من إنشاء الصابي بحضرة أبي تغلب اعتمد في الجواب عنه على أبي الفرج الببغاء ، وكتب كتاباً يشتمل على هذا الفصل الذي هو الجواب عن الفصل المذكور ، وهو :

وأما أبو النجم بدر الحرمي ـ أيده الله ! ـ المستوجب للارتضاء والإحماد ، الموفى بمناصحته على كل مراد ، فقد أدى الأمانة إلى متحملها ، وسلم الذخيرة الجليلة إلى متقبلها ، فحلت من محل العز في وطنها، وأوت من حمى السؤدد إلى مستقرها وسكنها : متنقلة من عطن الفضل والكمال ، إلى كنف السعادة والإقبال . وصادرة عن أنبل ولادة ونسب ، إلى أشرف اتصال وأنبه سبب ، وفي اليسير من لوازم فروضها وواجبات حقوقها ، ما صان رعايتي عن الوصاة بها ، ونزه وفائي عن الاستزادة لها ، وكيف يوصي الناظر بنوره ؟ أم كيف يحض القلب على حفظ سروره ، وإن سببا قرن بإحماد أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ! ـ ذكرى ، ووصل بحبل السيد العم ركن الدولة ـ أدام الله تأييده ! ـ حبلي . ومنح عز الدولة ـ أيده الله ! ـ مكنون ودي ، واختص الأخوة من ولد أبيه السعيد رضي الله عنه وأيدهم بوثيق عهدي ، إلى أن صرت بفضل الجماعة قائلاً ، ودونها بالنية والفعل مناضلاً ، وبمحاسنها المجموعة إلى ناطقاً ، وبمالي عندها من المساهمة والمشاركة واثقاً ـ لحقيق بالتناهي في الإعظام ، وخليق بالمبالغة في الإيجاب والإكرام ، والله يعين على ما اعتقده من ذلك وأخفيه . ويوفقني لما يوفي على المحبة والبغية فيه . بمنه وقدرته ، وحوله وقوته .

* * *

هذا ما أخرج من شعر أبي الفرج الذي يتغنى به

[فمنه قوله] [من الوافر] :

لقـد عزّ العـزاء علـيَّ لمّـا ... تصـدّى لي لتقتلني الصـدودُ
إذا بَعُـدَ الحبيب فكلُّ شيءٍ ... من الـدنيـا ولذّتهـا بعيـدُ

وقوله [من البسيط] :

يا سادتـي ، هذه نفسـي تودِّعكُمْ ... إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزعُ[(١)]
قد كنـت أطمـع في روح الحياة لها ... فالآن إذ بنتُـمُ لم يبـقَ لي طمعُ
لا عذّب الله روحـي بالبقـاء فما ... أظنّنـي بعـدكم بالعيش أنتفعُ

وقوله [من الوافر] :

حصلـت من الهـوى بك في محلٍّ ... يسـاوي بيـن قربـك والفراقِ
فلـو واصلـت ما نقص اشتياقي ... كمـا لـو بنـت ما زاد اشتياقي

وقوله [من البسيط] :

يا مسقمـي بجفـونٍ سقمهـا سببُ ... إلـى مواصلـة الأقسـام في جسدي
وحقّ جفنيك لا استعفيت من كمدي ... دهري ، ولو متُّ من همٍّ ومن كمدِ[(٢)]
عذرت من ظلّ في حبِّك يحسدني ... لأنّـه فيك معـذورٌ علـى حسدي

وقوله [من البسيط] :

يا من تشابـه منـه الخلْـقُ والخُلُقُ ... فمـا تسافـر إلاّ نحـوه الحدقُ
توريدُ دمعـيَ من خدّيك مختلسٌ ... وسقـم جسمـي من جفنيك مسترَقُ[(٣)]

---

(١) الجزع : الخوف واليأس.
(٢) استعفيت : طلبت الخلاص والكمد : الحزن الشديد.
(٣) مختلس : مأخوذ ومسروق.

لم يبــق لي رمــقٌ أشــكو هواك به وإنّمــا يتشــكّى من به رمق[1]

وقوله [من الكامل] :

ومهفهفٍ لمّــا اكتســت وجناتُهُ حللَ الملاحــة طُرِّزتْ بعذارِهِ
لمّــا انتصــرتُ علــى عظيم جفائه بالثلــب كان القلــب من أنصارِهِ
كملــت محاســن وجهــه فكأنّمــا اقـ ـتبس الهــلال النّــورَ من أنواره
وإذا ألــحَّ القلــب في هجرانه قال الهــوى : لا بدَّ منــه فدارِهِ[2]

وقوله [من الكامل] :

ما ضرّ من بعــد الســرور ببعدِهِ لو كان يجمــل في صيانــةِ عبدِهِ[3]
يبــدو فأطــرق هيبــةً ومخافةً من أن يؤثّــر ناظــري في خدِّهِ
قد صرت أعجــب أنّ علّــة طرفه ليســت تؤثّــر علّــةً في ودِّهِ

وقوله [من الكامل] :

يا طيف من أنــا عبــده من أين لي شكرٌ يقــوم ببعض ما توليْهِ
ينــأى فتــدنيه إلــيَّ علــى النوى فأراه كالتّحقيق في التشبيه
ما كان أحســن حالتــي لو أن ما أوتيت من كرمٍ وعــطفٍ فيه

وقوله [من البسيط] :

علّمــتْ طيفــك اسعافي فمــا هجعتْ عينــايَ إلاّ وطيفٌ منــك يطرفني[4]
فكيف أشــكر من إن نمــت واصلني بالــطّيف منــه وإن لم أغفُ قاطعني

---

(١) الرمق : بقيّة الروح.
(٢) فدارِهِ : من المدارة ، أي التمهّل والتأنّي.
(٣) يجمل : يحسن.
(٤) يطرفني : يسكن طرفي ولا يفارقه فيمنعه النوم.

وقوله [من الوافر] :

خيالك منك أعرفُ بالغرامِ ... وأرأفُ بالمحبً المستهامِ
فلو يستطيع حين حظرت نومي ... عليًّ لزار في غير المنام[1]

وقوله [من البسيط] :

قد كان أحسن شيءٍ بعد بعدهمِ ... بروح مثلك أن تنأى عن الجسدِ
هم بالوصال أعادوها إليك ، فلمْ ... ذخرتها بعدهمْ للصّبر والجلدِ ؟
وعدت بالدمع تعليلاً كأنّك قد ... أظهرت ما ليس موجوداً لدى أحدِ

وقوله [من البسيط] :

يا من إذا خفت فيه العذل آمنني ... جميل إنصافه من عذلِ عذّالي
ما يستحقُّ زماني ـ وهو سامحني ... بمثل ودّك ـ أن أشكوه في حالِ
رآك غاية آمالي ، فما برحتْ ... تسعى لياليه حتى نلت آمالي

وقوله [من الكامل] :

أو ليس من إحدى العجائب أنّني ... فارقته فحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامهِ ... ارحم فتىً يحكيه عند محاقه[2]

وقوله [من البسيط] :

جاورت بالحبٍّ قلباً لم تذَرْ فكري ... للحبّ مستمتعاً فيه ولم تدعِ[3]
مفرّقاً بين همٍّ غير مفترقٍ ... عنه ، وبين سلوٍّ غير مجتمع

* * *

---

(١) خطرت : منعت .

(٢) يحاكي : يماثل ، والمحاق : القمر في السرار آخر الشهر.

(٣) جاورت : من الجوار ، وهو القرب والجيرة ولم تذر : لم تترك .

وهذه غرر من شعره في الغزل والخمر

أنشدت له في رمد المحبوب ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الطويل] :

بنفسيَ ما يشكوه من راح طرفه ونرجسه ممّا دهى حسنه وردُ
أراقت دمي ظلماً محاسن وجههِ فأضحى وفي عينيه آثاره تبدو
غدت عينه كالخدّ حتّى كأنّما سقى عينه من ماء توريده الخدُّ
لئن أصبحت رمداء مقلةُ مالكي لقد طالما استشفت بها مقلٌ رمدُ[1]

وله في الفصد [من الخفيف] :

بأبي الغائب الذي لم يغبْ عـ ـنّي فأشكو إليه همٌّ المغيبِ
باشرته كفّ الطبيب ، فلو نلـ ـت الأماني قبّلت كفَّ الطبيبِ
فعلت في ذراعه ظبّةُ المبـ ـضع أفعال لحظه بالقلوبِ[2]
فأسالت دماً كأنّ جفوني عصفرته بدمعها المسكوب[3]
طاب جدّاً فلو به سمح الدهـ ـر لأمسي عطري وأصبح طيبي

وله في غلام خرج غازياً [من البسيط] :

يا غازياً أتت الأحزان غازيةً إلى فؤاديَ والأحشاء حين غزا
إن بارزتك كماةُ الرّوم فارمهمُ بسهم عينيك تقتلْ كلَّ من برزا

وله في وصف معصرة [من مجزوء الوافر] :

ومعصرةٍ أنخت بها وقرن الشمس لم يغبِ
فخلت قزازها بالرّا ح بعض معادن الذهب

---

(١) المقلة : العين ، والرّمد : أذى يصيبها.
(٢) ظبّة المبضع : أي حده القاطع.
(٣) العصفر : نبات أصفر يصبغ به .

وقد ذرفت لفقد الكر م فيها أعين العنبِ
وجاش عباب واديها بمنهلٍ ومنسكبِ
وياقوت العصير بها يلاعب لؤلؤَ الحبب[1]
فيا عجباً لعاصرها وما يغني به عجبي !
وكيف يعيش وهو يخو ض في بحرٍ من اللّهب ؟

قوله في الخمر والقدح [من المنسرح]:

بالقفص للقصف منزل كثبُ ما للتصابي في غيره أربُ
جادت به ديمة السّرور، وحلَّ اللهو فيه ، وعرَّسَ الطّرب[2]
دارت نجوم السّرور في فلكٍ منه له من فتوّتي قطبُ[3]
من كلِّ جسمٍ كأنّه عرضٌ يكاد لطفاً باللّحظ ينتهب
نورٌ وإن يغبْ ، ووهمٌ وإن صحّ ، وماءٌ لو كان ينسكب
لاعيب فيه سوى إذاعته الـ سرّ الذي في حشاه يحتجب
كأنّما صاغه النّفاق فما يخلص صدقٌ منه ولا كذبُ
فهو إلى لون ما يجاوره على اختلاف الطّباع ينتسب
إذا ادعاه اللّجين أكذبه بالرّاح في صبغ جسمه الذهب
جلت عروس المدام حاليةً فيه علينا الأوتار والنخب[4]
فالراح بدرٌ ، والجام هالتهُ والأفق كفّي ، والأنجم الحبب[5]
حال به الماء عن طبيعته بالمزج حتّى خلناه يلتهبُ

---

(١) الحبب : فقاعٌ يعلو الماء والخمر وغيرهما .
(٢) الديمة : السحابة الممطرة، وعرّس : أقام.
(٣) القطب : نجمٌ يهتدي به .
(٤) النخب : أي نخب الشراب.
(٥) الجام : إناء الخمر.

ونحـــن في مجلسٍ تدير به الـ خمـــر علينـــا الأقـــداح لا العلب
ينســـى بأوطانـــه الحنين إلـــى الـ أوطـــان من بالســـرور ويغترب
لـولا حفاظي المشهـــور ما أمنتْ من بعـــد بغـــداد سلوتـــي حلبُ

وله [من الخفيف]:

ومـــدامٍ كأنّهـــا في حشـــا الدنّ صبـــاحٌ مقـــارنٌ لمساءِ
فهـــي نفسٌ لهـــا من الـــطّين جسمٌ لم تمتّـــع فيه بطـــول البقاءِ
ما توهّمـــت قبلهـــا أن في العا لم ناراً تذكي بقـــرع الماءِ(١)
بزلـــت والضحـــى عن الليل محجو بٌ فلاحـــت كالشـــمس في الظلماءِ(٢)
وتـــلاه الفجـــر المنير فعنا ه لأنّـــا عن نوره في غناء
مازجـــت جوهـــر الزّجـــاج فجاءتْ كشعـــاعٍ ممـــازجٍ لهواء
وتحلّـــت من الحبـــاب بدرٍّ يتلاشـــى باللحّـــظ والإيماء
بينمـــا تسكتســـي به زرد البلّو ر حتّـــى ترفضُّ مثـــل الهباء(٣)
فكأنّـــا بين الـــكؤوس بدورٌ تتهـــادى كواكبُ الجوازاءِ
وكأنّ المـــدير في الحلّـــة البيـــــــضـــاء منهـــا في حلّـــةٍ صفراءِ
حبـــذا العيش حيث تســـري الأماني بين جدّ الغنـــا وهـــزل الغناء
حيث سكر الشبـــاب أقضـــى على قلـــــــبـــي وأمضـــى من نشـــوة الصهباء

وله [وهو] من أبلغ ما قيل في عتق الخمر [من الكامل]:

وعريقـــةِ الأنســـاب والشّيمِ موجـــودةٌ والخلـــق في العدمِ
قدُمَـــتْ فلا تعـــزى إلـــى حدثٍ إلاّ إذا عُزِيتْ إلـــى الهرمِ(٤)

---

(١) تذكي : تسعر.
(٢) بزلت : شُقَّت.
(٣) ترفضّ : تزول.
(٤) تعزى : تنسب ، والحدث : الجديد .

هي آدمُ الـكرم المولـدّ في الـــــدنيا وحــوّا الخمــر في القدمِ
كملـت فضائلهـا وقصـرّ عن أوصافهـا الإغـراق في الكلمِ
ظهـرت ونـور الشـمس في فلكٍ من قبـل خلـق الصبـح والظُّلمِ
فانهـلّ جوهرهـا بمنسكبٍ لم يعتصـرْ بيدٍ ولا قدم
واشتـق معنـى اسـم السُّلاف لها من كونهـا في سالف الأمم[1]
فكأنّهـا في صفوهـا خلقي وكأنّهـا في عتقهـا كرمي

وله [من الخفيف]:

غادنـي بالصبـوح قبـل الصباحِ واجْـرِ في حلبـة الصبّـا والمراحِ
واغتنـم زائـر الغـرام فقـد بشّـ ـر بالغيث من نسيم الرياحِ
عاطنيهـا كالجلنـار إذا مـا كلّلـت من حبابهـا بالأقاحِ[2]
في اختصاص التفاح بالـطيب والخمـ ـرة لا في كثافـة التفّاح
غير نكرٍ أن تستمـدّ شعـاع الـ ـشمس منهـا كواكب الأقداح
فهـي أصـل الأنـوار لطفـاً كمـا كا ساتهـا عنصـر الـزلال القراح[3]
خدمتهـا الأجسـام بالطبـع لمّا شاهـدت قربهـا من الأرواح
فتـداركْ بهـا حشاشـة أفرا حي وحـرّك بهـا سكون ارتياحي
بين وردين من بنـانٍ وخدٍ وشـرابين من رضـابٍ وراح[4]
ونشيدٍ مستنبـطٍ من حديثٍ وغنـاءٍ يُغْنـي عن الأقتراح
فألـذُّ الحياة ما خلـط العا قل فيه فسـاده بصلاح

---

(١) السلاف : من اسماء الخمرة ، وسالف الأمم: قديمها .
(٢) كلّلت : أي علاوجهها حباب الخمر والأقاح والجلّنار : من الورود.
(٣) الزلال القراح : العذب الصافي.
(٤) الرضاب : اللعاب.

وله في وصف شراب في قدح أزرق فيه صور [من المنسرح]:

كم منَّةٍ للظلام في عنقي ... بجمع شملٍ وضمٍّ معتنق
وكم صباحٍ للراح أسلمني ... من قلقٍ ساطعٍ إلى فلق
فعاطنيها بكراً مشعشعةً ... كأنّها في صفائها خُلُقي
في أزرقٍ كالهواء يخرقه الـ ... لحظ وإن كان غير منخرق
كأنّ أجزاءه مركّبةٌ ... حسناً ولطفاً من زرقة الحدق
ما زلت منه منادماً لعباً ... مذ أسكرتها السُّقاة لم تفق
تختال قبل المزاج في أزرق الـ ... فجر وبعد المزاج في الشّفق
تغرق في أبحر المدام فيسـ ... تنقذها شربنا من الغرق
فلو ترى راحتي وزرقته ... من صبغها في معصْفَرٍ شرِقِ
لخلت أنّ الهواء لاطفني ... بالشمس في قطعةٍ من الأفق

وله من قصيدة [من الكامل]:

كم للصبابة والصبا من منزلِ ... ما بين كلوا ذا إلى قطربّل
جادته من ديم المدام سحائبٌ ... أغنته عن صوت الحيا المتهلّل(١)
غيثٌ إذاما الرّاح أو مض برقه ... فرعوده حثّ الثقيلِ الأوّلِ
لطفت مواقع صوبه فسجاله ... تهمي على كرب النفوس فتنجلي
راضعت فيه الكأس أهيف ينثني ... نحوي بجيدِ رشاً وعيني مغزل
فأتى وقد نقش الشعاع ثيابه ... بممزّجٍ من نسجها ومثقّل
وكسا البنان بها خضاباً ياله ... لو أنّه من وقته لم ينصل(٢)
قدح البزال زنادها من دونها ... فتهافتت مثل الشراب المرسل(٣)

---

(١) صوب الحيا المتهلّل : أي المطر المنهمر.

(٢) ينصل : يتغيرّ لونه.

(٣) البزال : اداةٌ يثقب بها الشيء.

وطغـت لعجـز المـاء عن إطفائها ... حتى ظننت الكأس جذوة مصطلي[1]
فوردت أروي موردٍ وشربـت أحـ ... لى مشـربٍ ونهلـت أعـذب منهلِ
ونزعـت لافـي السّكر خنـت تصوّني ... بخناً ولا في الصحو شنت تجملي[2]

وقال في الورد [من الخفيف]:

زمـنُ الـورد أظـرف الأزمانِ ... وأوان الـربيع خيـر أوانِ
أدرك النّـرجس الجنـيٌّ وفزنا ... منهمـا بالخـدود والأجفان
أشـرف الزهـر زار في أشـرف الدهـ ... ـر فصيـلٌ فيه أشـرف الإخوان
وأجِـلْ شمس العقـار في يد بدر الـ ... ـحسـن يخدمـك منهمـا النيران
وأدرهـا عذراء وانتهـز الإمـ ... ـكان من قبـل عائـقِ الإمكان
في كؤوسٍ كأنّهـا زهـر الخشـ ... ـخاش ضمّـت شقائـق النعمان
واختدعهـا عنـد البـزال بألفا ... ظِ المثانـي ومطربـات الأغاني
فهـي أولـى من العـرائس إن زفّـ ... ـت بعـزف النـايات والعيـدان

وقال في النرجس [من السريع]:

ونـرجسٍ لم يعـدُ مبيضّـهُ الكأس ... ولا أصفـره الرّاحا
تخـال أقحـاف لجـينٍ حوَتْ ... من أصفـر العسجد اقداحاً[3]
كأنّمـا تهـدي التحـايا بـه ... لطفـاً إلى الأرواح أرواحاً
يلهـي عن الـورد إذا مارنا ... ويخلـف المسـك إذا فـاحا
أحبـبْ بـه من زائـرٍ راحلٍ ... عوّضَ بالأحـزان أفراحـا
فانتهـزِ الفـرصـة فـي قربه ... وكنْ إلى اللّـذات مـرتـاحا

---

(١) الجذوة : النار أو قبسٌ منها.
(٢) الخنا : الفحش، والشين: العيب.
(٣) الأقحاف : جمع قحف، وهو إناء من الخشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح واللجين : الفضة والعسجد : الذهب.

وهاتهـــا عـــذراء لم تفترع　　في الليل إلاّ عـاد إصباحاً
كأنّمـــا كلّ بنـــانٍ حـوتْ　　كاساتهـــا تحمـــل مصباحـــا
واجـــنِ بألحاظـــك من وجنتيْ　　مـديرهـــا ورداً وتفـــاحـــا

* * *

غرر شعره في سائر الفنون

وله من قصيدة [من الوافر]:

صحبت الدّهــر في سهــلٍ وحزْنِ　　وجرَّبــت الأمــور وجرَّبتني[1]
فلــم أر مذ عرفــت محــلّ نفسي　　بلــوغ غنــىً يســاوي حمــل مَنٍّ[2]
ولــم تتضمّــن الــدّنيا لحظّي　　منــال مسرّةٍ إلاّ بحـزن
حملــت على السوابــق ثقــل همّي　　وشاهــدت العواقــب صفــو ذهني
وشمــت بوارق الآمــال دهراً[3]　　فلــم أظفر على ظمــأ بمزن
ولــم أر كالجياد أصــح ودّاً　　إذا عــدل الــودود إلى التضنّي
نكلّفهـــا عزائمنـــا فتــكفي　　ونستدنـــي الحظـــوظ بهـــا فتدني
وهبــت لمثــل قطــع الليل منها　　أغــرّ كمثــل ضوء الصبــح منّي
وكنــت بحيث ظنّ من اعتزامٍ　　وكان من المضـــاء بحيث ظنّي
وثالثنـــا ابـــن جدٍّ لا يرى أن　　يصاحـــب في تصرّفـــه ابـــن وهنٍ[4]
حجبـــت لجفنـــه الأبصـــار عنه　　ومـــن لي أن يكون الجفـــن جفني
سقيت نداي ما أسنـــى محلّ　　وأرفـــع همّتـــي وأعـــزّ ركني
رســـا في تربـــة العليـاء أصلي　　وأينـــع في بروج العـــزّ غصني

---

(١) الحزن : المصاعب.
(٢) المنّ : ذكر التفضل في كل مناسبة.
(٣) شمت : نظرت.
(٤) ابن وهن : ابن ضعف.

وليس عليَّ غير الجد فيما سعيت له لأستغنى وأغني
فإن أحرم فلم أحرم لعجزٍ وإن أبلغ فنفسي بلّغتني

وله من أخرى [من المنسرح]:

ما الذلّ إلاّ تحمل المننِ فكن عزيزاً إن شئت أوْفهنِ
إذا اقتصرنا على اليسير فما الـ علة في عتبنا على الزمن

وله من أخرى [من البسيط]:

جزيت أفضل ما يجزاه ذو كرمٍ أحلافه في دياجي دهره شعلُ
حماه وهو غلامٌ غير مكتهلٍ عن المطامع فضلٌ فيه مكتهل

وله من أخرى [من الوافر]:

أكلٌّ وميضِ بارقةٍ كذوبُ أما في الدّهر شيءٌ لا يريبُ ؟
أبى لي أن أقول الهجر قدرٌ بعيد أن تجاور العيوب

وله من أخرى في سعد الدولة بن سيف الدولة [من المنسرح]:

لا غيث نعماه في الورى خلب الـ برقِ ولا ورد جوده وشل[١]
جاد إلى أن لم يبقِ نائله مالاً ، ولم يبق للورى أمل

وله [من الكامل]:

واليوم من غسق العجاجة ليلةٌ والكرُّ يخرق سجفها الممدودا[٢]
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه روعٌ أحال بياضها توريدا[٣]

---

(١) الوشل : الماء القليل.
(٢) السجف : الستائر، وشدّة الظلام.
(٣) الصفاح : السيوف.

والطعــن يغتصــب الجياد شياتها ... والضـرب يقـدح في التّـريك وقودا
وعلى النفـوس من الحمام طلائعٌ ... والخـوف ينشـد صبرهـا المفقودا
وقـد استحـال البُـر بحـراً ، والضّحى ... ليلاً ، ومنخـرق الفضـاء حديدا
وأجـلٌ ما عنـد الفـوارس حثّها ... في طاعـة الهـرب الجياد القودا[1]
حتـى إذا ما فارق الـرأيُ الهوى ... وغـدا اليقـين على الظنـون شهيدا
لم يغـن غـير أبـي شجـاعٍ والعلا ... عنـه تناجـي النصر والتأييدا

وله من أخرى [من البسيط]:

من كلّ متسـع الأخـلاق مبتسمٍ ... للخطب إن ضاقت الأخلاق والحِيَلُ
يسعـى به البـرق إلاّ أنّـه فرسٌ ... في صورة الموت إلاّ أنّـه رجل
يلقـى الرمـاح بصـدرٍ منـه ليس لهُ ... ظهـرٌ وهـادى جوادٍ ما له كفل[2]

وله من أخرى [من الكامل]:

في سالـبٍ للشّـمس ثوب ضيائها ... بعجاجـةٍ مـلء الفضـاء لهامِ[3]
كاللّيل إلاّ أنّ ثوب ظلامه ... من عثـيرٍ ونجومـه من لامِ[4]
يلقـى الدجـى من بيضـه بضحـى كما ... يلقـى الضحـى من نقعـه بظلامِ

وله من أخرى [من الكامل]:

قاد الجياد إلى الجياد عوابساً ... شعثـاً ولـولا بأسـه لـم تنقدِ
في جحفـلٍ كالسيل أو كالليل أو ... كالقـطـر صافـح موج بحـرٍ مزبد
متوقّـدُ الجنبـات يعتنـق القنـا ... فيه اعتنـاق تـواصـلٍ وتودُّد

---

(١) حثها : العمل على إسراعها.
(٢) الكفل : الردف أو المؤخرة.
(٣) اللهام : العظيم من الجيش وغيره.
(٤) العثير : الغبار والتراب واللام: الأشخاص والناس.

مثعنجرٌ بظبا الصوارم مبرقٌ   تحت الغبار وبالصواهل مرعد[1]
ردّ الظلام على الضحى فاسترجع الـ   إظلام من ليل العجاج الأربد[2]
وكأنّما نقشت حوافر خيله   للناظرين أهلّةً في الجلمد
وكأنّ طرف الشمس مطروفٌ وقد   جعل الغبار له مكان الإثمد[3]

ما أحسن هذا التشبيه وأوقعه ! وكل هذه الأوصاف مالا مزيد عليه حسنا وبراعة . وله من أخرى [من المنسرح]:

من كلّ مختالةٍ تنقب بالـ   عثير وجه الضحى من الخجل[4]
تضم أحشاءها على أسدٍ   تزأر في غابةٍ من الأسل[5]

وله من أخرى [من الخفيف]:

في خميس كأنّما السمر والأبـ   طال غيلٌ حمته أسودُ[6]
سلب الشمس ضوءها بشموسٍ   طالعاتٍ أفلاكهن حديدُ
عارضٌ كلّما جلته بروق الـ   بيض حثّته بالصهيل الرعودُ

وله من أخرى [من الطويل]:

وموشيةٍ بالبيض والزغف والقنا   مجبّرةِ الأعصاب بالضُّمَّر القبِّ[7]
بعيدة ما بين الجناحين في السرى   قريبة ما بين الكميين بالضربِ

---

(١) مُثعنجر : متسلّح ومتمنطق.
(٢) الأربد : الكالح المتجهم .
(٣) مطروفٌ : لحقه بعض الأذى، والإثمد الكحل .
(٤) العثير : الغبار والتراب.
(٥) الأسل : والرماح
(٦) الخميس : الجيش من خمس فرق، والغيل: الشجر الملتف.
(٧) الزغف : الدرع الفضفاضة الواسعة والمحكمة الصنع. والغمر : القبّ الخيل الهزيلة الخصر والبطن.

من السالبـات الشـــمس ثوب ضيائها   بثـوبٍ تولىّ نسجـه عثـير الترب
يعاتـب نشـوان القنـا صادح الظّبا   إذا التقيا فيهـا على قلّـة الشرب
أعادت علينا الليل بالنقـع في الضحى   وردت إلينا الصبـح في الليل بالشهب
تبلّـج عن شمسي نزار ويعرب   وتفتـرُّ عن طودي علا تغلـب الغلب
موقّـرةٌ يقتـاد ثنـي زمامها   بصـيرٌ بأدواء الكـريهـة والحرب[1]
أصـح اعتزامـاً من خؤونٍ على فلا   وأنفــذ حكماً من غرامٍ على صبٍّ

وله من أخرى [من المتقارب] :

ويومٍ أغصّ اتسـاع الفضا   ء جيشٌ لمـن أمّـه مُـهولُ
يخيّل أنّ ما لـه آخـرٌ   إذا مـا تراءى له اوّلُ
ويغصـب شمس الضحـى نورها   من الخيل ما تبعـث الأرجلُ
دجـى أنـت بدرٌ به والنجو   م زرقـك والظلمـة القسطلُ[2]

وله من أخرى [من البسيط] :

في عارضٍ ضاقـت الأرض الفسيحـة   عن سراه إذ سال فيهـا سيلـه العرمُ
كأنّـه الليل لا قربٌ ولا بعدٌ   يخفـى عليه ولا فجٌّ ولا عَلَمُ
يهـدي الغبـار إليه الشـمس كاسفةً   كأنهـا فيـه سرٌّ ليس ينكتمُ
شقّ الغضنفـر آجـام الرمـاح بهِ   والموت يسفـر أحيانـاً ويلتثم
فراسـل الدهـر في الأعـداء عزمته   وكاتـب النصر عنـه السيف لا القلم
ومـا سمعنـا بليثٍ قبـل رؤيته   إذا سرى صاحبتـه في السرُّى الأجمُ[3]

---

(١) بصيرٌ : خبير ، والكريهة : الحرب.
(٢) الزرق : كناية عن السيوف، والقسطل : الغبار.
(٣) السُّرى : المسير ليلاً ، والأجم : جمع أجمة ، وهي غابة الأسد.

الباذل العرف والأنواء باخلةٌ … والمانع الجار والأعمار تخترم[1]
حيث الدجى النقع ،والفجر الصوارم، … والأسد الفوارس ،والخطّية الأجم[2]

وله من أخرى [من الطويل]:

وكلّ بعيدٍ قرّب الحين نحوه … سلاهبك الجرد الخفاف قريبُ[3]
تباشر أقطار البلاد كأنها … رياحٌ لها في الخافقين هبوبُ
تماشي بفتيانٍ كأن جسومهمْ … لخفتها فوق السروج قلوب

وله من أخرى [من الطويل]:

أتاهم بألحاظ الجياد ولم تكن … لينأى عليها المنزل المتباعدُ
من اللاء يهجرن المياه لدى السرى … ويعتضن شمَّ الجوِّ والجوّ راكدُ
مرنٌ على لدغ القنا فكأنما … عليهنّ من صبغ الدماء مجاسد[4]
نسجن ملاء النقع ثم حرقنه … بكرٍّ لها منه إلى النصر قائد
عليهنّ من نسج الغبار غلائلٌ … رقاقٌ ومن نضح الدماء قلائد[5]

وله من قصيدة في وصف فرس [من الكامل]:

إن لاح قلت أدميةٌ أم هيكلُ … أو عنَّ قلت أسابحٌ أم أجدلُ[6]
تتخاذل الألحاظ في إدراكه … ويحار فيه الناظر المتأمِّلُ
فكأنه في اللطف فهمٌ ثاقبٌ … وكأنّه في الحسن حظٌّ مقبلُ

---

(١) تخترم : تقتطع.
(٢) الخطيّة : الرماح.
(٣) السلاهب : الطويل من الخيل ، والجرد : القصيرة الشعر.
(٤) لدغ القنا : آثارُ جراحها والمجاسد : جمع مجسد ، وهو الثوب الذي يلامس الجسد .
(٥) نضح الدماء : فيضها.
(٦) السابح : الفرس ، والأجدل : الصقر.

وله من قصيدة يشكر بها بعض إخوانه وقد أهدى إليه بغلة [من البسيط]:

قد جاءت البغلة السفواء يجنب منـ ـها البرد غيث ندىً ينهل ماطرهُ[1]
عريقةٌ ناسبت أخوالها فلها بالعتق من كرم الجنسين فاخرهُ
ملء الحزام وملء اللبد مجفرةً يريك غائبها في الحسن حاضره[2]
أهدى لها الروض من أوصافه شيةً خضراء ناضرةً إذ حال ناضره
ليست بأول حملانٍ شريت به حمدي ، ولا هي ياذا المجد آخره
كم قد تقدمها من سابح بيدي عنانه، وعلى الجوزاء حافره

وله في وصف بركة [من المتقارب]:

وقوراء كالفلك المستدير تروق العيون بلألائها[3]
حبتها البحار بأمواجها وسحب السماء بأنوائها
كأنَّ تدفُّق تيارها يداك تفيض بنعمائها
وجودك أغزر من جريها وخلقك أعذب من مائها

* * *

(١) السفواء : السريعة التي تسفّ الغبار خلفها كما تسفّ الريح الرمال والغبار.
(٢) الجفرة : جوف الصدر ، ومن الشيء معظمه.
(٣) القوراء : المجوّفة.

الباب الثامن

٢٠ - في ذكر الخليع الشامي ، والوأواء الدمشقي وأبي طالب الرقي

أما الخليع فكنيته أبو عبد الله ، وقد ذهب عني اسمه وكان شاعراً مفلقاً قد أدرك زمان البحتري وبقي إلى أيام سيف الدولة فانخرط في سلك شعرائه .

فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال : رأيت الخليع بحلب شيخا قد أخذت منه السن العالية ، وثقلت عليه الحركة ، فمما أنشدنيه لنفسه قوله [من الكامل] :

جيراننا جار الزمان عليهمُ ... إذا جار حكمهم على الجيرانِ
ما الشأن ويحك في فراق فريقهمْ ... الشأن ويحك في جنون جناني
خذ يا غلام عنان طرفك فاثنهِ ... عنّي ، فقد ملك الشمول عناني[1]
سكران سكر هوىً وسكر مدامةٍ ... أنّى يفيق فتىً به سكْرانِ ؟!

وقوله وهو مما يتغنى به [من المتقارب] :

بأيٍّ المدامين لم أسكر ... بكأسك أم طرفك الأحورِ[2]
سقيت من الشمس مشمولةً ... على غرّةِ القمر الأزهرِ
إذا الماء خالطها جنَّحت ... أكاليل درٍّ على جوهر

(١) اثنه : اطوه ، والشمول : الخمر .

(٢) الطرف : النظر : والأحور ، الشديد البياض والشديد السواد.

كأنّ علـى الشـرب من لونها ثيابـاً من الذّهـب الأحمـرِ

وقوله لسيف الدولة [من الكامل] :

أنـا شاعـرٌ ، أنـا شاكرٌ ، أنـا ناشرٌ ، أنـا راجـلٌ ، أنـا جائـعٌ ، أنـا عاري
هي ستّـةٌ فكن الضـمين لنصفها أكنِ الضـمين لنصفهـا بعيارِ
والنّـار عنـدي كالسـؤال فهـل ترى أن لا تكلّفنـي دخـول النارِ

وأنشدني غيره للخليع ، وأنا أشك فيه [من السريع] :

لـو لم تحـل ما سمّيت حالا وكلٌّ ما حال فقـد زالا
انظـر إلـى الظـلّ إذا ما انتهى يأخـذ في النقص إذا طالا

* * *

٢١ - أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي الملقب بالوأواء

من حسنات الشام ، وصاغة الكلام ، ومن عجيب شأنه ما أخبرني به أبو بكر الخوارزمي قال : كان الوأواء منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفوكه ، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه ، ووقع فيه ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى يعلو العيوق[١] . ثم أخبرني أبو الحسن المصيصي بما يصدقه ، وأنشدني لمعاً يسيرة من شعره ، وذكر أنه سمعها من إنشاده . وأول من حمل ديوانه إلى نيسابور أبو نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد في جملة ما حصّله من اللطائف والبدائع التي عنى بها ، وأنفق الرغائب عليها ، وأتحفني بذلك في دفتر صغير الجرم ، خفيف الحجم ، ثم ألحق به ما استملاه من القوال المعروف بعين الزمان . وهو غير ثقة في الرواية والحكاية ، وكنت تأنقت في إخراج ما يفتقر الأديب

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدّمها .

إلى فقره ، ولا يستغنى الشاعر عن غرره . من شعر الوأواء في النسخة الأولى من هذا الكتاب ، ولم أزد في هذه المقررة كثير زيادة .

وقرأت في بعض الكتب عن ابن حمدون قال : كان الفتح بن خاقان يأنس بي ، ويطلعني على الخاص من سره ، فقال لي مرة : أشعرت يا أبا عبد الله أني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة (يعني جارية له) فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت فيما بين شفتيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا ، فكان هذا ما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح وكأن الوأواء قد سمع ذلك فألم به ونظمه في قوله [من الطويل] :

سقى الله ليلاً طاب إذ زار طيفه فأفنيته حتّى الصّباح عناقا
بطيب نسيمٍ منه يستجلب الكرا ولو رقد المخمور فيه أفاقا
تملّكني لما تملّكت مهجتي وفارقني لمّا أمنت فراقا

ومما أنشدنيه كل من الخوارزمي والمصيصي له ، ووجدته في ديوان شعره والبيت الرابع منه نهاية في الملاحة [من الوافر] :

أتاني زائراً من كان يبدي لِيَ الهجر الطويل ولا يزورُ
فقال الناس لمّا أبصروه : ليهنك ! زارك البدرُ المنيرُ
فقلت لهمْ ودمع العين يجري على خدّي له درٌّ نثير :
متى أرعى بروض الحسن منه وعيني قد تضمّنها غديرُ ؟
ولو نَصَبَتْ رحىً بإزاء دمعي لكانت من تحدّره تدور[1]

وأقدر أنه ألم في البيت الرابع بقول ابن المعتز [من الطويل] :

وإنْ تك في خدّيك للحسن روضةٌ فإنّ على خدّي غديراً من الدمعِ

---

(١) الرّحى : الطاحون.

ومن ملح قوله في وصف الدمع [من الخفيف] :

كلُّ دمعٍ فبالتّكلّف يجري غير دمع المحبِّ والمهجورِ
وردَّ البين دمع عيني فأضحى كعقيقٍ أذيب في بلّورِ[1]

ومن ملحه في الخمر [من المنسرح] :

عذَّبتها بالمزاج فابتسمت عن بردٍ نابتٍ على لهبِ
كأن أيدي المزاج قد سبكتْ في كأسها فضةً على ذهبِ

وقوله [من الكامل] :

فامزجْ بمائك نار كأسك واسقني فلقد مزجت مدامعي بدمائي
واشربْ عغى زهر الرياض مدامةً تنفي الهموم بعاجل السَّرَّاءِ
لطفت فصارت من لطيف محلِّها تجري كمجرى الروح في الأعضاءِ
وكأنَّ مخنقةً عليها جوهرٌ ما بين نارٍ أذكيت وهواءِ[2]
وكأنّها وكأنّ حامل كأسها إذ قام يجلوها على النّدماءِ
شمس الضحى رقصت فنقّط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

وقوله [من الطويل] :

يطوف براحٍ ريحها ومذاقها نسيم الصّبا والعيش في زمن الصّبا

ومن ملحه في الخط [من الطويل] :

وشمسٍ بأعلاه وليلين أسبلا بخدّيه إلاّ أنها ليس تغربُ[3]
ولما حوى نصف الدجى نصف خدِّهِ تحيّر حتى ما درى أين يذهبُ

---

(١) البين : الفراق.

(٢) المخنقة : سلك ينظم به الجوهر.

(٣) أسبلا : أرخيا ، وأسبل الستر : أرخاه.

وقوله [من مخلع البسيط] :

زار بليلٍ على صباح   على قضيبٍ على كثيبِ[1]
حتى أتت ألسن الليالي   معتذراتٍ من الذنوبِ
فيا لها زورةٌ أخذنا   بها أماناً من الخطوبِ

وقوله [من الكامل] :

بدرٌ تقنّع بالظلا   م على قضيبٍ في كثيبِ
تدعو محاسنه القلو   ب إلى مشافهةِ الذنوبِ
فعلت به ريح الصّبا   ما ليس تفعل بالقضيبِ
عقلت ركائب حسنه   بعقولنا عند المغيبِ[2]
وتلطّمت وجناتنا   بيد الدموع من النحيبِ
وكأنّما تشويشنا   تشويش ألفاظ المريبِ
يا بدر بالبدر الذي   أطلعت من فلك الجيوبِ
وبعقرب الصدغ الذي   زرفنتَ من حسنٍ وطيبِ[3]
ترعى وما استرعيتها   ثمر القلوب بلا دبيبِ[4]
هبْ لي مزارك في الكرا   كيما أراك بلا رقيب

ومن بدائع تشبيهاته قوله [من البسيط] :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها   كم ذا ؟ أما لقتيل الحبِّ من قَوَدِ ؟[5]
وأسبلت لؤلؤاً من نرجسٍ ، وسقتْ   ورداً ، وعضّت على العناب بالبردِ[6]

---

(١) الكثيب : التلُّ من الرمل
(٢) عقلت : من العِقال.
(٣) زرفن صدنميه : أدارهما وجعلهما كالحلقه.
(٤) الدبيب : مشي النمال.
(٥) القود: القصاص.
(٦) العنّاب : يقصد بها الشفاه ، والبرد يقصد بها الأسنان.

هذا البيت مما أحسن فيه ، وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه :

إنسانةٌ لو بدت للشمس ما طلعتْ   من بعد رؤيتها يوماً على أحدِ
كأنّما بين غاباتِ الجفون لها   أسد الحمام على طرقِ الهوى رصدي

وقوله [من المنسرح] :

قد سترت وجهها عن النظر   بساعدٍ حلّ عقد مصطبري
كأنّه والعيون ترمقُهُ   عمود نورٍ في دارة القمرِ

وقوله [من الخفيف] :

جعلت تشتكي الفراق وفي أجـ   ـفانها عقد لؤلؤٍ منثورِ
فكأنّ الكحل السحيق مع الدمـ   ـع على خدّها بقايا سطورِ

وقوله في قوس قزح مع البروق والشمس [من البسيط] :

سقياً ليوم ترى قوس السماء به   والشمس مسفرةٌ والبرق خلاّسُ
كأنّها قوسُ رامٍ والبروق له   رشق السهام وعين الشمس برجاس[1]

وقوله وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

لا تنكري ما بي فليس بمنكرٍ   عند التفرُّق دهشة المتحيِّرِ
يا هذه روحي إليك هديةٌ   فتجمّلي في أخذها لي واعذري
وتأمّلي غير الزمان فإنّها   تحكِي تغيُّر عهدك المتغيِّرِ
ولربَّ ليلٍ ضلَّ عنه صباحهُ   وكأنّه بك خطرةُ المتذكّرِ[2]
والبدر أوّل ما بدا متلثّماً   يبدي الضياء لنا بخدٍّ مسفرِ

---

(١) البرجاس : غرض ينصب في الهواء على رأس رمح أو نحو.
(٢) ضلَّ: لم يهتد ، والخطرة : الفكرة.

فكأنّمـا هو خوذةٌ من فضّةٍ قد ركِّبت في هامةٍ من عنبرِ

وقوله في غلام عليل [من مخلع البسيط] :

إبيضّ واصفـرّ لاعتلالْ فصـار كالنّرجس المضعّفْ
كأنّ نسـريـن وجنتيه بشـعـر أصداغـه مغلّفْ
يرشـح منـه الجبين ماءً كأنّـه لؤلـؤٌ مصنَّفْ

وقوله [من الخفيف] :

ليت ليلـي أمـدٌّ من نفس العا شق طولاً إذ زار فيه الخليلُ
مـا اعتنقنـا حتـى افترقنـا وخفّا ن الـدجـى عن قميصه محلول[1]
وكأنّ الهـلال تحـت الثريا ملكٌ فوق رأسـه إكليلُ

وقوله [من الخفيف] :

وغـدافُ الظـلام في شرك الفجـ ـر شريكي في قبضـة الارتهانِ[2]
وكأنّ النجـوم أحـداق رومٍ ركِّبـتْ في محـاجـر السودانِ

وقوله من أبيات [من المنسرح] :

كم حثّ شربـي بكأسـه قمرٌ بقـدِّ غصـنٍ وخصـرِ زنبورِ

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

يقمـن لنـا برق الثغـور أدلّةً إذا ما ضللنـا في ظلام الذوائب[3]

---

(١) الخفّان : الجوانب.
(٢) الغداف الغراب الأسود ، وهو لا يبيض أصلا.
(٣) الذوائب : خصلات الشعر في مقدّمة الرأس.

ومما يتغنى به من شعره [من مجزوء الكامل] :

يا من سقام جفونه	لسقام عاشقه طبيبُ
حزتَ المودة فاستوى	عندي حضورك والمغيبُ
كنْ كيف شئت من البعا	د فأنت من قلبي قريبُ

وقوله [من البسيط] :

أستودع الله في بغداد لي قمراً	بالكرخ من فلك الأزرار مطلعهُ
ودّعته وبودّي أن تودّعني	روح الحياة وأنّي لا أودّعُهُ
وكم تشبّث بي يوم الرحيل ضحى	وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعهُ
وكم تشفّع في أن لا أفارقه	وللضرورة حالٌ لا تشفعهُ

وقوله [من البسيط] ؛

بالله ربّكما عوجا على سكني	وعاتباه لعلّ العتب يعطفهُ
وعرِّضا بي وقولا في كلامكما :	ما بال عبدك بالهجران تتلفهُ ؟
فإنْ تبسّم قولا عن ملاطفةٍ	ما ضرّ لو بوصالٍ منك تسعفهُ
وإن بدا لكما من سيدي غضبٌ	فغالطاه وقولا ليس نعرفهُ

وقوله [من المتقارب] :

زمان الرياض زمانٌ أنيقُ	وعيش الخلاعة عيشٌ رقيقُ
وقد جمع الوقت حاليهما	فمن ذا يفيق ومن يستفيقُ
فيا من هو الفوز لي والمنى	ومن هو بالودّ منّي حقيقُ
أدرْ لحظ عينيك وامرجه في	مروج الرياض تجدها تشوقُ[1]
ترى مزوج الحسن في مفردٍ	جليلُ المحاسن فيه دقيقُ

---

(١) امرجه : ارسله ينظر إليها.

إذا ضاحك الزهر زهر الوجوه ... فكيف الخلاص وأين الطريقُ ؟
بهـارٌ بهيرٌ به غيرةٌ ... على نرجسٍ وشقيقٌ شقيقُ[1]
فـذا عاشـقٌ وجـلٌ خائفٌ ... وذا خجـلٌ وكذاك العشيقُ
مداهـن يحملن طلّ النّدى ... فهـاتيك تبـرٌ وهـذي عقيقُ
تنظّـم أوراقـها درّهـا ... وتنثـر منها التـي لا تطيقُ
يميـل النسيم بأغصانها ... فبعضٌ نشـاوى وبعضٌ مفيقُ
ويومٍ ستارتـه غيمـة ... وقـد طرّزت رفرفيهـا البروقُ
جعلنـا البخـور دخانـاً له ... ومـن شرر الـراح فيه حريقُ
تظـلُّ به الشـمس محجوبةً ... كأنّ اصطباحـك فيه غبوقُ
على شجـراتٍ رافعـات الذيول ... لمـاء الجـداول منهـا شهيق
سجدنـا لصلبـان منثورها ... وقـد نصرتنـا عليهـا الرحيقُ
وقلنـا بهـا ولضـوء الصّباح ... على عنبـر الفجـر منهـا خلوقٌ[2]
أدِرْ يا غلام كُؤوس المدام ... وإلاّ فيكفيك لحـظٌ وريقُ
أيا من هو الفـوز لي بالمنى ... ومـن هو بالـودّ منّـي حقيقُ
تغنّـم بنـا غفلـة الحادثات ... فوجـه الحـوادث وجـهٌ مفيقُ
وحـثّ الصبـوح لضـوء الصباح ... فمتسـعُ الهـمّ فيه يضيقُ

وقوله [من البسيط] :

وزائـرٍ راع قلـب النـاس منظره ... أحلى من الأمن عند الخائف الوجل[3]
ألقـى علـى الليل ليلاً من ذوائبه ... فهابـه الصبـح أن يبـدو من الخجل
أراد بالهجـر قتلـي فاستجـرت به ... فاستلّ بالوصل روحي من يديْ أجلي

---

(١) البهار : نباتٌ طيب الرائحة ، والبهير : المنقطع النَّفس من شدّة التعب .
(٢) الخلوق : الطيب.
(٣) راع : أخاف ، والوجل : الخائف.

وصــرت فيه أمير العاشــقين فقدْ صارت إمـارة أهـل العشــق من قبلي

وقوله [من الوافر] :

ومــا أبقــى الهــوى والشــوق منّي سوى روحٍ تردّد في خيــالِ
خفيت عن النوائــب أن تراني كأنّ الــروح منّي فــي محـالِ

وقوله [من البسيط] :

ما حكّم البين إلاّ جار محتكماً ولا انتضــى سيفــه إلاّ أراق دما
يا دارهــم خبّرينــا ما الــذي فعلوا فربّمــا جهــل المشتــاق ما علما
الله يعلــم أنّــي يوم بينهمِ ندمـت إذا لم أمـتْ في إثرهــم ندما
قد سرّني أنّهــم قد سرّهــم سقمي فازددت كيمـا يســرّوا بالضّنـا سقما[1]

وقوله [من مجزوء الرجز] :

رمــاه ريمٌ فأصاب ب القلــب منــه إذرمى[2]
واحتــج في قتلته بأنّــه مـا علمـا
يا معشــر النــاس أما ينصفنــي من ظلمـا ؟
علّــم سقــم طرفه جسمــي منــه سقما
فسقــم جسمــي في الهوى من طرفــه تعلّمـا
لــو قيل لي ما تشتهي مخيراً محــكّما
لقلــت أن ألثمــه نحــراً ووجهـا وفمـا

وقوله [من المتقارب] :

لــه مضــحـكٌ برقـه خاطفٌ عقــول الرجــال إذا ما ابتسمْ

---

(١) الضنا : المرض والألم.
(٢) الريم : الظبي الخالص البياض.

أقــول لــه إذ بـدا درّه : شهدنــا لصــانعــه بالحــكمْ
أرى الــدرّ يثقبـه الناظمو ن ومــا ثقبــوا ذا فكيف انتظم ؟!

وقوله [من المتقارب] :

تملّــكت يا مهجتــي مهجتي وأسهــرت يا ناظــري ناظري
وفيك تعلّمــت نظـم الـكلام فلقّبنــي النــاس بالشاعرِ
ومــا كان ذا أملــي يا ظلوم ولا خطــر الهجــر في خاطري

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

وحــديثٍ كأنّه أوبــةٌ من مسافرِ[1]
كان أحلــى مـن الرقا د لدى طرفٍ ساهرِ
بــت ألهــو بطيبه في رياضٍ زواهرِ
بين ساقٍ وسامرٍ ومغــنٍّ وزامـرِ

حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : حضرت مع الشيخ أبي الحسن النمري دعـوة القاضـي أبـي بكر الحميري ، فغنـى بعض القـوالين بهـذه الأبيات [مـن الكامل] :

قــمْ يا غلام إلــى المدامِ قم داونــي منهــا بجامِ
قــم فاسقنــي برق الثغو ر فقـد مضـى برق الغمام
بــادر إلــى صرف الحميّــــا سابقــاً صرف الحمامِ[2]
وتغنّــم الغفــلات من دهـرٍ يجــور علــى الكرامِ

فاستملحها أبو الحسن ، وسألني عن قائلها ، فأخبرتـه أنهـا لأبـي الفـرج

---

(١) الأوبة : العودة.
(٢) حرف الحميّا : أي الخمر الخالصة والحمام : الموت.

الوأواء ، فاقترح عليّ معارضتها ، فارتجلت أبياتا ثم أتممتها قصيدة منها [من الكامل] :

لما بدت روح الضيا ء تدبّ في جسم الظلامِ
وغدت نجوم الليل وهي تفرُّ من حدق الأنامِ
والدّيك يتلو دائماً هجو النيام على القيامِ
ناقضت ما قال المؤذّ ن بالفعال وبالكلامِ
هو قال حيّ على الصلا ة وقلت حيّ على المدامِ

ومنها :

لما رأيت الهم يطرق من أتاه بلا سلامِ
ضيفٌ يزور فليس يأ كل غير لحمي أو عظامي
والدّهر قد حمل السلا ح على الكرام عن اللئام
داويته بالرّاح إنَّ الرّاحَ ترياق الكرام[1]

ومن ملح الوأواء وطرفه قوله في جرب معشوقه [من مجزوء الرمل] :

يا صروف الدهر حسبي أي ذنبٍ كان ذنبي ؟
طرقتني نائباتُ الدّهر في إعلال حبّي
علةٌ عمّت وخصّت في حبيبٍ ومحبٍ
دبّ في كفّيه ما من حبُّه دبٌ بقلبي
فهو يشكو حرَّ حبٍّ واشتكائي حرَّ حبٍ

وقوله في زرقة عين محبوبه [من البسيط] :

يا من هو الماء في تكوين خلقته ومن هو الخمر في أفعال مقلتهِ[2]

(١) الترياق : دواء السموم ، والراح : الخمر .
(٢) طلّ دمي : سفكه .

ومن بزرقة سيف اللحظ طلّ دمي والسيف ما فخره إلا بزرقته
علّمت إنسان عيني أن يعوم فقدْ جادت سباحته في بحر دمعته[1]

وللسري الموصلي في مثله [من المتقارب] :

وقالوا بمقلته زرقةٌ تشين فظلّ لها مطرقا
وهل يقطع السيف يوم الوغى إذا لم يكن متنه أزرقا ؟[2]

ومن ملح الوأواء [من البسيط] :

يا ذا الذي ورد خدّيه إذا أخذتْ منه اللواحظ شيئاً ردّه الخجلُ
ماذا يضرُّك أن تجني وقد ضمنتْ أضعاف ما تجتني من لحظها المقلُ ؟
هذا لعمرك ماعونٌ بخلت به على العيون، وبئس الخلّة البخل![3]

وله [من السريع] :

رثى له ممّا به نابه صبٌّ غدا صبّاً بأوصابِهِ[4]
ميتٌ يرى حياً ولكنَّهُ تربته ما بين أثوابه
أيّ حياة لامرىءٍ قد بلى بالقرب من فرقة أحبابه ؟

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

قد أطلت الصلاة في قبلة الكأ س بتسبيح ألسن العيدانِ
كم صلاةٍ على فتىً مات سكراً قد أقيمت فينا بغير أذان

* * *

(١) إنسان العين : بؤبؤها .
(٢) المتن : الحدّ.
(٣) الماعون : كلُّ ما انتفع به من أشياء البيت والخلّة : السجيّة والصفه.
(٤) الأوصاب : الأمراض.

٢٢ ـ أبو طالب الرقّي

لم أجد ذكره إلا عند أبي بكر الخوارزمي ، وسمعته يقول : إنه أحد المقلين المحسنين ، الذين يطبقون المفصل في أغراضهم ، وينظمون الدر المفصل في معانيهم وألفاظهم ، ثم أنشدني له قوله [من الكامل] :

ولقـد ذكرتـك في الظـلام كأنّه ... يوم النـوى وفـؤاد من لم يعشقِ
وكأنّ أجـرام النجـوم لوامعاً ... دررٌ نثـرن علـى زجـاجٍ أزرقِ
والفجـر فيه كأنّـه قطـر الندى ... ينهـلُّ من سحِّ الغمـام المغدق[1]

وقوله [من الكامل] :

ومعيرُ وجـه البـدر ما في وجههِ ... والغصـن ما في قدّه المتأوّد[2]
رمـدت جفونـي من تورُّد خدِّهِ ... فكحلتهـا من عارضيـه بإثمـدِ[3]

وقوله [من الكامل] :

ديبـاجُ خدِّك بالعـذار مطرّزٌ ... وشبيه وجهـك في البـرايا معوز
وكأنّمـا إنسـانُ عينـك شاهرٌ ... سيف اللحـاظ يصيح : من ذا يبرُزُ ؟
يا من أعـزّ بذلتـي في حبِّه ... مثلـي رأيت بذلّـةٍ يتعزّزُ ؟

وقوله [من الطويل] :

ومشتمـلٍ ثوبـي عفـافٍ وفتنةٍ ... يرى قتل من يهوىٰ إلى النّسك مسلكا
إذا طاف بالأركان طاف به الورى ... فيقضي ولا يقضـون للحـجِّ منسكا[4]

---

(١) سح الغمام : هطوله.
(٢) المتأوّد : المتثنّي والمتمايل.
(٣) العارض : صفحة الخدّ ، والاثمد : الكحل.
(٤) المنسك : فرض من فروض الحج.

جنـى اللحـظ من خدّيه ورداً مورَّداً ومـن عارضيه ياسمينـاً ممسكا[1]
فيا رائحـاً منـه بأوفـر فتنةٍ تجهّـزْ لعـامٍ بعـد هـذا لعلّكا

وقوله [من الرجز] :

مصفـرة الظاهـر بيضـاء الحشا أبـدع في صنعتهـا ربّ السّما
كأنّهـا كفٌّ محـبٍّ دنفٍ مبعـد يحسِـبُ أيّام الجفا

وقوله [من المنسرح] :

ووردةٍ في بنـان معطار جئـت بهـا في لطيف أسرارِ
كأنّهـا وجنـة الحبيب وقدْ نقّـطهـا عاشـقٌ بدينـار

(١) الممسّك : المشوب بالمسك.

الباب التاسع

في ملح أهل الشام ومصر والمغرب
وطرف أشعارهم ونوادرهم

هذا باب كثرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة ، وتطرفتها من أثناء التعليقات ، ولم أجد لأصحابها أشعاراً مجموعة يتفسح في طريق الاختيار منها ، وإنما هي تفاريق تلتقي أطرافها ، وتجتمع حواشيها ، ولن تعدم القلائد فيها بحمد الله ومشيئته .

أنشدني أبو بكر الخوارزمي للتلعفري ولم يسمه ولم يكنه [من السريع] :

ما أصعب العيش على بائسٍ   معاشه في حلب النحوُ
ليس له في بردها جبةٌ   ولا قميصٌ لا ولا فروُ

ثم أنشدني له مرة هذين البيتين ومرة لبعضهم وزعم أنهما مما يتغنى بهما [من مخلع البسيط] :

يا راكب العيس قفْ وعرّج   واقرأ سلامي على بني طي
وقل لهم ظبيكم جفاني   لما رآني وما معي شي

ووجدت للسري والسلامي هجاء في التلعفري يدل على أنه من مذكوري الشعراء بتلك البلاد .

ثم أنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن أحمد

التلعفري بنصيبين لنفسه من قصيدة أولها [من الكامل] :

من ذا يدلّ علـى الرقـاد جفوني قـد ضاع بين صبابتـي وشجوني
أمّـا النجـوم فقـد ألفـن رعايتي والعائـدات فقـد مللـن أنيني

قال : وأنشدني أيضاً علي بن محمد الشاشي بميا فارقين ، قال : أنشدني لنفسه في غلام نصراني [من الوافر] :

غريب الحسن ، مَنْ سمّاك بدرا ؟ وبـدر التـمّ ، في خدّيك خالُ
كتمـت هواك إذ قلبـي سليمٌ فذاب القلـب وانحـلّ العقال
وكنـت كمـودع الحلفـاء ناراً وكتـم النـار في قصـبٍ محالُ[1]

وأنشدني أيضاً [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ سهـرت حتـى تجلّى مغرمـاً في ظلامـه أتقلّى[2]
والثـريّا كأنّهـا رأس طِرفٍ أدهـمٍ زيـن باللّجـام المحلّى[3]

وقوله [من الكامل] :

ومتيّمٍ أبـدى إلـيَّ غرامه فعذلتـه والعـذل فعـل الجاهلِ
حتـى إذا أبصـرت مالك رقه كادت لواحظـه تصيب مقاتلي
إن عدت أعـذل عاشقـاً من بعده فأصابنـي ربّـي بحتفٍ عاجلِ

* * *

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني أبو نصر بن أبي الفتـح بن كشاجـم بصيداء

(١) الحلفاء : نبات محدّد الأطراف يصنع من ورقه القفف والحصر والحبال وهي سريعة الاشتعال.
(٢) أتقلّى : أتحرّق.
(٣) الطرف : الحصان.

الشام لنفسه في وصف الكتاب من أبيات [من المنسرح] :

وصاحبٍ مؤنسٍ إذا حضرا ... جالسني بالملوك والكبرا
جسمٌ مواتٌ تحيا النفوس به ... يجلُّ معنىً وإن دنا خطرا
ملكت منه كنزاً غنيت به ... فما أبالي ما قل أو كثرا
أظلّ منه في مجلسٍ حفلٍ ... بالنّاس طرّاً ولا أرى بشرا
وإن أُطفِّلْ بهِ فيا لك من ... مستحسنٍ منظراً ومختبرا[1]
أعجب به جامعاً ولو جعلتْ ... عليه كفّ الجليس لاستترا

وله في شمعة [من المنسرح] :

بركة صفرٍ عمودها شمعٌ ... تفيض ناراً من موضع الماءِ
تبكي إذا ما المقصّ خمّشها ... فرط حياء من الأخلاّءِ
كأنّها عاشقٌ مخايله ... فيه بوادٍ لمقلة الرّائي
صفرة لونٍ ، وذوب معتبةٍ ... ودمع حزنٍ ، ونار أحشاءِ[2]

قلت : شبه أربعة بغير حرف تشبيه ، وقال في بخيل [من الطويل] :

صديقٌ لنا من أبدع النـاس في البخل ... وأفضلهم فيه وليس بذي فضلِ
دعاني كما يدعو الصديق صديقه ... فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي
فلما جلسنا للطعام رأيته ... يرى أنّه من بعض أعضائه أكلي
ويغتاظ أحياناً ويشتم عبده ... وأعلم أنّ الغيظَ والشتمَ من أجلي
فأقبلت أستلُّ الغذاء مخافةً ... وألحاظ عينيه رقيبٌ على فعلي
أمدّ يدي سرّاً لأسرق لقمةً ... فيلحظني شزراً فأعبث بالبقل[3]

---

(١) أطفّل : أي يبقى حتى الغروب.

(٢) المعتبة : أي عاتبة من العتاب ، أو غاضبة.

(٣) الشزر : النظر بغضب.

إلى أن جنت كفّي لحتفي جنايةً ... وذلك أنّ الجوع أعدمني عقلي
فجرَّتْ يدي للحين رجل دجاجةٍ ... فجرّت كما جرّت يدي رجلها رجلي
وقدّم من بعد الطعام حلاوةً ... فلم أستطع فيها أمرٌّ ولا أحلي
وقمت لو اني كنت بيّت نيّةً ... ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكلِ

وكتب على تفاحة حمراء بالذهب إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل ابن الفرات وأنفذها إليه وقد خرج إلى متنزهه بالمقس [من المنجتث] :

إذا الوزير تجلّى ... للنيل في الأوقاتِ
فقد أتاه سميا ... ه جعفر بن الفراتِ

وله في طبيب[من المجتث] :

عيسى الطبيب ترفقْ ... فأنت طوفان نوحِ
يأبى علاجك إلاّ ... فراق جسمٍ لروحِ
شتان ما بين عيسى ... وبين عيسى المسيحِ
فذاك محيي مواتٍ ... وذا مميتُ صحيحِ

وقال في فصد إسحاق بن كيغلغ [من المنسرح] :

يا فاصداً شقّ عرق إسحاق ... أي دمٍ لو علمت مهراقِ ؟[1]
سفكته من يدٍ معودةٍ ... لنيل مالٍ وضرب أعناقِ
لو يوم حرب أصبت من دمه ... إذاً أقام الدّنيا على ساقِ

وأنشدني له يصف جونة الطعام من قصيدة مزدوجة [من الرجز] :

وجونةٍ موصوفةٍ من الجونِ ... قد جمع الطباخ فيها كلّ فنٍّ[2]

---

(١) الفاصد : الذي يخرج الدم من الجسم بآلة حادة .

(٢) الجونة : سلّة مستديرة تكون مع العطارين ويوضع عليها الطيب .

مــن كلٍّ سخــنٍ منضــجٍ وباردِ ما بين ألــوانٍ إلــى بوارد
فمــن رقــاقٍ ناعــم رقاق يحمــد في المنــظر والمذاق
وأرغف تشــفّ للصفــاء كمــا تشفُّ أوجـه المرائي
ومن مصوصٍ من مخاليف الحجل كأنّمــا كانــت ترفُّ في الجبلْ(١)
ومــن فراريج بمــاء الحصرم تصلــح للمخمــور أو للمحتمي
قــد شوّشــت أكبادهــا ببيض فهــي كمثــل نرجسٍ في روض
وجاءنــا فيهــا ببيضٍ أحمر كأنــه العقيق ما لم يقشرِ
حتــى إذا قدّمــه مقشّرا أبــرز من تحــت عقيقٍ دررا
حتــى إذا ما قطــع البيض فلقْ رأيت منــه ذهبــاً تحــتَ ورقْ
يخــال أنّ الشطــر منــه من لمحْ أعــاره تلــونيه قوس قزحْ
مــا بين أوســاطٍ لطــاف القدِّ مقــدودةٍ كمثــل قدِّ الندِّ
مــن صدر درّاج وصــدر حجلهْ بملحهــا وبقلهــا متبلّـه(٢)
فيهــا جبــن صادق الحرافه مقطّــعُ باللــطــف والنظافـهْ
قــد ألبسـت قضبــان طلــعٍ غضّه كأنّهـا سلاســل مــن فضهْ(٣)
وجــاءنــا فيهــا بباذنجان مثــل قدود أكــر الميدان(٤)
قــد قارن الهليـون بالممازجة تقــارن الــكــرّات بالصوالجـه
ثــم أتــت سكارج الكوامــخ كمثــل أنــوارٍ من اللخالخ(٥)
مــا بين طرخــونٍ وبين صعتر وفيجــنٍ غضٍّ وبين كزبر(٦)

---

(١) المصوص : الفراريج الطريّة اللحم.
(٢) الدرّاج : طائر يشبه الحجل.
(٣) الطلع من النخل شيء كالكوز يخرج منه وفيه حب منضود .
(٤) الأكر : جمع أكرة وهي الكُرة.
(٥) السكارج : الآنية التي يؤكل فيها الكوامخ : جمع كامخ نوع من الأدم معرّب اللخالخ : ضرب من الطيب.
(٦) الطرخون : نبات ، والفيجن : الزاب .

وبين بن عدة المشطور كأنّه تعلية النحور[1]
ثم أتى براضعٍ لم يعتلفْ كأنّ في جنبيه قطناً قد ندفْ
وحَمَل مبزرٍ مشبر كأنّه مضمّخٌ بعنبرِ
يتلوه جديٌ قارسٌ بخلٍّ كأنّه بالزعفران مطلي
تخاله في خلّه المزعفر مركباً تحت عقيقٍ أحمر
وقد عملت أطرافه سلاقهْ عجيبة الصنعة والمذاقهْ
زيدت من الخردل والصباغ وكشف القحف عن الدماغ
وصفّ فيه فلق الرمان مثل رصيع خرز المرجانِ
ثم أتى بناطفٍ هيّاج يحرُّ طبع البارد المزاج[2]
كأنه في العين والقياس سبائكٌ جاءت من الروباس[3]
ثم أتانا بعده لوزينج كأنّه في الأتحمي مدرج[4]
تنشله من دهنه العميق كما أخذت بيد الغريقِ
وجاءنا الغلمة بالمدام ونحن لم ننهض من الطعامِ
بغير ترتيبٍ ولا صواني وغير أنقالٍ ولا ريحان[5]
لأنّ في الجونة أنواع الأرب وعوضاً من كلّ شيءٍ يطلبُ
هذا هو النوع الذي أختاره ليس الذي عذّبنا انتظاره

* * *

وأنشدني عبد الصمد بن وهب المصري ، قال : أنشدني أبو نصر بن أبي

---

(١) المشطور : الخبز المطلي بالكامخ .
(٢) الناطف : نوع من الحلوى البيضاء.
(٣) الروباس : الفضّة.
(٤) الأتحمي : نوع من البرد .
(٥) الأنقال : ما يقدم مع الخمرة من فستقٍ وغيره.

الفتح كشاجم لنفسه [من الخفيف] :

غبط الناس بالكتابة قوماً حرموا حظّهم بحسن الكتابهْ
وإذا أخطأ الكتابة حظٌّ سقطت تاؤها فصارت كآبهْ

* * *

وأنشدني الخوارزمي لعبد الرحمن بن جعفر النحوي الرقي [من مجزوء الرمل] :

قل لمن تاب ولم يقـ ـض من اللّذات نحبَهْ
توبة الحشويّ لا تعـ ـدلِ عند الله حبّه
أمُّ من تسبقه أنـ ـت إلى الجنّة قحبه

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي ، قال : أنشدني أبو العميد هاشم بن محمد المتيم الاطرابلسي لنفسه [من الهزج] :

مضت للهو أوقات وللأوقات لذَّاتُ
إليها أنا مشتاق وقد فاتت بمن فاتوا
وما لي عوضٌ عنهم وأحيا الناس أموات
مضى أهل المروءاتِ فلم تبقَ المروءاتُ

* * *

وقرأت في كتاب التحف والظرف لابن لبيب غلام أبي الفرج الببغاء لأبي عمارة الصوفي في ثقيل خفيف على القلب [من الخفيف] :

وثقيلٍ لو كان في حسناتي وجميعُ الأنام في سيئاتي
لاستخفّ الذنوب بل كسر الميـ ـزان من ثقله على الكفّاتِ

وله في ثقيل [من الطويل] :

ثقيلٌ براه الله أثقـل من برى ففـي كلِّ قلـبٍ بغضـةٌ منـه كامنهْ[1]
مشـى فدعـا من ثقلـه الحـوت ربّه فقال : إلهي زدت في الأرض ثامنه ؟

* * *

وأنشدنا أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيم في كتاب أشعار الندماء لأبي الحسن الممشوق الشامي ـ ولست أتحقق اسمه ـ في المشمش [من الرجز] :

أمـا ترى المشـمش يا خلّ الأدب مشطّبـاً أكرم بهـاتيك الشّطبْ
مثقّـبُ الهامـات من غير ثقبْ كأنّهـا بنـادقٌ من الذّهب

* قد صاغها صائغها بلا تعبْ *

وله في جام فالوذج [من الكامل] :

إنـي اتخـذت أبـا علـيٍّ ذا العلا معقـودةً لك ذات طعـمٍ طيِّبِ
فقـد اغتـدت في جامهـا وكأنّها شمسٌ علـى بدر أوانِ المغربِ[2]
وتخـال فيهـا اللـوز وهـو منصف أنصـاف درٍّ فوق صحـنٍ مذهبِ
فتعـال نخمش وجههـا بأكفِّنا غضبـت علينـا أو غدت لم تغضبِ

وأنشدني غيره للممشوق [من المتقارب] :

فـؤادي كَفيْكِ إذا ما نطقت وصبـري كخصـرك فـي دقّتهْ
ومـا آس عارضـك المستنيـ ـر كالقلـب منّـيَ في حرقته[3]
وبالجسـم منّـي الـذي يشتكيـ ـه طرفـك من غير ما علّته

---

(1) براه الله : أنحله .
(2) الجام : الإناء من فضة .
(3) الآس : الريحان ، ورقه عطر ، خضرته دائمة .

أشبــه وعـدك إمّــا وعدت بعقــرب صدغـك في عطفته
وأزداد في كلٍّ يومٍ هوى وحبّيك يـزداد فـي فتنتـه

وأنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدنـي أبـو الحســن الممشـوق صاحب المتنبي لنفسه [من الخفيف] :

ليلـةٌ بتّهـا بقرتـمَ أسقي عاتقـاً عتّقـت مداهـا الدّهورُ
وكأنّ السمــاء والبــدر والأنجــــــم روضٌ ونــرجسٌ وغديرُ

* * *

وأنشدني أيضاً محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن محمد الأنطاكي [من الكامل] :

لمــا تأمّــل جودك القطرُ وسمــا ليدرك صـدرك البحرُ
خجــلا جميعــاً مثــل ما خجلا إذ قابـلاك الشـمس والبدرُ
يا صالــح الخيـرات ما صلحا إلاّ لك التـأييد والأمـر

* * *

وأنشدني أيضاً للحسن بن عبد الرحيم الزلالي صاحب كتاب الأسجاع على معنى الحمدوني في طيلسان ابن حرب [من مجزوء الرمل] :

طيلســانٌ كان رسـماً ثم قـد أصبــح وهما[1]
لا تراه العين إلاّ بعــد أن يهجــع حلما
تتعــب المقلــة كي تد رك منه أثــراً ما
تعــب الفـكرة في إخـ ـراجهــا البيـت المعمّى

---

(١) الطيلسان : كساء أخضر لا تفصيل له يلبسه خواص العلماء والمشايخ .

وقوله [من الرمل] :

نظـرةٌ كانـت لحتفـي سببا   جلـب الحين لهـا ما جلبا
ضحـكت أسمـاء من ذي لمّةٍ   ضاحـك الأشيب فيه الأشيبا
إنّمـا يعـرف أيامِ الصبِّا   من صبـا في غير أيّام الصبّا

* * *

وللأنطاكي في وصف عود [من البسيط] :

وبـربطٍ صحـب الترنـام نغمته   أحلى من اليسـر وافـى بعـد إعسارِ[1]
يملـي القـريض عليه لفـظ محسِنه   فينبـري مخبـراً عنهـا بإجهـارِ
ما حثّ أوتـاره في وجـه نائبةٍ   إلاّ استفـاد بتـاراتٍ وأوتار
تحنـو عليه أمٌّ تخاطبه   سرّاً فيخبـر بالنّجـوى بإظهار[2]
وإن هفـا عركت آذانـه شفقاً   عليه من وصمـة النقصـان والعار

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي وغيره لتميم بن معد أبي تميم صاحب مصر ، وهي مشهورة [من الكامل] :

ما بان عذريَ فيهِ حتّـى عذَّرا   ومشـى الدجـى في خدّه فتحيّرا
همّـت تقبّلـه عقـارب صدغه   فاستـلّ ناظـره عليهـا خنجـرا
والله لولا أن يقـال تغيّرا   وصَبـا وإن كان التصابـي أجدرا
لأعـدت تفـاح الخـدود بنفسجاً   لثمـاً وكافـور الترائـب عنبرا[3]

* * *

---

(١) البربط : آلة موسيقية تشبه العود والترنام : النغم والغناء.
(٢) النجوى : السرّ.
(٣) الترائب : جمع تريبة ، وهي موضع القلادة من الصدر.

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدت بمدينة السلام لمعد ابن تميم ويروي للوأواء [من السريع] :

لا تظلمــوا النــاس ولا تطلبوا   بثــأريَ اليوم أذى مسلــمِ
ويا لقومــي دونــكم شادناً   معتــدل القــامة والمبســمِ
وإنْ أبــى إلاّ جحوداً له   واكتتــم الأمــر فلــم يعلم
قولــوا له يكشف عن وجهه   فإنّ فيه نقطــةً من دمي

وأنشدني المصيصي له [من المنسرح] :

وَجْنَــةُ من شفّنــي هواه ومن   أفنيت فيه دمــوع آماقي[1]
كأنّمــا الصيرفــيُّ دنَّــر ما   نجــم منهــا ودرهــمَ الباقي[2]

ووجدت له من قصيدة [من الطويل] :

ومــا بلــد الإنســان إلاّ الــذي به   لــه سكنٌ يشتــاقــه وحبيبُ
إلــى الله أشــكو وشــك بينٍ وفرقةٍ   لهــا بين أحشــاء المحــبِّ ندوبُ
ترى عندهــم علــمٌ وإن شطَّــت النوى   بأنَّ لهــم قلبــي علــيَّ رقيب[3]

* * *

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه لأبي منصور نزار بن معد أبي تميم وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه وعقد المأتم عليه [من المنسرح] :

نحــن بنــو المصطفــى ذوو محنٍ   يجرعهــا في الحياة كاظمنا[4]

---

(١) شفني : براني وآلمني ، والآماق : عروق الدمع .
(٢) دنّر : أي جعلها كالدنانير.
(٣) شطّت : باعدت.
(٤) الكاظم : المتحمّل للمحن والصابر عليها

عجيبـــةٌ في الأنـــام محنتنـا أولّنـــا مبتلـى وآخرنـا
يفـــرح هذا الـــورى بعيدهم طرّاً وأفـــراحنـــا مآتمنـا

* * *

وأنشدني المصيصي للأمير تميم [من الطويل] :

شربنـــا علـــى نوح المطوّقـــة الورقِ وأردية الـــروض المفوفـــة البلقِ
معتّقـــةً أفنـــى الزّمـــان وجودها فجاءت كفوت اللحـظ أو رقّـةِ العشق
كأنّ السحـاب الغـــرَّ أصبحـــن أكؤساً لنـــا ، وكأنّ الـــراح فيهـــا سنـــا البرق
فبتنـــا نحـــثٌّ الـــكأس فينـــا ، وإنّنا لنشربهـــا بالحـــثِّ صرفـــاً ونستسقي[1]
إلـــى أنْ رأيت النجـــم وهـــو مغرِّبٌ وأقبلن رايات الصبـــاح من الشرق
كأنّ سواد الليل والفجـــر طالعٌ بقية لطـخ الكحـل في الأعين الزرق

أحسن في هذا البيت ما شاء .

* * *

وأنشدت للمرواني في الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبـــدر في جوٍّ السمـــاء قد انطوتْ طرفـــاه حتـــى عاد مثـــل الزورقِ
وتـــراه من تحـــت المحـــاق كأنّما غرق الـــكثير وبعضـــه لم يغرق

وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

* قد أثقلته حمولةٌ من عنبر *

قال : وسمعت الشيخ الإمام أبا الطيب يحكي أن المرواني صاحب الأندلس كتب إليه صاحب مصر كتاباً يسبه ويهجوه فيه . فكتب إليه « أما بعد فإنك عرفتنا

(١) الصرف : الصافية الغير ممزوجة .

فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك ، والسلام » .

وأنشدني أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني الوليد بن بكر الأندلسي الفقيه المالكي لأميرهم محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني ، من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر يفتخر [من الطويل] :

ألسنا بني مروان كيف تبدَّلتْ　　بنا الحال أو دارت علينا الدوائرُ ؟
إذا ولد المولود منّا تهلَّلت　　له الأرض واهتزَّت إليه المنابرُ

وذكر أن المستنصر وهو أبو الحسن قتل ابن أخيه خوفاً منه على المملكة .

* * *

قال : وأنشدني لوزير المستنصر وهو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي [من البسيط] :

يا مَنْ أراني بألحاظٍ يصرّفها　　عنّي الصبا والهوى رشدي وتوفيقي
جمعت فيك غليل العاشقين كما　　جمعت ما تشتهي من كلٍّ معشوقِ

وله أيضاً [من الطويل] :

لعينيك في قلبي عليَّ عيونُ　　وبين ضلوعي للشجون شجونُ
لئن كان جسمي مخلقاً في يد الهوى　　فحبُّك غضٌّ في الفؤاد مصونُ
نصيبي من الدّنيا هواك ، وإنه　　عذابي ولكنّي عليه ضنينُ(١)

وله أيضاً في الخمر [من الكامل] :

صفراء تطرق في الزّجاج فإن سرتْ　　في الجسم دبّت مثل أيمٍ لاذع(٢)

---

(١) ضنين : حريص.
(٢) الأيم : الحيّة، ولدغ : عضّ.

لم يحسن في تشبيه دبيب الخمر في جسم شاربها بدبيب الحية اللادغة ، وقد أحسن في البيت الذي يليه جداً :

خفيت علـى شرَّابهـا فكأنّهـم ... يجـدون ريّاً من إنـاءٍ فارغِ

* * *

قال : وأنشدني لعيسى بن وطيس كاتب المستنصر [من البسيط] :

يا سيداً أفرطَـتْ بالعبـد سطوتُهُ ... ما كلُّ مالك رقٍّ مغضـبٌ حنقٌ
أعتـقْ وإلاّ فبـعْ، كم ذا تعذبني ؟ ... إنّ العبيد إذا ما عذبـوا أبقوا[1]
وثقـت منّـي بأنَّ الحـبَّ قيَّدني ... أجـل وحقـك إنّـي فوق ما تثق

ومعنى بيته الثاني مما يزيفه نقدة الشعـر المتغزلـون ولا يرضونـه . وإنمـا يميلون إلى مثل ما قال أهل العصر [من الخفيف] :

لـي مَولـى أقسـى البـرية قد قا ... سيت فيه الهمـوم والأشواقا
قلـت إذ لجَّ في جفائـيَ واحتـ ... ـجّ عليه فسـاق نحـوي السّياقا
أيهـذا المليك رأيك في سو ... ءِ امتـلاكي فلن أروم الفراقا

* * *

قال : وأنشدني حبيب بن أحمد الأندلسي لنفسه [من الطويل] :

ثلاثـون من عمـري مضين فمـا الذي ... أؤمّـلُ من بعـد الثـلاثين من عمري
أطـايب أيامـي مضين حميـدةً ... سراعـاً ولـم أشعـر بهـنّ ولـم أدرِ
كأنّ شبـابي والمشيـب يروعـه ... دجـى ليلـةٍ قد راعهـا وضـح الفجرِ

---

(١) اعتِقْ : من العتق : وهو التحرير والأبق : الهرب .

وأنشدت لأحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوي[1] [من الوافر] :

إذا ما نلتَ من دنياك حظاً ... فأحسنْ للغنيِّ وللفقيرِ
ولا تمسك يديك على قليلٍ ... فإنّ الله يأتي بالكثير

* * *

٢٣ ـ عبد المحسن بن محمد الصوري

أحد المحسنين الفضلاء ، المجيدين الأدباء ، وشعره بديع الألفاظ ، حسن المعاني ، رائق الكلام ، مليح النظام ، من محاسن أهل الشام ، فمن شعره قوله [من الكامل] :

أترى بثأرٍ أم بدينِ ... علقت محاسنها بعيني
في خصرها وقوامها ... ولحاظها ما في الرّديني
وبوجهها ماء الشبا ... ب خليط نار الوجنتينِ
بَكَرتْ عليّ وقالت اخـ ... ـتر خصلةً من خصلتين[2]
إمّا الصدود أو الفرا ... ق فليس عندي غير ذين
فأجبتها ومدامعي ... منهلّةٌ كالمرزمين[3]
يا هذه لا تعجلي ... إن حان بينك حان حيني[4]
فكأنّما قلت اذهبي ... فمضت مسارعةً لبيني

قال : وأعطاه بعض الأمراء عمامة حسنة فلبسها أياماً ، ثم باعها ، ولبس عمامة

---

(١) سينشد البيتين فيما يأتي لأحمد بن محمد بن عبد الكريم النحوي.
(٢) بكرت : أتته باكراً.
(٣) المرزم : المطر المصحوب بالرعد.
(٤) الحين : الأجل.

لطيفة ، ومشى ، فقال بعض من رآه : ثقلت عليه العمامة فباعها . فقال ارتجالا [من الكامل] :

قالـوا عسـى ثقلـت عليـ ـه فباعهـا من غير عدمِ
والله ما ثقلـت علـ ـيَّ عمامتـي بل خفَّ كمي

وقوله [من الطويل] :

وكم آمـرٍ بالصبـر لم يرَ لوعتي ... ومـا صنعـت نار الأسـى بين أحشائي
ومـن أين لي صبـرٌ وفـي كلِّ ساعةٍ ... أرى حسناتـي في موازين أعدائي ؟

وقوله [من الوافر] :

ومعتـذر العـذار إلى فؤادي ... لجـرمٍ سابـقٍ من مقلتيهِ
وكم أعرضـتُ عنـه فأعرضـتْ بي ... عن الإعـراض خضـرةُ عارضيهِ
ولمّـا قلـت إنّ الشعـر يسعى ... لقلبـي في الخـلاص سعـى عليهِ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

لحـظـاتٌ تتـرامـى ... بـي الـى المرمـى القصيٍّ
طـرحتني مـن عليٍّ ... بيـن ألحـاظ علـيٍّ
فادّعـى رقـي ومـا رقـ ... ـى بدعـوى المدّعـي
أنـا عبـد المحسـن الصو ... ريّ لا عبـد المسـي

وقوله [من مجزوء المتقارب] :

جنـى ما جنـى وانصرفْ ... وأنـكر ثـمّ اعترفْ
وظـنّ بـأن القصـا ... ص يمنـع منـه الترف
سلـوا صدْغَـهُ لِمْ جرى ؟ ... ولمّـا جرى لِمْ وقفْ ؟
وكـان علـى أنّـه ... يجـوز المـدى فانعطـف

وقوله [من مجزوء الرمل] :

بـالـذي ألهـم تعذيـــــبي ثنـاياك العـذابا
والـذي ألبس خدّيــــك مـن الـورد نقابا
والـذي صيّـر حظي منـك هجـراً واجتنابا
يـا غزالاً صاد باللّحـــظ فـؤادي فأصابا
مـا الـذي قالتـه عينا ك لقلبـي فأجـابا ؟

وقوله [من السريع] :

تعلّمــت وجنتــه رِقيةً لعقـرب الصـدغ فمـا تلسعُ
صمّت عن العـاذل في حبِّهِ أذني فمـا لي مسمـعٌ يسمعُ

وقوله في صبي اسمه عمر [من السريع] :

نادمنـي من وجهــه روضةٌ مشرقــةٌ يمـرح فيهـا النّظر
فانظـر معـي تنظـر إلـى معجزٍ سيف علـيٍّ بين جفنـي عمرْ

وقوله [من الطويل] :

زففـت إلـى نبهـان من عفـو فكرتي عروساً غدا بطن الكتاب لهـا خدرا[1]
فقبّلهـا عشـراً وهـام بذكرها فلمّـا ذكرت المهـر طلّقهـا عشرا

وأنشدني له وقد مر بقبر صديق له [من الخفيف] :

عجبـاً لي وقـد مررت بآثا رك أنّـي اهتـديت قصـد الطريقِ
أترانـي نسيت عهـدك يوماً صدقـوا ما لميّتٍ من صديق

---

(١) الخدر : الستر والخباء .

وقوله [من الخفيف] :

أمنـــون بدت لنـــا أم جفونُ حركاتٌ للسّقـــم فيهـــا سكونُ
بعتهـــا ما حييت طول هجوعي بدمـــوعي فأيّنـــا المغبـــون ؟[1]

وقوله [من الطويل] :

تعلّقتـــه سكران من خمـــرة الصبا به غفلـــةٌ عـــن لوعتـــي ولهيبي
وشاركنـــي في حبِّـــه كلُّ أغيدٍ يشاركنـــي في مهجتـــي بنصيبِ
فلا تلزمونـــي غيرةً ما عرفتها فإنّ حبيبـــي مَنْ أحـــبَّ حبيبي

وقوله [من السريع] :

قلـــت وقـــد أوردنـــي حبُّهُ موارداً ليس لهـــا مصدرُ
أفســـدت دنياي ولا دين لي تفســـده فاصـــدعْ بمـــا تؤمرُ[2]

وقوله [من الطويل] :

أتابعـــت أهـــل البيعـــة اليوم في دمي غلبـــت فخـــذ أخطارهـــم وتقدَّمِ
ولا تورثـــنْ عينيك سقمـــي فإنّهُ حرامٌ علـــى الذّمـــيٍّ ميراثُ مسلمِ

وقوله [من السريع] :

رأيت ما لم يره رائي ماءً غدا يسبـــح في ماءِ
أومـــأت باللحـــظ إلـــى جسمه فكاد أنْ يدميه إيمائي

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ظبـــيٌ أقـامَ قيامتـي من قبـــل أنْ تأتـــي القيامهْ

---

(١) المغبون : المنتقص حقّه.
(٢) اصدعْ : امتثل.

عــطــب القلــوب جفونــه فعــلام سمّــوه سلامــهْ ؟

وقوله [من الخفيف] :

ولئــن كنــت قد رحلــت بقلبي فاعلمــي أن سرّ حبــك فيهِ
لا تقــولـي ضيّعتــه بعــد بين ضيعيه إن شئــت أو فاحفظيه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

رقّــت فكادت لا تــرى فــي كأســهـا إلاّ التّماسا
لــولا الحبـاب لخالهــا شرّابهــا فــي الــكأس كاسا

وقوله [من المنسرح] :

لمّــا تبيَّنــتُ أنَّ حبّكمْ يحســن عنـدي وليس يحســن بي
بشّــرت طرفــي بحســن عاقبتي فيكم وقلبــي بســوءِ منقلبي

وقوله [من الخفيف] :

يا مطيع العــذول في عصياني ومذيقــي حــرارة الهجــران
اتــق الله لا ترعنــي بالصــــــدّ وجــازِ الإحسـان بالإحسان[1]
كيف أبقـى علـى الزمــان وهجرا نك ممّــا جنــت صروف الزمان
صرت أجفوك مكرهـاً وعلـى الحــــبّ دليلٌ من ناظــري ولساني
فــإذا عدت بالتجلُّــد عنكمْ كذّبتنــي نواظــر الأجفان
كيف تجنــي ولا تخــاف عقاباً وفــؤادي معاقــبٌ غير جاني
خــلّ ما بين مقلتيك وقلبي فعلينــا يدٌ من السلطـانِ
لا تكونــن ثالثــاً لقويّــ ـن فلــو كان واحــدٌ لكفاني
لك والله في صميم فؤادي لذّةُ المــاء في فم العطشان

---

(١) ترعني : تخفني ، والصدّ : الإعراض.

وقال يهجو بعض من أضافه [من الخفيف] :

وأخٍ مسَّه نزولي بقرحٍ ... مثل ما مسّني من الجوع قرحُ(1)
قيل لي إنّه جوادٌ كريمٌ ... والفتى يعتريه بخلٌ وشحُّ
بت ضيفاً له كما حكم الدهـ ... ـر وفي حكمه على الحرِّ قبحُ
قال لي إذ نزلت وهو من السكـ ... ـرة والهمّ طافحٌ ليس يصحو
لِمْ تغرَّبت قلت قال رسول اللـ ... ـه والقول منه نصحٌ ونجحُ
سافروا تغنموا فقال وقد قا ... ل تمام الحديث صوموا تصحّوا

وقوله [من الخفيف] :

بدر تمٍّ يثنيه دعصٌ وخوطُ ... عذري في عذاره مبسوطُ
أيّ درٍّ للثقب أيُّ كتابٍ ... لو تأتَّتْ بصفحتيه الخطوط
وإذا اغترّ قلت ظبيٌ غريرٌ ... وإذا افترَّ قلت درٌّ سقيط(2)

وقوله [من الرجز] :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترفْ ... وتاب مما قد جناه واقترفْ
لقوله قل للذين كفروا ... إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلفْ

وقوله [من المنسرح] :

طرَّةُ مسكٍ وشاربٌ أخضرْ ... وثغرُ درٍّ ومقلتا جؤذرْ(3)
ريمٌ إذا رمت أن أكلّمه ... كلّمني من جفونه خنجرْ
وإن تعوّضت من عوارضه ... لثماً تجنّى عليَّ واستكبرْ(4)

---

(1) القرح : الجرح ، والمرض.
(2) افتر : ضحك وتبسّم.
(3) الجؤذر : البقر الوحشي.
(4) تعوّض : استبدل.

كأنّ خيلانه ووجنته سماء حسنٍ نجومها تزهرْ
سبحان من صاغه على قدرٍ فذلك الله خير من قدَّرْ

وقوله [من السريع] :

يا حار إنّ الركب قد حاروا فاذهب تجسّس لمن النّارُ
تبدو وتخبو إنْ خبت وقفوا وإن أضاءت لهم ساروا[1]
قام عليها موقدٌ مرشدٌ له بفضل الزّاد إيثار
فلا تلوموني إذا مسّكم أو مسّها من قربكم عار
وسائلٍ يسأل عن حالتي قلت كما تهوى وتختار
وأين ما أسررت في لحظه ممّا أسرَّ الطين والقار[2]
ما نظرةٌ إلاّ لها سكرةٌ كأنّما طرفك خمّارُ
هذا هوىً يصدر عنه جوىً تتلوه لوعاتٌ وأفكارُ
وهذه أفعالها هذه ما بعد رأي العين إخبار
ولست أعتدُّ عليك الضّنا ألست من جفنيك أمتار ![3]

وقوله [من الطويل] :

هواي الذي أبدى وأضمره يحيى وسؤليَ في دار الخلود وفي الدُّنيا
وعيني التي أرعى بها من يودّني وكفّي التي أرمي الأعادي بها رميا
أأصبر عن يحيى وأطوي وصاله إذاً فطواني عنه صرف الرّدى طيّا
كتمت الهوى جهدي ونفّيت طاقتي وقد زاد حتى ما أطيق له نفيا
يودُّ أناسٌ لو عميت عن الصبّا إذاً فأراني الله أعينهم عميا

---

(١) خبت : انطفأت أو ضعفت.
(٢) القار: القطران.
(٣) أمتار : أجمع الطعام والمونة ، أتغذى.

فمـا بالهـم لا قدَّس الله بالهم ولا حاط ميتـاً منهـمُ لا ولا حيّا
يلومـون في يحيى ولـو أنَّ لائماً رأى وجهـه لاستقبـح اللـوم واستحيا
فيا منيتـي كم فيك عاصيت عاذلاً أرى غيّهـم رشـداً ورشدهـم غيّا
وكم جاءنـي ما قالـه فيك كاشحٌ فزدتـك حبّـاً كلّمـا زادنـي نعيا[1]
أأسمـع فيك العـذل ممّـن يلومني فلا سمعـت أذنـي إذاً بعدهـم شيّا
فمـا أحسـن الـدنيا إذا كنـت جانبي وإن غبت عن عيني فما أقبح الدّنيا

وله يهجو [من مجزوء الرجز] :

حـديثـه كـالحـدث يرفـث كـلّ الرفـث[2]
يـودُّ مـن يسمعه لـو أنّـه فـي جـدث[3]

وله يرثي [من الكامل] :

قالـوا ألـم تحضـر علياً بعـد ما دفنـوه قلـت هنـاك بئس المحضرُ
لا أستـطيع أرى المعالـي بينكم محمولـةً وأرى المـكارم تقبرُ
لم يمض قبلك من أراه أسوةً فأقـول هذا مثـل ذاك فأصبرُ
قد كنـت جزءاً والأكارم كلُّهم جزءٌ ، ولـكنّ الأقـل الأكثر
ما كان أكثرهـم وأنـت جليسهم وأقلّهـم إذ شيّعـوك ، وكبّروا

ومما يتغنى به من شعره قوله [من الخفيف] :

ما عليهـا سهـرت أم بتّ نائمْ بعـد أن لا يلـمّ بي طيف حالمْ
تسأل النـاس كيف حالـي ومـن أعـلـم منهـا ؟ وفاعـل الشـيء عالمْ
وغـزالٍ أغـنّ أغيد ساجـي الطـرف مستحسـن الخلائـق ناعم[4]

---

(١) الكاشح : المبغض.
(٢) الحدث : ما يخرجه المرء من فضلات وريح والرفث: الجماع والفحش.
(٣) الجدث : القبر.
(٤) الأغن : الذي في صوته غنّة ، وساجى الطرف : ساكنه .

لم يصلني ولم يعدني وقال اكتم فماذا أسرّ حتّى أكاتمْ

وقوله [من المنسرح] :

قبلتها أشتفي بقبلتها فزادني ذلك اللّمى ألما[1]
وساءلتني عن مبتدا سقمي مسقم جفنيك مسقمي بهما

وقوله [من السريع] :

يا علّة الأجفان كفّي كفّي ما حملت منك وما استوثقتْ
وساعدينا واعلمي أنّها قد نذرت قتلي وما أعتقتْ

وقوله [من البسيط] :

أرى الليالي إذا عاتبتها جعلتْ تمنُّ أن جعلتني من ذوي الأدبِ
وليس عند الليالي أنَّ أقبح ما صنعن بي أنْ جعلن الشعر مكتسبي
إن كان لا بدّ من مدحٍ فها أنا ذا بحيث آمن في قولي من الكذب

وقوله [من الطويل] :

إذا كسدت سوق الثناء فجوده طلوبٌ لأسباب الثناء كسوبُ
تضيق بما تحوي يداه ، وصدرهُ بتفريق ما تحوي يداه رحيبُ

وقوله [من الخفيف] :

وغزالٍ مثل الغزالة يحكيـ ـها كمالاً إلاّ بقلب وودٍّ
رقَّ جسماً فرقَّ دمعي عليه فجرى مثل خدّه فوق خدّيَ

وقوله [من السريع] :

والله ما عورضتُ في مهجتي إلاَّ لأن أرفع عنها يدي

---

(١) اللّمى : السمرة في الشفة .

الأهيف الأغيد والنفس ما آلفهــا للأهيـف الأغيـدِ[1]
يعجبهــا أن ترتــدي حسنه والحســن قد يُردى به المرتدي[2]
طوفــان نوحٍ طبّــق الأرض لا يبــرح منهــا آخـر المسند
طـاف علينـا فاستوينـا علــى الــــجـودِيّ من جود أبــي أحمد[3]
أبــو العــلا إذْ ذكرتْ وابنها يا ذا المــكانين من السؤدد
غيَّر من حالــي ومــن نيّتي في غيره كم مصلـحٍ مفسد
لــو كان من أحبتــه بعض ما في يده زارت بلا موعد

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

فتــىً كلّمــا قالــوا تناهــى صعوده إلـى كلّ مجـدٍ خالف القـول صاعدا
ترى كلَّ ملقــى المقــاليد في الوغى إليه إذا لاقــاه ألقــى المقالدا[4]
ولســت ترى بيتــاً من المجــد أو ترى من الجــود أركانــاً له وقواعدا
لقــد شرّفــتْ أبيات عوفٍ وطهّرتْ من الـرّجس حتـى خلتهــن معابدا[5]
وكلٌّ يعــاف الــورد من بعــد ربّه وأرمــاح عوفٍ لا تعــاف الموردا[6]
ترى منهــم يوم الوغــى كلّ ناشرٍ من النقــع فوق الــدار عــينٌ مطاردا
ينالــون ما أمسى بعيداً مناله كأنّهــم طالــوا الرمــاح سواعدا
وقلّبــت الهيجــاء أعيان خلقهمْ فقــد وثبــوا أســداً ودبّــوا أساودا[7]

---

(١) الأغيد : الجميل ، وآلفها : من الألفة ، وهي الصحبة والمحبة.
(٢) يردي : يقتل.
(٣) الجودي : جبل في العراق ، استوت عليه سفينة نوح عليه السلام بعد الطوفان.
(٤) المقالد : القيادة ، أي أوكله بالأمور.
(٥) الرجس : الاثم.
(٦) يعاف : يملّ.
(٧) الأساود : الحيّات، واحدها أسود.

على أنَّ من لاقيتَ منهم مسالماً لقيت به نوء السِّماك مجاودا[1]

وقوله [من البسيط] :

وقد حسدتَ على ما بي فواعجبي حتّى على الموت لا أخلو من الحسد
ما بعتكم مهجتي إلاّ بوصلكمُ ولا أُسلِّمها إلاّ يداً بيدِ

ومن قصيدة يقول في مدحها [من الخفيف] :

طالما جاد لي وظنٌّ بأنّ الـ جود يبلي في كلِّ يومٍ مجدّدْ
بيمينٍ طالت فكم تضرب الأيـ ـام عنّي بها وكم تتجلَّدْ
أحسن الفعل بي فأحسنت قولاً فاشتبهنا فقيل جادٌ وجودْ

وقوله [من الكامل] :

وغريرةٍ مغرورةٌ بجمالها وتظنُّ أنّ المنتهى كالمبتدي
ظلت تناكرني الهوى من بعد ما اعترفت به زمناً فقلت تقلّدي
ليكن عقابك لي بقدر تجلّدي لا بالنوى فضعيفةٌ عنها يدي

وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الكامل] :

ما زال ينحلني أبو الجيش اسمهُ فيما يجدّ وكلُّ يومٍ جودا
حتى غدوت أنا المسمى حامداً وغدا يسمى حامداً محمودا

وقوله [من البسيط] :

نام الخليون من حولي فقلت لهمْ : ما كلُّ عينٍ لها عينٌ تسهِّدها
لا تنكروا عقلتي عامين في يده فإن صيداء معروف تصيُّدها[2]

---

(١) نوء السماك : نجم السِّماك المضيء ومجاودا : متكرّماً.

(٢) عقلتي : عِقالي وأسري.

كأنّمـا أهلهـا أهـل المقيم بها   فذلك الزهـد في الأوطـان يبعدها

وقال يهجو أخاه عبد الصمد [من الرمل] :

قال لي : أنـت أخـو الكلـب ، وفي   ظنّـه أنْ قد تناهـى واجتهدْ
أحمـد الله كثيـراً أنّـهُ   ما درى أنـي أخـو عبـد الصمدْ

وقوله من قصيدة أولها [من السريع] :

لا بتماديك على هجـري   ولا بإكثـارك مـن ذكـري
عهِدتـكم من حيث عاهدتكمْ   لم تعرفـوا شيئـاً سوى الغدر
فما لكم لمّا نذرتـم دمي   صرتـم من الموفـين بالنـذر
جـاءت عطـاياك مـوفّرةً   فلـم يكن عنـدي سوى النشر[1]
مقرونـةً بالعـذر إنّـي لفـي التـ   ـقصـير أولى منـك بالعذر

وقوله من قصيدة أولها [من المنسرح] :

حتّـى متـى كلّ مشتـكٍ زاجرْ   واللـوم مثـل الهـوى بلا آخرْ
كم عاذلٍ عاشـقٍ وكنـت أرى   أنّ الـذي جرّب الهـوى عاذرْ
يا نافـراً نفـرة الغـزال وكا   ن الحـزم لو أننـي أنّـا النافرْ
يبيت مـا تستـعـدّ مقلته   من خمرهـا فوق ثغـره قاطرْ
فطرفـه عاصرٌ وليس بـه   خمـرٌ وفـوه خمـرٌ بلا عاصرْ
وشـادنٍ طائفٌ على نفرٍ   شخص الـكرى من يمينـه دائرْ
صرّعهـم حولـه وأوجسهـم   بمـا اشتـكى نائـبٌ لـه ساهر[2]
فحثني ساعـةً فلـم ترني   في أثـر القـوم بعدهـم سائر
فقـال أوصيك بي وأسلمـه الـ   ـصبـر على رغمـه إلى الصابر

---

(١) في الأصول : «جاءت عطاياك موفورة » وغيرّناها لإقامة الوزن .
(٢) أوجس : شعر وأحسّ.

فبتُّ في روضه ألفٌ على الـغـادة طرفي وأمرح الناظر

يقول في مدحه بالكتابة وأجاد :

لا يخطر الفكر في كتابته كأنَّ أقلامه لها خاطر
القول والفضل يجريان معاً لا أوَّل فيهما ولا آخر

وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغنّ أغيد، ودُّه مستأنسٌ بي، وهو نافرْ
إن قلت زرني قال نمْ فالطيف ليس يزور ساهر
ويقول لي فيما يقو ل نعم وما للقول آخر
حتّى أشاور قلت لـكنّي هويت ولم أشاور !

وقوله [من الخفيف] :

سهلت عنده المسالك حتّى أوصلته إلى العلا وهي وعرَهْ
ثم هامت به المعالي فصارتْ تتقي صدّه وتحذر هجرَهْ

وقوله من قصيدة يقول فيها [من المتقارب] :

هلموا اسألوا عن سلوٍّ يباعْ أو استخبروا عن كرىً يكترى[1]
هل الناس مثلي ؟ وإلاّ فما أشدّ القلوب وما أصبرا
وصفراء تنفذ من كأسها فتترك ما حولها أصفرا
بمدٍّ إذا شعشعت كالهباء لمن كان قدّامها أو ورا[2]
وفي القوم من لم يكن عنده إذا سكر القوم أن يسكرا

---

(١) الكرى : النعاس : ويكتري : يشتري.
(٢) شعشعت : أضاءت ، والهباء : غبارٌ دقيق يظهر مع نور الشمس إذا دخلت من كوّة بيت مظلم.

سقـانـي وشـدّ معـي مئزراً فما شـدّ من بعدهـا مئزرا

وقوله [من البسيط] :

عنـدي حدائـق شكرٍ غرسِ جودكم قد مسّهـا عطشٌ فليسـقِ من غرسا
تداركوهـا وفي أغصانهـا رمقٌ فلن يعـود اخضر العـود إنْ يبسا

وقوله من قصيدة يقول في مدحها [من الكامل] :

بئس السياسـة والرياسـة منزلٌ أصـبحـت وحـدك في ذراه مقيما
وجعلـت تفعـل مثـل ما فعـل الألى فيه وتتخـذ الخـطـوب خصوما
ولو اختصرت على القـديم كفـى العلا إنّ القـديم ليوجـب التّقديما
للحادثـات معـي حديثٌ مبهمٌ أضحـى النّهـار عليَّ منـه بهيما
وصناعتـي عربيّةٌ وكأنّني ألقـى بأكثـر ما حفظـت الرّوما
فلمـن أقـول ومـا أقـول فأين بي فأسـير أولا أين بي فأقيما
وإذا اشتـكيت إلى امـرىءٍ ما حلَّ بي فأقـول يرحمنـي أراه حليما

وقوله من قصيدة يقول فيها [من الطويل] :

يروح إلى كسـب الثنـاء ويغتدي إذا كان همّ النـاس كسـبُ الدراهمِ
وإن جلس الأقـوام عن واجـب الندى وحـق العطـايا كان أوّل قائمِ
يزيد ابتهاجـا كلما جاء قاصدٌ كأنّ به شوقـاً إلى كلِّ قادمِ

وقوله [من السريع] :

إنّ لهـا من لوعـةٍ شانا أضرمـت الأحشـاء نيـرانا
وحالفـت دمعـي فلـم يطفها وقـد جرى سحّـاً وتهتانا(١)

---

(١) سحّاً : متصبباً، والتهتان : المطر الذي يتقطع ثم يعود فيهطل.

وآل ما زال عدوّاً لها | مذ كانت النار ومذ كانا[1]
لكنّ في حيني وفي شقوتي | ما يجعل الأعداء خلاّنا[2]
وغادةٍ قمت لتوديعها | أسعى إلى التفريق عجلانا
فغاض دمعي وجرى دمعها | زوراً على الحبِّ وبهتانا
ثم انثنت قائلةً : ما له | لم يبكه البين وأبكانا ؟
فقلت : جار الدمع في حكمه | ففاض من أجفان أجفانا[3]

وقوله [من السريع] :

ما زال يبني كعبةً للعلا | ويجعل الجود لها ركنا
حتى أتى الناس فطافوا بها | وقبّلوا راحته اليمنى

وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الطويل] :

أبا الجيش ، حسب الشعر ما أنت صانعٌ | فقد عجزت عن وصف ذاك القصائدُ
أما انصلحت للمال منك طويّةٌ | فتصلحه حتى متى أنت حاقدُ[4]
سبقتَ بني الدنيا فما هبَّ قائمٌ | سواك إلى جودٍ ولا قام قاعدُ

وقوله [من السريع] :

ومن بني القواد من بغته | عن سيفه سيوف أجفانهِ[5]
سلطان عينيه له سطوةٌ | أشدّ من سطوة سلطانهِ

---

(١) آل : أقسم .
(٢) الحين : الموت والخلاّن : الأصحاب .
(٣) جار : ظلم ، وأجفانا : أكثرنا جفاءً وهجراً .
(٤) الطوية : دخيلة النفس ، وما تضمره .
(٥) في الأصول : «عن سيفه سيف أجفانه» وغيرّناه لإقامة الوزن .

وقوله [من الكامل] :

يا ذا الـذي في خدّه جيشـان من زنـجٍ وروم
هـذا يغـير على القلو ب وذا يغـير على الجسومِ
إنّـي وقفـت من الهوى في موقفٍ ضنـكٍ عظيـم
كوقـوف عارضـك الـذي قد حار في ماء النعيم

وقوله [من الخفيف] :

غنّنـي يا أعـزّ ذا الخلـق عندي حيٌّ نجـداً ومـن بأكنـاف نجد[1]
واسقنـي ما يصـير ذو البخـل منه حاتمـاً والجبـان عمـرو بن معدي
لي ومـا فوق وجنتيك من الو رد مدامٌ كالمسـك في لون ورد
فاسقينهـا ملأى فقـد فضـحَ الليـ ـلَ هلالٌ كأنّـه فتـرُ رندِ[2]
والثـريا خفّاقـةٌ بجنـاح الـ ـغـرب تهـوي كأنهّـا رأس فهد
في أوان الشبّـاب عاجلنـي الشيّـ ـب فهـذا من أوّل الـدنّ دردي[3]

وقوله [من السريع] :

إنّ خيالاً زارنـا وهنا من عنـدكم هاج لنـا حزنا
أحبابنـا ، لا بلغـتْ منكم أيدي النّـوى ما بلغـت منّا
فلـم يغـبْ عنـكم على بعدكم ما فعلـت غيبتـكم عنّا
أيسر ما في عهـدكم أنّنا لمّا حفظنـا عهـدكم ضعنا

* * *

(١) الكناف : الجنبات.
(٢) الفتر : ما بين الخنصر والابهام والرند : عودٌ طيب الرائحة.
(٣) دردي : أي الكدر الذي يبقى في أسفل الإناء راسباً.

٢٤ ـ أحمد بن سليمان الفجري

شاعر ماهر ، كتب إلى عبد المحسن الصوري هذه الأبيات [من الوافر] :

أعبدَ المحسنِ الصوريّ لم قدْ ... جثمت جثوم منهاضٍ كسيرِ ؟[١]
فإن قلت العبالة أقعدتني ... على مضضٍ وعاقت عن مسيري[٢]
فهذا البحر يحمل هضب رضوى ... ويستثني بركنٍ من ثبير[٣]
وإن حاولت سير البرّ يوماً ... فلست بمثقلٍ ظهر البعير
إذا استحلى أخوك قلاك يوماً ... فمثل أخيك موجودُ النظير[٤]
تحرّك علَّ أن تلقى كريماً ... تزول بقربه إحن الصدور[٥]
فما كلُّ البرية من تراه ... ولا كلُّ البلاد بلاد صور

فأجابه عبد المحسن [من الوافر] :

جزاك الله عن ذا النصح خيراً ... ولكنْ جاء في الزمن الأخيرِ
وقد حدَّتْ لي السّبعون حدّاً ... نهى عما أمرت من المسير
ومذ صارت نفوس الناس حولي ... قصاراً عدت بالأمل القصير

* * *

٢٥ ـ أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرقعمق

نادرة الزمان، وجملة الإحسان ، وممن تصرف بالشعر الجزل ، في أنواع الجد

---

(١) المنهاض : المقعد.

(٢) العبالة : الضخامة : والمضض : الألم والإرغام.

(٣) رضوى : إسم جبل معروف ، وثبير إسم جبل.

(٤) قلاك : أبغضك.

(٥) إحن الصدور : أحقادها.

والهزل ، وأحرز قصب الفضل ، وهو أحد المداح المجيدين ، والفضلاء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج بالعراق ، فمن غرر محاسنه قوله يمدح من قصيدة أولها [من الخفيف] :

قد سمعنا مقاله واعتذارهْ وأقلناه ذنبه وعثاره[1]
والمعاني لمن عنيت ، ولكن بك عرَّضتُ فاسمعي يا جاره
من مراديه أنه أبد الدهـ ـر تراه محلّلاً أزراره
عالمٌ أنّه عذابٌ من اللـ ـه مباحٌ لأعين النظّاره
هتك الله ستره فلكم هتّـ ـك من ذي تستّرٍ أستاره
سحرتني ألحاظه وكذا كـ ـلّ مليحٍ لحاظه سحّاره
ما على مؤثر التباعد والإعـ ـراض لو آثر الرضى والزياره
وعلى أنّني وإن كان قد عذّ ب بالهجر مؤثرٌ إيثاره
لم أزل لا عدمته من حبيبٍ أشتهي قربه وأبى نفاره

يقول في مدحها :

لم يدع للعزيز في سائر الأر ض عدواً إلاّ وأخمد ناره
فلهذا اجتباه دون سواه واصطفاه لنفسه واختاره
لم تشيَّدْ له الوزارة مجداً لا ولا قيل رفَّعتْ مقداره
بل كساها وقد تخرّمها الدهـ ـر جلالاً وبهجةً ونضاره[2]
كلُّ يومٍ له على نُوَبِ الدهـ ـر وكرٍّ الخطوب بالبذل غاره[3]
ذو يدٍ شأنها الفرار من البخـ ـل وفي حومة الوغى كرّاره

(١) أقلناه : أعفيناه : والعثار : من التعثر أي السقوط في الخطأ وغيره.
(٢) تخرّمها الدهر : ترك بها خروماً.
(٣) كرٍّ الخطوب : تجدّدها واستمرارها.

هـي فلّـتْ عن العـزيز عداه بالعطـايا وكثّـرت أنصاره[١]
هـكذا كلُّ فاضـلٍ يده تمـــسي وتضحـي نفّاعـةً ضرّاره
فاستجـره فليس يأمـن إلاّ من تفيًّا بظلّـه واستجاره
فـإذا ما رأيتـه مطرقـاً يُعـــمِل فيما يريده أفكاره
لـم يدع بالـذكاء والذهـن شيئاً في ضمـير الغيوب إلاّ أناره
لا ولا موضعـاً من الأرض إلاّ كان بالـرأي مدركاً أقطاره
زاده الله بسطـةً وكفاه خوفـه من زمانـه وحـذاره[٢]

وقوله من أخرى أولها [من الخفيف] :

إنّ ربعـاً عرفتـه مألوفا كان للبيض مربعـاً ومصيفا
غيّرت آيةُ صروف الليالي وغـدا عنـه حسنـه مصروفا
مـا مررنـا عليه إلا وقفنا وأطلنـا شوقـاً إليه الوقوفا
آلفـاً فيه للبـكاء كأنّي لم أكن فيه للغوانـي ألوفا
حاسـداً للجفـون لمّا أزالت في مغـانيه دمعهـا المذروفا
إنّ يعقـوب قد أفـاد وأقنى وأعـاد النـدى وأغنـى الضعيفا[٣]
سـلّ سيفـاً من البصيرة والرأ ي فأغنـاه أن يسـلّ السيوفا
بـاذلاً للعـزيز دون حمـاه مهجـةً حرّةً ورأيا حصيفا
لـم تزل دونـه تخـوض المنـايا وتـردُّ الـردى وتلقـى الصفوفا
ناصحـاً مشفقـاً محبّـاً ودوداً قائمـاً في رضـاه صعبـاً عسوفا
ليس يخشـى فسـاد أمـرٍ تولاه وأضحـى برأيه مكنوفا[٤]

---

(١) فلّت : قطّعت.
(٢) البسطة : القوة والهيبة .
(٣) أقنى : أملك واعطى.
(٤) مكنوناً : محاطاً .

مــا رأينــاه قطُّ إلاّ رأينــا خلقــاً طاهــراً وفعــلاً شريفا
ورأينــا قرمــاً كبيراً همــاماً منعمــاً مفضــلاً رحيمــاً رؤوفا(١)
لــذّ طعــم العطــاء وهــو إذا جا د وأعطــى يرى الــكثير طفيفا(٢)
خلــقٌ منــه ـ منــذ كان ـ كريمٌ يستلــذُّ النّــدى ويقــري الضيوفا
ويريش الفقير بالبــذل والجو د ويعطــي ويســعف الملهوفا(٣)
فأرانــا الإلــه صرف الليالي أبــداً عن فنائــه مصروفا

وقوله من أخرى [من المجتث] :

حــيّ الخيام فإنّي مغــرى بأهــل الخيامِ
بالــراميــات فؤادي بصــائبــات السّهامِ
أسقمتنــي وتألُّيـ ـن لأشـفين سقامي(٤)
أيام وصلــي حرامٌ والهجــر غير حــرام
لا عذب الله قلبي إلاّ بطــول الغرام
ســقياً لدهــر تولّى بشــرّتــي وغــرامي(٥)
كأنّمــا ذلك العيـ ـش كان في الأحلام
لــم يبــق مــن نرتجيــه لــحــادث الأيــــام
إلاّ ابــن أحمــد ذو الطو ل والأيادي الجسامِ
كفــاه أغــدق جوداً من واكفــات الغمامِ
يلقــى العفــاة بوجهٍ مستبشــرٍ بسّامِ

---

(١) القرم : السيّد.
(٢) الطفيف : القليل.
(٣) يريش : يقوّي ويغني.
(٤) تألّين : أقسمن ودعون الله.
(٥) الشرّة : حدّة الشباب ونشاطه.

معظّماً ترتجيه للنائبات العظامِ
يرمي الخطوب برأيٍ أمضى من الصمصام
قرمٌ له عزماتٌ تفلُّ حدَّ الحسام

وله من أخرى [من المتقارب] :

توهّمت أمراً فلم أنبسِ بحرفٍ وناديت بالأكؤسِ
حميّا كأنَّ سنا نورها سنا بارقٍ لاح في الحندسِ (١)
يعاطيكها رشأٌ طرفُهُ سريعٌ إلى تلف الأنفس
بخدٍّ يروقك توريده وعينٍ تنوب عن النرجسِ

يقول في مدحها :

له قلمٌ أبداً ناطقٌ بأسعد قومٍ وبالأنحسِ
إذا ما انتضاه لأمرٍ رمى به الدّهر عن صائبات القسي (٢)
رآه الوزير على غايةٍ من الفضل تعلو على الخنّسِ (٣)

ومن أخرى [من الوافر] :

أظنّ ودادها من غير نيّة وهل هي فيه إلاّ مدّعيّهْ
فتاةٌ لا تملُّ عذاب قلبي ولا تخليه وقتاً من أذيّهْ
ولا ذنبٌ له إلا التوافي لمن في الحبّ ليست بالوفيّهْ
ويعجبني التمنّع والتشاجي من الخود الممنّعة الشجيّه (٤)
فوا أسفاً على حرٍّ يعزّي أخا رزءٍ على عظم الرزيهْ (٥)

---

(١) الحميّا : الخمر ، والحندس : الظلام.
(٢) انتضاه : استلّه وشهره ، والقسيّ : جمع قوس .
(٣) الخنّس : الكواكب .
(٤) التشاجي : شدّة الشوق والتذكرّ والخود : الفتاة الناعمة .
(٥) الرزية : المصاب.

ومنها[1] :

وذلك أنّ إيري فيه رطلٌ ... وما في حرّها إلاّ وقيّهْ
ومن بعث المدام فليس بدٌّ ... ولاتك غير بكرٍ بابليّهْ
فثمّ هناك حرٌّ شافعيٌّ ... عظيم الشأن واستٌ مالكيّهْ
ونفسي غير مائلةٍ إليها ... لأحوالٍ مقبّحةٍ بذيّهْ
أحبُّ دنوّها وتحبُّ قربي ... وهذا لا يكون بلا بليّهْ
وما لاقيتها إلاّ تلاقى ... مبالانا بإسقاط التقيّهْ
وهذا الرأي لا رأيٌ سواهُ ... فلا تحفل بأقوال الرعيّهْ
ولا عيشٌ سوى تقليب بظرٍ ... وثقبٍ من صبيٍّ أو صبيّهْ
على أنّي أقول بكلّ شيءٍ ... سوى نيك العجوز القذمليّهْ[2]
ولا ألوي على أحدٍ يراني ... بعين النقص والحال الدنيّهْ
ومن نال العلاء حجاً ومجداً ... وأفعالاً مهذّبةً سنيّهْ[3]
تشابه خلقه والخلق حسناً ... وحسبك بالنّفاسة والسجيّهْ
تشاهد منه طوداً مشمخرّاً ... وأفعال الملوك الكسرويهْ
له الأقلام كيف يشاء تجري ... بتأييد القضاء بالمشيّة
كأنّ اللفظ في القرطاس زهرٌ ... تفتّح عن معانٍ معنويّهْ

ومن أخرى [من البسيط] :

كفّي ملامك يا ذات الملاماتِ ... فما أريد بديلاً بالرّقاعاتِ

---

(١) لم نشأ أن نحذف شيئاً ممّا في هذا الكتاب من المجون ـ كما يفعل بعض الناشرين ، تحرّجاً منهم وتأثماً كما يزعمون، وحرصاً على مكارم الأخلاق لأنّا لا نؤلّف ، وإنّما نحقق نصاً قيدّه صاحبه في زمنٍ كان الناس فيه أشدّ تحرّجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأنّا نرى من حقنا ان نتصرّف في كتب الناس ثم نبقيها منسوبة إليهم . . .

(٢) القذملية : الواسعة .

(٣) الحجى : العقل والرأي .

كأنني وجنود الصفع تتبعني ... وقد تولت مزامير الرطانات[1]
قسيس دير تلا مزماره سحراً ... على القسوس بترجيعٍ ورنّاتِ
وقد مجنتُ وعلّمت المجون فما ... أدعي بشيءٍ سوى ربٍّ المجاناتِ
وذاك أني رأيت العقل مطّرحاً ... فجئت أهل زماني بالحماقاتِ
إني سأدخل عذّالي على عذلٍ ... في الحبّ أن عذلوني في الحراماتِ
أفدي الذين نأوا والدار دانيةٌ ... وشتّتوا بالجفا شمل المودات
كم قد نتفت سبالي في صدودهم ... والصدّ أصعب من نتف السبالات[2]
سقياً ورعياً لأيامٍ لنا سلفتْ ... بالقفص قصّرها طيب اللذاذاتِ
إذا لا أروح ولا أغدو إلى وطنٍ ... إلاّ إلى ربع خمّارٍ وحاناتِ
أيام أسحب أذيال الهوى مرحاً ... مصرّعاً بين سكراتٍ ونشواتِ
عوّضت منهن أحزاناً تؤرّقني ... بعد السرور وفرحاتٍ بترحاتِ
لولا عذارٌ تعالى كيف صوّره ... ربٌّ العباد لتعذيبي وحسراتي
كأنّه مِشقةٌ من خدٍّ من شقيت ... روحي بهجرانه أو عطف نونات[3]
لما حللت بدارٍ مالها أحدٌ ... إلاّ أناسٌ تواصوا بالخساساتِ
لو كنت بين كرام ما تهضّمني ... دهرٌ أناخ على أهل المروءاتِ[4]

ومنها:

لو نيل بالمجد في العلياء منزلةٌ ... لنال بالمجد أعنان السمواتِ
يرمي الخطوب برأيٍ يستضاء به ... إذا دجا الرأي من أهل البصيراتِ
فليس تلقاه إلاّ عند عارفةٍ ... أو واقفاً في صدور السّمهريّاتِ[5]

---

(١) الرطانة: الكلام الأعجمي.
(٢) السبال: الشارب.
(٣) المشقة: طول ورقّة في الخد.
(٤) تهضّمني: أنقصني حقوقي ـ ظلمني.
(٥) السمهري: الرمح.

يا من غدت أوجـه الأيام مشرقةً بجـوده مستهلاتٍ منيراتِ
مالـي بلا سبـب غودرت مطّرحاً وقـد حرمـت عطـاياك الجزيلاتِ
ولـي مدائـح قدمـاً فيك سائرةٌ مستطرفـاتٌ بألفـاظٍ طريفاتِ

ومن أخرى [من البسيط] :

كلٌّ بشعـريَ مفتـونٌ ومشغوفُ وجيّد الشعـر منعـوتٌ وموصوفُ
كلفـت من أمرهـم ما لا أقـوم به ومـن يقـوم بأمـرٍ فيه تكليفُ
لأنتفـن سبالـي طاعـةً لهمُ والذّقـن إن دام ذا الإعـراض منتوفُ
أمسي وأصبـح مجفـوّاً ومطّرحاً هذا ورأسـي ومـا والاه مكشوفُ
وبـي وعنـدي وفـي ملـكي ولا رزقوا رزقـي قذالٌ أصـمٌّ السمـع مكفوفُ[1]
من تلك أقفية القـوم الكشاخنـة الـ ـفـدم الـذين لهـم منهـا مجاديفُ[2]
مفوّقـات بتنفيـشٍ وأطبعهـا لا شكّ ما فيه تنفيشٌ وتفويفُ
معطوفـةٌ وبنفسـي يا ابـن أمّ قفا علـى الأخـادع مثنـيٌّ ومعطوفُ
كـم قاتـلٍ ويداه في أطايبه وطيِّب الشـيء مجنـيٌّ ومقطوفُ
فإن يكن ذا فلا غروٌ ولا حرجٌ فللّيالـي ولـلأيّام تصريفُ
هذا الـذي من رآه دون ملمسه لم يأكل اللحـم إلاّ وهـو معلوف
ولـم يمـدّ إلـى رأسٍ علـى طربٍ يديه إلاّ وفـي اليمنـى تطاريفُ[3]
بينـا يرى الثـوب منشـوراً بلا سببٍ حتـى يرى وهـو بعـد النشـر ملفوفُ
فكم ألام ؟ وكم ألحى ؟ وهل حمقي إلاّ نتيجـة رأسٍ فيه تخفيف ؟[4]
ألِفتـهُ حسـب مالـي من محبّته دون البـرية والمحبـوب مألوفُ

---

(١) القذال: القفا.
(٢) الكشاخنة : الفسدة والفسقة والفـدم الأحمق الغليظ.
(٣) التطاريف : من الأطراف.
(٤) ألحى : ألام .

إلف المكارم والجدوى فتىً أسدٌ محمدٌ خير من ناداه ملهوفُ
حرٌّ إذا ذكر الأحرار مشتملٌ على السّماح ببذل العرف معروفُ
بمثله يدفع الخطب الجليل إذا تصرّفت ببني الدّنيا تصاريفُ
ندبٌ نماه كرام سادةٌ نجبٌ شمّ الأنوف بها ليلٌ غطاريفُ(١)
تحصى النجوم ولا تحصى فضائله ولا يحيط بها وصفٌ وتكييفُ

ومن أخرى [من الهزج] :

لمن أمدح بالشعرِ ؟ لمن أقصد ؟ لا أدري !
إلى من إنْ دجا خطبٌ ونابت نوب الدّهرِ
فقد والشفع والوتر ومن أقسم بالفجرِ
تحيّرت فما أدري الـذي أصنع في أمري
على أنّيَ بالدّهـر وبالأيام ذو خبرِ
ولكنّيَ للحيرة سكرانٌ بلا سكرِ
كأني لست مخلوقاً لغير الجهد والضرّ
ومذ كنت فمدفوعٌ إلى الفاقة والفقرِ
فما أصنع في مصر إذا لم أحظ في مصرِ ؟
وفي الآفاق أقوامٌ يميلون إلى شعري
ونبّئت بأنّ القو م لا يخلون من ذكري
ففيم الترك للسير ؟ وهل في ذاك من عذرِ ؟
وقد قدّمت أثقالي وسيري غرّة الشهرِ
فأمّا أكثر الحمقِ فقد سيّرت في البحر
وباقيه معي يذهـ ـب في البرّ على ظهري

(١) الندب : السريع الى الفضائل والبهاليل : جمع بهلول، وهو السيد المحبّ للخير وكثيرة والغطاريف : جمع غطريف وهو الفتى الجميل.

ولا أتـــرك في مصر لذكر الحمــق من أثرِ
فمــن بعــدي ليطبيـ ـه في النظم وفـي النثر ؟[1]
ومــن يلعــب في الرأس من العصــر إلـى العصر ؟
ومَــنْ مِنْ شدّة الصفع له رأسٌ بلا شعر ؟
ومــن هامتُــهُ أقوى على الصّفـع من الصخرِ ؟
ومــن يضــرطُ في الذّقن بلا كيلٍ ولا حزر ؟[2]
ومــن ينتف بالدّبق سبــالاتِ بنــي البظر ؟[3]
ولكنّــيَ لا كنت لمــا فيَّ من الكبرِ
إذا أمْرانــيَ الصّفع تجشّــأت من الدّبرِ[4]
وهيهــات ترى صفعاً لغيري أبــداً يمري

ومنها :

ألا يا منتهـى الجود ويا ذا المجـد والفخر
ويا ابــن السّــادة الغر ويا ابــن الأنجــم الزهر
ويا أبهــى من الشمس ضياءً ومــن البدرِ
لمــاذا أنــت لا تعدي علــى الأيّام والدّهر ؟
همــامٌ طاهــر الذّيلِ سليل السّــادة الغرِّ
كريم الأصــل والخيم رحيب البــاع والصدر[5]
جــوادٌ غير مدفوعٍ عن الإفضــال والبرِّ

(١) أطباه : دعاه .
(٢) الخرر : المقدار والمعرفة .
(٣) سبالات بني البظر : أي شعر العانة .
(٤) أمراني : يقال أمري الدَم: استخرجه وربما الصفع أمرى دموعه .
(٥) الخيم : السجايا .

وما زال إلى كلٍّ له عارفةٌ تسري[1]
لقد عمّت أياديه جميع البدو والحضر

ومن أخرى [من المديد] :

عجبٌ ما مثله عجبُ فعلوا بي غير ما يجبُ
قرقرت بطني فواحزني ذقن من بالسّلح يختضب[2]
هرباً من شرّها هرباً فعسى أن ينفع الهَرَبُ
ذهب النّاس فما أحدٌ يشتهي أن تنفخ القربُ
حزَنني أنّيَ مذْ زمنٍ ما لعبناه ولا لعبوا
ولكم بتنا على طربٍ ورؤوس القوم تستلب
وكؤوس الصفع دائرةٌ ملؤها اللّذات والطّربُ
وانتخبناها وهامهمُ وأكفُّ القوم تصطخبُ
وكأنّ الصفع بينهمُ شعلُ النّيران تلتهبُ
والعمى منهم وإن شغلوا عنه باللّذات مقتربُ
سوف يدرون أيما رجلٍ ضيّعوا مني إذا طربوا
بسيوفٍ شركها أدمٌ مرهفاتٍ للعمى سببٌ[3]
وعجيبٌ والحسين له راحةٌ بالجود تنسكب
أنّ شربي عنده رنقٌ ولديه مربعي جدب[4]
وله الوِرْدُ المعاذ به والجناب الممرع الخصب

(١) العارفة : النوال والفضل.
(٢) القرقرة : أصوات الريح في البطن.
(٣) الشرك : ما ينصب من الحبال ليصطاد به.
(٤) الرنق : الكدر.

وهـو الغيث الملثّ إذا ... أعوزتنا دَرَّها السُّحب[1]
وإلى الرسّي ملجؤنا ... من صروف الدهر والهربُ
سيدٌ شادت علاه له ... في العلا آباؤه النجبُ
وله بيتٌ تمدّ له ... فوق مجرى الأنجم الطنب[2]
حسبه بالمصطفى شرفاً ... وعليٍّ حين ينتسبُ
رتبةٌ في العزّ شامخةٌ ... قصّرت عن نيلها الرتبُ
ذاك فخرٌ ليس تنكره ... لكُمُ عجْمٌ ولا عرب
ولأنتم من بفضلهمِ ... جاءت الأخبار والكتب
وإليكم كلّ منقبةٍ ... في الورى تعزي وتنتسب[3]
وبكمْ في كلّ معركةٍ ... تفخر الهنديَّةُ القُضُبُ[4]
وبكمْ في كلّ عارفةٍ ... ترفع الأستار والحجب
وإذا سمر القنا اشتجرت ... فبكم تستكشف الكُرَبُ[5]

وقوله من قصيدة في الرسّي أولها [من مجزوء الرمل] :

باح وجداً بهواه ... حين لم يعط مناهُ
مغرمٌ أغرى به السّقـ ... ـم فما يرجى شفاهُ
كاد يخفيه نحول الـ ... ـجسم حتى لا تراهُ
لو ضناً يخفى عن العيـ ... ـنِ لأخفاه ضناهُ

ومنها :

حبّذا الرسّيُّ مولىً ... رضيَ النّاس ولاهُ

---

(١) الغيث الملثّ: المطر الهاطل والدرّ : يعني به مطر السحاب.
(٢) الطنب : الحبال .
(٣) المنقبة : المأثرة.
(٤) الهنديّة القضب : السيوف القاطعة المنسوبة الى الهند.
(٥) اشتجرت : تداخلت وتشابكت في العراك.

جعـل الله أعاديـــــه من السـوء فداهُ
فلقـد أيقـن بالثر وة من حلٍّ ذراهُ
مـن رقـى حتـى تناهى في المعالـي مرتقاه
فـات أن يبلـغ في السؤ دد والمجـد مداهُ
ملكٌ مذ كان بالسطـــوة ممنـوعٌ حماهُ
بحـر جودٍ ليس يُدْرَى أين منـه منتهاهُ
لـم يضـع من كان إبرا هيمُ في النـاس رجاهُ
لا ولا يفـرق من صر ف زمـان إن عراهُ[1]
مـن به استكفـى أذى الأيّـــام والدّهـرِ كفاهُ
كيف لا أمـدح من لم يخـلُ خلـقٌ من نداهُ

وقوله من أخرى يقول فيها [من مجزوء الرمل] :

لـو برجلـي ما برأسي لم أبـت إلاّ بنجدِ
خفَّـةٌ ليسـت لغيري لا أرانـي الله فقدي
ومحـالٌ أن يرى مثـــلـيَ أو يبصـرَ بعدي
رجـلٌ لا يضـرط الضّر طة إلاّ بعـد جهدِ
فلـذا الأمـر تـراه يأكل التّمـر بزبدِ
غير أنّـي قيل عنّي إنّنـي مغـرىً بدعدِ
وبليلـي وبسلمي وبسـعـدى وبهندِ
ثـم لا أملك شيئاً غير سنّـورٍ وخلدِ[2]
وحماقـاتٍ وعمري إنّ لي رأسـاً مرندي[3]

---

(١) يفرق : يخاف ، وعراه : أصابه وحلّ به .
(٢) السنّور : الهرّ ، والخلد : حيوان يشبه الجردون يعيش داخل الأرض ويتخذ له فيها طرقاً عدّة .
(٣) المرندي : الصلب والقوي التحمُّل .

أصبــر الأرؤس في صفـــــــعٍ بلا حزرٍ وعدٍّ

ومنها :

خلقــت كفّــاه من جو دٍ لراجيه ورفدِ
مــوردٌ يورِد راجيـــــــه إلــى أعــذب وِردِ
لا خلا من منَّــةٍ منــــــه إلـى الأحــرار يسدي[1]
فهـــو القائـــم بالحــــــقّ وموفــي كلّ عهدِ

ومن أخرى [من البسيط] :

قلبــي لك الخير بالأفــراح معمورُ مستبشــرٌ جذلٌ بالفتــح مسرورُ

يقول فيها :

خذ في هناتــك ممّــا قد عرفــت به ممّــا به أنــت معــروفٌ ومشهور[2]
واحــك العصــافير صي صي صي صصي صصصي إذا تجاوبــن في الصبــح العصافير
ففيك ما شئت من حمقٍ ومـن هوسٍ قليلــهُ لكثيرِ الحمــق إكسير[3]
كم رام إدراكه قومٌ فأعجزهمْ وكيف يُدْرَكُ ما فيه قناطيرُ
لا تنــكرنّ حماقاتــي لأنَّ بها لواء حمقــيَ في الآفــاق منشورُ
ولســت أبغــي بهــا خلاً ولا بدلاً هيهـات غيري بتـرك الحمــق معذور
لا عيب فيَّ سوى إنّــي إذا طربوا وقـد حضـرت يرى في الـرأس تفجير

---

(١) يسري : يقدّم ويتكرّم.
(٢) الهناة : الدّهاء .
(٣) الإكسير : ما يلقى على الفضة أو نحوه فيحوّله إلى ذهب خالص ، وذلك من خرافات أصحاب الكيمياء القديمة .

والأخدعان فما زالا يُرى بهما لكثرة المزح توريمٌ وتحمير[1]
وذا الفعال مع الإعراض مطّردٌ صفعٌ ونقعٌ وتيسيرٌ وتعسير
فذا وذاك وهذا ثم ذاك وذا كذا الليالي لها صفوٌ وتكدير
أستغفر الله ممّا قلته عبثاً لغير شيءٍ وما في الصّحف مسطور
أقول للنفس لما استشْعَرَتْ جزعاً وبات يردعها خوفٌ وتحذير
إنّ الإمام نزاراً مدحه فثقي ذخرٌ لمثلك عند الله مذخور
هو الذي ليس بعد الله من أحدٍ سواه في الناس محمودٌ ومشكور
مشمِّرٌ في المعالي ذيل مجتهدٍ وماله في سوى العلياء تشمير[2]

ومن أخرى [من الوافر]:

أترضى بالتخلُّف والتواني على ضربِ اللّجاجة والحرانِ؟[3]
وما أنا والأحاديث اللواتي تزهد في المثالث والمثاني ؟
ألا طربت إلى النشوات نفسي وتقت إلى معتَّقةِ الدِّنان[4]
كما طربت أباريق الندامى إلى أصوات قهقهة القناني
ويومك إذ تطوف به فتاةٌ على الخدّين منها وردتان
مهفهفة القوامِ إذا تثنَّتْ تثنَّتْ كالقضيب الخيزران[5]
ولم أر قبلها شمساً تبدّت ولا قمراً بأعلى غصن بان
لحاه الله من شيخٍ ضروطٍ ضجيجٌ ضراطه بالنهروان
ولكن رأسه جلْدٌ جليدٌ صبورٌ عند مختلف الطعان

---

(١) الأخدعان : عرقان في العنق .
(٢) مشمّر : متأهّب .
(٣) الحران : العناد .
(٤) تقت : اشتقت .
(٥) تثنّت : تمايلت .

ولـم أر قبلـه رأسـاً سواه غـدا وقفـاً علـى حـربٍ عـوان[1]
ولا سيْمـا إذا الأيـدي تـوالتْ عليـه والتقـت حلـق البطان[2]

ومنها :

إلـى من راحتهـاه ندىً وجودٌ علينـا بالمـواهـب ثرَّتـان[3]
كريمٌ لا يدافـع عـن سماحٍ جـوادٌ مـالـه فـي الجـود ثان
تناهـت عنـده الآمـال لمّا غـدا أقصـى النهـاية في الأماني

ومن أخرى [من مجزء الرمل]

كلُّ يومٍ أنـا من إيـــريَ في أمـرٍ عجاب
ليس يخلينـيَ من هـــمٍّ وحـزنٍ واكتئاب
لـم يدعْ لي ذهبـاً إلاّ رمـاه بـالذهاب
وابتـدى المشـؤوم أن يعـ ـمل في امـر التّباب[4]
هـل مجيرٌ ليَ منهُ أهـلَ ودِّي وصحابي
أو وإلاّ تبـت والـرحـ ـمن من لعـب الـكعاب
أنـا مبلـي من بلايا ه بنصـبٍ وعـذاب
أنـا لـولاه لألفيـ ـت قليل الاضطرابِ
وتجـزَّيت بـنـزرٍ من طعـام وشـرابِ
ولمـا طـال انتزاحي عـن بلادي واغترابي[5]
لعنـة اللّـهِ عليـه وبـراغيثُ الـكلاب

---

(1) الحرب العوان : الحرب الضّروس المتتابعة .
(2) حلق البطان : أي بطون الأكف .
(3) الثرّة : المنعمة بالخير الكثير .
(4) التباب : الهلاك والخسران .
(5) الانتزاح : الابتعاد .

فَلَكَمْ أوقفني موقف خزيٍ واكتئاب
ولكم أغلقت باباً من هواه دون باب
ربَّ قد أبليتني منه بمعتوهٍ مصاب
عينه في كلِّ من دبَّ على وجه التراب
ثم لا يرضيه منه غير دبرٍ مستطاب

ومنها :

وبإحسان تميمٍ عُذْتُ من عُظْمِ مصابي[1]
بالأمير السيِّد الماجد والقرم اللّباب[2]
والهمام المنعم المفضل والبحر العباب
والذي لا فرق ما بين جداهُ والسَّحاب[3]
تنثني منه الى ذي كَرَمٍ رحبِ الجناب
رافعٍ دون بني الآمال أستار الحجاب
لم أزره قطُّ إلاّ بتُّ محمود الإياب
ذكره أعذب في الانفس من ذكر الشباب
ولقد رقَّ عن الماء وعن طبع الشراب
أكثمٌ في الرأي والفضل وقسٌّ في الخطاب[4]

وقوله [من الكامل]:

كتب الحصير إلى السريرِ أنّ الفصيل ابن البعيرِ

(١) عذتُ : احتميت .
(٢) القرم : السيد ، واللّباب : الخالص من كلّ شيء .
(٣) جداه : تفضّله وكرمه .
(٤) أكثم : هو أكثم بن صيفي حكيم العرب وقس : هو قسّ بن ساعدة خطيبهم .

فلمثلها طرب الأمير إلى طباهجة بَقِيرِ[1]
فلأمنعنَّ حمارتي سنتين من علف الشعيرِ
لا همَّ إلاّ أن تطير من الهزال مع الطيورِ
فلأخبرنّك قصّتي فلقد وقعت على الخبير
إنّ الذين تصافعوا بالقرع في زمنِ القشور
أسفوا عليَّ لأنّهمُ حضروا ولم أكُ في الحَضورِ
لو كنت ثمَّ لقيل : هلْ من آخذٍ بيد الضّريرِ ؟
ولقد دخلت على الصديق البيت في اليوم المطير
متشمّراً متبختراً للصفع بالدّلو الكبيرِ
فأدرت حين تبادروا دلوي فكان عمى المدير
ياللرجال تصافعوا فالصفع مفتاح السرور
لا تغفلوه فإنَّهُ يستلُّ أحقاد الصدور
هو في المجالس كالبخور فلا تملّوا من بخور
ولأذكرنّ إذا ذكرت أحبّتي وقت السحور
ولأحزننَّ لأنّهمْ لمّا دنا نَضْجُ القدور
رحلوا وقد خبزوا الفطير ففاتهم أكلُ الفطير
لا والذي نطق النبيُّ بفضله يوم الغدير
ما للإمام أبي عليٍّ في البرِّية من نظير

وله من أخرى أولها [من المتقارب] :

سلامٌ على الربع ربع الجدا سلامٌ على تمره واللّبا[2]

---

(١) طباهجة : اللحم المشرّح ، بقير : مقطّع ومشقّق .
(٢) اللّبا : أوّل اللبن عند الولادة .

سـلامٌ عليه سلام امرئٍ معنًـى بتـذكار ما قد مضى[1]
سـلامٌ عليه فكمْ موقفٍ وقفنـاه فيه نذير الدّلا
لعهـديَ فيه شيوخٌ لنا غلاظ الرّقـاب عراض اللحى
إذا ما قبضـت علـى لحيةٍ ونـاديت بطنـي أجـاب الخرا
وكنّـا من الظّـرف لو أنّنا أقمنـا نصافـع شهـراً ولا
نعيب الوفـاء ولهفـي على أخـادع من لا يعيب الوفا
ولا عذر ألاّ أدير اللّطام إذا الصفـع دار وكلّـي قفا
وقـد كنـت تبـت ولكنّني إذا الصفـع دار أتانـي الجشا
فـلا تتـرك الصفـع جهـلاً به فمـا أطيب الصّفـع لولا العمى
ومالـي أكاتمـكمْ قصتّي رأضـرب بالطبـل تحـت الكسا
إذا كان في الصيف لي جنّةٌ لأيّةِ حالٍ أذمُّ الفِرا[2]
ولـم أكسـبِ الحمـق لكنّني خلقـت رقيعـاً كمـا قد ترى
لقـد فقـت فيه كمـا الفارسـيُّ في الرَّمـي فاق جميع الورى
كأنّ البنـادق طوعٌ لهُ فهـنَّ يصبـن له ما اشتهى
إذا ما رمـى طائـراً حطَّهُ ولـو أنّـه بمـكان السُّها[3]
فيالك من موقفٍ مبهجٍ عجيبٍ ومـن منظـرٍ مُشتهى
فعيد الـطيور به مأتمٌ وأضيافـه عنـده في القِرى

ومن أخرى [من مخلع البسيط]:

عـاذلِ كمْ فيه تعذليني وكمْ إلـى كم تؤنبيني
لـو بك ما بي من التصابي لكنـت لاشـك تعذريني

---

(١) معنّى : مولعٌ ومغرم ومُشقى .
(٢) الفرا : يعني الفراء .
(٣) السّها : النجوم .

إنّ الـذي قد أذاب جسمي ... بالثّغـر والجيد والجفونِ
بـدر تمـامٍ علـى قضيبٍ ... ركّبَ من نغمـةٍ ولين
مـا شئـت من نرجسٍ جنيٍّ ... غضٍ وورد وياسمين
عينـاه تسطـو علـى فؤادي ... والمـوت في سطـوة العيون

ومنها :

فـأطيب العيش كان عندي ... أيّام للفسـق قلّدوني
وكنـت طبّـاً به بصيراً ... وأقـودُ النّـاس في سكونِ[1]
فـكم غزالٍ أخـذت قسراً ... وكم مليحٍ حوت يميني
والنـاس يسعـون نحـو داري ... من كلٍّ أرضٍ ويقصدوني
فـذا يوافـي بثـوب خزٍّ ... وذا يوافـي بثـوب توني[2]
وذا يفـدّي وذاك يهدي ... وذاك يمضـي وذا يجيني
وكلٌّ علـقٍ الـى مراحي ... أهـدى من الـطير للوكون[3]
وكان خلقـي لهـم رضيّاً ... أصفعهـم ثم يصفعوني
قـد أجمـع النـاس أنّ حمقي ... أحسـن من عفتـي وديني
قـد عشـث دهـراً أعـول عقلي ... والنّـاس إذ ذاك يبعدوني
فمـذ تحامقـت قد كساني ... حمقـي وقـد عالنـي جنوني
ومـن بلائـي أبـو عميرٍ ... معـرِّضٌ لي إلـى المنون
منتصـبٌ ما ينـام وقتاً ... وليس يهـدى من الرنين
مـن كان ذا زوجـةٍ فإنّي ... لشقوتـي زوجتـي يميني
عميرةٌ قد جلـدت حتى ... خشيت والله يجلدوني

(١) طبّاً : عالماً .
(٢) التوني : نوع من الحرير .
(٣) الوكون : أعشاش الطيور .

فراقبـوا الله في أموري فطلقوهـا وزوجوني

ومن أخرى [من السريع]:

يا أهـل ذا المنـزل هل حيلةٌ تنجـي فمـن ظبيكمْ مُعطبي
عقـرب صدغيه فقلبـي إذا همّ توقّى لـدغـة العقرب
وكلّمـا لاحظنـي طرفه لاحظنـي عن مقلـة الرّبرب
يبسـم إنّ ناولنـي ثغرَهُ عن ذي غروبٍ واضـح أشنب(١)
أنجبـت في الحمـق وهـل فاضلٌ كنـاقصٍ في الحمـق لم ينجبِ
لو علمـوا مالـيَ من لذةٍ لم أُلـحَ في الحمـق ولـم أعتب(٢)
أعتبنـي الدهـر ولـولا الذي عمّ الـورى بالبـذل لم يعتب
لمـا رأى الآمـال مصروفةً إلـى السّـديد ابـن أبـي الطيب
فارقنـي من شرّه صاحبٌ كان لعمـري شرٌّ مستصْحَبِ
هنـاك لـو تبصرنـي تائهاً علـى بنـي الدهـر تعلّقـت بي
تطلـب منّـي نائـلاً بعـد أن كنـت أرى الـرّزق مع الكوكب
كذاك من صاحـبٍ من لم يزلْ ربّ جنـابٍ ممـرعٍ مخصب
أكرمُ مـن جـاد فمـا بعدَهُ لطالبـيْ جدواه من مطلب
أوّل من يثنـي بـه خنصرٌ وأصفـح النفس عن المذنب
مهـذب الآراء محمودها مفضّـلٌ في الشـرق والمغرب
لا فرق عنـدي بين أقلامه وبين فعـل الصـارم المقضب
ما استلّهـا إلاّ أذلّـتْ لهُ من الأعـادي كلٌّ مستصعب

---

(١) عن ذي غروب أشنب : يقصد الرضاب البارد .
(٢) ألحى : ألام .

ومن أخرى [من المجتث]:

إنّي ليرتاح قلبي إلى اصطحاب المثاني
بحيث تنفي همومي معتّقاتُ الدِّنان
مع شادنٍ ذي دلالٍ مهفهفٍ فتّان
يرنو إليَّ بطرفٍ وناظرٍ وسْنان[1]
أعار حسن التثنّي تثنِّي الأغصان
إذا تبسّم تيهاً يفترُّ عن أقحوان
لأسخطنَّ عذولي فيه بخلع العنان
فقمْ رفيقي فاحثثْ كؤوسنا غير واني[2]
وهاتها كسنا البرق لاح من نعمان
صفراء ممّا اقتناها كسرى أنو شروان
صفت ورقّت ففاتت إدراكها بالعيان
فليس تدرك بالحسِّ لا ولا الأذهان
روحٌ من الراح لكنّها بلا جثمان
فالريحُ للمسك منها واللون للزعفرانِ[3]

يقول في مدحها :

من قال من غير خيْرٍ بأن في الناس ثاني
لسؤدد ابني عليٍّ قد جاء بالبهتان[4]
يداهما بالعطايا وبالنّدى ثرّتان

(١) يرنو : ينظر ، والوسنان : الناعس .
(٢) فاحثث : أسرع وعجّل ، والواني : المبطىء .
(٣) الزعفران : نبات له أصل كالبصل زهره أحمر إلى الصفرة .
(٤) البهتان : الزور والكذب .

ومن أخرى [من مجزوء الرومل :

ربَّ يومٍ قد قطعنا ه حديثـاً وعتابا
وجمعنـا بين خمريــن مدامـاً ورضابا
وشفينا غلّـة النّفس دنـوّاً واقـتـرابـا
وترشّفـت علـى شو ق ثنـاياه العذابا
وسألنـا ذلك الشي ء جهـاراً فـأجابا

يقول في مدحها :

ورحلنـا نطلـب السّــيد والقـرم اللبابـا(١)
فرأينـا العـزّ والثر وة والبـحـر والعبابـا
ورأينـا أفضـل النا س وأحلامهـم خطابا
يقظـاً يدرك بالفطــنـة ما فات وغابا
هذّبتـه فطنـةُ العلــم فمـا يخشـى معابا
عـرف اللّـذة للبذ ل فأعطـى وأثابـا
وإذا مـا كَرُمَ الأصــل زكا الفـرع وطـابا

ومن أخرى يقول فيها [من مجزوء الرجز] :

كأنّمـا عـذاره سطـرا سوادٍ في يققْ(٢)
كأنّمـا رضابه خمـرٌ بمسـكٍ قد فتِقْ

ومنها :

إنّ نكتـه فاستمعنْ نصحـك من خلٍّ شفقْ

---

(١) اللباب : الخالص من كلّ شيء .
(٢) اليقق : الشديد البياض .

كنْ حذراً كن حذراً كن حذراً من الغرق
لأنّه من سعةٍ يصلح للبحر طبق
انْ قلت إنّي حسنٌ والحسن منّي مسترق
قلنا مقالاً بيّناً لا كذباً ولا خرق(1)
كلُّ امرءٍ صوَّره خالقه كما اتفق
كنْ غُصُناً كن قمراً كن شمس دجنٍ في الأفق(2)
كن يوسف الحسن الذي من طينة الحسن خلق
هل أنت إلاّ خلقٌ زدت على كلٍّ خلق
يا أيها العلق الذي فقحته بلا غلق(3)
خانك في الودّ الذي بودِّه كنت تثق

ومن أخرى [من المتقارب]:

خليليَّ من عامرٍ اسعدا على الشّوق خلاًّ بلا مسعدِ
قفا وقفةً بربوع الحمى فلولا الوفا لهوى الخرَّدِ(4)
لما عجتُ بالركب مستنجداً دموعي على الطلل الملبد
معاهدُ لهوٍ كأنّ الهوى بها بعد زينب لم يعهد
فسبحان من جعل المكرمات جميعا بكفِّ أبي أحمد
وقال له كن كما تشتهي فكان النهاية في السؤدد
وهل غيره أحدٌ يرتجى ويعدى على الزمن المعتدي

(1) الخرق: الجهل والطيش.
(2) الدجن: الغيم الكثير المظلم.
(3) العِلق: المخنّث، والفقحة: فتحة المخرج.
(4) الخرّد: الناعمات من النساء.

ومن اخرى [من مجزوء الرمل]:

عــدٍّ عن قالٍ وقيل وصعودٍ ونزولِ
حصــحص الحــق فمــا [ذا] شئــتِ من قولٍ فقولي
غير أنّــي أقبــل النا س لشــيءٍ مستحيل
فاسمعــن منّــي ودعني من كثيرٍ وقليل
وصــغيرٍ وكبيرٍ ودقيقٍ وجليــل
قــد ربحــنــا بالحماقا ت علــى اهــل العقول
فرعــى الله ويبقى كلُّ ذي عقــلٍ قليل
مــا له في الحمــق والخفّـــــة مثلــي من عديل[1]
فمتــى أذكر قالوا شيخنــا طبــلُ الطبول
شيخنــا شيخٌ ولكنْ ليس بالشّيخ النبيل
طالمــا نادى نداما ه إلــى شرب الشمول[2]
قائــلاً بالشــادن الأغـــــيد ذي الطّـرف الكحيل
أطــرب النــاس إذا غـــنّــى علــى ثانــي الثقيل
قفْ علــى المنــزل بالنحـــتين فالرسـم المحيل
وقفــةَ الــوالــه للتســـآل ما بين الطــلول
أَهملنْ دمعــك فالرا حة في الدمــع المهمول
عــدِّ عمــا أنــت فيه من محــالٍ وفضول[3]
واصـرف المــدح إلــى ذي الـــــطّـول والفعــل الجميل[4]

---

(١) العديل : المثيل .

(٢) الشمول : الراح .

(٣) عدِّ : تجاوز .

(٤) ذي الطول : ذي القوّة والبأس .

الـذي ذكراه في كـل محلٍّ وقبيلِ[1]
ذي يدٍ بالجـود أندى من ندى الغيث الهطولِ
لـم يكنْ قطّ لراجيـه سوى سمحٍ منيل
أسمـح الأمّة بالما ل وبـالنَّيل الجزيل
وإذا ما سيل الفي بالنّـدى غير بخيل
لـم يزلْ يذخـر للحا دث والخطـب الجليل
نـاهضٌ إذْ عجـز الأقـوام بالعـبء الثقيل
ليس يصغي في المقالا تِ إلـى عذل العذول
وإذا ما قال قولاً لم يكنْ غير فعول
ولقـد عزّت به الآ داب من بعـد الخمول

ومن أخرى في الرثاء [من الوافر] :

لعمـرك إنّـه رزءٌ عظيم وخطـبٌ أمـره جللٌ جسيم
رزئنـا من صلاة الله تترى عليه ما دجـا ليلٌ بهيم
ومـا أطّـت إلـى البيت المطايا وما طلعت على الأرض النجوم[2]
لعمـرك ما المصـاب به خصوصٌ ولـكنَّ المصـاب بـه عموم
سقـى جدثـاً به حمّـاد أضحى من الوسمـيِّ هطـالٌ سجوم[3]
ففيه المجـد أمسـى والمعالي وفيه العـزُّ والفخـر القديم
أبعـد وفاتـه يدعـى همامٌ لخطـبٍ أو يقـال بقـي كريم
كأنّـا يوم مَنْعَـاهُ إلينا وقـد فتـكت بأنفسنـا الهموم[4]

---

(١) القبيل : الجماعة .
(٢) أطّت : سارت وشقت الأرض .
(٣) الجدث : القبر ، والوسمي : مطر الربيع والساجم : اللامنقطع .
(٤) منعاه : من النعي ، وهو نبأ الوفاة .

ثواكل حزنهن على الليالي وإن قدم المدى حزنٌ مقيم
وكان ربيعنا في كلّ محلٍ إذا ضنّت بوابلها الغيوم
جميل الفعل محمود السجايا يزين فعاله كرمٌ وخيّمُ(1)

ومن أخرى [من البسيط] :

هل من سبيلٍ إلى بيتي وجاريتي أنّى ؟ وكيف وما داري بدانية ؟!
أم هل سبيلٌ إلى البيت الذي سكنتْ فيه التي بفراقي غير راضيةِ
لا أحمد البعد عنها بعد معرفتي بأنّها لبعادي غير حامدة
أشكو إلى الله دهراً غير متّئدٍ من قبح ما لجّ فيه من معاندتي(2)
ما زدت فيه اجتهاداً في معاتبةٍ إلاّ وزاد اجتهاداً في مغايظتي
أقول والدهر لا يألو مراغمةً وليس يثنيه شيءٌ عن مراغمتي(3)
يا واحداً ليس إلاّ من يؤمّله ويرتجى عفوه جدْ لي بواحدة(4)
وامنن عليّ على أنّي وإن نزحت عنّي فما هي عن قلبي بنازحة
ناشدتك الله فيما أشرت به إلاّ قبلت ولا تهمل مناشدتي
واستعمل السخف واترك ما سواه فما لذاذة العيش إلاّ في المساخفة
والصفع إيّاك منه فالعمى أبداً بغير شكٍّ منوطٌ بالمصافعة

ومنها :

لكن مدحت حميداً فامتدحت فتىً وقفاً على منّةٍ تسدى وعارفةِ
رأيته فرأيت البدر في أفقٍ والشمسَ طالعةً من كلّ شارقة
والبحر معترضاً والغيث منبجساً برائحٍ لمرجّيه وغادية(5)

---

(1) السجايا : الصفات ، والخيم : المآثر والمزايا الحميدة .
(2) اتئد : تواقف وامتنع وتمهّل .
(3) يألو : يترك ويمتنع ، ويقصّر .
(4) جدْ : تكرّم .
(5) انبجس الغيث : هطل ، وانبجس الماء : تفجّر .

ساس الأمور بآراءٍ مهذّبةٍ صوادرٍ بين أفكارٍ وبادرة
مستحسن اللفظ في القرطاس موجزه موفّقُ الرأي محمود المخاطبة
ذو أنملٍ ما انتضت في حادثٍ قلماً إلاّ وفلّ شباه كلّ حادثة(1)
في كلّ يومٍ له نعمى مجدَّدةٌ ليست إذا طلعت عنّا بآفلة
ما زال يتبع معروفاً بعارفةٍ جوداً ويجهد نفساً في معاونتي
حتى رأيت صروف الدهر عائذةً من بعد ضربي وحربي بالمسالمة

ومن أخرى [من الوافر] :

نشدتك أن تحول عن الوداد وعن حال الصلاح إلى الفسادِ
ولو عاينت ما لك في ضميري ولو شاهدت ما لك في فؤادي
إذاً لعلمت أنّك منه تُمسي وتصبح دون غيرك في السّواد
فما آلوك نصحاً في ودادٍ ولا آلوك جهداً في اجتهاد(2)
وليس سوى المودّة والتصافي أبا عبد الإلّه لك اعتقادي
ولو في ذاك حاولت ازدياداً إذاً ما اسطعت فيه على ازدياد
ولم أعهدك في طلب المعالي وكسب الحمد غير فتىً جواد
ومن ألف المكارم والعطايا كإلفك جاد عن غير اعتداد
ويوشك أن يجود بما حواه وأن يهب الطّريف مع التلاد(3)
ووعدك في الحياة له مرادي ولست أريده يوم التناد(4)

ومنها :

فكم مننٍ قرنت بهنّ شكراً كشكر الروض منهلُّ الغوادي

---

(1) انتضت : استلّت وحملت ، فلّ شباه كلّ حادثة : أي قصمها وقطّعها وأعان من أصابته عليها .
(2) آلوك : أقصّر في نصحك .
(3) الطريف والتلاد : المال المكتسب والموروث .
(4) يوم التنادي : يوم القيامة .

وكم لك يا محمَّد من أيادٍ لديَّ ومن جميلٍ وافتقاد

ومن أخرى [من البسيط] :

ليلي بتنّيس ليلُ الخائف العاني تفنى الليالي وليلي ليس بالفاني[1]
أقول إذ لجَّ ليلي في تطاوله يا ليل أنت وطول الدهر سيّان
لم يكف أنّي في تنّيس مطرَّحٌ مخيّمٌ بين أشجان وأحزان
حتى بليت بفقدان المنام فما للنوم إذ بعدوا عهدٌ بأجفاني
ما صاعد البرق من تلقاء أرضهمِ إلاّ تذكرت أيّامي بنعمان
ولا حننت إلى نجرانَ من طربٍ إلاّ تكنَّفني شوقٌ لنجران[2]
لا تكذبنَّ فما مصرٌ وإن بعدتْ إلاّ مواطنُ أطرابي وأشجاني
ليالي النّيل لا أنساك ما هتفتْ ورق الحمام على دوحٍ وأغصانِ
أصبو إلى هنواتٍ فيك لي سلفتْ قطَّعتهنَّ وعين الدهر ترعاني[3]
مع سادةٍ نجبٍ غرٍّ غطارفةٍ في ذروة المجد من ذهلِ بن شيبان[4]
وذي دلالٍ إذا ما شئت أنشدني وإن أردت غناءً منه غنّاني
سقيته وسقاني فضل ريقته وجاد لي طرفه عفواً ومنّاني
ما زلت أجني بلحظي ورد وجنته وأستغير على تفّاح لبنان
ما زال يأخذها صفراء صافيةً حتى توسَّد يسراه وخلاّني
الله يعلم ما بي من صبابته وما عليَّ جناه طرفه الجاني
كم بالجزيرة من يومٍ نعمت بهِ على تصاخب نايات وعيدان
سقياً لليلتنا بالدّير بين رباً باتت تجود عليها سحب نيسان[5]

---

(١) العاني : الشاكي والقلق .
(٢) تكنّفني : أحاط بي ، وشملني .
(٣) الهنوات : أوقات جمع هنو .
(٤) الغطارفة : جمع غطريف وهو الشاب الفتي الجميل .
(٥) سقياً : دعا له بالمطر والخير .

والطلُّ منحدرٌ والروض مبتسمٌ عن أصفرٍ فاقعٍ أو أحمرٍ قانِ[1]
والنَّرجس الغضُّ منهلٌ مدامعه كأنَّ أجفانه أجفان وسنان

ومنها :

أستغفر الله من عقلٍ نطقتُ بهِ ما لي وللعقل ليس العقل من شاني !؟
لا والذي دون هذا الخلق صيَّرني أحدوثةً وبحبِّ الحمق أغراني
ما للشذائيِّ من مثْلٍ يقاس بهِ ولا له في اصطناع العرف من ثان
مهذَّبُ الرأي محمودٌ خلائقه رحبُ المكارم سمحٌ غير منَّان
من كان في الجود والإفضال لذّته لم يخله الجود من فضلٍ وإحسان
وجملة الأمر فيه أنَّه رجلٌ يراقب الله في سرٍّ وإعلان
إن كنت قلت سوى ما فيه أعرِفُهُ إذاً كفرت بمعبودي وديَّاني
إذا جرت يده في الطّرس كاتبةً تبلَّج الطرس عن درٍّ وعقيان[2]
وإن تكلم جاءته براعته بكلٍّ ما شاء من فهمٍ وتبيان

٢٦ - أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد المعروف بالواساني

أعجوبة الزمان ونادرته ، وفريد عصره وباقعته[1] ، وهو أحد الفضلاء المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الرومي في أوانه : فمن شعره قوله يهجو ابن أبي أسامة [من الكامل] :

يا ساكني حلب العوا صم جادها صوب الغمامهْ
أنا في مدينتكم غريـ ـبٌ لست من أهل الإقامهْ

---

(١) الباقع : الخالص الصافي من الألوان .
(٢) الطرس :الصحيفة ، تبلّج : أشرق

والخان يحدث للغريب إذا أبنَّ به سآمهْ[2]
فقرضتُ من طول المقا م بها وأعوزت المدامه
وخرجتُ في بعض الليا لي قاصداً باب السلامه
وشربتُ من بئرٍ بها من يأتها ينقعْ أوامه[3]
ورتعتُ في فلواته وعلوت مرتقياً أكامه[4]
فلمحت في بعض الوها د وقد قعدت سواد هامه[5]
فسعيت أحسبها غرا باً أو حداةً أو حمامه[6]
وإذا بأسود كالفنيق يقلُّ إيراً كالدّعامه[7]
وإذا بشيخٍ تحته حسن الوسامة والقسامه
والشيخ يعصر تحته قد بلَّ من عرقٍ حزامه
فزجرتُ نايكه فقا ل له ألست ترى مقامه
انهض فديتك علّنا نقضي بنهضتنا ذمامه
ونعود بعد عزوبه عنّا وتربحنا خصامه
فسطا عليه وقال نكْ لا كان ذاك ولا كرامه
هذا الرقيع بعينه ليَ في رقاعته علامه
لولا فضولٌ فيه لم يصرف إلى دبري اهتمامهْ
وبكى وقال ليَ امْضِ ويحك واسأل الله السلامه

---

(١) الباقعة : الرجل الذكيّ الدّاهية .
(٢) أبنّ : أقام بالمكان .
(٣) الأوام : العطش .
(٤) الأكام : القمّة والمرتفع .
(٥) الهامه : طائرٌ كان العرب يعتقدون أنه يخرج من رأس القتيل ويطلب الثأر .
(٦) الحدأة : طائرٌ كبير من الجوارح يصطاد الجرذان والحيوانات الداجنة .
(٧) الفنيق : الفحل من الإبل .

واشــكره لمــا صار سر ملك لا يريد له صمامه[1]
واعلــم بأنّــي كنــت من أهــل الرّياســة والزّعامه
يُومــي إلــيَّ إذا عبر ت يقال ذا ابـن أبـي أسامه
حتــى ابتليت بمبعـري فحصلـت بين النـاس شامه
فعجبــت من تلك الفصا حة وهـو يعفــج والعرامه[2]
شيخٌ له سمــةٌ تخا طبنــي بألفــاظٍ مقامه
والأير يغــرق في استه قد غاب في مفســاه قامه
فتضاحــك الحبشــيُّ منـــــــه وقــال لا تسمـع كلامـه
هــذا وعيشـك دأبـه من قبـل مبلغــه احتلامه
أبــدا يبــاري باستـه بين الورى صوب الغمامـه
واســتلّـه مــن دبـره وكأنّـــه عنـق النعامه

وقال يهجو منشا بن إبراهيم القزاز [من المنسرح] :

قــال منشــا يومــاً لسعدانه وهــي سحــور العينين فتّانه
مـن بعـد أن غلّف العـوارض بالـ ـطّيب وغـلا بالمســك أسنانه[3]
وامتص من خمــرةٍ معتّقـةٍ تحــول بين الدّنـان في الحانه
وكان خشفٌ قد باسهــا بفمٍ وهــي من البـوس بعـد شبعانه
هــل لك في قبلــةٍ وهــاك خذي خمسين حمــراً وحــلّ هميانه[4]
قالــت له هاتهــا ودونــك فاسـ ـطعنـي بجعصٍ وعجّـل الآنه
فباسهــا ثم قال قد بقيتْ أخــرى فقالــت وعظّمــت شانه

(١) الصمامة : السدّة .

(٢) يعفج : يلاط ، والعرامة : الشدّة والقوّة .

(٣) العوارض : الأسنان .

(٤) الهميان : حزام من الجلد توضع فيه الدراهم .

مــا هي قل لي ألــم أبس شرجاً جمّشــت أعفاجــه ومصرانــه[1]
ألــم أقــدمٍّ فمــا أضــنّ به إلــى كنيف أطــرت ذبانه ؟
فقــال أن تدخلــي لسانــك في فيٍّ فردت مردٌّ حردانه
يا ألف كشخــان وابــن زانيةٍ نعــم ويا زوج ألف كشخانه[2]
لــم ترض أنــي قبّلــت مقعدةً تحــت سبــالٍ كأنّهــا عانه
حتــى تنــاهيت في الهــوان فشبّهـ ـت لسانــيَ ببنــت وردانه[3]

وقوله فيه [من المنسرح] :

إن منشــا قد زاد في التّيه وزاد في شامنــا تعدّيهِ
فـلا ابـنُ هنــدٍ ولا ابــن ذي يزنٍ ولا ابــنُ ماء السما يدانيهِ
وهــو مغيظٌ عليّ الــوصّي ومنْ يعــزى إليه من يواليهِ
يذكر أيّام خيبــرٍ بهم وهــم قذىً جال في أماقيهِ
وقــد حكى أن فاه أطيب من سرمــي وأنّي ممّــن يعاديهِ
ومــن يقــول القبيح فيه ومن أصبــح بالمعضــلات يرميهِ
فســوكوه بكلٍّ طيّبــة الر يح تعفــي على مساويهِ[4]
ومضمضــوه بالخــلّ واجتهدوا معــاً بكلّ اجتهــادكم فيهِ
وأطعمــوه من الجــوارش ما يعمــل بالمســك والأفاويهِ[5]
واسقــوه من خمرةٍ معتّقةٍ قد صانهــا القسُّ في خوابيهِ
واستفقحونــي واستنكهــوه فإنْ كان لسرمــي فضــلٌ على فيهِ

(١) الشرج : المخرج ، وجمّش : داعب وقبّل .
(٢) الكشخان : الفاسد والفاسق .
(٣) بنت وردان : بنت آوى .
(٤) سوكوه : من السواك ، وهو عود تخلّل به الأسنان من بقايا الأطعمة .
(٥) الجوارش : نوع من الحلاوات .

فحمّلوا الكلب والحمار على عياله واصفعوا محبّيهِ

وقوله فيه [من السريع] :

يا راكباً يقطع عرض الفلا على أمونٍ جسرةٍ حرف(١)
أبلغ أبا سهلٍ إذا جئته رسالةً عن عبده المنفي
وقل له عرنين ذاك الفتى في حالةٍ جلّت عن الوصفِ(٢)
قد ذاب مذ ليلةٍ ساررته وصار للسقم على النصفِ
يبكي فما ترقا له عبرةٌ ويسهر اللّيل فما يغفي
حزناً على أرنبةٍ غودرت تقطر قطراً من دمٍ صرفِ
فهو بسرم الكلب يا سيدي من داء أنفاسك يستشفي
مَنْ عاذري مِنْ رجلٍ زرته للحين والإدبار والحرفِ
فقال عندي لك أحدوثةٌ مليحةٌ تكتب في الصحفِ
فادنُ لكي تسمعها واحتفظْ بالسر في مكنون ما تخفي
فقمت للغفلة مستعجلاً أمشي برجلي إلى حتفي
ففاه عن أنتنٍ مَنْ جعسه يعدُّ بين البخر بالألفِ(٣)
وشاربٌ فيه دمٌ فارثٌ ولثّهُ تشخب كالخلف(٤)
تحوم ذبانُ الخلا حوله مثل حمامٍ طار من كفٍّ
كشعر زقٍّ الدّبس أو شعرة الـ ـحائض أو مكنسة الكنفِ(٥)
وشكٌّ خيشومي بنشّابةٍ من يد حرٍّ طامشٍ وجْفِ(٦)

---

(١) أمونٍ : الناقة ، الحرف : الناقة القوية .
(٢) العرنين : الأنف .
(٣) الجعس : الرجيع مولّد ، أو اسم الموضع الذي يقع فيه الجعموس .
(٤) الفارث : من الفرث وهو بقايا الطعام في الكرش، والدم الفارث : المتجمّد .
(٥) الكنف : المرحاض .
(٦) الوجف : المضطرب .

تصمى العرانين ولو أنها ... في الدلص الموضونة الزغف[1]
وتدرك الهارب منها ولا ... ينجو ولو كان على طرفِ[2]
فانغمرت روحي وناديته ... يا أيها الثعبان بالكهفِ
بحق من كلّم موسى على الطور ... فدكّ الطور بالرّجفِ
هبْ ليَ ما أبقيت منّي فقدْ ... أشفى على مثل شفا الجرفِ[3]
ولم أزل أدفعه جاهداً ... وقد تقاعست إلى خلفِ
فانقدّ بعض الثوب في كفّهِ ... وقال أفلتّ فيالهفي
وكان للحين على موضعٍ ... مستشرفٍ مرتفعِ السّقفِ
فانكسرت ساقي وهيْضَتْ يدي ... واندقّ صدري ووهى كتفي[4]
وقمت أجري بعدها هارباً ... أسعى على رجلي كالخشفِ[5]
يا معشر الناس اسمعوا ما أنا ... قائله واسمعوا وصفي
إذا أردتم سرم أستاذنا ... فلتكن الآنافُ في غلف[6]
ثم اغسلوا شعر اللحى بعدها ... غسل الدرابيك أو القطفِ
وبخّروها بعد تطييبها ... بكلّ شيءٍ طيّب العرف
وما أرى سائر ما قلته ... يغني ولا أحسبه يكفي
أو فانتفوها واستريحوا فما ... ينجيكم شيءٌ سوى النتف
وسوّكوه بخّروا أمّه ... في رأس كرناف من الرّعفِ[7]

---

(١) تصمي : تقتل ، والدلص : الدروع ، والموضونة : المنسوجة ، والزغف : الدرع الفضفاضة الطويلة .

(٢) الطرف : الجواد السريع .

(٣) شفا الجرف : شفير الهاوية .

(٤) هيضت يدي : ضعضعت ورضرضت ، ووهى : ضعف .

(٥) الخشف : صغير الغزال ، غلف : أي في غلاف .

(٦) الكرناف : أصول قضبان النخل التي تبقى في الجذع بعد قطع القضبان .

فـإنّ جالينـوس ما عالـج الـ ـبخـرة إلاّ بخـرا القلف[1]

وقال في الغزل ، ويعرض بابن بسطام في الهجاء ، ويذكر أنها لميسر [من الكامل]:

ومهفهفٍ يزهـو عليّ بجيدهِ وبخصره وبـردفـه وبساقهِ
وافى إليّ وقلبُـهُ متخوّفُ كتخـوّف المعشـوق من عشّاقهِ
حتـى إذا مدّدتـه وحللـت عن كفـلٍ مبـاح الحـلّ بعـد وثاقهِ
وافــت إليّ أصنّـةٌ من دبره بخـلاف ما قد فاح من أطواقهِ[2]
فأجبتــه ماذا فقــال بحرقةٍ ودموعــه تنهـلُّ من آماقهِ
هـذا ابـن بسطـامٍ أتانـي طارقاً بلـطيف حيلتـه وحسـن نفاقهِ
وعـلا على كفلي وبلغـم مثقبي بريالـه المنهـلّ من أشداقهِ[3]
فبقـى صنـان رضابـه في مثقبي زمنـاً لحـاه الله بعـد فراقهِ
فـالله يحرمــه معيشتــه كما قد سدّ مكسـب مثقبـي ببصاقه

وقال يصف ما جرى عليه في الدعوة التي عملها في قرية حرايا من أعمال دمشق [من الخفيف] :

مـن لعيـنٍ تجـود بالهملان ولقلـبٍ مدلَّـهٍ حيرانِ ؟[4]
يا خليليَّ أقصرا عن ملامي وارثيا لي من نكبتـي وارحماني
ومتـى ما ذكرت دعـوة أولا د البغـايا والعاهـرات الزّواني
فانتفـا لحيتـي وجـزّا سبالي وبنعـل الـكنيف فاستقبلاني[5]
مـا الـذي ساقني لحينـي إلى حتـ ـفي ؟ وما غالني ؟ ومـاذا دهاني ؟

---

(١) القلف : الذي لم يختن .
(٢) الأصنّة : الرائحة الكريهة من البول .
(٣) الكفل : المؤخّرة .
(٤) المدلّه : المعذّب من العشق .
(٥) السِّبال : الشارب .

مِن عذيري من دعوةٍ أوهنت عظـ ـمي وهـدَّت بهولهـا أركاني ؟
كنـت في منظـرٍ ومستمتـعٍ عنـ ـهـا ومـن ذا يغتـرُّ بالحدثانِ[1]
فنـزت بطنتـي وهاجـت على نفـ ـسي بلاءً ما كان في حسباني[2]
كان عيشي صافٍ فكدّره أهـ ـل صفائـي بنـو أبـي صفوانِ
فارثوا لي يا معـاشر النّـاس من ضـ ـرّي ومـن طول عطلتـي وامتحاني
ضرب البـوق في دمشـق ونادوا لشقائـي في سائـر البلدانِ
النفـيرَ النفـيرَ بالخيل والرجـ ـل إلى فقـر ذا الفتـى الواساني
جمعوا ليَ الجمـوع من خيل جيلا ن وفرغانـةٍ إلى ديلمانِ
ومـن الـرّوم والصقالـب والتّر ك وخلقـاً من بلغـرٍ واللاّنِ
ومـن الهنـد والطماطـم والبر بر والكيلجـوح والبيلقانِ
لـم يبقّـوا ممـن عددت من الآ فاق من مسلـمٍ ولا نصراني
والبـوادي من الحجـاز إلى نجـ ـدٍ معدّيهـا مع القحطاني
كلّ ضربٍ فمـن طوالٍ ومـن حُد بٍ قصـارٍ والحـول والعورانِ
وشيوخٍ مثـل الفـراخ وشبّا نٍ رحـاب الأشـداق والمصرانِ
مِعَـدٌ جوِّعـتْ ثلاثـين يوماً بسـلاحٍ شاكٍ من الأسنانِ
مـن مرنـدٍ ومـن تكينَ وطرخا ن وكسرى وخـردٍ وطعانِ
وخمـارٍ وزيركٍ وعجيببٍ وبـديعٍ وفـارسٍ وجوانِ
وجـريحٍ ونـار قسطـا ويونا ن وبـرحفثيا يوحنانِ
وطـرادٍ وَجَهْيلٍ وزيادٍ وشهـابٍ وعامـرٍ وسنانِ
قمّسٌ جمّعـوا بغـير عقولٍ ردعتهـم عنـي ولا أديانِ[3]

---

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) فزت : وثبت ، والبطنة : كثرة الأكل .

(٣) القمس : رتبة كنهوتية عند الأقباط

هــل سمعتــم بمعشرٍ جمعــوا الخيـ ـل وســاروا في الرجــل والفرسانِ
رحلــوا من بيوتهــم ليلــة المر فع من أجــل أكلــةٍ مجّانِ
يركضــون البــريد تسعــة أميا لٍ بنصٍّ الــوجيف والذملان[1]
شرهٌ باردٌ وحــرصٌ على الأكـ ـل بأنّــا قومٌ من المجّانِ
مــا شعرنــا ونحــن من آمــن العا لم إلاّ بصرخــة الديدبانِ[2]
أدركونــي فهــذه غرر الخيـ ـل وسمــرٌ يعســلن كالأشطانِ[3]
لســت أنسى مصيبتــي ويوم جاءو ني وقــد غصّ منهــم الواديانِ
وردوا ليلــة الخميس علينا في خميسٍ ملء الرُّبــا والمحاني[4]
متلثّبٍ كالسّيل لا يلتقــي منـ ـه لفــرط انتشــاره الطرفانِ[5]
شزرونــي بأعــينٍ تقــدح النـ ـيران خوصٍ إلى العــدوّ زواني[6]
أشرفــوا لي على زروعٍ وأحطا بٍ وبيتٍ من خــيره ملآنِ
لبــنٌ قارسٌ وخبــزٌ كثيرٌ وقــدورٌ تغلي على الدادكانِ[7]
وشــواءٌ من الجــداء ومعلو فُ دجــاجٍ وفائــق الحملانِ
وشرابٌ ألــذُّ من زورة المعـ ـشــوق بعــد الصّــدود والهجرانِ
يخجل الــورد في الروائــح والطعـ ـم ويحــكي شقائــق النعمانِ
أذكرتنــي جيوشهــم يوم جاءو ني جيوش العــدو في رغبانِ
بقــدم القــوم هاشمــيٌّ هريت الشّـــــدق رحب المعــيٍّ طويل اللسانِ[8]

---

(١) الوجيف : الاضطراب والخفقان ، والذملان : الإسراع .
(٢) الديدبان : الحارس والرقيب .
(٣) الأشطان : الحبال .
(٤) الخميس : الجيش ، والمحاني : الأرض المنحنية كالأودية .
(٥) متلثب : مندفع .
(٦) الشزر : النظر بغضب ، والخوص : الضيقة .
(٧) الدادكان : المواقد .
(٨) الهريت : الواسع .

هـو نمسُ الدّجـاج والبـطّ والأو زّ وذئـب النعـاج والخرفان [1]
والشريفـان أشرفـا في خلال الـ ـخيل في موكبٍ من الحبشان
وسـوادٍ من عظمـه طبّـق الأرض وخيلٍ تهـوين كالظلمان [2]
وأبـو القاسـم الكبـير على طِر فٍ كميتٍ أقـبُّ كالسرّحان [3]
وأخـوه الصغـير يعتـرض الخيـ ـل على قارحٍ عريض اللّبان [4]
وهما يهـويان بالسـوط والرجـ ـل إلى ما يسوءنـي مسرعان
أيُّ قلـبٍ يطيق شتـم بني خيـ ـر البـرايا وأكرم النسوان ؟
غـير أنّـي يوم القيامـة أشكو هم إلى الحـرَّة الحصـان الرزان [5]
وأنـادي يا بنـت خـير النبييـ ـن ويا أمّ أكرم الفتيان
أيّ شيءٍ صنعـت بابنيك حتّى غزوانـي في الزّنـج والسودان ؟
والسرِّيُّ الـذي سرى في جيوشٍ أضعفتنـي وقصرّت من عناني
بفـمٍ أشـوهٍ وشـدقٍ رحيبٍ وبـكفٍّ يجـول كالصولجان
وأخـوه الفضـل الـذي بان للعا لم من فضـل أكلـه نقصاني
والشمـوليُّ خلقـه خلـق ترّا سٍ عريض الأكتاف عبل الحران [6]
لست أنسـاه جاثياً جاحـظ العيـ ـن عبوسـاً في صورة الغضبان
كالعقـاب الغرثـان يقتنص اللحـ ـم ويهـوي إلى طيور الخوان
والأديب الـذي به كنـت أعتـ ـدُّ غزانـي للحـين فيمـن غزاني

---

(١) النمس : حيوان قصير اليدين والرجلين .

(٢) الظلمان : ذكور النعام .

(٣) الطرف : الجواد ، والكميت : الذي لونه أحمر مائل إلى السواد ، والأقب : الضامر الخصر والسرحان : الذئب .

(٤) القارح : القوي من الخيل ، واللبان : الصدر .

(٥) الحصان الرزان : العفيفة الراجحة العقل .

(٦) ترّاس : صانع التروس ، **عبل الحران** : ضخم .

وكذا الكاتب الذي كان جاري ... وصديقي ومُشتكى أحزاني
غيرتّه الأيام حتى أتاني ... جائعاً للشقاء مذْ سنتان
وصديق الأشراف أخنى على خمـ ... ـري وأفنى بالكرع ما في دناني[1]
كلّما شقّق الفراريج شقّقـ ... ـت لغيظي من فعله قمصاني
وهو في أمره مجدٌ رخيٌّ الـ ... ـبال لم يعنه الذي قد عناني
مجرهدٍ كالسوس في الصوف في الصيـ ... ـف بقلبٍ خالٍ من الإيمان[2]
قلت قل لي يا ابن المبشرّ ما شأ ... نك من بين من غزاني وشاني
ليس هذا من شهوة الأكل هذا ... من طريق البغضاء والشنآن
قلت للفيلسوف لما غدا في الـ ... أكل أعني فتى أبي عدنان
واستحثّ الكؤوس صرفاً بلا مز ... جٍ مكبّاً كالهائم العطشان[3]
ليت شعري أمن رسائل بقرا ... ط تعلّمت ذا وسمع الكيان
أنت تزداد يا خليلي بهذا الـ ... ـفعل علماً بالعالم الروحاني
ثم لا تنس ما لقيت وما مرَّ ... لشؤمي من عسكر الفرغاني
أعجمي اللسان أفصح من قـ ... ـسٍّ إذا ما نشا ومن سحبان
قال قم فأتنا بخبزٍ ولحمٍ ... ونبيذٍ في حمرةِ الأرجوان
وغلامٍ مقينٍ حسن الوجـ ... ـه يحاكي بقدِّه غصن بان[4]
لم توكلْ فرغان إلا بتفريـ ... ـغ دناني وصبِّها في الجفان
إنّ من أعظم المصائب يا قو ... م بلائي بذلك الطرمذان[5]
رجلٌ كالفنيق فدمٌ بلا لـ ... ـبٍّ طويلٌ في صورة الشيطان[6]

---

(١) أخنى : جثم وأفحش في الشراب .

(٢) المجرهد : المشتغل والعابث .

(٣) استحث الكؤوس : أكثر منها .

(٤) المقيّن : المؤدب من القيان .

(٥) الطرمذان : الأبله .

(٦) الفنيق : الفحل من الإبل ، والفدم : الأحمق .

يققاً كالعمود يستعذب الصفـ ـع ورأسٌ أصمٌّ كالسندان(١)
زائد الخلق ناقص العقل والديـ ـن غليظ القذال كالقلّتان(٢)
يبلع الطيبات بلعاً بلا مضـ ـغ ويحسو النبيذ كالثعبان
لا تمتني حتى أراه وقد قصّـ ـر من فضل طوله شبران
وأتوني بزامرٍ زمره يحـ ـكي ضراط العبيد والرّعيان
ومغنٍ غناؤه يطلق البطـ ـن ويأتي بالقيء والغثيان
قصدت هذه الطوائف حمرا يا لهتكي وذلّتي وامتحاني
قلت ما شأنكم قالوا أغثنا ما طعمنا الطعام منذ ثمان
وأناخوا بنا فيا لك من يو مٍ عبوسٍ عصبصبٍ أرونان(٣)
نزلوا حجرتي وأطلقت الأفرا س بين الرطبان والقصلان(٤)
لم يكن مربعاً سوى ساعة حـ ـتى رأيت الزروع كالفلحان
أفقروني وغادروني بلا دا رٍ ولا ضيعةٍ ولا بستان
حيرّوني ودهّوني فقد صر ت بليداً كالذاهل السكرانِ
أسمع اللفظ كالطنين لسهوي وهو لفظٌ يجري لغير معاني
تركوني يا قوم أفقر من فر خٍ وأعرى ظهراً من الأفعوان
أكلوا لي من الجرادق ألفيـ ـن ببنٍّ تشتاقه العارضان(٥)
أكلوا لي أضعافها غير مسطو رٍ ومالوا إلى سميد الفران
أكلوا لي من الجداء ثلاثين قريصاً بالخلّ والزعفران(٦)

---

(١) اليقق : الشديد البياض .
(٢) القذال : القفا حيث يكون الصفع .
(٣) عصبصب : أي عصيب شديد ، والأرونان : الصعب من الأيام .
(٤) الرطبان والقصلان : العلف الطري والناضج .
(٥) الجرداق : الأرغفة .
(٦) الجداء : جمع جدي ، وهو الحمل الصغير ، والقريص : ضربٌ من الأدم .

أكلوا ضعفها شواءً وضعفيـ   ـها طبيخاً من سائر الألوان
أكلوا لي تبالةً تبلّت عقـ   ـلي بعشرٍ من الدجاج السّمان
أكلوا لي مضيرةٍ ضاعفت ضرّ   ي بروس الجداء والعصبان
أكلوا لي كشكيّةً قرّحت قلـ   ـبي وهاجت لفقدها أشجاني
أكلوا لي سبعين حوتاً من النهـ   ـر طريّاً من أعظم الحيتان
أكلوا لي عدلاً من المالح المشـ   ـويّ ملقى في الخلّ والأنجدان
أكلوا لي من القريشاء والبر   ني والمعقلي والصرفان
ألف عدلٍ سوى المصقر والبر   دي واللؤلؤي والصيحاني
أكلوا لي من الكوامخ والجو   ز معاً والخلاط والأجبان
ومن البيض والمخلّل ما تعـ   ـجز عن جمعه قرى حوران
فتّوا لي من السفرجل والتّـ   ـفاح والرازقيّ والرّمان
والرياحين ما رهنت عليه   جبّتي عند أحمد الفاكهاني
درسوا لي من البنفسج والنر   جس ما ليس مثله في الجنان
ذبحوا لي بالرغم يا معشر النا   س ثمانين من معينٍ وضان
ما كفاهم ما مرّ من غنم القر   ية حتى أخنوا على الثيران(١)
ذبحوها والدمع يجري على خدّ   ي انسياباً مثل انسياب الجمان
أكلوا كل ما حوته يميني   وشمالي وما حوى جيراني
ثم قالوا هلمّ شيئاً فناديـ   ـت غلامي قم ويك فاخبأ حصاني
لم تدع لي بطونكم يا بني البظـ   ـر سواه وذا شطوبٌ يماني(٢)
فتمالوا عليَّ شتماً ولعناً   واستباحوا عرضي بكلٍّ لسان
من له قدرةٌ على الشعر يهجو   ني ومن كان مفحماً يلحاني(٣)

---

(١) أخنوا : أفحشوا بقتلها وذبحها .
(٢) شطوب يماني : سيف يماني .
(٣) مفحماً : عاجزاً .

وكأنّي أنا الذي عشت في الخيـ ـر وغيرّت صورة الحيوان
ثم جاء المعقّبون من السّا سة والشاكريّ والعبدان
فرأيت النخاع واللطم والدفـ ـع وكدم الأنوف والآذان
وتفانوا صفعاً وفاح من القو م غبارٌ من الفسا والصِّنان
ثم لمّا أتوا على كلّ شيءٍ ختموا محنتي بكسر الأواني
ثم قاموا إلى الجلاهق والبا شق والمحدقات والزربطان(١)
فرأيت الحمام بعضاً على بعـ ـضٍ وبعضاً ملقى على الأغصان
ورأيت الدّجاج في وسط القر ية ملقى مكسرّ السّيقان
أكلوا ما ذكرت واستعملوا لي يا ثقاتي كرّاً من الأشنان(٢)
ومن المحلب المطيب بالبا ن وماء الكافور سبع براني
شربوا لي عشرين ظرفا من الرا ح لذيذ المذاق أحمر قان
فأقاموا سواسهم والمكاريـ ـن إلى أن سمعت صوت الأذان
ينقلون الأحطاب من حيث وافو ها فبالطير مرّ لي غيضتان
جوزةٌ كان حملها أحسن الحمـ ـل وكانت ظليلة الأفنان
كان لي في فنائها منزلٌ رحـ ـبٌ أنيقٌ يحفّه نهران
ورياضٌ مثل البرود علاها الـ ـطلُّ بين البهار والأقحوان
وطيورٌ ما بينها تتغنّى بجميع اللّغات والألحان
هي كهفي ومستظليّ من الحـ ـر وذخري لنائبات الزّمانِ
أحرقوها يا قوم في ساعة القفـ ـز وضرب الأحطاب بالنيرانِ
كسروا السّكر فاختلطت فقالوا كيف تبقى بغير شاذروانِ(٣)
قطعوا اللوز والسفرجل أحطا باً ومالوا بها على غلماني

(١) الجلاهق : القوس التي يرمى بها البندق .
(٢) الأشنان : حمض تغسل به الأيدي والثياب .
(٣) الشاذوران : نوع من الحلوى .

والنواطير مدّدوا وعلوهم حنقاً بالعصّي والقضبانِ
طالبوني بالنيك في آخر الليـ ـل وجمع النساء والمردانِ
قم فأسرع فبعضنا يطلب المر د وبعضٌ مستهترٌ بالغواني
فتوهّمته مزاحاً فجدّوا قلت هذا ضربٌ من الهذيانِ
ليس يبقي على أرامل حمرا يا سوى بذلهنّ للضيفانِ
لو سمعتم يا قوم في غسق الليـ ـل بكاء النِّساء والولدان
يتنادون بالعويل والويـ ـل وراء الأبواب والجدرانِ
ويقولون ويلنا من أبي القا سم هذا المطرمذ المخرقاني(١)
قصدته الأعداء فاستملكونا فحصلنا أسرى بغير أمان
أوجروني النبيذ بالرطل حتى صرت أمشي كمشية الفرزان(٢)
فجعوني لمّا سكرت بهميا ني وشقّوا عصائب الطيلسانِ
كان في أوّل النهار على رأ سي فأمسى على رءوس القيان
ثم راحوا بعد الهدوء إلى دا ري فلم يتركوا سوى الحيطان
كان لي مفرشٌ وكلٌّ مليحٍ فوقه مطرحٌ من الميساني
وبساطٌ من أحسن البسط مذخور لعرسٍ او دعوةٍ أو ختان(٣)
غرّقوه بالزّيت والبول والقـ ـيء فأضحى وقدره بعرتان
أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كيـ ـلٍ يكيلونه ولا ميزانِ

خلت داري يا إخوتي المسجد الجا مع ليلاً للنصف من رمضان
سرقوا جبَّتي وسيفي وسكيـ ـني وخفِّي وجوربي ورّاني

---

(١) المطرمذ : الأبله . والمخرقان : الكاذب المختلق .
(٢) الفرزان : من حجارة الشطرنج .
(٣) الختان : طهور الطفل الذكر .

ثم لما انتهت بهم شدَّة الكظَّـة خرّوا صرعى على الأذقان[1]
هوّموا ساعةً كتهويمة الخا ئف في غير ارضه الفزعان
ثم قاموا ليلاً وقد جنح النسر ومال السّماك والفرقدان
يصرخون الصبوح يا صاحب البيت فأبكوا عيني وراعوا جناني
سحبوني من جوف بيتي على وجهي كأنّي أدعى إلى السلطان
بقلوبٍ أشدُّ حرّاً من الجمر وأقسى من الصفا الصوان
قلت رقّوا لذلك الطفل ميمون ولا تؤتموه يا إخواني[2]
ما تفي أكلةٌ بقتل غريبٍ ذي عيالٍ ناءٍ عن الأوطان
علّقوني بفرد رجلٍ إلى السّقف وعذّبت ليلتي بالدخان
لو رآني أبي وأمي على رأسي ورجلاي بالعصا تنقران
بكيا لي من ذاك واشترياني من يديهم بكلّ ما يملكان
وقع الضرب ياخليلي على جسمٍ من السّوط والعصا قرحان[3]
قلت للفضل والسريِّ غثاني ومماتي قد حلَّ بي خلّصاني
واذكرا عشرتي وودّي وإخلاصي وحنّا عليَّ واستبقياني
أنتما إن قتلتماني وحقّ اللـه من أجل أكلةٍ تندمان
أيّ شيءٍ تركتماه لضعفي قد مضى لي بالأمس ما قد كفاني
أحلفاني أن ليس عندي مشروبٌ ولا في خزانتي لقمتان
فاستشاطا عليَّ غيظاً وقال الـفضل قلّ لي بأيّ عينٍ تراني
نحن من أجهل البرية طرّاً إن حصلنا منكم على الأيمان
قطعوا الحبل فانقلبت على رأسي وظهري فاندقَّ لي ضلعان

---

(١) الكظّة : التخمة .

(٢) تؤتموه : أي تجعلوه يتيماً .

(٣) قرحان : سريض .

ثم لمّا تمكّن اليأس خلّو ني ومالوا حشواً على الأتبان[1]
وأجيري مسخَّرٌ ينقل الأتبان بالذل عارياً والهوان
وهو يبكي فقلت ويحك ما تصـ ـنع بالتبن بعد موتة الفدّان
سرقوا السُّرج والقناديل والزيـ ـت وأقداحنا وكلَّ القناني
والنبيذ استقوه واغتنموه آخر الليل كاستقاء السواني[2]
زوّدوه سواسهم والمكاريـ ـن معاً بالجرارِ والكيزان
لو ترى الفضل وهو يحمل في السر ج قميصاً مخيَّط الأردان
قد حشاه لحماً وطيراً وسبعيـ ـن رغيفاً من أعظم الرغفان
سرقوا الراح في الزقاق وراحوا بطعامٍ منضّدٍ في الصوّاني
ميزّوا خيلهم بكلٍّ كسيرٍ وعقيرٍ مدبَّرٍ جربان
خلّفوه يرعى بقيَّة زرعي رعيَ لا خائفٍ ولا متوان
ما رثى لي سوى المبارك من ضـرّي وذاك القصير الدحدحاني
رفّهاني وخفّفا الثقل عني فهما من ملامتي سالمان
والسري السرى حقاً كما سـ ـمى أيضاً من بطنه أعفاني
هل سمعتم فيما سمعتم بإنسا نٍ عراه في دعوةٍ ما عراني
أسعدوني يا إخوتي وثقاتي بدموعٍ تجري من الأجفان
إخوتي من لواكف الدمع محزو نٍ كئيبٍ مدلّهٍ حيران
هائم الفكر ساهر الليل باكي الـ ـعين واهي القوى ضعيف الجنان
لم يكن ذا القران إلاّ على شؤ مي فويلي من نحس ذاك القران

قد أحسن في هذه القصيدة غاية الإحسان، وأبان فيها عن مغزاه أحسن بيان . وتصرف فيها وأطال، وأمكنه القول فقال. وإذا تخلص الشاعر عند الإطالة

---

(١) الأتبان : قصب القمح والشعير وغيره اليابس ، يطحن ويستعمل علفاً للحيوانات .
(٢) السواني : البُهم .

والوصف هذا التخلص، وسلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص . فهو الذي لا يدرك غوره ، ولا يخاض بحره .

وقال أيضاً يهجو أبا الفضل يوسف بن علي، ويعرض فيها بمنشأ بن إبراهيم ابن القزاز ، ويقال : إن هذه القصيدة كانت سبب عزله من عمله ، وقد تصرف فيها كل التصرف ، وهي سالمة عن التكلف، ولم يقل في معناها مثلها ، وهي [من المنسرح]:

يا أهـل جيرون هل لسامركم ... إذا استقلّت كواكب الحمل
في ملحٍ كالرّياض باكرها ... نوء الثّريا بعارضٍ هطلَ
أو مثل نظم العقود بالشذر والـ ... درٍّ وَوَشي البرود والكللِ[1]
يلذُّ للسامع الغناء بها ... على خفيف الثقيل والرمل
كنت على باب منزلي سحراً ... أنتظر الشاكريّ يسرج لي
وطال ليلي لحاجةٍ عرضت ... باكرتها والنجوم لم تمل
فمرّ بي في الظلام أسود كالـ ... فيل عريض الأكتاف ذو عضل
أشغى له منخرٌ ككوّة تنـ ... ورٍ وعينٌ سجراءَ كالشّعل[2]
ومشفرٌ مسبلٌ كخبٍّ رحىً ... على نيوبٍ مثل المدى عُصُل[3]
مشقّق الكعب أفدع اليد والر ... جل طويل الساقين في سمل[4]
فأهدت الريح منه لي أرجاً ... مثل جني الروض في الندى الخضل
مسكاً وقفصيّةً معتّقةً ... شيبا ببانٍ وعنبرٍ شمل[5]
فقلت ما هكذا يكون إذا ... راح الندامى روائح السفل

---

(١) الشذر : العقد ، والكلل : جمع إكليل .
(٢) الأشغى : الطويل المنقر المعقوف ، والمسجور : المحمّى والمستعر .
(٣) العصل : المعقوفة .
(٤) أفدع : أعوج ، والسمل : البالي الرث من الثياب .
(٥) شيبا : مزجا .

أسـود غادٍ من الأتـون له عرف أميرٍ نشـوان في فضل
هذا وربّ السّمـاء أعجـب من حمـار وحشٍ في البـرّ منتعل
اردده يانصـر كي أسائـله فشأنـه عضلـةٌ مـن العضل
فقـال يخشـى فوات حاجتنا وليس هذا من أكبـر الشغل
فقلـت ترك الفضـول يا ناقص الـ ـهمّـة عين الإدبـار والكسلِ
بادره من قبـل ان يفوتـك في سلـوكه بين هذه السُّبلِ
فصـدّ عنّـي تغافـلاً ومضى يعجـب من عقلـه ومـن خللي
وصـاح من خلفـه رويدك يا أسـود مالـي بالعـدوٍّ من قِبَلِ
ارجـعْ إلـي ذلك الـرّقيع وإن أطـال في خطبـه فلا تطل
أجـبْ إذا ما سئلـت مقتصداً في اللفـظ واسكتْ إن أنـت لم تسل
وهـو بتـرك الفضـول أجـدر لو يسلـم من خفّـةٍ ومـن خطل[١]
فكرّ نحـوي عجـلان يعثـر في مرطٍ كسـاءٍ مبرغـثٍ قمل[٢]
وقـد مذى والمـذي يقطـر من غرمولـه في الـذيول كالوشل[٣]
وظـنّ أنّـي صيدٌ فأبـرز لي فيشلـةً مثـل ركبـة الجمل[٤]
سوداء قد طوّقـت بطـوق خرا أصفـر تزهـى به علـى الحجل
وقـال لجْ داركم لأولجها فيك وإن كنـت لم تبـل فبل
فطالمـا أسهلـتْ طبيعـة من ليس لأمثالهـا بمحتمل
هذا علـى أنّهـا مؤدّبةٌ من الفياشـي المروضـة الذلل
وطـال والله ما خدمـت بهـا الـ ملـوك خلف السّتـور والكلل
وكنـت أغشاهـم علـى فرش الـ خزّ بـلا سقطـةٍ ولا زلـل

---

(١) الخطل : فساد الرأي .
(٢) المرط : الثوب الطويل المذيل .
(٣) المذى : ما يخرج من القضيب عند تهيّجه ،والوشل : الماء القليل .
(٤) الفيشلة : عنق القضيب الضخم .

لأنهـا صنعتـي وصنعـة آ بائـي قديمـاً في الأعصـر الأول
وزاد في دولـة اليهـود بها شرطـي علـى ما مضـى من الدّول
حتّـى لقـد فتّقـتْ فروشهم وطـرّيت بالغـدوّ والأصـل
فانظـر إليهـا فإن رأيت لها شبهـاً فلا تدعنـي أبـا الجعل
وخـذ عمـوداً أغلافـه شرجٌ لم يمتهـنْ ساعـةً ولـم يذل[1]
قلـت له لا عدمـت برّك قد بذلـت ما لم يكن بمبتذل
وجـدت عفـواً من غير مسألةٍ بدرّةٍ لا تبـاع بالجمـل
لكنّنـي والـذي يمـدُّ لك الـ ـعمـر ويعـطيك غاية الأمـل
ما شقّ دبـري مذ قطّ فيشلةٌ ولا انتخـاب الأيور من عملي
ولا لهـذا دعيت فاطلـب لميـ لوخـك من يستلـذّهُ بدلي
وهـاتِ قل لي بالله من أين أقـ بلـت ودعنـي من هذه العلل
فقـال لي بتٌّ عنـد عاملكم هذا أبـي الفضـل يوسف بن علي
فصـاك بي طيبـه وصـاك به منّـي صنـانٌ في حدّة البصل[2]
تركتـه بالنهـار اخفش لا ينظـر في خـدمـةٍ ولا عمـل
قلـت تزيّدت وادّعيت علـى شيخٍ نبيـلٍ ينمـى إلـى نبل
أبـوه سمـحٌ وجـدّه ملكٌ يدعـى حنينـاً وعمُّـهُ الصملي
لعـلّ ذا غيره فصفـهُ فما يخـدع مثلـي بهـذه الحيـل
فإن تكن صادقـاً نجـوت وأنـــحيت عليه باللـوم والعذل
وإن تكن كاذبـاً صفعتـك بالنــعـل فإن كنـت قائـلاً فقل
فقـال يا سيدي عجلـت بمكـــر وهـي وكان الإنسـان من عجل
هذا الـذي بتٌّ عنـده نصفٌ دون مســنٍّ وفـوق مكتهل

(١) الشرج : نهاية المعيّ .
(٢) صاك : لزق .

في فيه نتنٌ وتحت عصعصه عينٌ تمجُّ الصديد في دغل[1]
آدر رخو العجان منخرق الـ مبعر ألحى مهيّج السفل[2]
حيضة باسوره إذا اختلطت بالسّلح كالسمن شيب بالعسل
له إذا ما علوته نفسٌ أمضى من السيف في يد البطل
يصرع طير السماء في الأفق الـ أعلى ويوهي مخارم القلل
أنتن من كلٍّ ما يقال إذا بالغ في الوصف ضارب المثل
وهو على ذاك مولعٌ أبداً لشؤم بختي بالعضٍّ والقبل
نعم وفي باب سرمه وضحٌ أبيت ليلي منه على وجل
أخاف يعدى أيري ببرصته فأغتدى مثلةً من المثل
أسود كالليل بين أكرعه عمود صبحٍ ينجاب عن طفل[3]
فقلت هذى صفاته ولقد شغلت قلبي بذلك الرجل
فقال أمّا إذ اهتممت به فإنّه في نهاية الجذل
قد طاب عيشاً وقد أصاب من الـ لذة ما لم يصب ولم ينل
يكون مثل العروس مفترشاً طوراً وطوراً كالفحر في الإبل
فيجمع اللذّتين مغتبطاً ذي دبره تارةً وفي قبل
وهو عوانٌ لم يخش من ألم الـ حمل عقيمٌ لم يخش من حبل[4]
وأنت يا ابن الخراء محتفلٌ بأمره وهو غير محتفل
فقلت قل لي من أين تعرفه فقال ذرني من هذه العقل
كنت أجيراً بيدٍّ معصرةٍ بصور كانت لكاتب البجل
وكنت أضحى النهار في ظاهر الـ يد إذا ما انصرفت من شغلي

---

(١) الدغل : في خفاء .
(٢) آدر : فاسق ، والعجان : الإست .
(٣) الطفل : وقت مغيب الشمس .
(٤) العوان : نصف المرأة ، لا بكر ولا متزوجة .

فنمـت يومـاً وكنـت من سهـر الـ ... ليل وقيذاً كالشـارب الثمـل[1]
وهبّـت الـريح فانكشفـت ولم ... أشعـر وطـار الشـراع عن قبلي
واجتـاز للحين والقضـاء الذي ... حمّ منشـا في موكبٍ زجل
حف بّصفـر البنـود والخيل والر ... جل وبيض الصـفيح والأسل
علـى كميتٍ أقـبّ كالصّخـرة الـ ... صمـاء قدت من قنّـة الجبل[2]
ليس بأشغـى ولا أجش ولا ... أهضـم طـاوي الحشـى ولا شغل[3]
وهـو أمـام الصفـوف تقدمه ... جرد الهـوادي شوازبُ المقل[4]
مجنّبـاتٌ كأنهـنّ سـرا ... حين قطـاءٍ أو كالقنـا الذّبل[5]
وحـان منـه التفاتـة فرأى ... ذيل قميصـي قد قدًّ من قبل
فاشتـدّ تحـديقـه إلـيًّ كما ... حدّق ذئـبٌ طـاوٍ إلـى حمل
ولـم أبـت ليلتـي وعيشـك يا ... مولاي حتّـى دعيت بالرسل
فجئتـه خائفـاً كمـا يلـج الـ ... ـعصفـور مستكرهـاً علـى الـورل[6]
فارتعـت لمـا رأيت لحيتـه ... وكـدت أخـرى من شدّة الوهل
وظـنّ أنـي استحييتـه فغدا ... يبسطنـي بالمـزاح والغـزل
وقـال هذا الحياء ـ يا بأبي ... أنـت ـ بريد النـكول والفشل[7]
فاطـرّح الهيبـة المضـرة بي ... واعتـزل الخـوف أيّ معتزل
إن كنـت أكرمتنـي لترفـع من ... قدري فبعض الهـوان أنفـع لي

---

(١) الوقيذ : المحزون والثقيل والشديد المرض ، والثمل : السكران .
(٢) قنّة الجبل : قمّة الجبل .
(٣) طاوي الحشى : جائعه وضامره ، والشازب : الضامر والخشن .
(٤) الجرد : الخيل ، والشازب : الضامر والخشن .
(٥) السّراحين : الذئاب .
(٦) الورل : دابة تشبه الضبّ تكون في الصحارى والرمال .
(٧) النكول : النكوص والهرب .

انتف سبالى واصفع قفاي ولا ... تنظر إلى قدرتي ولا خولي
ولا عبيدي ولا فروشي ولا ... طيبي ولا حليتي ولا حللي
إن يشقَ أعلاي باللطام فقد ... يسعد بالرهز بعده سفلي[1]
وليس بعد المزاح يا بأبي ... في الرأس من حشمةٍ ولا خجل
ولم يزل دائباً يشمرخ شا ... قولي ويختال لي على مهل[2]
فحين أدليت كالحمار بدا ... يرفع أجلاله عن الكفل
وخرّ للوجه والجبين وقد ... رطّب حول خصييه بالبلل
طعنته طعنةً بصدق الأنا ... بيب أصمّ الكعوب معتدل
فقال : أوجعت جوف مقعدتي ... وظلّ يدعو بالويل والهبل
وقرقرت بطنه وربّتما ... حذّرت من مثلها ولم أبل
ثم رماني بسلحة خطمت ... أنفي فزاولتها على ميل[3]
فقلت: يا سيدي ويا أملي ... أظن ذا السرم من بني ثعل
فقال: أخطأت إذ أسلت دمي ... فقلت: كلا والله لم يسل
أين النجيع القاني ؟ فديتك من ... لطخٍ رجيعٍ كالورس منسحل[4]
ألا تبرّزت لا أبالك أو ... شددت من باب سرمك النغل ؟[5]
فقال لما أنشأت تعفجني ... في استي برمحٍ لم يعتصم سفلي[6]
ألم تكن عالماً بأنّ سلا ... ح استي سلاحي في كلّ منتضل[7]

---

(١) الرهز : النهز والإدخال .
(٢) يشمرخ : ينتصب ، والشاقول : القضيب .
(٣) خطمت : أصابت وقطعت .
(٤) النجيع : الدم ، ومنسحل : مطحون .
(٥) تبرّزت : خرجت ، والنغل : الفاسد .
(٦) تعفج : تعالج وتعرك .
(٧) منتضل : معترك .

خذ آبنوساً حلّيته ذهباً فالحلي أولى به من العطل[1]
ولا تلمني فكيف أصنع في سرمٍ شديد الحكاك مؤتكل
تمنعه اللّذة الحياء فتسـ ترخي حواشي مثقّفٍ نغل
نعم وعاجلتني بجانفةٍ أصمت ومرّت في موضع العلل[2]
عاجلت قلبي عن التحفّظ في أمري برهزٍ كالبرق مشتعل
وخاض جعسي أيرٌ به هوجٌ يجوز حدّ الجنون والخبل[3]
يا سيدي ما اسمه فقلت أبو الـ أسود يكنى وليس بالدؤلي
فقال: يا حبذا أبو الأسود الزا هد فينا بسلحةٍ قبلي
هل رابه غيرها وقد جعل الـ ـماء طهوراً لكلّ مغتسل
فامض وعد بعدها لترويني من بعد نومي علاً على نهل
ولاتخف بعدها وصاح بفرّا ش قصير السّربال معتمل
فقال ذاك الفرّاش: مالك قد متّ كذا فاغتسل ولا تبل
فهذه عادةٌ لسيّدنا موروثةٌ عن أبيه لم تزل
ولم أزل في خزانة الفرش أيّـاماً مخلّى في زيّ معتقل
حتى انثنت صعدتي وبان له فيَّ اناة الفتور والكسل[4]
ثم تغنّي والأير في يده قد خفّ بعد العتوّ والثقل
يا دار هندٍ بالخيف من ملل حييت من دمنةٍ ومن طلل
وقال لي ويك في دمشق أخٌ للوقف والخرج والضياع بلى
وهو بحبّ السودان أعرفه وليس عن رأيه بمنتقل
فخذ كتابي وسر إليه ولا تترك مقالاً مذ قطّ لم يقل

---

(١) الجيد العطيل : الخالي من الحليّ .
(٢) الجانفة : الجالفة ، جلف وجنف بمعنى كشط الجلد .
(٣) الخبل : فساد العقل .
(٤) الصعدة : القوّة ، أي ضعفت شهوته وفتر قضيبه .

وقـلّ سرتْ بي في الليل ذعلبةٌ تهـدي صدور المهـريّة البزل[1]
تمطـو جماحـاً إذا المطـيُّ ونتْ حتـى تراخـى لهـا من الجذل[2]
أهـوى بطـون الأقطـار في غسق الـ ـميل وآوي مناهـل الـوعل
وليس لي شافـعٌ إليك سوى فيشلـةٍ أسهلـت أبـا سهل
فإنّـه سوف يلتقيهـا ويحـ ـبوهـا إذا أقبلـت بحيهل[3]
وتغتـدي عنـده أعـزّ من الـ أهلين والأقـربين والخول
فجئتـه واثقـاً بقـول أبي سهـلٍ ومـن يسمـع المنـى يخل
فمـا حصلنـا إلا عـلى سهرٍ يعمـي ورهـزٍ يوهـي القـوى نكل
وكان هذا ابتـداء معرفتي به ، فحسبـي فاقطـعْ ولا تصل
وقـد مضـى يومنـا بلا عملٍ ترجـى لـه أجـرةٌ ولا أمل
ظننـت للنيك قد دعيت، ولم أدري بأنـيّ دعيت للجدل

صرف عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أصال ولم يصرفه صرف عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أطال ولم يصرفه بعد منثور يتقدم ذلك :

قلـت له : اذهـب مصاحبـاً فلقد حدثّـت عنـه بحـادثٍ جللِ
فمـرّ يسعـى كأنّـه ثملٌ من سهـرٍ كدّه ومـن ملل[4]
يقـول في سيره وقـد وضـح الـ صبـح : ألا ربّ واثـقٍ خجل
كان نكاح إبليس زوّره بلا شهـودٍ ولا حضـور ولي
لا بارك الله فيهمـا فلقد جاءا بمـا لا يجـوز في الملل

---

(١) الذعبلة : الناقة السريعة ، البزل : النوق والجمال .
(٢) تمطو جماحاً : أي تسرع في مشيتها ، والونى : الضعف .
(٣) بحيهل : كلمة منحوتة ، من حيّ أي أقبل ، وأهلاً وسهلاً .
(٤) كدّه : أرهقه .

وعـدت بالله أسـتعيذ من الـ سوء ومـن كلّ موقفٍ رذل
والحمـد للواهـب السلامـة من جرحٍ يداوي بهـذه الفتُل[1]

وإن اتفق وجود المنثور ألحقته بعون الله وقدرته .

٢٧ ـ أحمد بن محمد الطائي الدمشقي

قال [من الخفيف] :

قـد غدونـا إلـى صلاة الغداة ثم ملنا منهـا إلـى الحانات
فشربنـا مدامـةً كدم الخشـ ـف عقـاراً تضـيء في الكاسات
فـإذا شجّهـا السقـاة بمـاءٍ أبـرزت مثـل ألسـن الحيّات[2]
وكأنّ الأنـامـل اعتصرتهـا من شقيق الخـدود والوجنات

* * *

٢٨ ـ أبو محمد الموصلي

قال يرثي أم الأمير أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ، وقد رثاها الناس على طبقاتهم [من الخفيف] :

يا أميراً علا علـى النّجـم همّه مثل ما قد زرى على الخلـق عزمهْ[3]
أكثـر النـاس في التعـازي وقـالوا كلّ معنـىً ينسـي أخـا الهـمٍّ همَّهْ
فاختصـرت العـزاء في نصف بيتٍ كلّ خطـب إذا تعـدّاك نعمهْ

* * *

(١) الفتل : جمع فتيل ، وهو ما يداوى به الجرح ويستخرج به قيحه .
(٢) شجّها : مزجها وشقها .
(٣) زرى : عمّ .

٢٩ ـ أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي

شاعر بارع . وعالم جامع . قد برع في إبانه ، على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه . وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام . فمن ملح شعره وغرائبه قوله من قصيدة مربعة [من الرجز] :

رسالـةٌ من كلفٍ عميد حياتـه في قبضـةِ الصّدودِ
بلَّغـه الشّـوق مدى المجهود ما فوق ما يلقـاه من مزيدِ

* * *

جـار عليه حاكمُ الغـرام فدقَّ أن يُدرك بالأوهام
فلـو أتـاه طارقُ الحمـام لم يرده من شدَّة السقام

* * *

لـه اهتـزازٌ وارتياحٌ وطربْ لوجـه من أورثـه طول الكربْ
فهل سمعتـم في أحـاديث العجبْ بمـن منـاهُ قُرْبُ مَنْ منـه العَطَبْ

* * *

مـا غاب عنـه الحـزم في الأمور لكنّ مقـدار الهـوى ضروري
صاحبـه يخبـط في ديجور منفسـد التّقـديـر بالمقدور

* * *

إذا التقـى في مسـمعيه العذلُ وقيل من دون المـراد القتلُ
قـال لهـم لوم المحـبِّ جهلُ إنّ الهـوى يغلـب فيه العقلُ

* * *

مـا العـذر في السلـوة عن غزالِ منقطـع الأقـران والأشكالِ

تستخلف الشمس لدى الزوال ضياء خدّيه على الليالي

* * *

بخفة الروح احتوى صلاحي فصرت لا أرغب في الفلاحِ
والشكل والخفّة في الأرواح أملح ما يعشق في الملاحِ

* * *

من عشق الفدم وإن دقّ البصرْ فليقصد البيعة وليهوَ الصُّور(١)
من كان يهوي منظراً بلا خبر فما له أوفق من عشق القمر

* * *

ظبيٌ سلويّ عنه مثل جودهْ خياله أكذب من موعودهْ
أجفانه أسقم من عهوده أردافه أثقل من صدودهْ

* * *

يا وصله صل مثل وصل صدّه يا حكمه كن في اعتدال قدِّه
يا قلبه كن رقةً كخدّه يا خصره كن مثل ضعف عهده

* * *

أمّا وخصر ضعفه كصبري له ووجه حسنه كشعري
له عذارٌ قام لي بعذري لا تِبْتُ من شوقي إليه دهري

* * *

أضحى لإبليس به استقدار على بني آدم واستبشارُ
وقال : في ذا تستطاب النار ما لهم عن مثل ذا اصطبارُ

* * *

(١) الفدم : الغليظ الأحمق .

تمّـت لي الحيلـة في العباد أدركت من صالحهـم مرادي
بمثـل ذا أمكننـي إفسادي لأنفـس العبّـاد والزّهادِ

* * *

والهفتـي من خدّه الأسيلِ إذا انجلى عن صفحتـيْ صقيلِ [1]
واحربـي من طرفـه الكحيلِ مَنْ منصفـي منـه ومَـنْ مديلي ؟ [2]

* * *

مـن مقلـةٍ كالصّـارم البتّار ألحاظهـا أمضـى من المقدار [3]
تحـكم في لبِّـي وفـي اصطباري نظيرَ حكم الدّهـر في الأحرار

* * *

حـلّ قواي العقـد من زنّاره ألهـب قلبـي خدُّهُ بنارهِ
عـذّرٍ صبـري مبتـدا عذاره حيّرنـي بالطـرف واحوراره [4]

* * *

جـاء بوجـهٍ حسنـه محبوبُ تطيب في أمثالـه الذّنوبُ
وقامـةٍ ذلّ لهـا القضيبُ والقـدُّ تنقـدُّ به القلوبُ

* * *

هفـا بقلبـي منـه إفـراطُ الهيَفْ فقلـت لمـا أن تثنّى وانعطف : [5]
يا سيدي من دون ذا الميل التلفْ وشرط من كان ظريفاً في القطف [6]

* * *

---

(١) الأسيل : الأملس الناعم ، والصقيل : السيف المصقول .
(٢) الحرَب : الأسف والحزن ، والمديل : المعين والمغلّب .
(٣) البتّار : القاطع .
(٤) الحور : شدّة سواد العين وشدّة بياضها .
(٥) هفا : حنّ ومال ، والإفراط : الإكثار .
(٦) التلف : الهلاك .

مـا قِصَـرُ القامـة مثـل الطول		ولا البـدين الجسـم كالمهزول
عشـق الـرشيق الأهيف المجدول		شأن ذوي الأفهـام والعقول

* * *

لا يعشـق الضخـم الغليظ الجسمِ		غير غليظ الطبـع جافٍ فدمِ
مـكدّر الحسّ ركـود الفهم		يقـول في الحسـن بغير علمِ

* * *

قد صحـت لمـا خفـت منـه القتْلا		وكدت من فرط السقـام أبلى :
يا حاكمـاً جانَـبَ فيَّ العـدلا		مهـلاً بمـن يهـواك مهـلاً مهلا [1]

* * *

يا ظالمـاً يقتلـنـي مجاهره		قد منـع الوجـد من المساتره
هلـم إن شئـت إلـى المناظره		واستعمـل الإنصـاف لا المكابره

* * *

فـي أيِّ دينٍ حلَّ قتـل الروح		وهـل لمـا تفعـل من مبيحِ
إن قلـت ذا جاء عن المسيح		فليس مـا تـزعـم بالصحيحِ

* * *

مُـرْقُصُ ما أخبرنـا بذا الخبرْ		عنـه ولا لوقـا حكاه في الأثرْ
وقـد نهـى عن ذا يوحنـا وزجر		ولا ارتضـى متَّـى به ولا أمرْ

* * *

أربعـةٌ ليس لهـم عديلُ		ولا لهـم فـي أمرهـم كفيلُ

---

(١) جانبَ : ابتعد وفارق .

مـــا فيهـــمُ مـــن قـــال مـــا تقولُ فهـــل ســوى إنجيلهـــم إنجيلُ

* * *

فـــإن زعمـــت أن ذا موجود في زبـــرٍ جاء بهـــا داودُ
فمـــا الزّبـــور بيننـــا مفقود فكيف لـــم تعلـــم بـــه اليهودُ

* * *

ولـــم يخبّـــر أحـــدٌ سواكا مـــن النصـــارى كلّهـــمْ بذاكا
لا تتقـــوّل غـــير ما أتاكا وغلّـــبِ الحـــقّ علـــى هواكا(١)

* * *

سفـــك دمـــي يحظـــر في الأديانِ فدع حجاجـــاً ظـــاهـــر البطلانِ
لا تجمـــع الإثـــم مع البهتانِ وكن علـــى خوفٍ من العدوانِ(٢)

* * *

واعلم بأنـــي إن تمـــادى بي الهوى وخفـــت أن أتلف من فرط الضّنى
ودمـــت في هجـــرك لي كمـــا أرى ولـــم أجـــدْ منـــك لمـــا بي مشتكى

* * *

شـــكوت ما تلقـــاه نفســـي البائسهْ من خطـــراتٍ للهمـــوم هاجسهْ
عفـــت رســـوم الصبـــر فهـــيَ دارسهْ إلـــى جميع عصبـــةِ الشمامسهْ

* * *

فـــإنْ هُمُ لـــم يرحمـــوا أنيني وخيّبـــوا في قصدهـــمْ ظنوني

---

(١) لا تتقوّل : لا تختلق الأقوال .
(٢) البهتان : الزور وعدم الحقيقة .

ولــم أجــد في القــوم من معين ينصفنــي منـك ولا يعديني

* * *

شــكوت ما يلقــى من الأحزان قلبــي إلــى مشيخــةِ الرُّهبانِ
عســاك تستحــي من الشّيخان وإن تهاونــت بهـم في شاني

* * *

فــلا أراك مغضبــاً عبوسا إذا أتيت أســأل القسّيسا
معونــةً أرجــو لهــا التّنفيسا عن مهجــةٍ قاربــت النسيسا[1]

* * *

واعلــمْ بأنــي إن رددت شافعي هذا ولـم يرجــع بأمـرٍ نافعِ
فلَيس ذا بحــاســمٍ مطــامعي كم طالــب جدّاً بجــدٍّ مانعِ

* * *

لـو كنــت مبــذولاً لنــا لم تطلبِ وإنمـا نـرغــب إذ لـم ترغبِ
وكلّــت النّفس بتــرك الأقرب وشدّة الحـرص علـى المستصعبِ

* * *

وإن تمــاديت علــى جفائـكا ودمــت بالقلّـة من حبائـكا[2]
فــي هجرنــا عل قبيحِ رأيـكا واســتيأس الرهبــان من إصفائـكا

* * *

(١) النسيس : آخر الرمق والروح .
(٢) الحباء : العطاء والتكرّم بالوصل .

فـلا تلمنــي إن قصــدت الأسقفا   من برَّحَ السُّقــم بهِ رامَ الشفّا[1]
فـلا تقـل أبــديت مكنــون الخفا   أنــت الــذي أحوجتنــي أن أكشفا

* * *

سوف إلـى المطـران أنهـي قصّتي   إن دام ما تؤثــره من هجرتي
فــإن رثــى لي طالبــاً معونتي   ولــم تشفّعــه بكشف كربتي

* * *

شــكوت ما يلقــاه من فرط السقمْ   قلبي إلى البطـرك والحبـر العلم[2]
عســاك إن حالفتــه فيمــا حكمْ   يدخلك الحــرم فويلُ من حرم

* * *

هنــاك تأتــي مســتقيلاً ظلمي   تسألنــي عطف الــرضى بالرغم
ترضــى بمــا ينفــذ فيك حكمي   إذا بك اشتــدّ عذاب الحرم

* * *

دع ذا فهـذا كلّــه تهديدُ   أرجــو به قربــك يا بعيــدُ
هيهــاتَ سرّي أبــداً جحود   فيـك وقولــي كلّمــا تريــدُ

* * *

مــولاي قد ضاقــت بيَ الأمورُ   فقلــت ما قلــت وقولــي زورُ
قلبــيَ إلاّ في الهــوى جسورُ   فلا تلــم أن ينفــث المصدورُ[3]

* * *

---

(١) برّح : آلم وعذّب .
(٢) الحبر : العالم النحرير ، وهو رئيس الأساقفة .
(٣) المصدور : المسلول ، مريض الصدر .

مـولاي بالرحمـن أحـيِ مغرما | يخـاف أن تغضـب إن تظلّما
إليك أشـكو فعسى أن تنعما | مهـلاً قليلاً قد قتلـت المسلما

* * *

يا جرجس ارفـق بفـؤادٍ هائمِ | يا سيدي خفْ سوء عقبي الظالمِ
وقـد رضينـا بك في التّحاكمِ | والجـور لا يشبـه فعـل الحاكمِ

* * *

أقصـى رجائـي منـك نيل الودِّ | وقبلـةٍ تشفـي غليـل الوجـدِ
يا جائـراً أفـرط في التعدِّي | منـك إليك في الهـوى أستْعـدي

* * *

وقال في أزمنة السنة مزدوجة [من الرجز] :

يا سائلـي عن أطيب الدّهور | وقعـت في ذاك علـى الخبير
سألتنـي أيّ الزمـان أحـلى | وأيّهُ بالقصف عنـديَ أولى
عنديَ في وصف الفصـول الأربعة | مقـالـةٌ تغنـي اللبيب مقنعه

فصل الصيف :

أمـا المصيف فاستمـعْ ما فيهِ | من فطـنٍ يفهـم سامعيه
فصـلٌ من الدّهـر إذا قيل حضرْ | أذكرنـا بحـرِّه نار سقر(١)
تبصـر فيه النبـت مقشعرا | والأرض تشـكو حرَّه المضرّا
نهـاره مقسّـمٌ بين قِسَمْ | جميعهـا يعـاب عنـدي ويذمْ
أوّلـه فيه ندىً مبغضُ | كأنّـه علـى القلـوب يقبضُ
يلصـق منـه الجسـم بالثّياب | وتعلـق الأذيال بالترابِ

---

(١) سقر : جهنّم .

حتى تراهـا مثـل منـديل الغمرْ فيهـنَّ تخـطيطٌ كتخـطيط الحبرْ[1]
حتـى إذا ما طردتـه الشمسُ وفرحـت بأن يزول النفس
فتحـت النّـار لـه أبوابهـا وشـبّ فيهـا مالكٌ شهابهـا
حـرٌّ يحيـل الأوجـه الغرّانا حتـى ترى الـروم بهـا حبشانا[2]
يعلـو به الـكرب . ويشتـد القلقْ وتنضـج الأبـدان منـه بالعرق
تبصـره فوق القميص قد علا حتـى ترى مبيضّـهُ مصندلا[3]
إن كان رثّـاً زاد في تمزيقه أو مستجـداً حلّ حبـل زيقه[4]
ثـم يعيد المـاء ناراً حامية تزيد في كرب قلـوب الضاويه[5]
شاربـه يكرع في حميمِ كأنّـه من ساكنـي الجحيم
ينسيه ما يلقـى من التّهابه أن يحمـد الله علـى شرابه
حتـى إذا عنّـا انقضـى نهـاره وأرخيـت مـن ليلـه أستاره
تحـرّكتْ في جنحـه دواهي ساريةً وأنـت عنهـا ساهي
من عقـربٍ يسعـى كسعـيِ اللّصِ سلاحهـا في إبـرٍ كالشّصِّ[6]
وحيّةٍ تنفـث سمّـاً قاتلا تزود الملـدوغ حتفـاً عاجلا
تبصـر ما في جلدهـا من الرقشْ كوجنـةٍ مصفـرّةٍ فيهـا نمشْ
لـو نهشـت بالنّاب منهـا الخضرا لبتـرت منـه الحياة بترا[7]
فـإن أردت الشـرب في إبانهْ علـى الـذي وصفتـه من شانهْ
أبشـر بمـا شئـت من الصراعِ فضـلاً عن التهـويس والصّداعِ

---

(١) الحبرة : الملاءة .
(٢) يحيل : يجعل ويحوّل ، والغران : البيضاء .
(٣) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر خشبه طيّب الرائحة .
(٤) الزيق : من القميص ما أحاط بالعنق .
(٥) الضاوية : الملتهبة .
(٦) الشّص : حديدة معكوفة الرأس تشدّ بها حبال الرحل .
(٧) بترت : قطعت .

وعللٍ تعجز إحصاء العددْ — من جربٍ ومن دُوارٍ ورمَدْ
وبعد حمّى الكبد لا تنساه — لأنّه أوّلُ ما تلقاه
ولا تقل إن جاء يوماً أهلا — فلعنة الله عليه فصلا

فصل الخريف :

حتى إذا زال أتى الخريفُ — فصلٌ بكلٍّ سوءةٍ معروفُ
أهويةٌ تسرع في كلِّ الجسدْ — وهو كطبع الموت يبساً وبردْ
يخشى على الأجسام من آفاته — فأرضه قرعاء من نباتهِ[1]
لا يمكن الناس اتقاء شرّهِ — من اختلاف بَرْدِهِ وحرِّهِ
تبصره مثل الصبيِّ الأرعنِ — في كثرة التغيير والتلوُّن[2]
فإن أردت الشرب للعقارِ — في حينه بالليل والنهارِ
فأنت منه خائفٌ على حذرْ — لأنه يمزجُ بالصَّفوِ الكدرْ
أحسن ما يهدي لك النسيما — يقلّبُهُ في ساعةٍ سموما[3]
وهو على المعدود من ذنوبه — خيرٌ من الصيف على عيوبه

فصل الشتاء :

حتى إذا ما أقبل الشتاءُ — جاءتك منه غمّةٌ غماءُ[4]
أقبل منه أسدٌ مزيرُ — له وعيدٌ وله تحذيرُ
لو أنّه روحٌ لكان فدما — أو أنّه شخص لكان جهما[5]
يأتيك في إبانه رياحُ — ليس على لاعنها جُناح[6]

---

(١) قرعاء : جرداء .
(٢) الأرعن : الطائش .
(٣) السّموم : الريح اللافحة تهب صيفاً فتشوي الوجوه شيّاً .
(٤) الغمّة : الكرب .
(٥) الجهم : العابس المقطّب .
(٦) جناح : إثم أو ذنب أو ملامة .

حراكها ليس إلى سكونِ تضرُّ بالأسماع والعيونِ
يحدث من أفعالها الزكام هذا إذا ما فاتك الصدامُ
ثم يليها مطرٌ مداومُ كأنّه خصمٌ لنا ملازمُ
يقطعنا بغضاً عن الطّريقِ وعن قضاء الحقِّ للصديق
وربّما خرَّ عليك السَّقْفُ وإن عفا عنك أتاك الوكفُ[1]
هذا وكم فيه من المغارمِ وكثرة الإنفاق للدّراهمِ
في ملبسٍ يدفع شرَّ بردِهِ يكفُّ عنّا منه غِرْبَ حدِّهِ[2]
ملابسٌ تعيي الجليد حملا كأنّما يحمل منها ثقلا
يحكي بها المنحوف أصحاب السّمَنْ لكن تراه سمناً غير حَسَنْ
فإن أردتَ بالنّهار الشرُّبا فيه فقد قاسيت خطباً صعبا
واحتجت أن توقد فيه النارا تطير نحو الحدق الشرّارا
تترك مبيضَّ الثيابِ أرقطا تحكي السعيديّ لك المنقّطا[3]
وبعد ذا تسدِّدُ الثِّقابا من خوفه وتغلق الأبوابا[4]
نعمْ وترخي نحوه الستورا حتى ترى صاحبه ديجورا
فحسنُ لون الراح فيه لا يُرى لأنّه صار سواءً والدُّجى
تشرب فيه إن شربت الخمرا ليس لأنْ تلهوَ أو تسرًّا
لكن لتحمي خضر الأعضاء فشربها ضربٌ من الدواء[5]
وإن أردت الشرب في الظلام عاقك عن تناول المدام
حسبك أن تندسّ في اللحاف وخشيةَ البرد على الأطرافِ

---

(١) الوكف : الانحراف والثقل والضعف .

(٢) الغِرب : السهم .

(٣) الأرقط : المنقّط .

(٤) الثقابا : الكوى والفتحات والثقوب .

(٥) خضر الأعضاء : كسلها وفتورها .

ورعــدةٍ تشغــل عن كلّ عملْ وتؤثــر النــوم وتســتحلي الكسل
حتــى إذا ملــت إلى الرّقاد نمــت على فرشٍ من القتاد[1]
إنّ البــراغيث عذابٌ مزعج لكلّ ما قلــبٍ وجلــدٍ تنضج
لا يستلــذّ جنبــه المضاجعا كأنمّـــا أفرشتــه مباضعا[2]
قبِّــح فصــلاً فوق ما ذممته لو أنّــه يظهــرُ لي قتلتهُ
حتّــى إذا ما هو عنّــا بانا وزال عنّــا بعضــه لا كانا

فصل الربيع :

جــاء إلينــا زمــنّ الربيعِ فجــاء فصــلٌ حســن الجميعِ
لبــرده وحــرِّه مقــدارُ لم يكتنف حدّهمــا الإكثار
عــدِّل في أوزانــه حتــى اعتدلْ وحمــد التّفصيل منــه والجملْ
نهــاره من أحســن النّهارِ في غاية الإشــراق والإسفارِ
تضحك فيه الشمس من غير حُجُبْ كأنّهــا في الأفــق جامٌ من ذهبْ
وليلــهُ مستلــطــف النّسيمِ مقــوَّمٌ في أحســن التّقويمِ
لبــدره فضــلٌ علــى البــدورِ في حســن إشــراقٍ وفــرط نورِ
كجامــة البلّــور في صفائهــا أو غرّةٍ الحسنــاء في نقابها
كأنّهــا إذا دنــت من نحرهِ جوزاؤه قبــل طلــوع فجره
روميةٌ حلّتُهــا زرقاءُ في الجيد منهــا درّةٌ بيضاءُ
هــذا وكم يجمــع من أمور إســراف مطريهــا من التقصير
فيه تظــلُّ الــطير في ترنّمِ حاذقــةً باللحــن لم تعــلَّمِ
غناؤهــا ذو عجمــةٍ لا يفهمهْ سامعــه ، وهــو علــى ذا يقرمه[3]

---

(١) القتاد : الشوك الحاد .

(٢) المباضع : جمع مبضع ، يستعمل في الجراحة والشقّ .

(٣) يقرمه : يقضمه ، والقرم : شدّة الشهوة .

مــن كلِّ دبســيٍّ له رنينُ   وكلِّ قمــريٍّ له حنين[1]
فــي قرطــقٍ أعجــل أن يورّدا   خاط له الخياط طوقــاً أسودا[2]
هــذا وفيه للــرياض منظــر   يفشــي الثّرى من سرّهـا ما يضمرُ
ســرّ نبــاتٍ حسنــه إعلانهُ   إذا سواه زانــه كتمانهُ
فيه ضروبٌ للنّبــات الغضّ   يحـكي لبـاس الجنـد يوم العرض
مــن نرجسٍ أبيضَ كالثّغور   كأنّــه مخــانــقُ الكافور
وروضــةٍ تزهــر من بنفسج   كأنّهــا أرضٌ من الفيروزجِ
قــد لبســت غلالــةً زرقاءَ   فكايدت بلــونهــا السماءَ[3]
تبصرهــا كثــاكلٍ أولادها   قد لبســت من حزنٍ حدادها
يضحــك فيهـا زهــر الشّقيقِ   كأنّــه مداهــنُ العقيقِ
مضمّنّــاتٌ قطعــاً من السّبجْ   فأشرفــت بين احمــرارٍ ودعجْ[4]
كأنّمــا المحمــرُّ في المسود   منــه إذا لاح عيون الرمد
أمــا ترى أترجــهُ ما أحسنهْ   يختــال في غلائــلٍ مبيَّنهْ
وانظـر إلـى الخشخــاش إن نظرتا   يحـكي كراتٍ ظوهــرت كيمختا[5]
وارم بعينيك إلــى البهــار   فإنّــه من أحســن الأنوار[6]
كأنّــه مداهــنٌ من عسجدِ   قد سمّــرتْ في قضــب الزّبرجدِ
فــانهضْ إلــى اللهــو ولا تخلفِ   فلســت في ذلك بالمعنّفِ
واشــرب عقــاراً طال فينــا كونها   يصفــرُّ من خوف المــزاج لونها

---

(١) الدبسي : طائر أدكن يقرقر .
(٢) القرطق : نوع من الأردية .
(٣) الغلالة : الثياب الرقيقة ، وكايدت : ماثلت .
(٤) السّبج : خرز أسود ، والدعج : سعة العين مع شدّة بياضها وشدّة سوادها .
(٥) كيمخت : رفعت رأسها تكبراً .
(٦) البهار : نبتٌ طيّب الرائحة .

مـن كفٍّ طبـيٍ من بنـي النصارى ألبابنــا فــي حســنــه حيارى
إذا بدا جمالــه لذي النظرْ قال : تعالــى الله ما هذا بشرْ
يبـدي جمــالاً جلّ عن أن يوصفا لو أنّــه رزقُ حريصٍ لاكتفى
تزينُــهُ أحشــاءُ كشــحٍ طاويهْ وسـرّةٍ محشـوّةٍ بالغاليهْ[1]
لاسيمــا مع مسمــعٍ وزامرِ قد سلمــا من وحشــة التّنافرِ

* * *

دونــك هذي صفــة الزمــان مشروحــةً في أحســن التبيان
فأَصغ نحــو شرحهــا كي تسمعا ولا تكــن لحقّهــا مضيِّعا
وارض بتقليـديَ فيمــا قلتُهُ فإنّنــي أدرى بمــا وصفتهُ
ولا تعارضنــيَ في هذا العمل فإنّنــي شيخُ الملاهــي والغزل

وقال أيضاً [من الرجز] :

باعثــاً لدعوتــي غــلامهْ وعاتبــا من تركنــا إلمامه[2]
إذا أردت أن تزار في غدِ فلا تغــال في الطعــام واقصدِ
واعْمـدْ إلـى ما أنــا منــه واصفُ فإنّنــي بالطيِّبــاتِ عارفُ
ابعــث فخــذ عشــراً من الرِّقاقِ تلذُّهــا نواظـرُ الأحـداقِ
تــكاد ممــا رقّ من حرسائها تشف للأعين من صفائها[3]
أَرَقْهــا الصّانــع حتّــى خفّتِ ولطّفــتْ أجسامهــا ومدَّتِ
تــكاد لولا حذقــه في صنعته تطيرهــا أنفاســه من راحتهْ
حتــى أتــت في صورة البدورِ أو مثــل جامــاتٍ من البلّورِ

---

(١) الغالية : أنواع الطيب .
(٢) الإلمام : الزيارة ، والقصد .
(٣) الحرساء : الغلاف والجلد الحافظ للشيء .

حتـى إذا فرغـت منهـا متقناً ولـم ير العائـب فيهـا مطعنا(١)
فاعمـد إلـى مدوّرٍ من البصلْ فإنّـه أكبـر أعـوان العملْ
يحـكي لعينيك اخضـرار قشره إذا رمـاه ناظـرٌ بفكرهِ
غلائـلاً خضـرا علـى جسومِ بيضٍ رطـابٍ من بنـات الرّوم
حتـى إذا أحكمتـه تقطيعا وقلـت قد جوّدتـه صنيعا
خلطتـه باللّحـم خلطـاً جيِّدا ولـم تزلْ تخلـطه مردّدا
حتـى إذا أنـت أجـدت فعلهُ ثم جمعـت في الرِّقـاق شملهُ
صيَّرتـه يا ذا العـلا السنيَّهْ شابـورةً ليسـت لهـا سميَّهْ(٢)
ثمّـت أغـل الشبـرق المقشّرا من فوقـه حتـى تراه أحمراْ(٣)
مـكتسياً حلّتـه الخمريَّهْ من بعدمـا عهدتهـا فضيَّهْ
ثـم أدِرْ كأس الشمـول منعما أكرم بهـذا مشربـاً ومطعما
فلسـت في فعلك ذا مبذّرا كلاّ ولا في حقّنـا مقصِّرا

وله في الروض [من الرجز] :

أسفـر عن بهجتـه الدّهـر الأغرْ وابتسـم الـروض لنـا عن الزهرْ
أبـدى لنـا فصـل الـربيع منظراً بمثلـه تفتـن ألبـاب البشرْ
وشياً ولـكن حاكـه صانعه لا لابتـذال اللبس لكنْ للنّظرْ
عاينـه طرف السمـاء فانثنى عشقـاً له يبـكي بأجفـان المطرْ
فـالأرض في زيٍّ عروسٍ فوقها من أدمـع القطـر نثـارٌ من دررْ(٤)
وشْـيٌ طواه في الثّـرى صوانه حتـى إذا ملّ من الطـي نشرْ(٥)

---

(١) المطعن : الانتقاص .
(٢) شابورة : ملكة (شاه بور) .
(٣) الشبرق : نبات رطب .
(٤) نثار : ما ينثر من الماء والمال وغيره .
(٥) نشر : فاح وعرّض لأشعة الشمس .

أمـا ترى الـورد كخـدَّيْ كاعبٍ راودهـا فامتنعـت منـه ذكرْ
كأنّمـا الخمـر عليه نفَّضتْ صباغهـا أو هي منـه تعتصرْ
أخجلـه النـرجس إذ جاد له فاحمـرّ من فرط حياءٍ وخفرْ[1]
قـال له العين ومـا الخـدُّ لها موازنـاً في عُظْـمِ قدرٍ وخطر
مـاذا الـذي يرجـى لخـدٍّ بَهجٍ مستحسـنٍ صاحبه أعمـى البصر
فاحمـرّ من حجّتـه إذ ظهرتْ والحـقُّ لا يدفـع يومـاً إنْ ظهر
وانظـر إلـى النارنـج في بهجته يلـوح في أفنـان هاتيك الشجر
مثـل دنـانير نضـارٍ أحمرٍ أو كعقيقٍ خرِّطـت منـه أُكَر[2]
وانظـر إلـى المنثـور في ميدانه يرنـو إلـى الناظـر من حيث نظر
كجوهـرٍ مختلفٍ ألوانه أسلمـه سلكُ نظـامٍ فانتثر
كأنّ نور الباقـلا إذا بدا لناظـريه أعينٌ فيهـا حور
كمثـل ألحـاظ اليعافيـر إذا روّعهـا مـن قانصٍ فـرطُ الحـذر[3]
كأنّـه مداهـنٌ من فضّةٍ أوساطهـا بهـا من المسـك أثر
كأنّهـا سوالفٌ من خرّدٍ قد زيَّنـت بياضهـا سود الطُّرر[4]
وانظـر إلـى الأطيار في أرجائهِ إذا دعـا الشـاكل منهـا وصفر
كأنّهـا تصفـر في رياضها سرب قيانٍ فوق بسـطٍ من حبر
فانهض إلـى اللهـو ولـذات الصبّا لامـك من يعـذل فيهـا أو عذر
فقلّمـا يغنيك من يعـذل فيـ ـمـا تشتهي حتـى تواريك الحفرْ
فـكيف هجـران اللـذاذاتِ ولمْ يبـدِ نهـار الشّيب في ليلِ الشّعَرْ
والنُّسـك في عصـر الصّبـا كأنّه من قبحـه خلـعُ عذارٍ في الكِبَرْ

---

(١) الخفر : الحياء .
(٢) الأكر : الكتل .
(٣) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ظبيٌ بلون الترابِ .
(٤) الطرّر : خصال الشعر في مقدمة الرأس .

يا لائماً يعذلني في طربي ... حسبك قد أكثرت من هذا الهذر[1]
أعرف فضل العقل إلاّ أنّهُ ... لعيش من آثره عين الكدر
الجهل ينبوع مسرّاتِ الفتى ... والعقل ينبوع الهموم والفكر
فاجسر على ما تشتهي جهالةً ... ما فاز باللّذّاتِ إلاّ من جسر[2]
واشرب عقاراً لو أصابت حجراً ... لطار من خفّته ذاك الحجر
عدوّةُ الحزن الذي ما ظفرت ... قطُّ به إلا أساءت في الظّفر
لو رام أن يجيره من كيدها ... صرف الزمان الحتم يوماً ما قدر
أرَقّها الدّهر إلى أن شاكلت ... من رقّةٍ شعر جميلٍ وعمر
خفية الحيلة في جسم الفتى ... تحدث في الجسم دبيباً وخَدَرْ[3]
كأنّما الأوطار فيها جمعت ... فليس في العيش لجافيها وطر[4]
لاسيّما من كفٍّ ظبي لم يشنْ ... بفرط طولٍ لا ولا فرط قصرْ
له سهامٌ من لحاظ صيّبٍ ... كأنّما يرمين عن قوس القدر
مزنّرٌ شكّكني في دينهِ ... حتى أحلت الكفر فيمن قد كفر
لأنّه كالحُوْرِ في تصويره ... والحور لا يسكنها الله سقر[5]
لو لم يكن زنّاره في وسطهِ ... يمسك ضعف الخصر منه لانبتر
وبان منه نصفه عن نصفه ... لكنّه جاء لهُ على قدر
إن قلت يحكي قمراً عنّفني ... عقلٌ له أعدمه عند القمر
أنى يوازيه وهذا ناطقٌ ... وذاك إن خوطبَ لم ينطقْ حَصَرْ[6]

---

(١) الهذر : الهذيان والكلام الذي لا طائل وراءه .
(٢) جسر : تجرأ .
(٣) الدبيب : المشي ، والخدر : الضعف والفتور .
(٤) الوطر : الحاجة .
(٥) سقر : جهنّم .
(٦) حصراً : إعياءً .

يا لكَ منــه منظــراً أشهــى إلى قلبــيَ من جنّــةِ عدنٍ أو أسرّ
يا طيب ذي الــدنيا لنــا منزلةً لو لم نكن نزعــج منهــا بسفر

وقال أيضاً [من البسيط] :

علِّلْ فؤادك والــدنيا أعاليلُ لا يشغلنْــكَ عن اللّهــو الأباطيلُ
ولا يصدنّنْــكَ عن أمــرٍ هممــت بهِ من العــواذل لا قالٌ ولا قيلُ
فخير يوميك يومٌ أنــت فيه إذا ميّزت في النــاس محمــودٌ ومعذولُ
وإن أتــوك فقالــوا كن خليفتنا فقــل لهــم إنّنــي عن ذاك مشغولُ
فإن ذلك أمــرٌ معْ نفاستهِ ونبلــه بفنــاء العمــر موصولُ
وارض الخمــول فلا يحظــى بلذّتهِ إلا امــرؤٌ خامــلٌ في النــاس مجهولُ
ولا تبــع عاجــل الــدنيا بآجــل ما ترجــو فذلك أمــرٌ شأنــه الطولُ
واسفك دم القهــوة الصهبــاء تحي به روحــي فإنّ دم الصهبــاء مطلول[1]
يا خائف الإثــم فيهــا حين تشربها لا تقنطــن فعفــو الله مأمولُ
قم فاسقنــي النضّ ممّــا حرمــوه ، ولا تعــرض لمــا كثــرت فيه الأقاويل[2]
من قهــوةٍ عتقــتْ في دنّهــا حقباً كأنّهــا في سواد الليل قنديلُ[3]
عروس كرم أتــت تختــال في حللٍ صفــرٍ علــى رأسهــا للمــزج إكليلُ
كأنّهــا بأكفِّ القــوم إذ جليتْ ذوبٌ من الذّهــب الإبــريز محلولُ
في فتيةٍ جعلــوا للهــو طاعتهمْ فمــا لهــم عن طريق اللهــو معدولُ
جليسهــم ليس يُروى من حديثهم يومــاً وبعض حديث القــوم مملولُ
لا كالــذين إذا مــا كنــت حاضرهم ففــي سكوتهــم المأمــول والسولُ
ترى مجالسهــم مملــوءةً لجباً وكلّ ذاك فضــولٌ عنــك معزولُ[4]

---

(١) المطلول : مباحٌ سفكه .
(٢) نضّ الماء : سال قليلاً ، أو خرج رشحاً ، والناض : الزائد .
(٣) الحقب : مفردها حقبة وهي مدّة طويلة من الزمن .
(٤) اللجب : الصخب .

وقال أيضا [من مخلع البسيط] :

اشــرب فقــد طابــت العقارُ وابتســم الــورد والبهارُ
مــن قهــوةٍ ما انبــرت لهمُ إلاّ وولّــى له انشمارُ[1]
لهــا جيوشٌ من الملاهي للهــمّ قــدّامهــا الفرارُ
لألاؤهــا في الدّجــى نهارٌ يظلــم من نوره النّهارُ
إذا استقــرت حشــا لبيبٍ رأيتــه ما له قرارُ
لــم يرهــا ناظــرٌ حــديدٌ إلا ثنــى لحظــه انكسارُ
خيالهــا جســمــه لجينٌ وجسمهــا شخصــه نضارُ[2]
كأنّهــا تحتــه كميتٌ عليــه من فضّــةٍ عذارُ
لهــا لدى حزن شاربيها ثأرٌ وعنــد الحلــوم ثار
فالحــزن عن أهلهــا مُطارٌ والحلــم في إثــره مطارُ
فــلا انتصــار لذا عليها ولا عليها لــذا انتصارُ
يسعــى بهــا جؤذرٌ غريرٌ في لحــظ أجفانــه احورار
يحســن منــي الــوقار إلاّ فيــه فمــا يحســن الوقارُ
أغــار منّــي عليه حتّى عليه مــن نفســه أغارُ
كلّ جمــالٍ ترى فمنــهُ إذا تأمّلــت مستعارُ
كأنّ صدغــاً له تراه وهــوَ علــى خدّهِ مدارُ
ميدان آسٍ بدا جنياً ألهــب في جانبيه نارُ[3]
بيتٌ من الحســن لي إليه حجٌّ مدى الدّهــر واعتمارُ
زيارة البيت كلّ عامٍ ودهــر ذا كلّــه يزارُ

---

(١) ولّى : ذهب ، وانشمار : انقباض .
(٢) اللجين : الفضة ، والنضار : الذهب .
(٣) الأس : الريحان .

قلـت له إذ بدا وقلبي ... من لاعـج الشـوق مستطارُ[1]
يا جامـع الحسـن كلّ حسنٍ ... للنـاس من شرطـك اختصارُ
مـا فضّـل الغـانيات عندي ... عليك إلاّ امـرؤٌ حمارُ

وقوله أيضا [من مخلع البسيط] :

اشـرب فقـد طابـت المدامُ ... وافتـرّ عن ثغـره الغمامُ[2]
مـن قهـوةٍ حُرِّمـت علينا ... والصّبـر عن مثلهـا حرامُ
جلّـتْ عن الـوصف فهـي شيء ... يدقُّ شأنهـا الكلامُ
إذا استـذمّ الأسـى إليها ... فمـا له عندهـا ذمامُ
طـوّقهـا المـاء سمـط درٍّ ... ليس لمنشـوره نظـامُ[3]
كأنّهـا تحتـه كميتٌ ... عليـه من فضّـةٍ لجامُ
إذا بدت للهمـوم ظلّت ... وهـي لإعظامهـا قيـامُ
تلـوذ منهـا فلا لواذٌ ... ينفـع منهـا ولا اعتصامُ
فـي فتيةٍ كلُّهـمْ كريمٌ ... وخير مَنْ يُصحـب الكرامُ
يكسـد سوق الفتـاة فيهمْ ... ظرفـاً ولا يكسـد الغلامُ
أئمّـةٌ كلُّهـمْ عليمٌ ... بكلٍّ ما فعلـه أثامُ
لكننـي فيهـمْ علـى مـا ... وصفـت من فضلهـم إمامُ
وعندنـا شادنٌ غريرٌ ... في لحـظ أجفانـه سقامُ
للحسـن قدّامـه جيوشٌ ... للصـبـر قدامهـا انهزام
يخفّ في حبّـه التصابي ... كمثـل ما يثقـل الملامُ
ذا العيش فافطـنْ له وبادرْ ... من قبـل أن يفطـنَ الحمامُ

---

(١) لاعج الشوق : حرّة وشدّته ، ومستطار : أي شرر يتطاير .
(٢) افترّ : تبسّم .
(٣) السمط : العقد .

وانعم فغام السرور عندي يومٌ ،ويوم الهموم عامُ

وقال أيضاً [من الكامل] :

جانبت بعدك عفّتي ووقاري وخلعت في طرق المجون عذاري

ورأيت إيثار الصبابة في الذي تهوى النفوس ممحّق الأعمارِ(١)

لا تأمرنّي بالتّستُّرِ في الهوى فالعيش أجمع في ركوب العار

إنَّ التوقّر للحياة مكدِّرٌ والعيش فهو تهتُّكُ الأستارِ

من تابعت أمر المروءة نفسه فنيت من الحسراتِ والأفكار ؟

لا تكثرنَّ عليَّ إنّ أخا الحجا بَرِمٌ بقرب الصّاحب المهذارِ(٢)

خوّفتني بالنار جهدك دائباً ولججت في الإرهاب والإنذارِ

خوفي كخوفك غير أنّي واثقٌ بجميل عفو الواحد القهّارِ

أقرَرْتُ أنّي مذنبٌ ومحرِّمٌ تعذيب ذي جرمٍ على الإقرارِ(٣)

انظر إلى زهر الربيع وما جلتْ فيه عليك طرائف الأنوارِ

أبدت لنا الأمطار فيه بدائعاً شهدت بحكمة منزل الأمطارِ

ما شئت للأزهار في صحرائه من درهم بهجٍ ومن دينارِ

وجواهرٍ لولا تغيُّرُ حسنها جلَّتْ عن الأثمان والأخطار

من أبيضٍ يقَقٍ وأصفر فاقعٍ مثل الشموس قرنَّ بالأقمارِ

ناحت لنا الأطيار فيه فأرهجت عرس السرور ومأتم الأطيارِ(٤)

دارٌ له اتصل البقاء لأهلها لم يحفلوا بنعيم تلك الدّارِ

فانهضْ بنا نحو السّرور فإنّهُ ما زال يسكن حانة الخمّارِ

---

(١) ممحق الأعمار : متلفها .

(٢) برم : ضجرٌ ومال .

(٣) الجرم : الذنب .

(٤) أرهجت : أقامت .

فاشرب معتّقةً كأنّ نسيمها ... مسكٌ تضوّعه يدُ العطارِ[1]
أَخْفَى دبيباً في مفاصل شربها ... وأدقّ ألطافاً من المقدارِ
أحكامها في العقل إنْ هي حكِّمتْ ... أحكام صرف الدهر في الأحرارِ
يرضى على الأقدار شاربها الذي ... ما زال ذا سخطٍ على الأقدارِ
وكأنّها والكأس ساطعةٌ بها ... ذوبٌ تحلّل في عقيقٍ جاري
لا سيّما من أغيد شادنٍ ... يسبي العقول بطرفه السَّحَّارِ
فضل الغصون لأنّها من غرسنا ... عند التأمُّل وهو غرسُ الباري
قد غيَّب الزّنار دقّةَ خصره ... حتّى ظنناه بلا زنّارِ
متنصرٌ قويت على إسلامنا ... بالحسن منه حجَّةُ الكفارِ
قالوا أيصنع مثل هذا ربكم ... ويرى فساد صنيعه بالنارِ؟
مع مسمعٍ حلفتْ له أوتاره ... أنْ لا تنافر رنَّة المزمارِ[2]
فطنٌ يحرِّك كلّ عضوٍ ساكنٍ ... تحريكه لسواكن الأوتارِ
شدوٌ إذا الحلماء زار حلومَهَمْ ... باعوا بطيب السّخف كلَّ وقارِ
والشدو أحسنه الذي لم يستمعْ ... إلاّ أطار العقل كلَّ مطارِ
ذا العيش، لا نعتْ المهامه والفلا ... وسؤال رسم الدّار والأحجارِ[3]
لا فرَّجَ الرحمن كربةَ جاهلٍ ... يبكي على الأطلال والآثارِ

وقال أيضا [من الخفيف] :

قد رضينا من الغزال الكحيل ... بغرورِ العدات والتعليلِ[4]
وهجرنا سواه وهو منيلٌ ... وهويناه وهو غير منيلِ

---

(١) تضوّعه : تنشر عبقه .
(٢) المسمع : اسم فاعل من مصدر أسمع ، وأراد به المغنّى .
(٣) نعت : وصف ، والمهامه : القفار .
(٤) العدات : جمع عدة ، وهي الوعد .

فكثير البغيض غير كثيرٍ ... وقليل الحبيب غيرُ قليلِ
يا عذولي زعمت صبري صواباً ... وطريق الصواب غير محيلِ
هلك العزم بين شوقٍ صحيحٍ ... أنا فيه ، وبين صبرٍ عليلِ
لا تعِبْ من هويتَ بالبخل ، إنّي ... لا أحبُّ الحبيب غير بخيلِ
يجمل البخل بالملاح وإن كا ... ن بغير الملاح غير جميلِ
كلّ من سرَّه حبيبٌ جوادٌ ... فلتطبْ نفسه بقرنٍ طويلِ

وقال أيضا [من الطويل] :

ألست ترى وشيَ الرّبيع المنمنما ... وما رصّع الربعي فيه ونظّما[1]
فقد حكت الأرض السماء بنورها ... فلم أدرِ في التّشبيه أيُّهما السّما
فخضرتها كالجوّ في حسن لونه ... وأنوارها تحكي لعينيك أنجما
فمن نرجسٍ لما رأى حسن نفسه ... تداخله عجبٌ بها فتبسّما
وأبدى على الورد الجنيِّ تطاولاً ... فأظهر غيظ الورد في خدّه دما
وزهر شقيقٍ نازعَ الورد فضلَهُ ... فزاد عليه الورد فضلاً وقدّما
وظلَّ لفرط الحزن يلطم خدَّه ... فأظهر فيه اللّطم جمراً مضرّما[2]
ومن سوسنٍ لمّا رأى الصبغ كلّهُ ... على كلِّ أنوار الرياض تقسّما
تجلبَ من زرق اليواقيت حلّةً ... فأغربَ في الملبوس منه وأعلما[3]
وألوان منثورٍ تخالف شكلها ... فظلَّ بها شكل الربيع متمّما
جواهر لو قد طال فينا بقاؤها ... رأيت بها كلّ الملوك مختما
فقم فاسقني ما حرّموه ، فما أرى ... من العيش حلواً غير ما قيل حرّما

---

(١) الربعي : مطر الربيع .
(٢) المضرّمْ ؛ المتّقدّ .
(٣) تجلبب : أي لبس ، وأعلم : أي صار معروفاً عن غيره .

وقال أيضاً [من البسيط]:

قالـوا عشقـت كثير البخـل ممتنعا ... فقلـت هيهـات عنـكم غاب أطيبهُ
لو جاد هانٍ وقيل الجـود عادته ... وإنّمـا عزَّ لمّـا عزَّ مطلبهُ

وقال [من الطويل]:

أُرجّي دنـوَّ الوصـل من بعـد بعده ... كما قد ترجّى في الجـدوب السحائب
وأكثـر في الهجـر العتـاب كأنّني ... لدهـريَ من ظلـم الـكرام أعاتب
وأهـوى مواعيد المنى عنك بالرضى ... وقـد تمنـع الآمـال وهـي كواذب

وقال [من الرمل]:

حبـذا زورٌ أتـاني طارقـاً بعـد اجتنابهْ
شـقَّ جنـح الليل بدرٌ لاح من ثنـي نقابهْ
طربـتْ نفسـي إليـهِ وإلـى طيبِ اقترابهِ
طَـرَبَ الشيّخ إذا ذُكِّـرَ أيّام شبابهِ

وقال [من مخلع البسيط]:

خلعـت في حبِّه عذاري ... وطـاب لي العيش باشتهاري
وذقـت طعـم الجنـون فيهِ ... فـكان أحلـى من العقار[1]
إنْ أُبـدِ في حبِّـهِ خضوعاً ... فليس ذلّ الهـوى بعارِ
لـو كان في الحـبِّ لي اختيارٌ ... لكان تركي له اختياري
مـن روحـه في يديْ سواه ... فهـو حقيقٌ بأن يداري
لا تحمدونـي علـى احتمالي ... هـوانـه واحمـدوا اصطباري

(١) العقار : الخمر .

وقال [من البسيط]:

متــى وعدتــك في ترك الهــوى عدةً ... فاشهدْ علـى عدتـي بالـزّور والكذبِ
أمــا ترى الليل قد ولّــت عساكرهُ ... وأقبـل الصبـح في جيشٍ له لجبِ[1]
وجــدّ في أثــر الجــوزاء يطلبها ... في الجـوّ ركض هلالٍ دائــم الطّلب
كصولجــان لجينٍ في يديْ ملكٍ ... أدنــاه من كرةٍ صيغــتْ من الذّهبِ
فم بنــا نصطبــح صفــراء صافيةً ... كالنّــار لكنهــا نارٌ بلا لهب
عروس كرمٍ أتــت تختــال في حللٍ ... صفــرٍ علــى رأسهــا تاجٌ من الحبب

وقال [من المنسرح]:

قم فاسقنـي والخليج مضطرب ... والــرّيح تثنــى ذوائــب القضبِ
كأنّهــا والـرّياح تعطفها ... صفٌّ قنــا سنــدسية العـذبِ[2]
والجــوّ في حــلّــةٍ ممسكةٍ ... قـد طرّزتهــا البــروق بالذهبِ

وقال [من الخفيف]:

وسحــابٍ إذا همــى المــاء فيه ... ألقــت الرّعــد في حشــاه البروقا
مثـل ماء العيون لم تجــرِ إلاّ ... ظلّ يذكي علــى القلــوب حريقا

وقال [من الخفيف]:

جوهــريٌّ الأوصــاف يقصــر عنهُ ... كلّ وصفٍ لكلٍّ ذهــنٍ دقيقِ
شاربٌ من زبرجــدٍ وثنايا ... لؤلــؤٍ فوقهــا فمٌ من عقيقِ

وقال [من السريع]:

صــوّره خــالقــه جـامعاً ... لـكلٍّ شيءٍ حســنٍ بارعِ

---

(١) اللجب : الكثير العدد والصخب .
(٢) العذب : أطراف الرماح .

وكلّ حسنٍ من جميع الورى مختصرٌ من ذلك الجامعِ

وقال [من المنسرح]:

عشقت من لا ألام فيه وما يخلو من اللّوم كلُّ مَنْ عشقا
رأيُ الورى في سواه مختلفٌ وأنت تلقاه فيه متّفقا
وكل قلبٍ إليه منصرفٌ كأنّه من جميعها خُلِقا

ألمّ فيه بقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي : «خلق من كل قلب ، فهو يغني كلا ما يشتهيه» .

وقال [من الخفيف]:

زارني في دجا الظلام البهيمِ قمرٌ بات مؤنسي ونديمي
بحديثٍ كأنّه عودة الصّحَة في الجسم بعد يأسِ السّقيمِ
تتلقّى القلوب منه قبولاً كتلقّي المخمورِ برد النسيم

وقال [من الوافر]:

ظفرتُ بقبلةٍ منه اختلاساً وكنت من الرقيب على حذارِ
ألذُّ من الصّبوح على غمامٍ ومن برد النسيم على خمار[1]

وقال [من الكامل]:

لا تلفينّ مقارناً من لا يزين من الصّحابِ
فالثوب ينفذ صبغه فيما يليه من الثّياب

وقال [من السريع]:

ريقٌ إذا ما ازددت من شربه ريّاً ثناني الريُّ ظمآنا

(١) الصبوح : شرب الخمر صباحاً .

كالخمر أروى ما يكون الفتى من شربها أعطش ما كانا

وقال [من الخفيف]:

حملتْ كأسَهُ إلى شفتيه كفُّهُ والظلام مرخي الإزار
فالتقى لؤلؤا حبابٍ وثغرٍ وعقيقان من فمٍ وعقارِ

وقال [من الطويل]:

وصفرا من ماء الكروم كأنّها فراقُ عدوٍّ أو لقاء صديقِ
كأنّ الحباب المستدير بطوقها كواكب درٍّ في سماء عقيقِ
صببت عليها الماء حتّى تعوّضت قميص بهارٍ من قميص شقيقِ

وقال [من الوافر]:

سلا عن حبّك القلبُ المشوقُ فما يصبو إليك ولا يتوقُ[1]
جفاؤك كان عنك لنا عزاءً وقد يسلى عن الولد العقوقِ

وقال [من المجتث]:

كأنّ أوراق زهرٍ للباقلاء بهيّه
خواتمٌ من لجينٍ فصوصها حبشيّه

وقال [من الكامل]:

أسنى الأماني كلّها وأجلّ منها ما ينالُ
كأسٌ ومسمعةٌ وإخوان تحادثهم ومالُ

وقال [من مخلع البسيط]:

أبصره عاذلي عليه ولم يكن قبل ذا رآهُ

---

(١) سلا : من السلوّ ، وهو التجمّل والنسيان ، ويتوق : يشتاق .

فقــال لي لو هويت هذا ... ما لامــك النــاس فـي هواهُ
قــل لي إلى إلى من عدلــت عَنه ... فليس أهـل الهـوى سواهُ[1]
فظــلٌ من حيث ليس يدري ... يأمــر بالحــبِّ من نهاهُ

وقال في ثقيل [من البسيط]:

ما السّقـم في سفـرٍ والـدّين مع عدمٍ ... يومـاً بأثقــل منــه حــين يلقاني
مــالي عليه معــينٌ حــين أبصرهُ ... غــير الصّــدود وتغميضي لأجفاني

وقـال [من الكامل]:

إن كان قد بعــد اللقــاء فودُّنا ... دانٍ ونحــن على النــوى أحبابُ
كم قاطــعٍ للــوصـل يؤمــن ودّه ... ومـواصـلٍ بــوداده يــرتـابُ

وقال [من الرمل]:

لا ووعــد الوصــل باللحــــــظ على رغــم الرقيبِ
واختــلاسِ القبلـة الحلــــــوة من خدٍّ الحبيبِ
وسماعٍ مستطابٍ جاء في لفـظٍ مصيبِ
مــا سوى الـراح لداء الـــــهـمٍّ عنـدى من طبيبِ

وقال [من الكامل]:

يا من إذا لاحــت محاســن وجههِ ... غفــرت بدائعهــا جميع ذنوبِهِ
النّجــم يعلــم أنّ عينــي في الدّجا ... معقــودةٌ بطلــوعـه وغروبه
إنْ كان في تعــذيب قلبــي راحـةٌ ... لك فاجتهــد بالله في تعذيبهِ
لو كان سفــك دمــي إليك محبباً ... لرأيتنــي متضرّجـاً بصبيبـه[2]

---

(١) عدلت : ملت وغيّرت .
(٢) متضرّجاً بصبيبه : أي مصبوغاً بما يسيل منه من الدماء .

وقال [من الكامل]:

ازهــدْ إذا الــدنيا أنــالتـك المنى فهنــاك زهــدك من شروط الدِّين
فالزّهــد في الــدنيا إذا ما رمتها فأبــت عليك كـعفّــة العنِّين[1]

وقال [من المجتث]:

لا تحســدنّ صديقــاً على تزايد نِعْمَهْ
فــإن ذلك عنــدي سقــوط نفسٍ وهمّهْ

وقال [من المجتث]:

وجلنــارٍ بهيٍّ ضرامــه يتـوقّـد
بــدا لنــا في غصونٍ خضرٍ من الــرىً ميَّدْ[2]
يحــكى فصــوص عقيقٍ في قبّــةٍ من زبرجدْ

وقال [من السريع]:

أقبــل والعــذال يلحونني فكلُّهــم قالَ : مَنِ البدرُ ؟
فقلــت: ذا من طال في حبّهِ منــكم لي التعنيفُ والزجرُ
قالــوا: جهلنــا فاغتفــر جهلنا فليس عن ذا لامــرىءٍ صبرُ
عــذرك في الحــبّ له واضحٌ ومــا لنــا في لومنــا عذرُ

وقال [من مخلع البسيط]:

بمــا بعينيك من فتونٍ ومــن فتــورٍ بهــا وسحرِ
وبالعــذار الــذي تولى خلــع عذاري وبســط عذري

---

(١) العنّين : الفاقد الفحولة .
(٢) ميّدٍ : متمايلة .

ومضحكٍ منك لؤلؤيٌّ ممتزجٌ مسكه بخمر
جدْ لي بالصّفح عن ذنوبي أولا فعاقبْ بغير هجرِ

وقال [من مخلع البسيط] :

عدت إلى الغيّ بعد نسكي ولذّ لي فيك طعم محكي[1]
أضحك للكاشحين جهراً ولي ضميرٌ عليك يبكي
تمنعني أن أبوحَ نفسٌ تأنفُ من ذلَّةِ التّشكّي
عيني التي أوقعت فؤادي يا عين ماذا لقيت منكِ

وقال [من مخلع البسيط] :

واحربي من جفون ظبيٍ أقام عذري به عذارهْ
أسقم جسمي بسقم طرفٍ حيرني في الهوى احوراره
عجبت من جمر وجنتيه يحرقني دونه استعاره
هذا اختياري فأبصروهُ شاهد عقل الفتى اختياره

وقال [من الكامل] :

لا تقبلن من الرشيد كلامَهُ وإذا دعاك أخو الغواية فاقبلِ
ودع التزمُّت والتجمُّل للورى فالعيش ليس يطيب بالمتجمّلِ[2]
واشرب مزعفرةَ القميص سلافةً من صبغة البردان أو قطربُّل[3]
كأسٌ إذا رمت الهموم بسهمها لم يخطِ نافذه سواء المقتل
تحلو وتعذب في النفوس كأنّها كبْتُ العدو ورغم أنف العذَّلِ

---

(١) الغيّ : الضلال ، والمحك : من المماحكة .
(٢) التزمّت : التضييق والتشدّد .
(٣) المزعفرة : المصبوغة بالزعفران ، وهو نبات زهره أحمر إلى صفرة ، له أصل كالبصل .

حمــراء يرحُــبُ كلّ صــدرٍ ضيّقٍ معهــا ويُفتــح كلّ بابٍ مقفل
تحــكى ضرام النــار إلاّ أنها نارٌ لعمــرك ليس تؤذي المصطلي[1]
لا سيما من كفٍّ طاوية الحشا ترنــو بناظرتــي خذولٍ مطفل[2]

وقال [من الوافر]:

كتبــت وفــرط شوقــي قد عناني وقــد بعــد اللقــاء على التداني
ومــا في البيت لي ثانٍ فكن لي جعلــت فداك يا مولاي ثاني
فعنــدى ما يجــاوز كلَّ وصفٍ ومــا يرضى الخليل إذا أتاني
خروفٌ أظهــر الشُّــوَّاء فيــه تأنُّقــه فليس له مداني
غلالــة باطــنٍ منــه لجينٌ وظاهــره غــلالــة زعفران
وكأسٌ مثــل عــين الــديك صرفٌ لهــا حبــبٌ كمنظــوم الجمــان
لهــا في كفٍّ شاربهــا شعاعٌ تطــرّف منه مبيضٌّ البنان[3]
يطــوف بشمسهــا قمــرٌ منيرٌ تمــكّن طالعــاً في غصــن بانِ
وإنْ أحببــت مسمعــةً أتتنا محــذّقــةً بأصــنــاف الأغاني
تطلّــق همَّ سامعهــا ثــلاثا بتحــريك المثالــث والمثــاني
فهــذا عندنــا، ولــدون هــذا لعمــرك مــا كفــاك ومــا كفاني
فزرنــا لاعدمتــك مــن صديقٍ تتــمّ لنــا بزورتــه الأمــاني

وقال [من الخفيف]:

فَحْــمٌ شبَّــهُ الغــلام وأدلى في كوانينــه حياة النفوسِ[4]

---

(١) ضرام النار : إيقادها .
(٢) الخذول : الكثيرة الخذل وهي التي تتخلف عن القطيع وتنفرد ، والمطفل : التي تربّي أطفالها .
(٣) تطرّف : تزيّن وتوشّح .
(٤) شبّه : أوقده .

كان كالآبنوس غير محلٍ فغدا وهو مذهب الآبنوسِ
لقي النار في ثياب حدادٍ فكسته مصبّغاتُ عروسِ

وقال [من الخفيف]:

بتُّ ضيفاً لسيّد يمنيّ فقراني والجود قدماً يماني
وأتت عرسه تغازل إيري قلت لا تفعلي فلستُ بزاني
ولو أني فعلت ما كنت ممّن يتصدّى لنسوةِ الإخوان
فأتاني وقال نكْها بعيشي فهي موقوفةٌ على الضيّفان
قلت قد زدت في الضيافة معنىً ما عرفناه في قديم الزّمان
قال من أجل ذاك طار لي اسمٌ وألحّ الضيوف في غشياني[1]
فمتى يدعى مع اسمي ضيوفٌ قيل مرعى وليس كالسَّعْدَان

* * *

٣٠ ـ القاضي أبو الحسن علي بن النعمان

أنشدني له ابن وهب [من المنسرح]:

ولي صديقٌ ما مسّني عدمٌ مذ وقعت عينه على عدمي
أغنى وأقنى فما يكلّفني تقبيلَ كفٍّ له ولا قدَمِ
قام بأمري لّما قعدت به ونمت عن حاجتي ولم ينمِ

وأنشدني له أيضاً [من مجزوء الوافر]:

صديق لي له أدبٌ صداقة مثله نسبُ
رعى لي فوق ما يرعى وأوجب فوق ما يجبُ

---

(١) الغشيان : الأمّ والقصد والنزول .

فلو نقدت خلائقه لبهرج عندها الذّهب[1]

* * *

٣١ ـ إسحاق بن أحمد بن المارديني

أنشدني له ابن وهب يصف الثريا [من السريع] :

أرّقني الشوق فلم أكتحلْ بلذّةِ الغمض إلى الفجرِ
تسري همومي فأراعي بها كواكباً دائبةً تسري
حتى كأنّ البدر إذ أشرقتْ على الثّريا غرّة البدرِ
صفحة مرآةٍ وقد أُذهبتْ بمقبضٍ رصّع بالدرٍّ

وله في الليل والنجوم [من البسيط] :

كم مجهلٍ بسواد الليل ملتبسٍ باتت تقمّه العيسُ المراسيلُ
ليلٌ قد اختلفت أشكال أنجمه كأنهّنَّ عيونٌ للدّجى حولُ
تبدو الثريا ككفٍّ للدعاء بها قد مدّها الصبح والجوزاء إكليلُ
تلوى رقاب المطايا من تطاوله وينهض الفجر فيه وهو مشكول

* * *

٣٢ ـ القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان

أنشدني له عبد الصمد بن وهب هذه الأبيات وهي مما يتغنى بها [من الرمل] :

ربَّ ليلٍ لم أذقْ فيه الكرى حظُّ عيني فيه دمعٌ وسَهَرْ
طال حتى خلته لا ينقضي ونأى الصّبح فما منهُ أثرْ

---

(١) نقدت : أي جعلت نقوداً ، وبهرج الذهب : زيّفه ، أو أصبح رديئاً .

غاب عـنّي قمرٌ أحببته فتعلّلت بأنوارِ القمرْ
كلّما هيّج شوقي حَزَني صحت ياليلي أما فيك سَحَرْ

وقال [من الخفيف]:

ربّ خودٍ عرفتُ في عرفاتِ سلبتني في حسنها حسناتي
حرّمت يوم أحْرَمت نوم عيني واستباحت حماي باللّحظاتِ[1]
وأفاضت مع الحجيج ففاضت من جفوني سواكب العبراتِ
ولقد أضرمت بقلبي جمراً حين راحت للرمي بالجمراتِ[2]
لم أنل من منى منى النّفس حتّى خفت بالخيف أن تكون وفاتي[3]

وقال يصف الهلال [من المنسرح]:

انظرْ الى حسن ذا الهلال وقدْ بدا لستٍّ مضينَ مِنْ عُمُرِهْ
وقد أطافت به كواكبهُ حسناً فبيّنتهُ لمعتبرهْ
مثل زنادٍ قد صيغ من ذهبٍ يقدح ناراً وهن من شررهْ
ثم تولى يريد مغربهُ في شفق الشّمس وهي في أثرهْ
فخلته غائصاً ببحر دمٍ يقذف بالرائعات من دررهْ
فلم أزل ليلتي أراجعهُ لحظي وأبكي للوقت من قِصرِهْ
حتى تبدّى الصباح منتبهاً قبل انتباه المخمور من سكَرِهْ

وقوله في مليح بعمامة حرير حمراء [من الكامل]:

يا من يمرُّ ولا تمرُّ به القلوب من الحُرَقْ

---

(١) استباحت الحمى : أي جعلته مباحاً لها تدخله ساعة تشاء .
(٢) أضرمت : أشعلت ، والجمرات : من مناسك الحج ، وهو مكان يرمى به بالحصى .
(٣) منى والخيف : أماكن فيها بعض مناسك الحج .

بعمامةٍ من خدِّهِ أو خدّه منها سرق
فكأنّها وكأنَّه قمرٌ أحاط به شَفَقْ
فإذا مشى وإذا انثنى وإذا رنا وإذا نطقْ
شغل الجوارح والخوا طر والمسامع والحدقْ

* * *

٣٣ ـ صالح بن مؤنس

أنشدني له ابن وهب في ابن رشدين صالح [من السريع] :

يفديك بالمهجة يا صالحُ من كلّ ما يكرهه صالحُ
فأنت غصنٌ صيغ من درَّةٍ على ذراه قمرٌ لائحُ

وله فيه بديها [من الهزج] :

شربنا مثل ماء الور د في الطّيب على الوردِ
ونادمت ابن رشدين فما حدت عن الرُّشدِ
فتىً كالبدر في الرفعة والإِشراق والسعدِ
كأنّي منه في الجنّة لو أظفر بالخلدِ

وله فيه [من مجزوء الرمل] :

بك يا صالح أرضى عن زماني حين أسخطْ
فأدم لي الوصل إنّي بك في العالم أغبطْ
أنت والرحمن مذ كنت على قلبيَ مسلَطْ
ومصيبٌ أنا في الحبّ ومن بعدي يغلط
يا جواداً في لهاه بنداه أتبسّط[1]

---

(١) لهاه : عطاياه ، واتبسّط : أتكرّم وأتوسّع في العيش .

أسقط الحشمة في العشـــرة فالحشمة تسقط

وله جارية اسمها خمرة وأضمره [من الكامل] :

ما اسم إذا صحَّفتهُ وعكسته ونقصت حرفا منه كان سلاحا[1]
وإذا قام ولم يحلْ عن حاله عادى العقول وصالح الأرواحا

وله في بعض آل الفرات [من المجتث] :

قد مرَّ عيدٌ وعيدُ ما اخضرَّ لي فيه عودُ
وكيف يخضرُّ عودي والماء منه بعيد ؟
يا من له عُدَدُ المجد كلّها والعديدُ
آل الفرات نداهمُ على الفُراتِ يزيدُ
وأنت فضلك فيهمْ عليك منه شهودُ
وكلّ يومٍ لغيري من راحتيك مدودُ
هل لي إلى الرزق ذنبٌ إن كان منه صدود ؟
ما النّاس إلاّ شقيٌّ في دهرنا وسعيدُ

وقال في صفة جدي [من الرجز] :

جدْ لي بجديٍ نعته من اسمه لم يلج التنور مثل جسمه
كأن بين جلده ولحمه لفّات قطنٍ بسطت من شحمه
* يؤكل من نعمته بعظمه *

وله يصف رءوسا [من الخفيف] :

قد غدونا على رءوسٍ سمانِ ناعماتٍ من أرؤس الخرفانِ

---

(1) « خمرة » إذا صحّفته صار « حمرة » فإذا عكسته بعد حذف حرفٍ منه صار « رمح » وهو من أدوات القتال .

وارمـــات الخـــدود من غير سوءٍ ... شحمـــاتِ العيون والآذانِ
تتداعـــى بالوهـــم من قبـــل أن تلـ ... ـمسها كفٌّ آكلٍ ببنانِ
ولأصـــل اللســـان طيبٌ ينسيـ ... ـك من الـطيب مصّ طرف اللسانِ
ورقـــاقٍ ذي نعمـــةٍ وبياضٍ ... كوجـــوه المخـــدّرات الحسانِ
وبقـــولٍ تغنيك عن زهـــرة الرو ... ض وتنسيك خضـــرة البستانِ
وأتـــت راحنـــا التـــي هي في الأر ... واح مثـــل الأرواح في الأبدانِ
ثـــم وافـــى بنفســـجٌ في حدادٍ ... فرأينـــا الســـرور فـــي الأحزانِ
عنـــد حرٍّ يستنفـــد الـــوصف مدحاً ... وهـــو عبـــدٌ لسائـــر الإخوانِ
أحكمتـــك الأيام يا ابـــن حكيمٍ ... فأريت الزّمـــان حـــكم الزمانِ

وقال أيضا [من الطويل] :

سأدمِـــنُ شرب الـــراح ما دمـــتُ باقياً ... وأمـــدح من شرَّابهـــا كلَّ مدمنِ[1]
فمـــا تـــكمـــل الأوقـات إلاّ بقهوةٍ ... ولا تحســـن الأيـــام إلاَّ لمحسنِ

وقال [من السريع] :

إذا هجـــا الشاعـــر في خفيـــةٍ ... وخفض الصّـــوت عن الرفعِ
ولاذ بالجحـــد لمـــا قاله ... فإنّمـــا خاف مـــن الصّفعِ[2]

وقال في يوم شديد البرد [من البسيط] :

هذا لعمـــرك يومٌ يستـــطير له ... من قرِّهِ شَعَـــرُ الهامـــات بالرّعد
لو شئـــت لا خائفـــاً لذعـــاً ولا ألماً ... قبضت فيه على جمـــر الغضـــا بيدي[3]

---

(١) أدمن الشراب : أي أصبح الشراب عنده عادة لا يستطيع مفارقتها .
(٢) الحجد : الإنكار .
(٣) الغضا : شجر فحمه أو حطبه شديد التوقّد والحرارة .

وله في غلام صوفي [من السريع] :

عشقت صوفياً له شاهدٌ يقيم عذري عند عذّالي
قد قصد الله بأحواله فليته يقصد في حالي[١]

وقال يهجو عبيد الله بن أبي الجوع من قصيدة أولها [من السريع] :

هاجيك فيما قاله مادحٌ فأنت في صفقتك الرّابحُ
وما يقوت الفيل من بقّةٍ أمثالها في فمه طائحُ
وربّ من ترفعه خزيةٌ ميسمها في وجهه لائحُ[٢]
ففخر عبد الله في النّاس أن يقول قد ناقضني صالحُ
يا ابن أبي الجوع قدحْتَ امرءاً من فكره يحترق القادح
لقد تعرّضت على غرّةٍ قريحةٍ صاحبها قارحُ[٣]
فاركب ذلول الأمر أوْ صعبهِ فيَّ فقد جدَّ بك المازح
وعِقّ من أهلك من شئته فإنّما أنت له فاضحُ[٤]
واغد بما تهوى وروح إنّني غادٍ بما تكرهه رائحُ
يا أيُّها الصعو الذي لم يزل يرقص حتى دقّه الجارح[٥]

ومنها :

إن زأر الليث على ما أرى وهاج يوماً ضرط النابحُ
وودّ أن يفلت من بعدما أنحى على أوداجه الذابحُ

---

(١) أحواله : طرائقه بالعبادة .
(٢) الميسم : الأثر والعلامة .
(٣) الغرّة : الجهل ، والقارح : من ذي الحافر : ما شقّت نابه وطلعت ، يقصد أنه قادر على مواجهته وليس صغيراً .
(٤) عقّ : من العقوق ، وهو نكران الجميل وجحود الفضل .
(٥) الصعو : العصفور الصغير .

إنّ الــذي تطمــع في قربهِ　　نجــمٌ لمــن يرمقــه لائحُ
يا شاربــاً في يده حتفه　　لم تَدرِ ما خاض لك الجارحُ
أراك قد لججــت في غمرةٍ　　يغــرق في تيارهــا السابحُ
فقــد تمرّســت بمــن شعره　　كالبحــر لا ينزفــهُ الماتحُ[1]
كم جامــحٍ قبلك ألجمته　　بالــذلّ حتــى سكن الجامح[2]

وقوله فيه [من السريع] :

يا ذا الــذي عن رشــده قد عمي　　لو كنت جلداً حدت عن أسهمي
لـو كنــت شهمــاً حازمــا ضابطاً　　لمــا تقلبــت علــى الشّيهمِ[3]
مــا أنــت في فعلك إلاّ كمنْ　　تطعّــمَ الــرّيق مــن الأرقمِ[4]
كيف يخــوض البحــر من مثله　　يغــرق فــي دائــرة الدرهمِ
فاثبــتْ أوِ أجــزعْ كلّ ذا واحدٌ　　لا عاصــم اليوم لمستعصمِ
استقــدر الله علــى كلّ ما　　ألصــق منــك الأنف بالمــرغــم
تجاســر الجــوع علــى صالحٍ　　تجاسر الكلــب علــى الضيغمِ[5]
وفــاه باسمــي مفصحــاً بعدما　　تركتــه أســكت من أبكمِ[6]
وقــال قومٌ قد غدا شاعراً　　والشّعــر لا يعــرف للمفحمِ
فقلــت لا لومَ علــى مثله　　من أخــذ الصّفــع قفــاه حمي
أنــا الــذي ألبستــه حسرةً　　بمــا جرى من ذكره في فمي
والله لا يجهــل من بعدها　　وفــي قفــاه للــرّدى ميسمي

(١) الماتح : الغارِف منه وينزفه : يفنيه .
(٢) الجامح : الشرود .
(٣) الشيهم : الدلدل ، وذكر القنفذ ، أو ما عظم شوكه من ذكرانها .
(٤) الأرقم : الأفعى السامة .
(٥) الضيغم : الحيوان المفترس .
(٦) الأبكم : الأخرس .

أَبْيِن به من ميسمٍ واضحٍ   يضيء كالغرَّة في الأدهم[١]
فليت شعري كيف رام العلا   وهمٌ أن يرقى بلا سلم ؟!

ومنها :

ثم أتت بالصَّعو مستبشراً   يروم أن يلحق بالقشعم[٢]
في الثمر المرّ دليلٌ على   رداءة الأصل لمستطعم

وله فيه [من البسيط] :

لا تعجبي لسكوتي بعد أشجاني   فالعذر عن كلٍّ ما أهواه أسلاني
قد أرقأ الله دمعي بعد جريته   وأنقذ القلب من همٍّ وأحزانِ[٣]
فما أرى أحداً يُصفي الهوى أحداً   وجود هذا رعاك الله أعياني
لم يبق بين الورى إلاّ مكاشرةً   تبدو لنا عن صدورٍ ذات أضغانِ
أقول لابن أبي الجوع المنافق إذْ   لم ينهه الحلم عنّي وهو ينهاني
أراك تقرعني سرّاً وتعجمني   فهل وجدت صفاتي غير صوّان[٤]
تردّ في جبهة النّقار معوله   إذا تضعضع عنها كلّ كدّان[٥]
العزُّ داري وظهر العزم راحلتي   والوحش أنسي وجنُّ الأرض إخواني

وله في العناق ، وأحسن ما شاء [من السريع] :

لي سيِّدٌ ما مثله سيِّدُ   تصدَّتِ الحمّى له فاشتكى
عانقته عند موافاتها   والأفق بالليل قد احلولكا

---

(١) الميسم : الأثر والعلامة . والغرّة : بياض في رأس الفرس ، والأدهم ، من الخيل : ما كان لونه مائلاً إلى الحمرة والسّواد .
(٢) القشعم : النّسر المسنّ .
(٣) أرقأ : كفّ .
(٤) تقرع : تطرق ، وتعجم : تحك وتتفحّص .
(٥) الكدّان : القوي الكثير الشحم واللحم .

فجـاءت الحمـى كعاداتها فلـم تجـدْ ما بيننـا مسلكا

وقوله يصف برادة على حامل نحاس [من الكامل] :

أمُّ الحياةِ على سرير نحاسٍ عريانـةٌ أبـداً بغيـر لباسِ
هي في الموات لدى الورى معدودة لكنّهـا ضمنتْ حياة النّاسِ

وقوله [من الوافر] :

بعين الله أنـت فإنَّ عيني إذا ما غبـت داميةَ الجفون
كأنّـكَ مهجتـي فإذا تدانى فراقـك حمَّ لي ريبُ المنون[1]

وقال يصف البنفسج والورد [من مخلع البسيط] :

بنفسـجٌ جاء في حـدادِ ووردنـا فـي معصفراتِ
فاشـرب علـى مأتـمٍ وعرسٍ جلا جميعـاً عـن الصّفاتِ

وسأله ابن رشدين المسير معه إلى القاش فقال مرتجلاً [من المنسرح] :

يا آمـري بالمسير في لجج الـنيل كأنْ سخّـرتْ ليَ الريح
مـا جمّـد المـاء لي فأركبهُ كلاّ ، ولا صامـتِ التماسيح

* * *

٣٤ ـ محمد بن الحسن اليمني

أنشدت له في صالح [من المجتث] :

يا قاطعـي بعـد وصل تسـوم ما لا أسومُكْ[2]

---

(١) حمّ : نزل ، وحمّ القضاء : أي نزل .

(٢) الوصل : من الوصال وهو القرب ، وتسوم : من سام : أي عرض البضاعة وغيرها للبيع وذكر ثمنها ، وسامه الخسف : أذلّه .

يا ليت أنّيَ يوماً من الزّمان نديمُكْ
فالشوق عندي غريمٌ كما السّلوُّ غريمُكْ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

فاضحَ الغصنِ النضيرِ كاسفَ البدر المنيرِ
أنت عذري في حياتي ومماتي ونشوري
ما سرورٌ غاب عنه صالحٌ لي بسرورِ

٣٥ ـ محمد بن هرون بن الأكتمي

أنشدت له في بعض الوزراء يهجوه [من مجزوء الخفيف] :

يا وزيراً إلى المكا ييل والبيع ينسب
من يرُمْ حبّك يتعبْ وأمانيه تكذّب
وإذا ما رجوته قلت ما مات أشعب
يا وضيعا ترجّل الـ ـمجد مذ صار يركب[1]

وله يهجو ابني كشاجم أبا النصر وأبا الفرج [من الكامل] :

يا ابنيْ كشاجم أنتما مستعملان مجرّبانِ
مات المشوم أبوكما فخلفتماه على المكانِ[2]
وقرنتما في عصرنا ففعلتما فعل القرانِ
لغلاء أسعار الطعا م وميتة الملك الهجان

وقوله في عزاء [من الوافر] :

بقاؤكما يعيد الميت حيّاً وإن غطّاه دونكما الترابُ

---

(١) ترجّل : أي أصبح يمشي على رجليه .
(٢) المشوم : من المشؤم خففت الهمزة للضرورة الشعرية .

فــلا تستشعــرا حزنــاً عليه فيذهــب لاعدمتكمــا الثوابُ

وله في غلامه راشد [من مخلع البسيط] :

يا قمــر الليل كن شهيدي فأنــت من أعــدل الشهودِ
هــل نمــت أو ذقــت طعــم غمضٍ مذ هجعــت أعين الرّقودِ
وكيف يلتــذّ باغتماضٍ من لجّ مولاه فــي الصّدودِ
فــكن شفيعــي إلــى حبيبٍ قد زاد في كثــرة الجحّودِ

وقال رحمه الله [من المتقارب] :

كأنّ الأبــاريق مملوءةٌ ظبــاءٌ وقـوفٌ علــى ساحلٍ
رماهــا بأسهمــه قانصٌ فخضّبهــا بالــدّمِ السائلِ

وقوله في شمعة [من مجزوء الرجز] :

بــاكيةٌ ضاحكةٌ خدّامهــا جلاّسها
مظهــرةٌ أنوارهــا إن جُزَّ منهــا رأسها
كأنّهــا عاشقةٌ تذيبهــا أنفاسها

وقال [من السريع] :

لــو أنصفــتْ عطفــتْ أو رقّتِ ما أضنــت الجســم ولا سلّتِ
أفــدي التــي إن أقبلــتْ أقبلتْ دنيايَ أو غنّــتْ لنــا أغنتِ

وقال [من مخلع البسيط] :

يا أيّهــا ذا اْستمــعْ مقالي فليس في قصتــي ضلالُ
ثلاثــةٌ مالهــا مثالٌ السّجــن والجــوع والعيالُ
إن دام هذا علــيَّ منهمْ صحّحــت ما شنّعــوا وقالوا
أليس إن متّ مات شعري أفنــى ومــا قلتــه يقالُ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

أكثـر العـذال لومي يا ابـن رشـدين وزادوا
وبقلبـي منـك وجدٌ مالـه الدّهـر نفادُ
قـد تجافـى عن جفوني مذ تجـافيتُ الرّقادُ
فيك يا صالـح للقلـب صلاحٌ وفسادُ
أنـا من حبِّـك مولا ي عليلٌ لا أعاد[1]

وقوله [من السريع] :

دافعـت أيّامـي بأيامي حتّـى مضـى أكثـر أعوامي
وإنّمـا عمـر الفتـى كلّه كأنّـه طارقُ أحلامِ
يا ويح من أمسـى علـى غرَّةٍ وأنفـه من حتفـه دامي[2]
يرمـى بسهـمٍ للـردى صائبٍ من حيث لا يشعـر بالرامي

* * *

٣٦ ـ عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع

أحد رواه المتنبي الأدباء ، وأصحابه العلماء ، وممن تمهر في لغات العرب وأجاد أنواع الأدب ، فمن شعره قوله رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

أظنّـك يا سيدي إذْ جفوت توهّمـت بـي نبـوة الغادرِ[3]
وخلـتَ بأنـي ملالاً سلوتُ ولسـت بسـالٍ ولا صابرِ
وقـد علـم الله أنّـي عليـ ـك أشفـق منِّـي علـى ناظري

---

(١) أعاد : أزار .
(٢) الغرّة : الغفلة ، والحتف : الموت والهلاك .
(٣) النبوة : الجفوة والبعد .

وقال [من السريع] :

صالــح يا مشبــه بدر الدجى　　بالحســن والإشــراق والرفعةِ
وجهك في الليل كشمس الضُّحى　　نوراً فمــا تصــنــع بالشمعةِ

وقال [من المجتث] :

يا أطيب النــاس ريحاً　　وأطيب النــاس راحا
ومــا به أتصــدى الـ　　أطــراب والأفــراحا
هــات اسقنــي أو تراني　　لا أعــرف الأقداحا
واحفــظ علــيَّ فؤادي　　من أن يطير ارتياحا
لـو كنــت كاسمــك يا صا　　لح اعتمــدت الصّلاحا
لــكن أبــى الله إلاّ　　أن تفســد الأرواحا

قال : وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه بهذه الأبيات [من المجتث] :

شعبــان قد صار نضواً　　ولــم نفــد فيه لهوا ؟ ! [1]
وليس ذلك منّا　　جهــلاً ولا كان سهوا
فبــالمــودّة إلاّ　　بكّرت للقصف عدوا[2]
حتــى نقــوم فنرفوا　　ما خرق الدهــر رفوا[3]
مــن بعــد تقــديم جدي　　مسمّــنٍ ظلّ يشوى
لــه ثلاثــون يوماً　　يحبــو إلـى الضّرع حبوا[4]
وأوفــر الــزّور في الخـ　　ـلّ قد تبــوّأ مثوى

---

(١) النضو : الهزيل ، أي أنّ قمر شعبان أصبح في لياليه الأخيرة وهذا دليل على انتهائه .
(٢) القصف : اللهو ، والعدو : الإسراع في السير .
(٣) نرفوا : أي نصلح عيب الثوب أو ما تمزّق منه .
(٤) الضّرع : الثدي .

لما انتزعت حشاه عوّضته البقل حشوا
وقد عنيت بجامٍ ملأته لك حلوى
وقهوةٍ بنت كرمٍ صفت من الذمّ صفوا
ما شعشعت قطُّ إلاّ سطت على الهمّ سطوا
جنّبتها كلّ وغدٍ يمحو المحاسن محوا
إلاّ إذا ما اقتنصنا عذب الخلائق حلوا
وشادنٍ ذي دلالٍ يشدو فيلهيك شدوا
إمّا غناءً وإمّا عجائباً عنه تروى
حتى تظلّ بما فيه من وقارك خلوا
وعندنا لك وردٌ يحدو المسرّة حدوا[1]
ريحانه لا يوازي لوناً وعطراً وسروا
فما اعتذارك في أن تُفني زمانك صحوا
وأنت بعد قليلٍ بالصّوم والله تطوى
أبا عليٍّ ألا اسمعْ نصيحةً ليس تزوى[2]
فإنّما نحن سَفْرٌ على محجّة بلوى
ولا تعرِّج ذميماً على معاهد حزوى

وله في أبخر [من الخفيف]:

لا تنفَّسْ في مجلسٍ أنا فيه وتنفّسْ سرّاً وراء البابِ
ثم لا تعترض لسرٍّ صديقٍ إنّ ذاك السّراء سوطُ عذاب
إنّما فوك فقحةٌ كلّ وقتٍ تتصدى الأنوف كالنّشاب

(١) الورد : المنهل ، ويحدو : يسوق .
(٢) تزوى : تبعد ولا يعمل بها .

تصرع الطائر المحلِّق في الجــــــوِّ ولو غاب في سواء السّحاب

وقوله [من الوافر]:

أرى اللذاتِ تعبــر بي يمينــاً ... على رغمي وتعبــر بي شمــالاً
فـأجــرعُ دونهـا غصصـاً لأنّي ... أشـاهـدهـا وما اعـطيت مـالاً

وقوله [من مجزوء الخفيف]:

وعـذارٍ مـجـعّـدٍ ... فـوق خدٍّ مـورّدِ
كـلّما رمـتُ فـرصةً ... لسعـتْ عقـربٌ يدي

* * *

٣٧ ـ الحسن بن محمد الشهواجي

كتب إلى صالح بن رشدين يستهديه مشروباً في يوم نيروز [من السريع]:

اليـوم يـا صـالـح مـا تبصـرُ ... وصحـو مثلي فيه مستنكـرُ
وقـد مضى الـوعـد وحصّلتـه ... وصفـوه من مـطله يـكـدر[1]
فهـات مـا يحضـر إنّي امـرؤٌ ... يقنعـه منك الـذي يحضـرُ

وله [من المنسرح]:

قـوليَ مـاضٍ على العبـاد فمـا ... يُـردُّ فـي جدّه ولا لـعـبهِ
ولـي لســانٌ كـأنّـه ظـبّـةُ الـــسّيف طـويـلٌ أكـاد أعثـرْ بـهِ[2]

وقوله [من البسيط]:

وقهـوةٍ كشعـاع الشّمس صـافيـةٍ ... شـربتهـا مَـعَ شَـرْبٍ سـادةٍ كـرمـا

---

(١) المطل : التسويف بالوعد وعدم الوفاء به .
(٢) ظبّة السيف : شفرته .

إذا ثنوا أرؤس الفرسان في رهجٍ　　حازو الفخار وأجروا بالسيوف دما(١)
إذا رأيتهم أيقنت أنهمُ　　نجومُ كلّ فخارٍ لا نجوم سما

وقوله [من الطويل]:

تضيق بي الدنيا إذا كنت غائباً　　وأسرح في أقطارها حين تقربِ
وأنت جناحي كلّما طرت للعلا　　وسيفي الذي أسطو به حين أضربُ

وقوله [من الرجز]:

وقهوةٍ في كأسها　　ترمي الندامى بالشَّررْ
قد جمعت نشر الرُّبا　　وبرد انفاس السَّحرْ(٢)
أطيب ما شربتها　　على غناءٍ ووتر
طوبى لمن حجَّ إلى　　كعبتها ثم اعتمر

وقوله [كن الكامل]:

وعلوُ قدرك وهو أبعد غايةً　　في كلِّ حالٍ من علوِّ الكوكبِ
لأسيِّرنَّ مديحك الحسن الذي　　ألبسته ثوب الثناء الطّيبِ
حتى يحدّث مَنَ بأرض المشرق الـ　　أقصى حديثك من بأرض المغربِ

وقوله [من الكامل]:

ومهفهفٍ ساقٍ أغنّ سقيته　　قبل الصبوح سلافةً عذراءَ
ما صاح ديك الصبح إلّا صيحةً　　حتّى توسّد كفّه اغفاءَ
جعلته قبل رقاده كاسلتُهُ　　لمّا استقلّ لسانه فأفاءَ(٣)

---

(١) الرهج : غبار الحرب .
(٢) نشر الرّبا : عبقها الطيّب .
(٣) الفأفاء : الذي يفأفىء في كلامه فيخرج الكلام من بين شفتيه كثير الفاء .

٣٨ ـ أبو علي صالح بن رشدين الكاتب

أحد أئمة الكتاب ، المهرة في سائر الآداب ، صحب المتنبي وروى شعره ، وكان جيد المعاني ، أنشدني له محمد بن عمر الزاهر [من مجزوء الخفيف]:

قُلْ لمولاي منعماً لم صَرَمْتَ المتيَّما[1]
أنت أعطشتني إليك وأبكيتني دما
فإذا شئت أن ترى عاشقاً ميتاً ظما
فأدر في ناظريك تجدني توهّما

وقوله [من المُجتث]:

أَجَنَّةٌ نحن فيها أم نحن في المرزجوش[2]
ما بين آسٍ وماءٍ ينساب بين العروش
وقهوةٍ ذات حسنٍ وطاجنٍ ذي نشيش[3]
وسيّدٍ رشت منه لما تطاير ريشي[4]

وزاره ابن أبي الزلازل في منزله ، فلم يره، فطرح له رقعة من طاق في المنزل ، وكتب اسمه على الباب . فلما أتى صالح ورأى اسمه على الباب ووجد الرقعة فقرأهافوجده يعتبه فيها على انقطاعه عنه ، فذهب صالح في

---

(١) صرمت : هجرت وقطعت .
(٢) المرزجوش : معرّب مرزنكوش ، ويسمّى أيضاً مردقوش ، وعربيته السمق وهو نبات الياسمين ، ويطلق على الزعفران .
(٣) الطاجن : ما يقلى فيه ، والنشيش : الغليان وصوته .
(٤) رشت : تقوّيت واستغنيت .

الوقت إلى منزل ابن أبي الزلازل فلم يجده . فكتب اسمه على بابه وترك رقعة فيها [من الخفيف] :

قد ، ومن خصّني بودّك، أذكى ... طول شوقي إليك في القلب نارا[1]
سرت فيه تلقاء داريَ قصداً ... فإذا النور قد تغشّى الدِّيارا
فتعجبت أن أرى الأفق ليلاً ... مدلهماً وجوف داري نهارا
وإذا خطّك البديع على البا ... ب يبثُّ الضياء والأنوارا
فتمنّيت أنّ خدِّي نعلا ... أخمصيك اللذين نحويَ سارا
غير مستنكر لمثلك أن يسـ ... ـبق فضلاً وأن يفوت فخارا
ثم أصبحت أشتكي عثر السكـ ... ـر وعزمي زيارتيك ابتكارا
فإذا رقعةٌ تمرُّ بها الريـ ... ـح يميناً طوراً وطوراً يسارا
فتأمّلتها وكانت من اللا ... ئي تروق القلوب والأبصارا
ما توهّمت أنّني قبلها أقـ ... ـرأ خطّاً يزيل عنّي الخمارا
قابلتني منها سهامُ عتابٌ ... جعلت درعيَ الحصين اعتذارا
وأحاشيك أن تكون خليلاً ... مذق الودّ للصديق معارا[2]

فلما رأى ابن ابي الزلازل الرقعة كتب إليه بهذه الأبيات [من الخفيف] :

بأبي أنت سابقٌ لا يجارى ... قاده نحويَ اشتياقٌ فزارا
عاقني الحظّ أن أراه وأن نقـ ... ـضي عند اجتماعنا الأوطارا
يا ابن رشدين قد أفدت بك الرشـ ... ـد وبدّلت بعد عسرٍ يسارا
كنت بالأمس عند إخوان صدقٍ ... أدباءٍ ندير كأساً عقارا
قد جعلنا محمود ذكرك نقلاً ... وشربنا من قبله تذكارا[3]

---

(١) أذكى : أوقد .
(٢) المذق : المداهن .
(٣) النقل : ما يؤكل مع الخمر كالفستق وغيره .

ثم إني انصرفت سكران أعتسُّ طريقي تمايلاً وعثارا[1]

والدّجى كالهموم في قلب من فا ... رقَ عشقاً وغربةً وادّكارا

أخبط الليل مفرداً إذ تراءى ... لي نورٌ أضاء ثمّ استطارا

فهنيئاً إنّي أودّك ودّاً ... ترتضيه مغيَّباً وجهارا

ثم أخبرتني بشكواك فيها ... فوقاني الإلّه فيك الحذارا

لم أزل دائباً أكرِّر قولي ... كان لي فيك حافظ الجار جارا

* * *

٤٠ ـ أحمد بن محمد العوفي

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر قوله [من المجتث]:

يا حسرةً في نفوسٍ ... وياشجىً في حلوقِ[2]

يا فضّةً بين ثنييْ ... غلالةٍ من عقيقِ

عليّ لا زلت همّي ... في صبحتي وغبوقي

ودون سلوة وجدي ... وجدان بيض الأنوقِ[3]

وأنشدني أيضاً [من المجتث]:

يا موقظاً طرف هَمي ... من بعد ما كان أغفى

تظنّ ما بتُّ أخفيه ... من جوىً بك يخفي

ولي لسان دموعٍ ... ما يكتم النّاس حرفا

إذا تظلّم طرفي ... وقعت بالطّرف تُكفى

---

(١) عسّ : طاف بالليل .

(٢) الشجى : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

(٣) الأَنوق : العقاب ، أو طائر أسود يحرز بيضه فلا يكاد يوصل إليه .

وأنشدني له [من المجتث]:

قد عابني برقادي خياله حين زارا
ولا وحبّيه ما إنْ فعلت ذاك اختيارا
طمعت في أن أراهُ طوعاً فنمت اضطرارا
فتلك علّةُ نومي يا ملزمي فيه عارا

* * *

٤١ ـ القائد أبو تميم سليمان بن جعفر

كتب إلى صالح بن رشدين رسالة يستدعيه فيها إلى الشراب ، فامتنع عليه وكتب له هذه الأبيات [من المنسرح]:

يا أيها القائد الجليل ومنْ أصبح بالمكرماتِ يفتخرُ
آليت لا أشرب المدام ، وإن كانت ذنوب المدام تغتفرُ
يكفي أخا العقل أنّ سورتها تجني على عقله ويعتذر(١)

فكتب إليه القائد ابو تميم [من المنسرح] :

أبا عليٍّ حاشاك يا أملي من أن أراك الغداة تعتذرُ
قلبي إذا غبت ساعةً قلقٌ يكاد شوقاً إليك يستعرُ
فسرْ إلينا فوقتنا حسنٌ ساعد فيه السّحاب والمطر

قال ابن رشدين : حضرت عند القائد أبي تميم في ضيعة له ، فلما عمل فينا الشراب نظرت إلى جارية له تسمى عبدة ذاهبة وجائية ، فحملني

---

(١) سورة الخمر : حدّتها .

النبيذ أن أخذت رقعة وكتبت فيها إليه [من الخفيف]:

صــالــحٌ لا يــزال يــطلب عــبْــدَهْ ‏ ‏ ‏ ‏ مــن كــريمٍ يصـــفي الأخـــلاء ودّهْ
قد بثت الغـــداة وجـــدي وحبي ‏ ‏ ‏ ‏ مـن ولـي يـولـي لـمـولاه مـجـده
فــإذا شئــت أن أرى لــك عــبداً ‏ ‏ ‏ ‏ فـتـفـضّـل أبـا تـمـيـم بـعـبـدَهْ

فقـرأهـا وأمسـك ، فـارتعت وخفته ، وتمـاديت في الشـرب معـه ، ثم نهضت الى منزل أنزلني فيـه بقربـه ، فلما استقـر بي انفذ لي الجـارية ومعهـا درجٌ فيـه طيب كثيـر، وعليهـا ثيـاب رفيعـة حسنـة ، ورقعـة فيهـا شعــر [من الخفيف]:

قــد بـعـثـنــا أبــا عليٍّ بـعـبــده ‏ ‏ ‏ ‏ وقـضـيـنــا بــذاك حـقّ الـمــودَّهْ
وحــمــدنــاك إذ خــطبت إلـيـنــا ‏ ‏ ‏ ‏ أســأل الله أن يـهـنّـيــك حـمــده
فخــذنهــا فــأنــت أكــرم كفءٍ ‏ ‏ ‏ ‏ وهي ما عشت كاسمها لك عبـده

وقـال الخادم الـذي جاء بهـا : يقول لـك مـولاي : لا تخـرج غـدا من منـزلك او يـأتيك رسـولي . فلما أصبحت جـاءني القـائـد أبـو تميم بجـواريـه المغنيات وطباخه ، معه طعام كثير قد أعده وشراب، فمازلنا نأكل ونشرب إلى الليل وانصرف فرحا مسروراً .

٤٢ ـ أبو هريرة أحمد بن عبد الله بن أبي العصام

أنشدني له ابن وهب [من الطويل]:

لئِنْ ذهبـتْ أيــام لــذّتـنــا الأولـى ‏ ‏ ‏ ‏ بذي الأسل ما وجدي عليهـا بذاهبِ
ألاليت أيــاماً مضت لم تكن مضتْ ‏ ‏ ‏ ‏ ففقدي لها يا صاحِ إحدى المصائب
رعـى الله ايـام الـســرور فــإنّــهــا ‏ ‏ ‏ ‏ تمـر ســريعـاتٍ كَمــرِّ السّـحــائب

وقوله في رثاء صالح [من السريع]:

قـد أفسـد المـوت على صـالـح | كـلَّ الـذي اصلحـه صـالـحُ
وانصـرف البـوّاب عـن بـابـه | وصـاح في مجلسـه الصـائـحُ
خـلّوه فـي دار الـبـلى مـفـرداً | ونـاح فـي اوطـانـه الـنـائـح
يـا ليت شعـري مـا الـذي قـالـه | إذ راح فـي حـفـرتـه الـرائـح
يـا أيُّهـا النـاس ألا فـاسمعـوا | قـولي فـإنّي مشفـقٌ نـاصـحُ
لا تؤثـروا الـدنيـا على غيـرهـا | فـفـرْقُ مـا بيـنـهـمـا واضـح
فـالـحـمـد لله وشـكـرٌ لـهُ | كـلّ امـرىءٍ عـن أهـله نـازحُ

وقوله [من الخفيف]:

مَنَ رسـولي إليـك أو من شـفيـعي | يـاشبيـه الهـلال عنـد الـطلوعِ ؟
أنت في القلب شـاهـدٌ ليس يخلو | مـن ضمـيـري وأنت بـين ضـلوعي

وقوله [من البسيط]:

أمـا تـرى الغيم كالبـاكي بـأربعـةٍ | والأرض تضحك كالجذلان من فرحِ
فقمْ فـديتـك نشكـو مـا نكـابـدهُ | من الـزمـان ومـا نَلقى إلى القـدحِ

وقوله [من المنسرح]:

كم لي بـديـر القصيـر من قـصفِ | مع كـل ذي نشـوةٍ وذي ظُـرْفِ(١)
لـهـوت فـيـه بـشـادنٍ غـنـجٍ | تـقـصـر عـنـه بـدائـع الـوصـفِ

وقوله [من السريع]:

أذكـرتني يـا ديـرُ مَنْ قـد مضى | مـن أهـل ودّي ومـصـافـاتـي

---

(١) القصف : المجون .

كم كـان لي فيكَ وفيهمْ معـاً ... مـن طـيـب أيامٍ ولـيـلاتِ
أشـكـو إلى الله مـصـابـاتـهـم ... وفـقـدنـا أهـلَ الـمـروءاتِ

وقوله [من البسيط] :

كتمتُ حّبك في قلبي فما وسعهْ ... هذا وليس لـه شغلٌ سـواه مَعَـهْ
يـا من إذا ما بـدت للناس صورتـهُ ... رأيت فيهـا فنـون الحسن مجتمِعَـهْ
والله مـا حلتُ عّما قـد عهـدت ولا ... أصغيت أذناً إلى العذّال مستمعه[1]
رفقاً بمن لـو تسلّى عنـك يـا أملي ... بكلِّ شيءٍ على الـدّنيـا لَمَـا نفعـهْ

* * *

٤٣ ـ أبو القاسم بن علي بن بشر الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف العذار [من الخفيف] :

مَنْ عـذيري إلى العـذار الجديـدِ ؟ ... مَنْ رسـولي إلى القـريب البعيـدِ ؟
دبَّ في خـدِّه الـعـذار فـحـاكـى ... ظلمـة النّحس في بياض السّعـودِ

وقوله [من السريع] :

أمـا تـرى لـي نـاظـراً شـاهـداً ... بـالـحبِّ والأعـينُ رسْـلُ الـقلوبْ
ودون إلـحـاح جـفـونـي بـه ... تـخبـر عـمّـا في فـؤادي الكئيبْ
وأنـت لا شـك بـه عـالـمٌ ... لأن عـنـد الـمِـرْدِ عـلمُ الـغيـوبْ

وقوله [من المنسرح] :

ضـممتـه ضمّ مـفـرط الضّـمِ ... لا كـأبٍ مـشـفـقٍ ولا أُمِّ
ولم نـزل والـظـلام حـارسنـا ... جسمين مستـودعين فـي جسـمِ

---

(١) حلت : تحولّت وتغيّرت .

ألثمه في الدُّجا وبرق ثنا ياه يريني مواقع اللثم
ثم افترقنا عند الصّباح وقد أثّرت فيه كهيئة الختم

وقوله [من البسيط]:

إذا ذكرت أياديك التي سلفتْ مع قبح فعلي وزلّاتي ومجترمي
أكاد أقتل نفسي ثم يدركني علمٌ بأنّك مجبولٌ على الكرم

وقوله [من الخفيف]:

أنت مني بحيث مأوى الغرام وبحيث افتقاد طيب المنامِ
في فؤادي وناظري وهما منـ ـك قرينا صبابةٍ وانسجامِ

وقوله [من الوافر]:

لحى الله امرءاً يوعيك سرّاً لتكتمه وفضَّ الله فاهُ(١)
فإنّك بالذي استودعت منهُ أنمُّ من الزُّجاج بما حواهُ(٢)

وقوله [من الكامل]:

بيضاء جنح جبينها في ليل طرَّتها البهيمْ
ضدّان ما اجتمعا لغيـ ـرتشتُّتِ الصَّبر المقيمْ
ولَذِكْرُها أندى على الـ أكباد من برد النّسيم
ووصفت نعمة حسنها فنعمت في صفة النعيمْ

وقوله [من المتقارب]:

ديون المكارم لا تُقتضى كما تقتضى واجباتُ الديونْ

---

(١) لحى الله : لَعَنَ الله ، يوعيك : يكتمك ويأتمنك ، وفضّ : فتح وشقّ .
(٢) أنمّ : أدل .

ولـكـنّـهـا فـي قـلـوب الـكـرامْ تجـول مجال القـذى في العيونْ

وقوله [من المنسرح]:

طـرفي على ما عهـدت في أرقِـهْ فيـك وقلبي يـزداد من حُـرَقِـهْ
ولـي حـبـيـبٌ أقـام مـعـتـنـقـي كمـا أقام الشّهـاب في غسقـه(١)
وجـمـلة الأمـر أنّـنـي رجـلٌ قـدمُتُّ قبل الفـراق من فـرقـه(٢)
هـذا حـديثي والشمـل مجتمـعٌ فما حديثي في عقب مفترقه ؟!

قال لي الزاهر : أخبرني ابن بشـر أنه كـان له جـد لأم يعرف بكـولان ، وكان هو من أهـل الأدب والكتابـة، وحسن الشعر والخـطابة قـال لي حججت سنـة من السنين، وجاورت بمكـة حرسهـا الله ، فـاعتللت علة تـطاولت بي ، وضـاق معهـا خلقي ، ثم صلحت منهـا بعض الصـلاح ، ففكـرت في أنني عملت في أهل البيت تسعا وأربعين قصيدة مدحا ، فقلت : أكملها خمسين . ثم ابتدأت فقلت :

* بني أحمد يا بني أحمد *

ثم ارتـج على(٣) فلم أقدر على زيـادة ، فعظم ذلـك عليَّ ، واجتهدت في أن أكمل البيت فـلـم أقدر ، فحدث لي من الغم بهذه الحـالة مـا زاد على غمي بإضاقتي وعلتي ، فنمت اهتماماً بالحال، فـرأيت النبي ﷺ ، فجئت إليه فشكوت إليه ما أنا فيه من الإضاقة وما أجده من العلة وأخرى من القلة ، فقال لي : تصدق يوسع عليك، وصم يصـح جسمك ، فقلت لـه : يا رسـول الله، وأعـظم مما شكـوته إليـك أنني رجل شـاعر اتشيـع ، وأخص بالمحبـة ولـدك

(١) الغسق : الظلام .
(٢) الفرَق : الخوف .
(٣) أرتج عليه : استغلق عليه الكلام .

الحسين وتداخلني له رحمة لما جرى عليه من القتل، وكنت قد عملت في أهل بيتك تسعاً وأربعين قصيدة ، فلما خلوت بنفسي في هذا الموضع حاولت أن أكملها خمسين، فبدأت قصيدة قلت فيها مصراعاً وأرتج عليَّ إجازته ، ونفر عني كل ما كنت أعرفه فما أقدر على قول حرف ، قال : فقال لي قولا نحا فيه إلى أنه ليس هذا إليّ ، لقول الله تعالى :﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾(١) ثم قال لي : اذهب الى صاحبك، وأومأ بيده الشريفة إلى ناحية من نواحي المسجد ، وأمر رسولا أن يمضي بي إلى حيث أومأ ، فمضى بي الرسول على ناس معهم عليٌّ ابن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له الرسول : أخوك وجه إليك بهذا الرجل ، فاسمع ما يقوله، قال : فسلمت عليه ، وقصصت عليه قصتي كما قصصت على النبي ﷺ، فقال لي : فما المصراع ؟ قلت [من المتقارب]:

* بني أحمد يا بني أحمدِ *

فقال للوقت قل :

	بكتْ لكم عُمُدِ المسجدِ
بيثربَ، واهتزّ قبر النبي	أبي القاسم السيِّد الأصيدِ(٢)
وأظلمت الأفق أفق البلاد	وذرَّ على الأرض كالإثمد(٣)
ومكّة مادتْ ببطحائها	لإعظام فعل بني الأعبد
ومال الحطيم بأركانه	وما بالبنية من جلمد
وكان وليُّكُمُ خاذلاً	ولو شاء كان طويل اليد

(١) من الآية ٦٩ من سورة يس .

(٢) يثرب : المدينة المنوّرة ، والأصيد : الكريم العظيم .

(٣) ذرّ : نثر ، والإثمد : الكحل .

قال: ورددها عليَّ ثلاث مرات، فانتبهت وقد حفظتها:

* * *

٤٤ ـ الحسن بن خلاد رحمه الله تعالى

أنشدني الزاهر له [من مجزوء الوافر]:

وَمُـنْـهَـتِـكٍ لـه نَـظَرٌ　　يصـون مـواقـع النـظر[١]
هـلالٌ لـو بـدا لـلسَّفْـرِ　　ألـهـاهُمْ عـنِ السَّفَـرِ
فـوا ويـلاه مـن قـمـرٍ　　يـريـك مسـاويَ القمـرِ
لقـد أصبحتُ مـن كلفـي　　بـغـرَّتـهِ عـلى غـرر[٢]

وقوله [من مجزوء الرمل]:

يـا مـريـداً منِّي الوصـل　　ووصـلي فـي يـديـهِ
أنـا لا اعـرف مـن لا　　يـعـرف الـحقَّ عـليـهِ

وقوله من أبيات [من مجزوء الكامل]:

نختـال في حـلل الصِّبـا　　كـالبـدر فـي حـلل الغيوم
وإذا تـثـنـت جـال فـي　　أعـطـافهـا مـاءُ النعيم
ينسيـك طيـب نسـميهـا　　بعـد الـكـرى بـرد النسيم

وله أول قصيدة [من الطويل]:

هـو السيف لا يكسوك ما لم يُجَـرَّدِ　　فجـرِّده واسترفـدْ بِغـربيـهِ تُـرفـدِ[٣]

* * *

---

(١) ومنهتك: غير محجوب،
(٢) الكلف: العشق، والغرر: الطيش.
(٣) الغرب: الحدّ، واسترفد: أي اطلب الرزق بحدّه.

٤٥ ـ أبو الحسن اللطيم

أنشدني ابن وهب قوله [من مخلع البسيط]:

لا تنكري سرعة اختلاسي ... لـذّاتِ أيّامي القصارْ
فإنّ علمي بغدر دهري ... صيّرني خالع العذارْ

وقوله [من السريع]:

أهديت لي تذكرةً خاتماً ... اسمك منقوشٌ على فَصِّهِ
فما اعترتني زفرات الهوى ... إلّا تروّحت إلى مَصِّهِ

٤٦ ـ سليمان بن حسان النصبي رحمه الله

أنشدني ابن وهب له [من الخفيف]:

وهتوفٍ ورقاءَ أرّقتِ العينَ، وزادت خبلَ الفؤاد خبالا[١]
ذات طوقٍ من الزبرجد يحكي ... صفو عيشٍ عنّي تولّى وزالا
أيقظتني والصبح قد خالط الليـ ... ـلَ كما خالط الصدود الوصالا
وتراها كأنّما بدموعي ... خضّبوها أو خاضت الجريالا[٢]

وقوله يصف الراي المقلي وهو ضرب من السمك [من مجزوء الرمل]:

ما رأينا مثل هذا الـ ... ـراي حسناً، ما رأينا
صار تبراً بعد أن كا ... ن عقيقاً ولجينا

وقوله في شمعة [من المتقارب]:

ومجدولةٍ مثل صدر القناة ... تعرّت وباطنها مكتسي

---

(١) الخبال: فساد العقل والرأي.
(٢) الجريال: صبغٌ أحمر.

لـهـا مـقـلـةٌ هـي روحٌ لـهـا وتـاجٌ على الـرأس كـالـبـرنس
إذا رنَّـقـتْ لـنـعـاس عـرا وقُـطّت من الـرأس لم تنعس[1]
وإن غـازلتهـا الصَّبـا حـرَّكَتْ لـسـانـاً من الـذّهـب الأمـلس
وتـنـتـج فـي وقـت تـلـقـيـحـهـا ضيـاءً يجلّي دجا الجنـدس[2]
فـنـحـن من الـنـور فـي أسعُـدٍ وتـلك مـن الـنـار فـي أنـحس
وقـد نـاب وجهك عن ضوئها وعـن ذا البـنفسـج والـنـرجس
ولـكـنـهـا آلـةٌ لـلـنـدام ونـجمٌ تـألّق فـي الـمـجـلس
تـوقُّـدُهـا نـزهـةٌ لـلـعـيـون ورؤ يـتـهـا مـنـيـةُ الأنـفـس
تـكـيـد الـظلام كـمـا كـادهـا فـتفـنـى وتُـفـنـيـه فـي مـجـلس
فيـا ربّـة الـعـود حـثّي الـغـنـاءَ ويـا حـامـل الكـأس لا تحبس
ويـا صـالـح انعم وعش سـالـمـاً على الـدهر في عـزّك الاقعس[3]

وله يصف روضة [من الرجز]:

وروضـةٍ ذاتِ غـديـرٍ مـتـئـقِ وَزَهَـرٍ مثل عشـور المهـرقِ[4]
ونـرجسٍ مثل العيـون الـرمَّق أجـفـانهـا مـن لؤلـؤٍ مفـلَّقِ[5]
بـاهتـةٍ قـد فتحت لـم تـطبقِ وسـوسنٍ غضّ النّبات مـونقِ[6]
يشفُّ فيـه كـالـزّجـاج الأزرق وقـد حكـاه في ضيـاء الـرونق
بنفسـجٌ مثـل اللجينِ المحـرقِ يـا حسنهـا من روضـةٍ لم تـطرق

(١) رنَّقت : انكسر طرفها ، وخفقت ، عرا : حلّ ، وقطّتْ : أي قطعت .
(٢) الحندس : الظلام الشديد .
(٣) الأقعس : المنيع الثابت .
(٤) متئق : المملوء من كلّ شيء بما يناسبه ، **والعشور** : المختلطة ، والمهرق : الصحيفة البيضاء .
(٥) الرمّق : المتطلعة من رمق : أي نظر .
(٦) المونق : المعجب والجميل المنظر .

كـأنّهـا سـافـرةٌ عـن خـلقـي ... أو حسْنِ مـا ألفته عن منـطقي
بـاكـرتهـا مثـل انفـلاق الفلق ... وشـهـبُـهُ حـائـرةٌ فـي الأفـق
فـي عصبـةٍ غـرٍّ كـرامٍ سُبَّقِ ... يخطـرن فيهـا بقسيِّ البُنـدقِ[1]
كـلّ فـتىً فـي قـصـده مـوفَّقِ ... كـأنّـه مـن نـفسـه فـي فيـلقِ
مـقـرطسٍ فـي رمـيـه مـؤنّـقِ ... وهـو يـراعيهـا بـطرفٍ شيِّقِ[2]
خـوفـاً عليهـا وهـو عين المحنق ... فـصـاد مـا شـاء بـلا تـعـوُّقِ

* وراح من نجيعه في يلمق *

وقوله في الحمام [من مجزوء الرمل]:

أنت في الحمـام مـوقـو ... فٌ عـلى قلبـي وسـمـعـي
فـتـأمـلّهـا تجدها ... كُـوِّنتْ من بـعض طبـعي
جـرَّهـا مـن حـرٍّ أنـفـا ... سي وفيض الـمـاء دمعـي

وله يصف ناعورة [من السريع]:

كم نَعَـرَتْ بالحيِّ نـاعـورةٌ ... حنينها كالبـر بطِ النّاعـرِ[3]
فـتـارةً تحـسبـهـا قـيـنـةً ... تـردِّد الـزَّمْـرَ على الـزامـرِ
وتـارةً ثكلى جـرى دمعهـا ... في مستهلٍّ واكفٍ ماطـرِ[4]
كـأنّمـا كيـزانهـا أنجمٌ ... دائـرةٌ فـي فـلكٍ دائـرِ

* * *

---

(١) البندق : ما يرمى بالقسيّ ليصطاد به .
(٢) مقرطسٍ : الذي يكتب في القرطاس ، مؤنّق : متمهل ومتقن أي الصحيفة
(٣) اليربط : آلة موسيقية تشبه العود .
(٤) الواكف : السحاب الممطر .

٤٧ ـ الحسن بن علي الأسدي كاتب السر

كتب إليه أحمد بن محمد بن إسماعيل الرسي يطلب منه الكتاب الذي عمله المعروف بالأنيس ، فأنفذ إليه الجزء الأول منه وكتب إليه [من الخفيف] :

قد بعثنا بمؤنسٍ لك في الوحـ ... ـشة خلٍّ يدعى كتاب الأنيسِ
فيه ما يشتهي الأديب من العـ ... ـلم، وفيه جلاء همِّ النّفوسِ
فيه ما شئت من بدور معانٍ ... ضاحكاتٍ إلى وجوه شموسِ
والنّفيس البهيُّ ما زال يُهدى ... كلَّ حينٍ إلى البهيِّ النفيسِ

فلما قرأ رقعته كتب على ظهرها ارتجالاً [من الخفيف] :

قد قرأت الكتاب يا خلَّ نفسي ... فهو لي مؤنسٌ وأنت الأنيسُ
فهو تأليف ذي ذكاءٍ وفهمٍ ... وهو وقفٌ على العلوم حبيسُ

وحكى عنه أنه قال : قد كان أبو الحسين جنبك الأخشيدي من كرماء الناس ، وكانت بيني وبينه مودة ، فكنت أغشاه كثيراً للحوائج التي تعرض إليه ، فاستخدم بوابا ، فحجبني غير مرة ، فكتبت إليه [من المنسرح] :

يا عَلَمَ المكرماتِ والسؤددِ ... إليك أشكو بوّابك الأسودْ
يبعدني كلّما دنوتُ، وما ... حقّ كريمِ الوداد أنْ يبعدْ
في كلِّ يومٍ ألقى بطلعته ... طالع نحسٍ يسوءني أنكدْ
وجهٌ شتيمٌ بكلِّ فاحشةٍ ... عليه من كلِّ مشهدٍ يشهدْ
كلبٌ يهرُّ الضيوف إنْ طرقوا ... فناءك الرّحب كالحُ اعقدْ
أبعدْهُ وانفِ الخبيث عنك كما ... ينفي القذى عنه خالص العسجدْ
أولا ، فلن تستطيع تنظم ما ... عنك من المكرمات قد بدّدْ

وما انتفاع الورى ببحر ندى تذادُ عنه العطاش لا تُوردْ[1]

فما شعرت حتى جاءني خادم له يقال له بشرى ، وكان يحبه ، والبواب الأسود معه ، وقال لي : إن مولاي يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : قد غمني ما جرى من البواب ، وقد قرىء عليّ الشعر . ولو كنت أحسن قوله لأجبتك ، ولكني قد أنفذته اليك ، وأمرت بشرى أن يضربه بين يديك ثلاثين مقرعة ، ونحبسه، فشكرت له ، وقلت لبشرى : قل له ياسيدي ما أحب ان تبلغ به إلى هذا كله ، وسألت بشرى أن لا يضربه، فقال : والله مالي إلى تركه من سبيل ، وقد قال لي : سيقول لك لا تضربه وعليّ لئن رددته إليّ بلا ضرب لأضربنه بين يدي مائة مقرعة، قلت : فإذا كان كذلك فاضربه ضرباً خفيفاً. ولا تحنثه[2]، فضربه بحضرتي ضرباً خفيفاً ، وانصرف به ، ولا والله ما رأيته في داره بعدها .

٤٨ ـ أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن طباطبا الحسني الرسي

أنشدني له ابن وهب قوله [من المنسرح]:

يا بدرُ بادرْ إليَّ بالكاسِ فربَّ خيرٍ أتى على ياسِ[3]
ولا تقبلْ يدي فإنّ فمي أولى بها من يدي ومن رأسي
لا عاش في الناس من يلوم على حبِّي وعشقي لأحسنِ الناسِ

وقوله [من البسيط]:

قلْ للذي حسنت منه خلائقُهُ باكرْ صبوحك واسبقْ من تسابقُهُ

(١) تذاد : تمنع وتحجب .
(٢) تحنثه : أي تجعله لا يفي بقسمِهِ .
(٣) بادر : أسرع وتقدّم ، والياس : أي اليأس وهو القنوط .

أما ترى الغيم مجموعاً ومفترقاً   يسير هذا الى هذا يعانقُهُ
كعاشقٍ زار معشوقاً يودِّعهُ   قبل الفراق فآلى لا يفارقُهُ(١)

وقوله [من البسيط]:

قالت : أراك خضبت الشيب قلت لها: سترته عنكِ ياسمعي ويا بصري
فاستضحكتْ ثم قالت مِنْ تعجُّبها: تكاثر الغشُّ حتى صار في الشَّعَرِ

وقوله [من الخفيف]:

عيَّرتني بالنوم جوراً وظلماً   قلت: زدت الفؤاد همَّا وغمّا
اسمعي حجَّتي وإنْ كنت أدري   أنّ عذري يكون عندك جرما
لم أنم لذَّةً ولا نمت إلّا   طمعاً في خيالك أن يلمّا(٢)

وقوله [من الطويل]:

خليليّ، إنّي للثريَّا لحاسدُ   وإنّي على صرف الزمان لواجدُا
أيبقى جميعاً شملها وهي سبعةٌ   وأفقد مَنْ أحببته وهو واحدُ ؟
كذلك من لم تخترمه منيَّةٌ   يرى عجباً فيما يرى ويُشاهدُ(٣)

وقوله [من الطويل]:

وقوله، وهو مما يتغنى به [من البسيط]:

قالت لطيف خيالٍ زارني ومضى :   صفْ لي هواهُ ولا تنقصْ ولا تزدِ(٤)
فقال: أبصرته لو مات من ظمأٍ   وقلت قفْ عن ورود الماء لم يردِ

---

(١) آلى : أقسم .
(٢) أن يلمّا : أن يحلّ .
(٣) اخترمته المنيّة : قضت عليه .
(٤) تنسب هذه الأبيات لجماعة من الشعراء منهم يزيد بن معاوية مع اختلاف طفيف في الرواية .

قالت : صدقت الوفا في الحبّ عادتُهُ   يـا برد ذاك الـذي قالت على كبـدي

وقوله [من المتقارب]:

ســأعتبهـا حـتّ مــا استعتبتْ   وإن لـم تـكنْ أبـداً مْعِتـبَـهْ
وسـوف أجـرّبهــا بـالصّــدود   ومَنْ يشربِ السَّمَّ للتجربه ؟ !

* * *

٤٩ ـ ولده أبو محمد القاسم بن أحمد الرسّي

أنشدني له ابن وهب [من الوافر]:

إذا الكــروان صاح على الــرمــالِ   وحــلّ الـبـدر فـي بـرج الـكمــالِ
وجـعَّــد وجــه بــركـتـنــا هـبــوبٌ   تمــرُّ بـه الجنــوب مـع الشمـالِ(١)
وحــرَّكتِ الـغـصــون فشــابـهـتـهــا   قـدودُ سـقـاتـنـا فــي كـلِّ حـالِ
فـهــات الـكــأس مـتـرعــةً ودعـنـي   أبـادرُ لـذَّتـي قـبــل ارتــحــالـي(٢)
فـكــلُّ جـمـاعــةٍ لا شــكَّ يــومــاً   يـفــرِّقُ بـيـنـهــمْ صــرفُ الـليـالـي

وقوله [من المتقارب]:

إذا التحـف الجـوُّ بــالأدكـنِ   وغنّى الحمــائـم بــالأعـنِ(٣)
وهبَّ نسيم الـصّبــا سـحــرةً   بــريـح البنفســج والســوسن
وحـنَّ الـى الـقـصـف ألاَّفَـهُ   فبادر إلى شيخك المنحني(٤)
فـنفِّسْ مـن الحـنـقِ أوداجــه   وسقِّ النـدامى ولا تـنسنـي(٥)

(١) جعّد : ترك صفحة الماء متموجة ، والجنوب والشمال : كناية عن الريح ومهبّها .
(٢) المترعة : المملوءة .
(٣) الأرعن : مكان بالبحرين ، وربما كانت الأرغن ، وهي آلة موسيقية .
(٤) القصف : المجون ، والألآف : العشاق .
(٥) وسقٍّ : أي أسقي .

وقوله يهجو ابن كلس المتطبب [من الطويل] :

تــوقّ معــزّ الــدين شؤم ابن كلّس ولا تـقـبــلنْ مـنــه مــقـال مـدلِّسِ
فــإنّــا أردنــاه لـكــافــور شــربـةً فــزاد على تقـديـرنـا ألف مجلسِ

* * *

٥٠ - أخوه أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسي

أنشدت له [من المتقارب] :

عـرفتُ الـدِّيـار على مـا بهــا وأوقفتُ ركـبي عـلى بــابهــا
ونـاديت فيهـا بـأعلى النـداء مــراراً بــأسـمــاء أربــابهــا
فلم أر فيهــا ســوى بــومهــا تصيــحُ جهــاراً بــأتــرابهــا
فــأعـلمـنـي ذاك أنّ الــزمــا ن أخنى عليهـا وأودى بهـا(١)

* * *

٥١ - ولده أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم ابن أحمد رحمهما الله تعالى !

أنشدني له الزاهر [من المجتث] :

شُـمَّ الـنـسـيــم لــذيــذاً مـن قبـلِ أنْ لا تـشِـمَّــهْ
واصرفْ عن القلب ما اسطــــــعـت بــالـمـســرَّة همَّهْ
وغــالطِ الــدّهـر إن كــنـــــت لست تـملك حُـكْـمَـهْ
وقــد نصحـتــك جهـدي فـلا تــصـمَّ وتَـكْـمَــهْ(٢)

---

(١) أخنى عليها : أهلكها ، وطال ، وأودى بها : أهلكها وذهب بها .
(٢) الأكمه : الأعمى .

وقوله [من مجزوء الرمل]:

صَدَفَتْ عنّا نوار | ولقد كانت تزورُ[1]
ثم قالت: كيف أودى | ذلك الغضنُ النضيرُ؟
وشبابٌ يتلالا | فيه للناظر نورُ
قلت: إنْ أنصفتِ هذا | لابن خمسين كثيرُ

* * *

٥٢ ـ أبو الحسن العقيلي رحمه الله

أنشدني الزاهر قوله [من السريع]:

لنا أخٌ يحسن أنْ يحسنا | جناه للجانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه | بأنّها تنبت زهر الغنى
إذا تبدّى وجه إحسانه | تنزَّهتْ فيه عيون المنى

وقوله [من الكامل]:

الصبح ينشرُ فوق مسك اللّيل كافور الضياءِ
والبرق يُذهب ما تفضّضه الغيوم من السماءِ
فاشربْ على ديباج نبتٍ قد أحاط بشرب ماءِ
فالعيش في زمن الربيع رقيق حاشية الرِّداءِ

وقوله [من المتقارب]:

وراحٍ تتيهُ بأنفاسها | على ما يفوح من العنبرِ[2]

(١) صدفت : امتنعت عن الزيارة ، وهجرت .
(٢) تتيه : تتكبر وتفخر .

كـأنّ زجـاجـاتـهـا دُرَّةٌ   تشفُّ عن الـذّهب الأحمـرِ (١)

وقوله [من البسيط]:

تـاه الـربيـع بـآذريـونـهِ وزهـا   لما بدا منه نشرٌ في الـرُّبا أرِجُ (٢)
كـأنّ أغصـانـه فيـروزجٌ بهـجٌ   من فوقه ذهبٌ في وسطه سَبَجُ (٣)

وقوله [من الكامل]:

اشربْ على زهر البنفسج قهوةً   تنفي الأسى عن كـلِّ صبٍّ مُكْمَدِ
فكـأنّـه قـرصٌ بخـدٍّ غـريـرةٍ   أو أعـينٌ زرقٌ كـحـلن بـأثـمـدِ

وقوله [من الطويل]:

ونـارنجـةٍ بين الـريـاض نـظرتهـا   على غصـن رطب كـقـامـة أغيـدِ
إذا ميَّلتهـا الـرّيـح مـالت كأكـرة   بـدت ذهبـاً في صـولجـان زمـرُّدِ (٤)

وقوله [من الكامل]:

ومـدامـةٍ يـبـدو إليـك جنينهـا   وعـليـه تـاجُ لم يـصغْـهُ صـائـغُ
تخفى لفـرطِ صفـائهـا فكـأنّمـا   إبـريـقنـا الـمـلآن مـنـهـا فـارغُ

وقوله [من الكامل]:

إن كـنـت تـعـلم أنّ لـي   علمـاً بـأسـرار السـرورِ
فـاعمـلْ بحسبِ وصيَّتي   لـك في مـلازمـة البكـورِ
ودعِ الـصّغيـر مكـانـه   واعـدلْ إلى جهـة الكبيـر

---

(١) تشفّ : تنمّ وتظهر .
(٢) آذريون : فارسية الأصل « أزهاره » .
(٣) السبج : خرز أسود .
(٤) الأكرة : الكرة .

مـا بـين وردٍ كـالـخـدو		د وأقحـوانٍ كـالـثّغـور
وعليك بـالـذّهب الـذي		أجـراه روبـاس العصير(١)
مـا زال يسبك بـالـذي		قـد شبَّ من نـار الهجير
حـتّـى صـفـا فكـأنَّـهُ		دمـع الـطليق على الأسير

وقوله [من المنسرح] :

نـحن أنـاسٌ نـوالـنـا خَضِـلُ		يـرتـعُ فينـا الـرجـاء والأمـلُ(٢)
كـلُّ فتـىً لـيس في مـودَّتـهِ		مـذقٌ . ولا في خـلالـه خَلَلُ(٣)
لـو أبصـر البحـر فيض أنملنـا		فـاض على وجـه فيضـه الخجلُ
تـسبـق أمـوالـنا مـؤمِّـلنـا		لا يعتـرينـا مـطلٌ ولا بُخُـلُ(٤)
تسمـح قبـل السؤال أنفسنـا		بخـلاً على ماء وجـه من يسلُ(٥)

* * *

٥٣ ـ أبو القاسم بن أبي العفير الأنصاري، رحمه الله !

أنشدت له [من الطويل] :

وروض ٍ كحسن العُرفِ يسري وبهجةٍ		من الزّهر فيها شاكلتْ بهجـة الحمدِ
يـريـك عنـاق العـاشقين عنـاقـه		بثغـرً على ثغـرً وخـدٍّ عـلى خـدِّ

---

(١) الروباس : الفضة .
(٢) الخضِل : النديّ الناعم .
(٣) المذق : الملل والكدر .
(٤) المطل : التسويف والمماطلة .
(٥) أي أننا نكفّي الناس مذلّة السؤال .

وعارضه المتنبي بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي أولها [من لكامل]:

* نظرُ المحبِّ إلى الحبيب غرامُ *

فقال له : العرب لا تقول «إليه غرام» وإنما تقول «له» فقال له الأنصاري : تقول : إليه ، ولديه ، وله ، وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض . والوزير ابو بكر بن صالح الروزباري حاضر. والوزير ابو الفضل جعفر بن الفرات حاضر. فقال الأنصاري [من الكامل]:

أمّا الثناءُ فصادرٌ بك واردُ ... بادٍ بما تسدي إليَّ وعائدُ
لك يا أبا بكرٍ إليَّ صنائعٌ ... أيقظن أحوالي وجدّي راقدُ
أوليتني نعماً متى انكرتها ... شهدتْ عليَّ مواهبٌ وفوائد
نِعَمٌ أقرُّ بها ، وكم من نعمةٍ ... يخفى المقرُّ بها ويحظى الجاحد ؟
ولربَّ ليلٍ قد هجرت رقادَهُ ... لك والرّدى مغفٍ وطرفي ساهدُ
أتحلّل الكلمَ العوانَ تحلُّلا ... فأغافص المعنى كأني صائد[1]
وقصائدٍ لي فيك لولا انها ... كلمٌ شهدت بأنّهنَّ مشاهدُ
ولهنّ في عين الوليّ شواهدٌ ... تترى ، وفي عين العدوِّ جلامد
لمّا رعيت مودّتي وخلطتني ... ببني أبيك ظننت أنّك والدُ
ولقد علمت ، وأنت خير معلّمٍ ، ... أنَّ الثناء على الليالي خالدُ
لمَّا تعرَّض لي بمقْتٍ حاسدي ... أبدى الملام، وكيف يرضى الحاسد ؟[2]
ما زال ينشد قائماً حتّى إذا ... أنشدت عارضني لأنّي قاعدُ
في مجلسٍ أمّا الوزير فمنكبٌ ... فيه يؤيدّهُ وأنت الساعدُ
ولّى ولا انا شاكرٌ لسؤالِه ... فيه ، ولا هو للإجابة حامد

* * *

---

(١) أغافص : أفاجىء وأعالج .

(٢) المقت : الكره .

٥٤ ـ أحمد بن محمد الكحال

أنشدني له الزاهر وقد كتب إلى بعض إخوانه يستهديه جرة نبيذ [من الكامل]:

لو قد سألتك حسب قد ... رك ما رضيت بألف جرَّهْ
ولقلَّ ذاك لقدر من ... لا تحصر الأوصاف قدرَهْ
فابعثْ إليَّ بجرَّةٍ ... وكفافِ ما أبغيه جرَّهْ
وتوخّها كبر الجرا ... ر، فربَّ وافيةٍ كزكره[1]
من رسم بسطام الذي ... أحيا بحسن الرَّسم ذكرَهْ
لا بوطساً يؤذي النديـ ... ـم، ولا مذاقته بمرَّه[2]
واعلمْ بأنَّ محلَّها ... عند الضرورة مثل صرَّةْ[3]

وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه [من البسيط]:

لا تتركنْ لغدٍ مالاً ولا سبدا ... فلست تقتل علماً هل تعيش غدا[4]
خذْ من زمانك ما جاد الزمان بهِ ... فمن جنى بعض ما يهوى فقد سعدا
أنت ابن وقتك فاحذرْ أنْ تضيِّعهُ ... فليس يرجع وقتٌ فائتٌ أبداً
وعند عبدك شيءٌ إن نشطت له ... وزرت زدت أياديك الكرام يدا
رايٌ طريٌّ كقابِ الفتر تحسبه ... ذوباً من الفضّة البيضاء او بردا[5]
كأنَّ كفّاً عليه جرّشتْ قطعاً ... من اللجين صغار النظم او زردا

---

(١) الزكرة : زقّ الخمر .

(٢) البوطس : إسم فارسي (نوع من الخمر) .

(٣) الصرّة : كيس الدراهم .

(٤) السبد : البقيّة من النبات والقليل من الشعر .

(٥) الراي : ضرب من السمك .

كـأنّ قـالـيَـهُ بـالـقلي ِ ألـبَسَــهُ من الشـقـائق أثـوابـاً لـه جـددا
كـأنّـه في سعيـر القلي منقليـاً صـبٌّ تقـلّبـه كفُّ الـهـوى كمـدا
كـأنَّ يـاقـوتـةً حـمـراء هـلّلها صـوّاغهـا ذهبـاً للحسن متّحـدا
كـأنّه كـان في نهـر الحيـاة فمـا يكـاد يسلم منـه روحـه الجسـدا
وقهـوةٍ تـذكـر الأفـلاك سـاكنـةً مشمـولـةً أفنتِ الايـام والـمـددا
يـديـرهـا قـمـرٌ في كـفِّـه قمـرٌ من الـرحيق يـزيـل الهمَّ والكمـدا
فـلا تضيـع سـروراً جـاء عن كثبٍ عجـزاً فتكتسب التـوبيـخ والفنـدا(١)

* * *

٥٥ ـ أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ

كتب إلى صديق يستدعيه الاتجالاً [من الهزج]:

لـنـا مـسـمـعـةٌ حـلوه ولـونٌ يفتـق الشّـهـوهْ
فـالـبـارع من مـجـدِ ك إن لم تجـب الـدّعـوهْ

وأهدى إلى بعض إخوانه مقطّاً وكتب إليه [من البسيط]:

إنّـي بعـثت مـقـطّاً غيـر محتـشمٍ ولم أجلْ في الغنى فكري ولا العدمِ
ولـو بعثت سـواديْ نـاظـريَّ لمـا كـانـا كفـاءً لمـا تـولي من النّعمِ
فـاقبله واجعله ممّـا يستعـان بـه فـإنـه خـادم السّـكيـن والـقـلمِ

وقوله يصف النرجس [من المجتث]:

خـواتـمٌ من لـجيـنٍ فـصـوصهـا كـاربـاءُ(٢)
ولـيس تـضـحـك إلّا إذا بـكـتـهـا الـسـمـاءُ

(١) الفند : العجز والباطل والكفر بالنعمة .
(٢) الكارباء : نوعٌ من الحجارة الكريمة يستعمل في صنع السبحة أيضاً .

وقوله [من الخفيف]:

منـذُ حلَّ السـواد زاد البيـاضُ ... واعـتـداءاتـه طـوالٌ عـراضُ
وإذا مـا طغى المشيب فلا المنـ ... ـقـاش يقـوى بـه ولا المقـراضُ
وكثيـراً أرى جسـامـاً صحـاحـاً ... لأنـاسٍ فـيهـا قـلوبٌ مـراضُ

وأهدى الى الإخشيد خاتماً ، وكتب معه [من مجزوء المتقارب]:

وذي عـنـقٍ لـم يـطلْ ... عـليـه ولـم يـقـصـر
ومـتـنـيـن قـد حـصـرا ... عـلى قـدر الخِـنـصـر
وقـد زاد فـي ضُـمـره ... على الفـرس المضمـر[1]
وأسـفـلـه فـضَّـةٌ ... وأعـلاه مـن جـوهـر
بـعـثـت بـه مـعِـسـراً ... إلـى مـلكٍ مـوسـر
ولا غـرو أن يـهـدي الـ ... ـمقـلُّ إلى الـمـكـثـر

وقوله [من الكامل]:

قـد قـلت إذ سـار السّـفيـن بـهـمْ ... والسَّـوْقُ ينهب مـهجتي نـهبـا[2]
لـو أنّ لـي عـزاً أصول بـه ... لأخـذت كـلَّ سـفيـنـةٍ غـصـبـا

٥٦ ـ أحمد بن محمد بن عبد الكريم اليتيم النحوي

أنشدت قوله[3] [من الوافر]:

إذا ما نلت من دنياك حظّاً ... فـأحسن للغنيِّ وللفـقيـرِ

---

(١) الضمر : الهزال والنحول .

(٢) السفين : القافلة .

(٣) قد أنشدهما قبيل ما اختاره لعبد المحسن الصوري منسوبين إلى أحمد بن عبد الرحيم النحوي

ولا تمسك يديك على قليلٍ   فإنَّ الله يأتي بالكثير

وقوله [من المنسرح]:

خاطبت شمس النهار إذ بدت   وقلت ما أنت لي بمنصفةِ
إنّ التي أشبهتك مائلةٌ   من بعد ذاك الوصال قد جفتِ
فعاتبيها فليس يقنعني   يا شمس من شبهك الذي أتتِ
لما رأتني على الوفاء لها   صدَّت وما أنصفتْ ولا وفتِ

* * *

٥٧ ـ أبو محمد بن أبي عمرو الطرازي

أنشدت له من [مجزوء الرجز]:

نارٌ جرت في غايةٍ   ترمى العلا بالشُّهُبِ
كأنّها جيشُ وغى   فرسانه من ذهبِ

وقوله يصف الفستق [من مجزوء الرجز]:

وفستق رأيت منه طرفاً من الطرفْ
كأنَّه لما بدا   والرّاح فينا تختلفْ
زمرُّدٌ ضمَّنه   من خالص العاج الصدفْ

٥٨ ـ أبو الحسن علي بن لؤلؤ الكاتب

أنشدت له [من الخفيف]:

ربَّ صبحٍ كطلعة الوصل جلّى   جنح ليلٍ كطلعة الهجرانِ[1]

---

(١) جلّى : أضاء وأزاح .

زار في حلة البزاة   فولىّ الليل عنه في حلَّة الغربانِ

وقوله [من الطويل]:

يومٌ كأنَّ الروض خاط لضوئهِ   قراطقَ من وشيٍ غلائلها الغدرُ
كأنّ صفاء الجوّ ناظر أزرقٍ   له الغيم جفنٌ هُدْبُ أجفانه القطرُ
كأنّ أعالى السرو بين رياضه   مطارف لفّت في مواكبها خضرُ (١)

* * *

٥٩ ـ أبو القاسم عبد الصمد بن فضالة الصفار

قال يصف الورد [من الكامل]:

لا تصحبِ الدّنيا كئيباً مكمدا   من ذا رأيت من البريّة خالدا ؟
قم فاغتنم طيب الربيع وحسنهِ   فلقد حباك به الغمام وأسعدا
وردٌ كأنّ أصولَهُ وفروعَهُ   سُقيتْ دماً حتى ارتوى فتورّدا
وشقائقٌ شقَّ القلوب كأنّه   خدٌّ مليحٌ ضمَّ صدغاً أسودا
والماء يجري في الرّياض كأنَّهُ   سيفٌ صقيل من قرابٍ جُرِّدا (٢)
فاشربْ عليه فإنّه وقتٌ إذا   ولّى تفاوت أن يُنالَ فيوجدا

وله [من المتقارب]:

فلو زيّن الحسن في وجههِ   بهجر الصدود ووصل الوصالِ
لتمَّ وإن كنت ما إن أرى   بديع الجمال جميل الفعالِ

* * *

---

(١) المطارف : أردية من حرير ذات أعلام .
(٢) القراب : الغمد .

٦٠ - ابن الزيعي

قال يصف دير القصير من قصيدة يقول فيها [من الرجز]:

يـا حسـرةً في القلب مـا أقتلها   كـأنّها في القلب اطـرافُ الأسـلْ
فـكـم وكـم مـن لـيلةٍ طيِّـبـةٍ   أحييتهـا في الدّيـر في خيـر محلْ
ديـر القصيـر الفـرد في صفائـه   يـا من رأى الجنّة من غيـر عمـل
أشـربهـا راحـاً شمـولاً قـرقفاً   تـدبُّ في الجسم فمـا تبقي عِلَلْ
يـديـرهـا ذو غنـجٍ بـطرفـه   يحيي إذا شـاء وإنْ شـاء قتـلْ
كـأنّـه غـصنٌ مـن البـانَ وقـدْ   زاد عليـه بـالقـوام المعتـدل
ألثـغُ حَتْفُ النفس في لـثغتـه   تـاه بها على الـورى تيه مـدلّ(١)
إن قـال نـارٌ قـال نـاغٍ أو يقـل   نـورٌ يقـل نـوغٌ بـدلٍّ وغـزل
فـاحثث كؤوس الراح يـاسـاقيَنَـا   واغتنـمِ الـدّهـر فللدهـر دُوَلْ
من قبـل أن يـطرقـنـا بيـن فـلا   ينفـع عنـد البين ليست ولعـلْ

* * *

٦١ - محمد بن عباس البصري
المعروف بصاحب الراقوية

قال [من البسيط]:

لا تعـذلـوني فمـا مثلي بمعـذول   جسمي سقيمٌ وأمـري غيـر مجهـولِ
إن مـلَّ مـولاى وَصْلي بعـد ألفتـه   فـإنّ مـولاي عنـدي غيـر مملول
ملكت قلبي ولم تعـطف على دنفٍ   مـا كـلُّ ذاك على قلبي بمعـزول(٢)

---

(١) الألثغ : هو الذي ينطق السين شيناً أي يغيّر في نطق بعض الحروف وتـاه : فخـر ، ومـدلّ : من الدلال .

(٢) المدنف : المريض المشرف على الهلاك .

وقوله [من الرجز]:

يا حاملَ الكأس أدرها واسقني ... قد ذعر الشوق فؤادي فانذعرْ
أما ترى البركة ما أحسنها ... إذا تداعى الطير فيها وصفر
أما ترى نوارها أما ترى ... حسن مسير مائها إذا انحدرْ
كأنّما الجوهر في ألوانه ... نثِّر في تلك النواحي فانتثر

وقوله [من مجزوء الكامل]:

أما طغان فقد طغى ... والطَّرفُ منه قد بغى
شهر السّلاح بطرفه ... فتكاً وما شهد الوغى
لولا مخافة عقربٍ ... في صدغه أن يلدغا
للثمت منه ممسّكاً ... ومصندلاً ومصبَّغا

وقوله [من الوافر]:

أتاني في قميص اللاذ يسعى ... عدوٌّ لي يلقَّبُ بالحبيبِ[1]
فقلت له لم استحليت هذا ... فقد أصبحت من زيٍ عجيبِ ؟
فقال الشمس أهدت لي قميصاً ... غريب اللون في شفق المغيبِ
فصوبي والمدام ولون خدّي ... قريبٌ من قريبٍ من قريبِ

وقوله [من السريع]:

وشمعةٍ ظِلْتُ أناجيها ... تبيتُ تبكي وأبكيها
كأنّما صفرتها صفرتي ... ومدمعي دمعُ مآقيها
أعارها قلبيَ من ناره ... فمثل ما فيه كذا فيها

* * *

(١) اللاذ : حريرٌ صينيٌّ أحمر .

٦٢ ـ أبو عبد الله الحسين المعروف بالجمل

له في طبيب [من المنسرح]:

إذا سقامٌ عراك نازلُهُ   فاندبْ أبا جعفرٍ لنازلهِ
يعرف ما يشتكيه صاحبه   كأنّما جال في مفاصله

٦٣ ـ أبو عبد الله بن العرمرم

قدم له صديق سمكا في يوم شديد البرد فقال ارتجالا [من مجزوء الرجز]:

شيخٌ وبردٌ وسمك   لكلٍّ ما يخشى شَرَكْ(1)
فهاتها صافيةً   وضمنَّ الكأس الدّرك(2)
ولا تبالِ بعدها   من لام فيها وترك

وقوله [من الكامل]:

ولّيتُم أمرَ الخراج محمّدا   فغدا الخراج بغير جيمٍ يكتبُ
إن كان من عدم الرجال دهيتمُ   فالكلب فيكم عن قليلٍ يخطب

وقوله في أبخر [من الوافر]:

أَرَدْتُ لقاءه فلقيت منهُ   كما يلقى الخلاء من الفقاح
وجالسني فلم أشعر بأنّي   ولم أبعد جليس المستراح(3)

---

(1) الشرك : المصيدة .
(2) الدّرك : الغاية والحاجة .
(3) المستراح : الكنيف .

٦٤ ـ أحمد بن صدقة الكاتب

كتب إلى ابن رشيد يستدعيه [من السريع]:

بـالله يا صـالح قمْ مسـرعاً   إلى عقـارٍ أدركت تبَّعـا[1]
وسـاعد الليلة في شـربهـا   وخذ من السكر بها مصرعا
وقـد بـذلنـا لـك أرواحنـا   لمّـا رأينـاك لهـا مـوضعـا

* * *

٦٥ ـ أبو الحسن بن أبي ياسر

قال يصف شمعة [من المتقارب]:

وهـيـفـاء مـن نـدمـاء الـمـلوك   تـزيـد فـيـنـقـص مـن قـدرهـا
إذا ضحكت جنـح داجـى الـظلام   بكتْ فجرى الـدمـع من نحـرهـا
فـإن نـعـسـت لـلـكـرى نـعـسـةً   فـإيقـاظهـا القصُّ مـن شعـرهـا

* * *

٦٦ ـ محمد بن عاصم الموقفي

أنشدني له الزاهر في الفصادة [من المتقارب]:

ألاقـل لـعلوان كـيف أجتـرأت   على الأسـد الباسل الخـادرِ ؟[2]
وكـيـف أرقـت دمـاً دونـه   يـراق دم الـجحـفـل الثـائـر ؟
تـرفَّـقْ قـليـلاً عـلى مرفـقٍ   بـه مـرفـق البـدو والـحـاضـرِ
فليس الـحـديـد على سـاعـدٍ   ولكـن من الـدّهـر في النّـاظـرَ

---

(١) تبّع : من ملوك الدولة الحميرية في اليمن ، كناية عن قدم عهدها .
(٢) الخادر : المقيم في أجمة .

وقوله [من الخفيف]:

أسكر الخمر خمر ريقك حتّى ... باتت الخمر من رضابك سكرا
فلهذا أراك تزداد صحواً ... وأراها عليك لا تتجرّا

وقوله [من السريع]:

أشربْ على الجيزة والمقسِ ... من قهوةٍ صفراء كالورسِ[1]
وروِّحِ النّفس بها إنّما ... عيش الفتى في راحة النّفس
وأنسْ بإخوان الصّفا إنّهمْ ... من أكبر النّزهة والأنسِ
فلست تدري أيّما ساعةٍ ... تبيت تحت اللحد والرّمس[2]
والمرء لا يعرف في يومه ... يصبح في دنياه أو يمسي

وقوله [من السريع]:

أقول والليل دجىً مسبلُ ... والأنجم الزّهر به ميَّلُ
يا طول ليلٍ ماله آخرٌ ... فيك وصبحٌ ماله أوّلُ

وقوله [من السريع]:

اشرب ستنسى ويك مع مَنْ نسي ... من قهوةٍ قوصيّة المغرس
في قمرٍ للربع منْ شهره ... كشقّةٍ من درهمٍ أطلس[3]

وقوله [من السريع]:

يا حاديَ اللّذات عرِّس بنا ... ويا مدير الكأس قمْ فاسقنا

---

(١) المقس : موضع على نيل مصر ، والورس : الزعفران .
(٢) الرمس واللحد : أي القبر .
(٣) أطلس : أغبر يميل إلى السّواد .

أمـا تـرى شمس ضحى يـومنا قـد لبست مـطرفهـا الأدكنـا[1]
والـروض لـلوسـمـيّ فـي حـلَّةٍ أذهـبـهـا مـن بعـد مـالـوّنـا[2]

وقوله [من البسيط]:

اشربْ شمولاً على ريح الشمال فقد هبّتْ شمـالاً ولاح الصبح فـاتّضحـا
كـأنّـهـا جنّـةٌ فـي الكـفّ مـائـلةٌ تبـدو فيخفي ضيا أنـوارهـا القـدحـا
كـأنّ حـامـلهـا من خـمـر ريقتـه وافى بهـا أوْلهـا من خـدّه اقتـدحـا

وقوله [من الوافر]:

وظـبـي زارنـي مـن غـيـر وعـدِ نـعمـت بـقـربـه بـأتـمّ سـعـدِ
سـقـانـي ثـم نـقّلـنـي بـلـثـمٍ عـلى عـجـلٍ وحـيّـانـي بـوردِ
وشـمـرً سـاعـداً فـيـه وشـومٌ بقلبي مثلهـا من أجـل صـدّ[3]
فكـان كفضّـةٍ سـكّت عـمـوداً عـليـهـا أسـطرٌ بـالـلازورد[4]

وقوله في دير القصير من قصيدة أولها [من الخفيف]:

إن ديـر القصيـر هـاج ادكّـاري لهـو أيـاميَ الحسـان القصـارِ
وزمـانـاً مضى حميـداً سـريعـاً وشبـابـاً مثـل الـرّداء الـمعـارِ
عـرفتني ربـوعـه بعـد نـكـرٍ فـعـرفت الـربـوع بـالإنـكـار
ولـو أنّ الـديـار تشكـو اشتيـاقـاً لشكتْ جفـوتـي وبعـد مـزاري
ولكـادت نحـوى تسيـر لمـا قـد كنت فيهـا سيّـرتُ من أشعـاري
وكـأنّـي إذ زرتـه بعـد هـجـرٍ لـم يكـن من منـازلي وديـاري

(١) الأدكن : الذي يميل لونه إلى السواد .
(٢) الوسميّ : أول مطر الربيع .
(٣) الوشوم : جمع وشم وهو العلامة .
(٤) سكّت : سبكت وصنعت وضربت .

إذْ صعودي على الجياد إليه ... وانحداري في المعقباتِ الجواري[1]
بصقورٍ إلى الدّماء سوارٍ ... وكلابٍ على الوحوش ضواري[2]
منزلاً لست محصياً ما لقلبي ... ولنفسي فيه من الأوطار
منزلاً في علّوه كسماءٍ ... والمصابيح حوله كالدّراري

ومنها :

غرّدت بينها الطيور فطارتْ ... بفؤاد المتيَّمِ المستطارِ
كم خلعت العذار فيه ولم أر ... عَ مشيباً بمفرقي وعذاري
كم شربنا على التصاوير فيه ... بصغارٍ محشوثةٍ وكبار
صورةٌ من مصوّرٍ فيه ظلّت ... فتنةً للقلوب والأبصار
أطربتنا من غير شدوٍ فأغنتْ ... عن سماع العيدان والمزمار
لا وحسن العينين والشفة اللمياء منها وخدّها الجلّناري[3]
لا تخلّفت عن مزاريَ ديراً ... هي فيه ولو نأى بي مزاري
فسقى الله أرض حلوان فالنخـ ... ـل فدير القصير صوب العشار[4]
كم تنبهّتُ من لذاذة نومي ... بنعير الرُّهبان في الاسحار[5]
والنواقيسُ صائحاتٌ تنادي ... حيّ يا نائماً على الابتكار
قبل أن يبليَ الجديد الجديدا ... ن بليلٍ معاقبٍ ونهار
إنّما هذه الحياة عوارٍ ... وعلى المستعير ردُّ العواري[6]

---

(١) المعقبات : المتابعات السير .
(٢) سوارٍ : أي سائره .
(٣) اللّمى : سمرة تستعذب في الشفة .
(٤) العشار : الغزير من المطر .
(٥) نعير الرهبان : تراتيلهم ، مأخوذ من صوت الناعورة .
(٦) عوارٍ : أمانات ، وأشياء مستقرضة .

وقوله [من الوافر]:

أأيـامي بشـاطى البـركـتيـنِ سـقـاك الله نـوءَ المـرزميـن[١]
لقـد أذكـرتني طـربي ولهـوي ووكّلت الـفـؤاد بـلوعـتيـن
تُـرى أيـامنـا فيـك المـواضي يعـود وصـالهـا مـن بعـد بين[٢]
سـقى الله البـقـاع ملثُّ قـطرٍ وأعـطش منـزلاً بـالجلهتين[٣]
ودار عـلى المـدار رهـام مـزنٍ تسـير إلى جنـان السـروتين[٤]
فكم من بيعـةٍ عقـدت لقصـفٍ وعـزفٍ في ريـاض البيعتيـن[٥]
وكم من مـدنفٍ قـد حـاز وصـلاً ونـال مـنـاه وسط المـنيـتيـن[٦]

وقوله [من البسيط]:

إشـربْ بطمـوة من صفـراء صـافيـةٍ تـزرى بخمـر قـراهيتٍ وغـايـات[٧]
عـلى ريـاضٍ من النّـوار زاهـرةٍ تجـري الجـداول فيهـا بين جنّـات
منـازلاً كنت مفتـونـاً بهـا يـفعـاً وكنَّ قـدمـاً مـواخيري وحـانـاتي[٨]
كـأنّمـا النيـل في مـرِّ النسيم بهـا مـسيـلمٌ فـي دروعٍ سـامـريّـاتِ

* * *

(١) المرزمين : المطر المصحوب بالرعد .
(٢) البين : الفراق .
(٣) ملثّ قطرٍ : أي المطر الدائم المقيم .
(٤) الرهام : المطر المتصبِّب برفق .
(٥) البيعة : مكان يُختلى به للشراب .
(٦) المدنف : المريض المشرف على الهلاك وهنا مريض العشق .
(٧) طموة وقراهيت : أسماء بلدان .
(٨) اليفع : الصبا والشباب ، مقتبل العمر .

٦٧ - أبو الفتح البستي الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف شمعة من أبيات [من البسيط]:

قد شابهتنيَ في لونٍ وفي قصفِ ... وفي نحولٍ وفي دمعٍ وفي سهر

هذا تشبيه خمسة بخمسة وقد أجاد غاية الجودة وقوله [من الكامل]:

صحتُ السلاح لشدَّة الحربِ ... والمستغاث لشدّة الكربِ
حتى إذا لبسوا سلاحهمُ ... وتشدّدوا لوقائع الحربِ
ناولتهم قلبي وقلت لهم: ... هذا المسيء فقطّعوا قلبي

وقوله [من الطويل]:

لئن صدع الدهر المشتّت شملنا ... فللدهر حكمٌ في الجموع صدوعُ[1]
وللنجم من بعد الرجوع استقامةٌ ... وللشمس من بعد الغروب طلوع
وإنْ نعمةٌ زالتْ عن الحبّ وانقضتْ ... فإن لها بعد الزّوال رجوعُ
وكنْ واثقاً بالله واصبرْ لحكمه ... فإنّ زوال الشرِّ عنك سريعُ

وقوله [من الكامل]:

وغزالةٍ غازلتها ... في المقس من أولاد حامِ[2]
نظرت بعينيْ ظبيةٍ ... ونظرت من عينْي قطامِ[3]
وتبسّمت وكأنّها ... برقٌ تألّق في غمامِ
ثم انثنت مثل المهى ... وتبعتها رتك النّعامِ[4]

---

(١) صدع : فرّق .
(٢) حام : من أبناء نوح ، وهو أبو الزنج .
(٣) قطام : امرأة من العرب يضرب المثل بصواب رأيها وحدّة نظرها وفيها يقول الشاعر :
إذا قالت قطام فصدّقوها ... لأنّ القول ما قالت قطام
(٤) رتك النعام : مقاربة خطوة .

حتى دخلنا بيتها فحصلت في البيت الحرام
فجعلت أفتح ميمها لما جثوت لها بلامي
وكأنّني إذ ذاك أو لجت الضياء على الظلام
ضدان لم يجمعْهما إلّا المحبّةُ للحرامِ
كانت لعمري عاهة جمعت غراباً مع حمام

* * *

٦٨ ـ أبو سهل بن أسباط الكاتب

قال [من السريع]:

إن كنت يا قلب عزمتَ الهوى فاستخرِ الله إذا قبْلا
ولا تكن يا قلب مثل الذي قدّم رجلاً وثنى رجلا
حتى تلاقي في الهوى أهله وقلّما تلقى له أهلا
لا توردنّي مورداً كلّما قطعت وحلاً ألتقى وحلا

* * *

٦٩ ـ عبد الله الصفري

قال يصف الشيب [من الطويل]:

بد الشيب في رأسي فقالت تعجّباً: لقد شبت من هجري وأنت صغيرُ
فقلت لها: لا غرو إن وصالكم يردّ شباب المرء وهو كبير

٧٠ ـ أبو العباس الكندي

قال يصف الندى على البحر [من الطويل]:

كأنّ الندى في البحر بحران مائعٌ على مائعٍ هذا على ذاك مطبقُ
فهذا لجينٌ سابحٌ مترقرقٌ وذاك لجينٌ في السماء معلّقُ

إذا أبصرته الشمس بعد احتجابها لــه ســاعــة أبـصــرتــهُ يـتــمــزّق

وقوله [من المتقارب]:

عــذارك الـمـنـقــطـعُ الـمـسـبَــلُ يقــطـع عـذري عنــد من يعــذلُ
ووجـهــك الـمـقبـل إقـبــال مـنْ أنــت عــلى طـلعــتـه مـقــبـلُ
لا عـشت أن أعـدمــه فـالــذي يــعـدمــه يــعــدم مــا يــأمــلُ

وقوله يصف السحاب [من الرجز]:

ســاريــةٌ فــي غـســق الـظلام دانــيــةٌ مــن قــلل الآكــام
جاءت مجيء الجحفل اللهــام فـافـتـرقت كـالإبـل السـوامي[1]
كــأنّـهــا والـبــرق ذا ابـتــســام كـــتــيــبــةٌ مـذهــبــةُ الأعـلام
دنـت من الأرض بـلا احـتـشـام ثــم بـكـت بـكــاء مـسـتـهــام
وانـتـشــرتْ بـســائـغ الإنــعــام وثـروةٍ تــحــكــم فــي الإعـدام

٧١ ـ أحمد بن بدر المعروف بالبلاط

قال في ولده وقد حم [من الكامل]:

أعــزز عــليَّ بــنــيَّ مــا تــلقــى سـدّت عـليَّ شكـاتـك الـطـرُقـا[2]
قــد كنت بــالحمىّ أحـقُّ فليتنـي ألـقـى مـن الـحـمّـى الـذي تـلقـى

٧٢ ـ أبو العباس الزوفي

أنشدت له في الشيب [من المنسرح]:

قــد رابـني مــن شبـيبـتـي ريـبُ وفـلّ من غِـرب صبــوتي الشيبُ

(١) الجحفل : الجيش الكثير العدد ، واللهام : العظيم ، والسوامي : المرسلة لترعى .
(٢) شكاتك : ألمك وما تشتكي منه .

وكان ثوب الشباب أحسن ملـــبوساً بهاءً فأخلق الثوبُ[1]
من عابني بالمشيب قلت له: صدقت فالشيب كلّه عيبُ
طلائع الشيب كلَّما طلعتْ شقٌّ على ميت الصِّبا جيبُ

عبد الوهاب بن جعفر الحاجب

أنشدت له [من الكامل]:

هاتِرْ هتورُ بكثرةِ الفرح واقدحْ زناد اللهو بالقدحِ[2]
وصلِ الغبوق إذا وصلت إلى الـــمسى ، وإن أصبحت فاصطبحِ
أبرِدْ إلى الندمان رسلك ما بَرَدَ النَّسيم وغنٍّ واقترحِ
أصلح فساد العيش مجتهداً ففساد عمرك غير منصلح

* * *

٧٤ ـ أبو بكر الموسوس المعروف بسيبويه

أبو بكر هذا من البصرة . وكان يشبّه ـ في حضور جوابه ، وبيان خطابه . وحسن عبارته ، وكثرة درايته ـ بأبي العيناء، وكان قد تناول البلاذر فعرضت له منه لوثة ، وكان الناس يتبعونه ويكتبون عنه ما يقول. فقال يوماً للمصريين «يا أهل مصر . أصحابنا البغداديون أحزم منكم ، لا يقولون باتخاذ الولد حتى يقتنوا له العقدوالعدد ، فهم أبدا يعزبون . ولا يقولون باتخاذ العقار . خوفاً أن يملكهم شر الجار ، فهم أبداً يكنزون . ولا يقولون بإظهار الغنى في موضع عرفوا فيه بالفقر ، فهم أبداً يسافرون».

ووقف يوماً بالجامع ـ وقد أخذت الحلق مأخذها ـ فقال « يا أهل مصر ،

---

(١) أخلق الثوب : بليَ ورثّ .
(٢) الهتور : الاستهتار والعبث .

حيطان المقابر أنفع منكم يُستَنَدُ إليها ويستدرى بها من الريح ، ويستظل بها من الشمس ، والبهائم خير منكم ، تمتطى ظهورها ، وتؤكل لحومها ، وتحتذى جلودها » .

وكان ابن خزابة الوزير ربما رفع أنفه تيهاً ، فقال له سيبويه وقد رآه فعل ذلك : أيشم الوزير رائحة كريهة فيشمر أنفه ؟ فأطرق واستعمل النهوض ، فخرج سيبويه فقال له رجل : من أين أقبلت ، فقال : من عند هذا الزاهي بنفسه ، المدل بعرسه . المستطيل على أبناء جنسه . وكانت زوجته ابنة الإخشيد.

وأخلى الحمام لمفلح ، فجاء سيبويه ليدخل فمنع ، وقيل له : الأمير مفلح داخل ، فقال: لا انقي الله مغسوله ، ولا بلغه رسوله ، ولا وقاه من العذاب مهوله . وجلس حتى خرج من الحمام ، فقال له : إن الحمام لا يخلى إلا لأحد ثلاث مبتلي في قبله ، أو مبتلي في دبره ، أو سلطان يخاف من شره ، فأي الثلاثة أنت ؟ . ومن شعره [من الكامل] :

اعذرْ أخاك على رداءة خطِّهِ ... واغفرْ رداءته لجودة ضبطه
فالخطّ ليس يراد من تحسينه ... وبيانه إلّا إبانة سمطه[1]
فإذا أبان عن المعاني سمطه ... كانتْ ملاحته زيادة شرطه

* * *

أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس المنجم

أنشدت له [من الكامل] :

غنّت فأخفت صوتها في عودها ... فكأنّما الصوتان صوت العودِ
غيداء تأمر عودها فيطيعها ... أبداً ويتبعها اتباعَ ودودِ

---

(١) السمط : ترتيبه ونظمه .

أنـــدى من النّـوار صبحـــاً صـوتهـــا ... وأرقّ مـن نشــر الـثنــا الـمـعـهــود
فكــأنّمـا الصـــوتـان حين تمــازجـا ... مــاء الـغـمــامــة وابـنــة العـنـقــود

وقوله [من الطويل] :

سقى الله أحيــاء اللّوى كلّمــا سقى ... بضربٍ من المزن الكتهور هامـل[1]
إذا نثــرت ريحٌ جمــانٌ سحـــابــةً ... غـدا وهـو حليٌ للرياض العـواطـل
بـــه خفق بـرقٍ ليس بين جـــوانـــحٍ ... ووسـواس رعـدٍ ليس بين مفـــاصـل
إذا كـــاد درّ الـبــرق يـلمس نـبـتــه ... قلقّــاهُ درُّ النّـور بين الخمـــائـــل[2]

وقوله [من الكامل] :

يجــري النسيم على غـلالــة خــدِّهِ ... وأرقّ مـنـــه مـــا يـــمـــرُّ عـــلـيـــه
نـــاولـتـــه الـمـــرآة يـنـــظر وجـهـــهُ ... فعكست فـتـنـة نـاظـريـه إلـيـه

وقوله [من الوافر] :

صـــديقٌ قـد نـــدمت على اختبـاري ... لـــه لـــمّـــا تـــأمــلّه اخـــتـــبـــاري
ينـــمُّ بـــســـرٍّ مـــســـتـــوعـيـــه ســـرّاً ... كـــمـــا نـــمَّ الـــظّلام بـــســـرٍّ نـــار[3]
أنـــمُّ من الـنـصـــول عـلى مـشـيـبٍ ... ومـن صـافى الـزّجـاج عـلى عقـارِ

وقوله [من الوافر] :

وذي حـــرصٍ تـــراه يـلّم وفـــراً ... لـــوارثـــه ويـــدفـــع عـــن حـــمـــاهُ
كـكلب الصّـيـد يمســك وهـو طـاوٍ ... فـــريـــســـتـــه لـــيـــأكـــلـهـــا ســـواهُ

وقوله [من السريع] :

لـكــل شيء فـي الـــورى آفــةٌ ... وآفـــةُ الـــمـــرء مـــن الـــكـــبْـــرِ

---

(١) الكتهور : المتراكم من السحاب ، أو هو قطع منه كالجبال .
(٢) النَّور : الأزهار .
(٣) ينمُّ : يدل ويشير .

يحسب أن الكِبْرَ فخر له ... وليس غير العلم من فخْرِ

* * *

٧٦ - أبو القاسم عبد الغفار المصري

أنشدت له [من مجزوء الخفيف]:

إنّما الفضل غرّةٌ ... في وجوه المدائحِ
أريحيٌّ رياحه ... عبقاتُ الروائح
كعبة الجود كفّه ... بين غادٍ ورائح
إنّما تصلح الأمو ... ر برأي ابن صالح

* * *

٧٧ - أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوي

أنشدني ابن وهب له [من مجزوء الرمل]:

لم يطلْ ليلى ولكنْ ... سهري كان طويلا
وكذا ليس يلذّ الـ ... نوم من كانَ عليلا
يا غزالاً لم أجدْ عنـ ... ـه إلى الصّبر سبيلا
هبْ لعينٍ سهرتْ فيـ ... ـك من الغمض قليلا

* * *

٧٨ - محمد بن جعفر الأنصاري الكاتب المعروف بالقصير

من شعره [من السريع]:

قد طال منك المطل في الوعد لي ... وأنت في مطلك لا تخطي(١)

---

(١) ورد عجز البيت في بعض النسخ هكذا : « وأنت في مطلك لي تخطي » .

لــو كنت تعـطي مــال مصــر ومــا حـوت مــن الــدور عــلى الـشطّ
ومـا لــدار الـضــرب من عـسجـدٍ لـكــان كـفــراً بــالــذي تــعـطي

* * *

٧٩ ـ أبو علي تميم بن معد صاحب مصر

أنشدني له علي بن مأمون المصيصي [من الكامل]:

يــا دهــر مــا أقســاك من مـتـلوّنٍ في حــالتيــك ومــا أقـلَّك منصفــا
أتــروح للنكس الـجهــول ممهــداً وعلى اللبيب الحرّ سيفاً مـرهفـا ؟
فـإذا صفوتَ كـدرت شيمـة بـاخـلٍ وإذا وفيتَ نقضت أسبــاب الــوفــا
لا أرتـضيــك وإن صـفــوت لأنـنّـي أدري بــأنـك لا تــدوم على الصّفـا
زمــنٌ إذا اعــطى اســتــردّ عــطاءه وإذا اسـتـقــام بــدا لــه فـتحــرّفــا
مــا قــام خيــرك يــا زمــان بشــرِّهِ أولى بنــا مـا قــلَّ منـك ومــا كفى

وقوله [من الطويل]:

أيــا ديــر مــرخنــا سقتـك رعــود من الغيم تـهمـي مــزنهــا وتـجــودُ
فـكم واصـلتنــا مــن ربــاك او انسٌ يــطفن علينــا بــالـمــدامــة غـيــدُ
وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسمٌ ونــاب عــن الــورد الجـني خــدودُ
ومـاست على الكثبان قضبـان فضّـةٍ فــأثـقلهــا مِــنْ حملهــنّ نـهــودُ[١]
ليــاليَ أغــدو بين ثــوبيْ صبــابــةٍ ولهـــوٍ ، وأيّــام الــزمــان هجــود[٢]
وإذّ لمتي لم يــوقظِ الشيـب ليـلهــا وإذْ أثَــري في الغــانيــات حميــدُ

---

(١) ماست : تمايلت بغنج ودلال ، والكثبان : جمع كثيب وهو التلُّ من الرمل .
(٢) هجود : راقدة .

وقوله [من البسيط] :

يا منتهى أملي لا تدن لي أجلي   ولا تعذِّبْ ظنوني فيك بالظّنِ
إن كان وجهك وجهاً صيغ من قمرٍ   فـإنّ قـدّك قـد قـدَّ مـن غُصُـنِ

وأنشدني له من قصيدة أولها [من الطويل]:

* سرى البرق فارتاع الفؤاد المعذَّبُ *

يقول فيها :

وبات ضجيعي منه أهيف ناعمٌ   وأدعجُ نشوانٌ وألعسُ أشنبُ(١)
كأنّ الدّجى في لون صدغيه طالعٌ   وشمس الضّحى في صحن خدّيه تغربُ
وإني لألقي كلَّ خطبٍ بمهجةٍ   يهون عليها منه ما يتصعّبُ
وأستصحب الأهوال في كلّ موطنٍ   ويمزج لي السمّ الذعاف فأشربُ(٢)
فما الحرّ إلاّ مَنْ تدرَّع عزمه   ولم يك إلاّ بالقنا يتنكّب(٣)
وما لي أخاف الحادثات كأنّني   جهولٌ بأنَّ الموت ما منه مهربُ
خليلي ما في أكؤس الراح راحتي   ولا في المثاني لذتي حين تضربُ
ولكنّني للمدح أرتاح والعلا   وللجود والإعطاء أصبو وأطرب
ومن بين جنبيه كنفسي وهمتي   يروح له فوق الكواكب موكبُ !

وقوله [من الطويل]:

إذا حان من شمس النّهار غروبُ   تذكَّر مشتاقٌ وحنَّ حبيبُ

---

(١) الأدعج : من الدعج وهو سعة العين مع شدّة سوادها وشدّة بياضها ، والألعس : الذي في شفته سمرة ، والأشنب : البارد الرضاب .

(٢) الذعاف : القاتل .

(٣) تدرّع : جعله درعا ، ويتنكّب : يتكّل ويتكىء .

تُرى عندهم علمٌ وإنْ شطّت النوى بـأنَّ لـهـم قـلبي عـلـيَّ رقيـبُ
لهم كبـدي دوني وقـلبي ومـهجتي ونـفسـي التـي أدعى بـهـا وأجيبُ
فـآيـة حـزني لـوعـةٌ وصبـابـةٌ وعنـوان شيـنـي زفـرة ونـحـيـب
ومـا بـلد الإنسـان إلاّ الـذي لـه بـه سـكـنٌ يـشـتـاقـه وحـبـيـب
إلى الله أشكـو وشْـكَ بينٍ وفـرقـةٍ لـهـا بيـن أحشـاء الـمحـبِّ دبيبُ

وقوله [من الطويل]:

أمـا والـذي لا يملك الأمـر غيـره ومـن هـو بـالسّـرّ الـمكـتّم أعـلمُ
لئن كـان كتمـان المصـائب مؤلمـاً لإعـلانـهـا عـنـدي أشـدُّ وآلـم
وبي كـل مـا تشكـو العيـون أقلّه وإن كـنـت مـنـه دائـمـاً أتـبـسّـمُ

وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط]:

قـالت وقـد نـالهـا للبين أوجعـه والبين صعبٌ على الأحباب مـوقعُـهُ
اجعل يديـك على قلبي فقد ضعفتْ قـواه عن حمـل مـا فيه وأضلعـه
واعـطف عليَّ المطايـا ساعـةً فعسى من شتَّ شمل الهوى بـالبين يجمعه
كـأنّني يـوم ولَّـتْ حسـرةً وأسـىً غـريق بحـرٍ يـرى الشـاطي ويمنعـه

وقوله [من الطويل]:

وغضبى من الإدلال والتّيـه والهـوى بلا غضبٍ سكرى الجفون بلا سكـرِ
كـأنّ على لبّـاتهـا رونق الضحـى وفي حيث يهوى القرط منها سنا الفجر(١)
ترى البدر مثل البدر في صحن خدّها وتفتـرّ عن مثـل الجمـان من الثغـر

وقوله [من السريع]:

أمـا تـرى الـرعـد بكى فـاشتكى والبـرق قـد أومض فـاستضحكـا

---

(١) اللبة : موضع القلاد من الصدر ، والسنا : الضياء .

فاشرب على غيمٍ كصبغ الدجا	أضحكَ وجه الأرض لمّا بكى
وانظر لماء النّيل في مدّهِ	كأنّه صُندِلَ أو مُسِّكا

وقوله [من المنسرح]:

وليلةٍ بتها على طربٍ	آخرها مشبه لأولاها
أقبّل البرق من ترائبها	وألثم الشمس من محيّاها[1]
سقتني الراح وهي خدّاها	بأكؤس السكر وهي عيناها
إذا أرادت مزاحها جعلت	بآخر اللحظ في فمي فاها
فيالها قهوةٌ معتّقةٌ	وليس إلّا الخدود مأواها
حبابها الثغر حين يمزج لي	ونقلها اللثم حين أسقاها[2]
لله أيامنا التي سلفتْ	بدار حزوى ما كان أحلاها
فالقصر من حيرة الملوك إلى	أعلى رباها الى مصلّاها
إذ نجتني اللهو من أصائلها	والعزّ من فجرها ومغداها[3]
إن عرضتْ لذّةٌ ملكناها	أو صعبتْ خطّةٌ حويناها

وقوله [من الطويل]:

وصفراء لم تطبخْ بنارٍ شربتها	على وجه معشوق السّجا يا مقرطق[4]
كأنّ حباب الكأس من نظم ثغره	وإشراقها من خدِّهِ المتألق

وقوله [من المنسرح]:

لو صوّرت خلقها إرادتها	ما قدّرته كمثل ما قدّرا

---

(١) الترائب : جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر .
(٢) الحباب : فقاع الخمر ، والنقل : ما يؤكل معها .
(٣) مغداها : أي وقت الغدو صباحاً .
(٤) المقرطق : الذي يلبس القرطق وهو نوعٌ من الثياب .

كـامسـك نشـراً ، والبـرق مبتسمـاً   والغصن قـداً ، والحقف مؤتـزرا[1]

وقوله [من السريع]:

شبّهتهـا بـالبـدر فـاستضحكتْ   وقـابـلتْ قـولـيَ بـالـنُّـكْـرِ
وسـفّهـت قـولي وقـالـت : متى   سمجتُ حتّى صرت كـالبـدر ؟[2]
والـبـدر لا يـرنـو بـعـينٍ كـمـا   أرنـو ، ولا يـبـسـم عـن ثـغـر
ولا يـمـيط الـمـرط عـن نـاهـدٍ   ولا يـشـدّ الـعـقـد فـي نـحـر[3]
مـن قـاس بـالبـدر صفـاتي فـلا   زال أسـيـراً فـي يـديْ هـجـري

وقوله [من البسيط]:

نـاولتها شبـه خـدّيهـا مشعشعـةً   صـرفاً كـأنّ سناهـا ضـوء مقبـاسِ[4]
فقبلتْهـا وقـالـت وهي ضـاحكـةٌ   وكيف تسقى خـدود النـاس للنـاسِ
ألـيس خـدّاي ذابـا إذ لمستـهمـا   فـاستنبـطا قهـوةً حمـراءَ في الكـاس
قلت: اشـربي إنّها دمعي وحمـرتها   دمي وطـابخهـا في الكـأس أنفـاسي
قـالت: إذا كنت من حبي بكيت دماً   فسقّنيهـا على الـعـينـين والـراسِ
يـا ليـلةً بـات فيهـا البـدر معتنقي   وبـاتت الشمس فيها بعض جلّاسي
وبتُّ مستغنيـاً بـالثّغـر عن قـدحي   وبـالـخـدود عن الـتـفـاح والآسِ

وقوله [من الطويل]:

ومـا أمّ خشفٍ ظـلّ يـومـاً ولـيلةً   ببلقعـةٍ بيـداء ظـمـآن صـاديـا[5]

---

(١) الحقف : المعوجّ من الرمل .
(٢) سمجت : أصبحت ثقيلة .
(٣) يميط : يزيح ، والمرط : الثوب .
(٤) المقباس : الضوء والسّراج .
(٥) البلقع : الأرض الخالية التي لا شيء فيها .

تهيم فـلا تـدري إلى أيـن تنتهـي مـولهـةً حيـرى تجـوب الفيـافيـا
أضـرَّ بهـا حـرّ الهجير فلم تجـدْ لغلّتهـا من بـارد المـاء شـافيـا
إذا بعـدت عن خشفها انعـطفتْ لـه فـألفتـه ملهـوفـاً إلى الجـوع ظـاميا
بـأوجعَ مني يـوم شـدّوا رحـالهم ونـادى منادي الحي أن لا تـلاقيـا

وقوله مفتخراً [من الكامل]:

ألـقى الـكمـيَّ فـلا أخـاف لقـاءه ويفـلُّ إقـدامي شبـا الحـدثـانِ[1]
وأكـرّ في صـدر الخميس معـانقـاً للمـوت حين يفـرّ كـلّ جبـانِ[2]
ويـزيـدني كـلّ الخطوب تعـظّمـاً وتـسـلُّـط الأيام عـزّ مـكـان
وعلمت أخـلاق الـزمـان فلم أضقْ ذرعـاً بـأيـامـي وغـر زمـانـي
وكمـا يملّ الـدهـر من إعـطائـه فـكـذا مـلالـتـهُ مـن الـحـرمـان
وكـمـا يكـرّ لـمعـشـرٍ بسـعـادةٍ فـكـذا يـكـرّ لـمعـشـرٍ بـهـوان
فـإذا رمـاك بشـدَّةٍ فـاصبـرْ لهـا فـلسـوف يـأتي بـعـدهـا بلَيَـانِ
وسـلِ الليـالي عن نفـاذ عـزيمتي وسـلِ الحـوادث عن ثبـات جناني
يـخبـرك عنّـي أننّـي لـم ألـقهـا بـيـن الـعـزائم واهـن الأركـان
اصبـحـت لا أشتـاق إلاّ لـلنّـدى إلفـاً ولا أهـوى سـوى الإحسـان
وإذا السيـوف قـطعن كـلَّ ضـريبـة قـطع السيـوف القـاطعـات لسـاني

وقوله [من الخفيف]:

اسـقيـانـي فلسـت أصغـي لعـذلِ ليـس إلا تـعـلَّةُ الـنـفس شغـلي،
أأطيـع العـذول فـي ضـدّ مـا أهـــوى كـأنّي اتهمت رأيـي وعقـلي
علّلانـي بـهـا فـقـد أقبـل الـليــل كلون الصـدود من بعـد وصـلِ

---

(١) الشبا : حدّ السيف والسهم والنصل والحدثان : الليل والنهار .
(٢) أكرّ : أقدم وأهجم ، والخميس : الجيش .

وانجلى الغيم بعدما أضحك الرو ض بكـاء السّحـاب فيه بـوبـل
عـن هـلالٍ كصـولجان نـضـارٍ في سمـاءٍ كـأنّهـا جـامُ ذبـل(١)

أحسن في هذا التشبيه ما شاء ! وقوله [من الطويل]:

إذا هبّ سلطان المـريسيّ نـافحـاً سُحَيْراً وحلّ القـرُّ كـلّ نقـابِ(٢)
ومـدّ عـلى الأفق الـغمـام ثـيابـه فـقـمْ فـالقـه فـي عـدّةٍ وحـرابِ
بكنٍّ وكـانـونٍ وكـأس مـدامـةٍ وكـيس وكسٍ وافـرٍ وكـبـاب(٣)

وقوله [من الكامل]:

ورد الـخـدود أرقُّ مـنْ ورد الـريـاض وأنـعـمُ
هـذا تـنـشّـقُهُ الأنـو ف وذا يـقـبّله الـفـمُ
فـإذا عـلت فـأفضـل الـوردين وردٌ يُـلْثَـمُ
هـذا يُـشَـمُّ ولا يـضـمُّ وذا يـضـمُّ ويـشمم

وأنشدني المصيصي له [من المنسرح]:

وجنّـةِ من شفّني هـواه ومنْ أفـنيت فيـه دمـوع آمـاقـي
كـأنّمـا الصيـرفيُّ دنَّـر مـا يحمـر منها ودرهم البـاقـي

وأنشدني له أبـو الحسن علي بن مأمـون المصيصي من قصيدة مخمسـة اولها [من الهزج]:

دمُ الـعـشـاق مـطلول ودَيْـنُ الـحبِّ مـمـطولُ(٤)

---

(١) الجام : الإناء ، وذبل : مصنوع من عظام بحرية .
(٢) سحيراً : وقت السحر ، والقرّ : البرد .
(٣) الكنّ : البيت والستر .
(٤) مطلول : مسفوك ، والمطل : التسويف وعدم الوفاء بالوعد .

وسـيـف اللحظ مـسلول   ومـبـدا الـحـب مـعزولُ

وإن لم يصغِ للآثمْ

إذا لـم يـظهـر الـحـبّ   ولـم يـنـهـتك الـصـبُّ

ويـفـشـي سـرّه الـقـلبُ   فـجـملة ما ادّعـى كـذبُ

فبُحْ يا أيّها الكاتم(١)

وأحـور سـاهـر الـطرفِ   يـفـوق جـوامع الـوصـفِ

مـليـح الـدلِّ والـظُّرفِ   جـنـت ألـحـاظـه حـتـفي

فمن يعدي على الظالم

أطـاع جـفـونـه الـسّـحـرُ   وذلّ لـوجـهـه الـبـدرُ

ومـاد بـردفـه الـخـصـرُ   وأشـبـه ثـغـره الـدرُّ

فقلب محبِّه هائمْ ؟

يـعـنّـفـنـي عـلى حبـيّ   ويـهـجـرنـي بـلا ذنـبِ

كـأنّـي لـسـت بـالـصَّـبِّ   لـقـهـوة ريـقـه الـعـذبِ(٢)

أما في الحب من راحم ؟

غـزالٌ لـحـظه شَـرَكُـهْ   وبـدرٌ ثـوبـه فَـلَـكُـهْ

لـو أنـي كـنـت أمـتـلِكُـهْ   فـأنهب مـا حـوت تِكَكُـه(٣)

نهاب الظافر الغانم

خـذوا بـدمـي قـنـا الـقـدّ   وحـسـن تَـورُّد الـخـدِّ

---

(١) باح : أعلن .

(٢) الصبّ : العاشق .

(٣) التكّة : حبل يربط به السروال .

وليل الشعرّ الجعد وثقل الكفل النّهد

وسقم الأعين الدائم

متى يظفر بالوصل وينفي الجور بالعدلِ
محبٌّ دائم الخبل سليب الصبر والعقل

كئيبٌ مدنفٌ هائم

بحسن الأعين النجل وعضٍّ الوقف والحجل[1]
وذاك القصب الجدل وريقٍ كجنا النحل

وثغرٍ يطمع الشائم[2]

سلوا الشمس التي طلعتْ علينا ثمَّ ما أفلتْ
عسى ترثي لمن قتلتْ بعينيها وما علمتْ

فقد يستعطف العالمْ

أما والخرَّدِ الصّفرِ شبيهات سنا البدرِ
وألوان صفا الخمر لقد أضرمْنَ في صدري[3]

غراماً ليس بالنائمْ

وراحٍ تبعث الطربا وتحيي الظُّرف والأدبا
يثير مزاجها حببا تخال به عيون دبى[4]

(١) النجل : الواسعة ، والوقف : السُّوار في يد المرأة .

(٢) الشائم : الناظر والمتطلع .

(٣) أضرمن : أوقدن النار .

(٤) الدّبى : الجراد .

ودرّاً صفَّــهُ الناظمْ

أمـا والــجــمـرة الـكــبـرى وزمـزم والــصــفـا ومــنـى
ومـن لـبـى بـهـا ودعـا وطـاف الـبـيـت ثـم سـعـى
خميصاً مخبتاً صـائمْ[1]

لـقـد أضـحـى لـنـا خـلـفـا نـزارٌ وابـتـنـى شـرفـا
وأصـبـح خـامـس الـخـلـفـا وأحـيـا سـعـيـه الـسـلـفـا
وأضحى بالهدى قائمْ

نـمى فـي المـجـد عنـصـره وطـال الـنَّـجـم مـفـخـره
وفـاق الـبـدر مـنـظـره فـصـرف الـدهـر يـحـذره
أبيٌّ ليِّنٌ صـارمْ

وقوله في الراي [من الوافر] :

كـأنَّ الـراي حين أتـى طـريـاً بـأذنـابٍ كمجمـرة العـقيـقِ[2]
بـإسـقـيَّـاتِ بـلّورٍ لـطافٍ بـأسفلهـا بقـايـا مـن رحيـق

٨٠ ـ محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله

المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني من شعره [من الطويل] :

ومـا كـان من عـطفٍ عليّ حـديثهـا ولكنْ لتعـذيـب الفـؤاد المـعـذَّبِ
حديثٌ لو استسقت به الصخر جادها بـأعـذبَ من صوبِ الغمـام وأطيبِ

---

(١) الخميص : الجائع ، والمخبت .
(٢) الراي : نوعٌ من السمك .

وقوله [من مخلع البسيط]:

راجـعـه شـوقـه فـحـنّـا ... وشـفّـه شـجْـوهُ فـأنّـا[1]
وسـال مـن دمـعـه مـصـون ... أظـهـر مـا كـان مـسـتـكـنّـا
فـعـاد فـيـه الـهـوى يـقـيـنـاً ... وكـان عـنـد الـرقـيـب ظـنّـا
لـو كـان يلقى الـذي تـلاقـي ... أوسـعـه رحـمـةً ومـنّـا

وقوله [من الخفيف]:

بيـن أجـفـانـهـا وبـيـن ضـلوعـي ... نـازعتني الحيـاة أيـدي المنـونِ
لست أدري أعن مـدى طـرفهـا الفا ... تـن مـوتي أم طـرفي الـمفـتـونِ

وقوله [من الخفيف]:

قـد رضيت الهـوى لنفسيَ خـلاّ ... ورأيت الممـات في الحبّ سـهـلا
وتـذلّـلت لـلحـبـيـب وعزّ الـ ... صبّ في سنـة الهـوى ان يـذلاّ
بـأبي مـن أحـلّ قـتـليَ عـمـداً ... وهـنيئـاً لـسيـدى مـا اسـتـحـلاّ
سـوف أجزي الحبيب بـالصدود ودّاً ... مـستـجـدّاً وبـالقـطيعـة وصـلا
وإذا مـا اسـتـزاد تيـهـاً وعُـجْـبـاً ... زدت نـفـسـي لـه خـضـوعـاً وذلاّ

وقوله [من الخفيف]:

غيـر مستنكـرٍ هـمـول دمـوعي ... في التّصابي وغيـر بـدعٍ خشـوعي
لـيسن عزّي إلاّ فنـاءُ عـزائـي ... وسـنـائي إلاّ بـقـاء خـضـوعـي
وبـحـسـبي أنّـي ألاقي عـذولـي ... بـاصـطبـارٍ عـاصٍ ودمع مـطيع

وقوله [من الطويل]:

أعِـدْ نظراً واستوقف الطرف منعماً ... تجـدْ كَلِفاً صبّـا بحبِّكَ مغـرمـا

---

(١) أنّا : من الأنين ويكون وقت المرض .

سرى الحبُّ في أخلاقه فأرقّها وعلّمهُ احكامه فتعلّما
ولست تراه سائلاً منك عطفةً حذاراً من التقبيل إلّا توهّما
فإن جدت لاقته الحياة كريمةً وإن لم تجد لاقى الحمام مقدّها

وقوله [من الطويل]:

لئن وعدتني وصلها وعدَ عاتبٍ يجاحدني وعدي وينكرني حقّي
فأفضل ثوب الغيث في الأرض دافقٌ وأبلغه ما جاء بالرّعد والبرقِ
فإن ما نعتني فضل إنجاز موعدٍ فإنّ الحيا الممنوع أشهى الى الخلق
فلا كان لي في الأرض رزقٌ أناله إذا لم يكن في نيل موعدها رزقي

وقوله [من الخفيف]:

ياربيعي ما كان ضرّك لوجد ت علينا كما يجود الربيعُ
ورده ذاهبٌ ووردك باقٍ وهو سهلٌ به وأنت منوعُ
كن شفيعي إليك ياجنّة الخلـ د فمالي غير الخضوع شفيعُ

وقوله [من الخفيف]:
كم تصابٍ أردفته بتصاب واصطباحٍ وصلته باغتباق
وكؤوسٍ عاطيتها بدر تمٍّ جلّ أن يعتريه نقصُ المحاق
وغصونٍ جنيت منها ثماراً لم يشنها تساقط الأوراق
زمنٌ بكيته حسب وجدي كنت أبكيه من دم الأحداق

وقوله [من الطويل]:

ومختطفٍ للعين بتُّ أشيمه مجالسةً والليل حيران مطرقُ(١)
سرى يخبط الظلماء حتّى كأنّه بوجديَ يسرى أو بقلبي يخفق

---

(١) أشيمه : أتبعه وأنظر إليه .

وقوله [من الطويل]:

تبـدّت بـأكنـاف الحجـاز ديـارهـا ... فـأوقد نـار الوجـد في القلب نـارُهـا
كـأنّ بـأنفـاسي استمدّ ضـرامهـا ... وعن كبدي الحرّى تلظّي استعارها[1]
يحنّ إليهـا الـقلب حتّى كـأنّـمـا ... إليـه تنـاهيهـا ومنـه انتشـارهـا

وقوله [من الطويل]:

ولما حمى الشوق المبّرح ناظري ... كـراه حـذاراً أن يـريـني مثـالـه
شـربت عقـاراً أذكـرتني بـريقـه ... وأهـدت كـرىً اهـدى إليَّ خيـالـه
فـهـلْ هي إلاّ نـعمـةٌ مسـترقّـةٌ ... أنـالت يـدي مـا لم أؤمـلْ نـوالـه

* * *

٨١ ـ حبيب بن أحمد الأندلسي

قال [من الخفيف]:

ودعـتـنـي بـزفـرةٍ واعـتـنـاقِ ... ثم نـادت متى يكـون التـلاقي ؟
وتصـدَّت فـأشـرق الصُّبـح منهـا ... بـين تـلك الجيـوب والأطـواقِ
يـا سقيم الجفـون من غيـر سقمٍ ... بين عينيـك مصـرعُ العشّـاقِ
إنّ يـوم الـفـراق أفـظعُ يـومٍ ... ليتني متُّ قبـل يـوم الـفـراق

وله [من الرمل]:

هـيَّـج الـبـيـن دواعـي سـقـمـي ... وكـسـا جـسـمـيَ ثـوبَ الألـمِ
أيّـهـا الـبـيـن أقـلـنـي مـرَّةٍ ... فـإذا عـدت فـقـد حـلّ دمـي
يـا خـليَّ الـروع نـمْ في غـبـطةٍ ... إنّ مـن فـارقـتـه لـم يـنـمِ

---

(١) تلظّى استعارها : أي وهج اتقادها .

ولــقــد هــاج لــقــلـبــي ســقــمــاً حــبُّ مــن لــو شــاء داوى ســقــمــي

وقوله [من الخفيف]:

وجنّـــةٍ كـالــربيـع جــاد عليهـــا مــن حيــاءٍ لا مــن حيــاً وسْمِيُّ
ووجـــوهٍ قـلبتـهـا كـالـدّنــانيـــــر ومثـلي لمثـلهـا صيــرفيُّ
تتهــادى الـريــاح منهـا نسيمـاً شــابــه عنبــرٌ ومســكٌ ذكيٌّ(١)

وقوله [من الطويل]:

ألا بــأبي من قـلبــه غيــر مـشفـقٍ علـيَّ ، ولـي قـلبٌ عـليــه شـفـيـقُ
وإنــي لأبــدي لـلوشــاة تـبسُّــمــاً وإنســان عيني في الدمـوع غـريقُ(٢)
وكم شــافهـتني للصبــا أَرْيحيَّــةٌ ومــازج ريــقــي لــلأحــبّــة ريــقُ

* * *

تم - بحمـد الله تعالى وحسن تـوفيقه - مـراجعة الجـزء الأول من كتـاب يتيمة الدهر ، في محاسن اهل العصر « لأبي منصور الثعالبي . ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الثاني ، مفتتحا بتـرجمة « الـوزير أبي مـروان عبد الملك بن جهور » نسأل الله المعونة والتوفيق إلى إكماله .

---

(١) شابه : خالطه ومازجه .

(٢) إنسان عيني : بؤبؤ ناظرها .

الفهـــرس

الموضوع | الصفحة

الباب الرابع

الباب الخامس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب السادس

الباب السابع

الباب الثامن

الباب التاسع

الموضـوع	الصفحة